البابا شنوده

حوارات في الايمان والثقافة والوطنية

حاوره: مازن يوسف صباغ



قدم له:

سماحة الامام محمد مهدي شمس الدين
رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان

سماحة الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني
مفتي الجمهورية اللبنانية

©دار الشروق

اهداءات ٢٠٠٤

الأستاذ/ مازن يوسف الصباغ
مستشار وزير الإعلام السوري
سوريا

إهداء المؤلف مازن يوسف صباغ

إلى ....

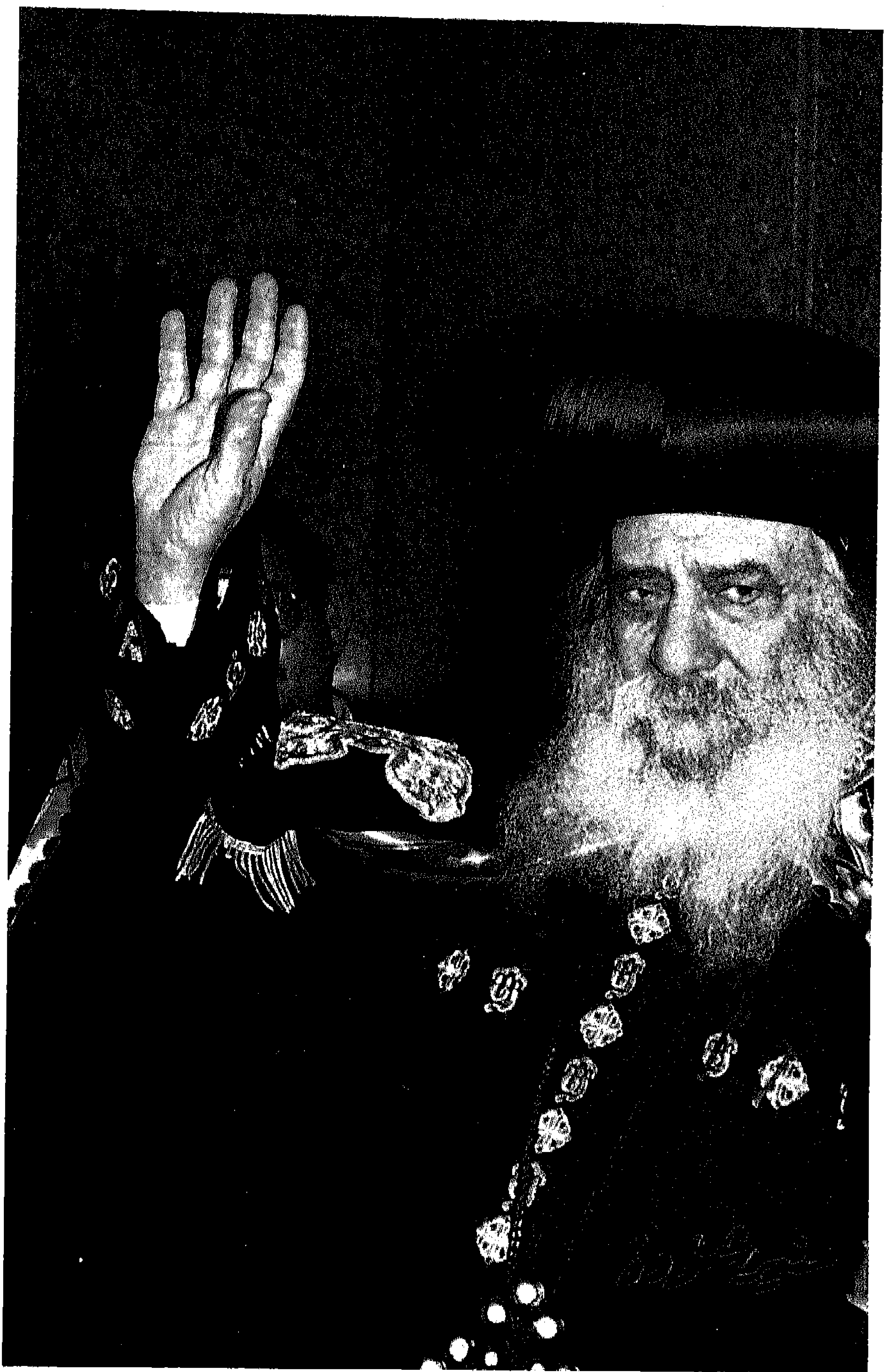
مع خالص المودة و التقدير

في / /

البابا شنوده

حوارات في: الإيمان والثقافة والوطنية

حاوره: مازن يوسف صباغ



البابا شنوده

البابا شنوده
حوارات في: الإيمان والثقافة والوطنية
الطبعة الأولى فبراير (شباط) ١٩٩٩

رقم الإيداع: ٩٨/١٦٨٢٩
الترقيم الدولي: ISBN 977 - 09 - 0521 -2

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري
ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩
فاكس: ٨١٧٧٦٥(٩٦١)

تصميم الغلاف والإخراج:
الفنان: محمد الصيرفي

البابا شنوده

حوارات في الايمان والثقافة والوطنية

حاوره: مازن يوسف صباغ



قدم له

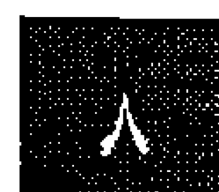
سماحة الامام محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان

سماحة الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني

مفتي الجمهورية اللبنانية

© دار الشروق



... ولا يفوتنا أن نذكر أن المسيحية انتقلت إلى روما

ومن ثم إلى أوروبا عامة من الأرض العربية

بواسطة القديسين بطرس وبولس اللذين بشرا

بتعاليم السيد المسيح ورسالته السماوية

منطلقين من الأرض السورية.

الرئيس حافظ الأسد
رئيس الجمهورية العربية السورية
من كلمته التي ألقاها في حفل العشاء
الذي أقامه سيادته تكريماً لرئيس وزراء إيطاليا
رومانو برودي في قصر الشعب ـ دمشق
تاريخ ١٧ آذار (مارس) ١٩٩٧



الإهداء

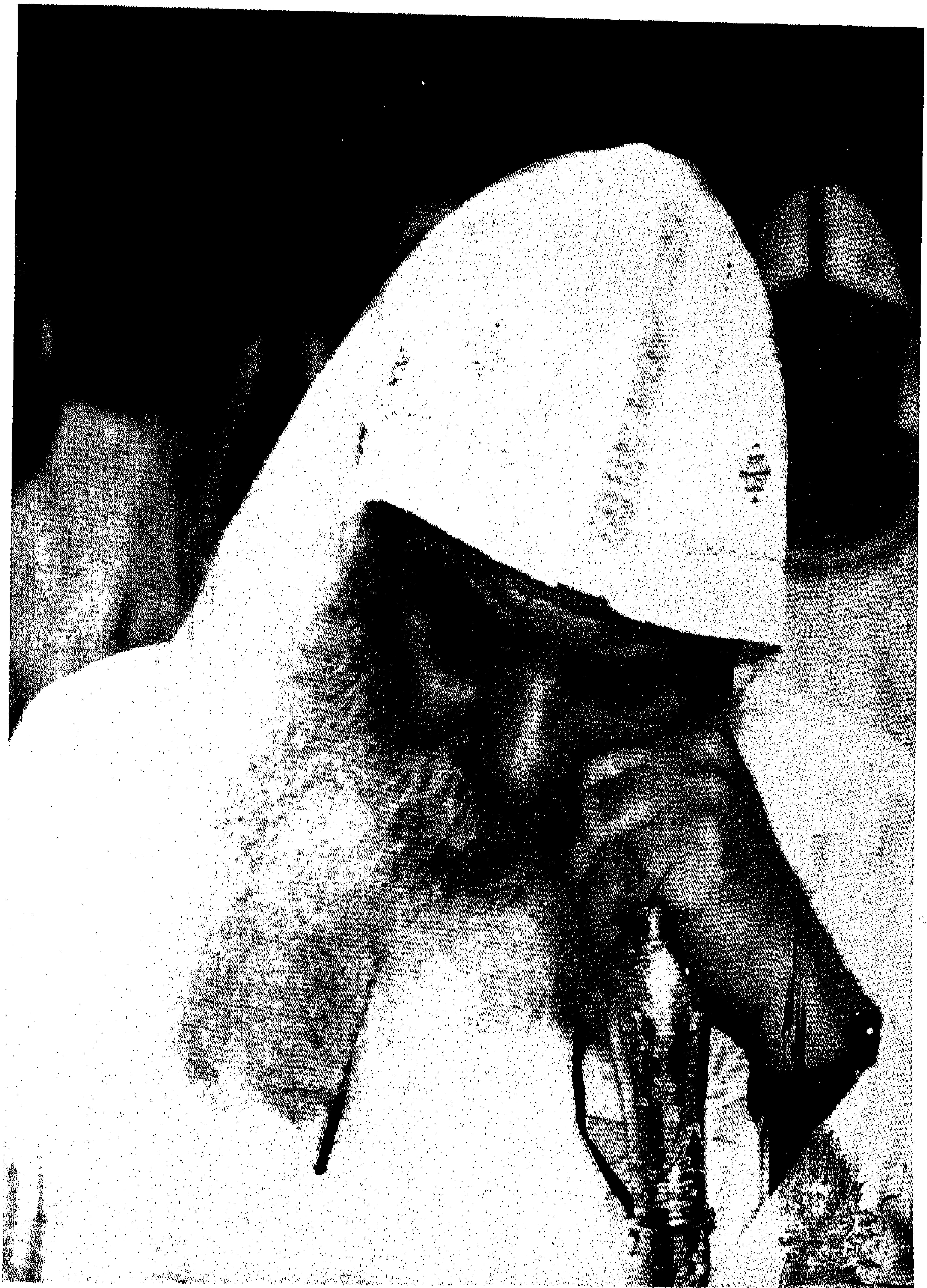
إلى

الدكتور بشــار الأســد

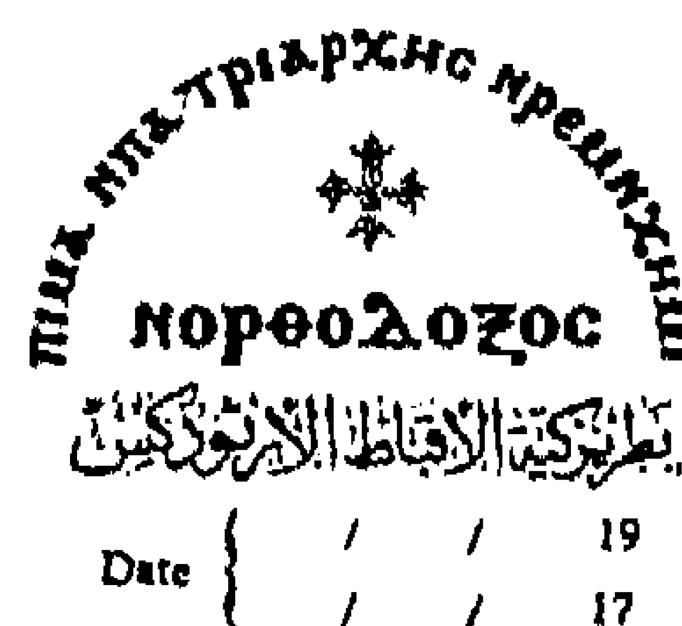
إشراقة المستقبل العربي

تصدير

بقلم وخط يد البابا شنوده



Coptic Orthodox Patriarchate
FROM H.H. POPE SHENOUDA III
Deir Anba Rueiss, Ramses Avenue, ABBASSIYA,
CAIRO 11381, EGYPT
CABLE : EL ANBA RUEISS, CAIRO.



تصدير

الصديق العزيز، والابن المبارك الاستاذ مازن يوسف صباغ
هو مؤرخ مدقق، يميل الى كتابة التاريخ، ومن مصادره...
بطريقة وثائقية. لذلك فإن ما يكتبه يعتبر مرجعاً فيما يتعرض
له من موضوعات. تضاف الى معلوماته عقليته وخبرته فى التاريخ،

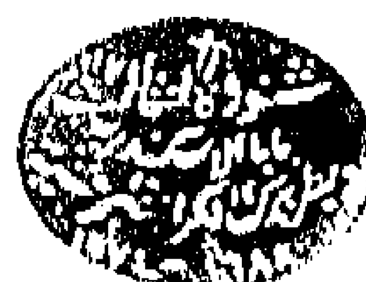
وقد شاء الله أن أكون من عاصرهم الاستاذ مازن، فأراد
أن يكتب عنى. وما يكتبه يمكن اعتباره جزءاً من تاريخ كنيستنا
القبطية. فأرسل الىّ ما يزيد عن المائة سؤالاً. وحضر لمقابلتى
ليسمع أجابتها ويسجلها بنفسه

قابلنى فى القاهرة وفى الاسكندرية، وفى دمشق وفى بيروت،
وكان اللقاء فى مصر يستمر أياماً، ويشمل كل يوم عدة ساعات،
حتى كأننى كنت شبه متفرغ له، وكان ذلك خلال عامى ١٩٩٧،
و١٩٩٨. وكانت حصيلة هذه اللقاءات كلها، هذا الكتاب
الذى بين يديك أيها القارئ العزيز

إنه واجب علىّ أن أشكر الاستاذ مازن على ما بذله
من جهود طيب ومخلص، كما أشكره على أنه أنعش ذاكرتى
فى موضوعات عديده

وأرجو كل خير لشقيقتنا العزيزة سوريا ذات التاريخ الطويل
المجيد، وعلى رأسها قائدها الشجاع الصامد المناضل، الرئيس حافظ
الأسد وفقه الله ورعاه، وشكرى أيضاً لوزارة الاعلام السورية
وليكن الرب معكم جميعاً، يسدد خطاكم ويقويكم

شنوده ٣
بابا الاسكندرية ١٩٩٨/١٢/٢



تصدير

الصديق العزيز، والابن المبارك الأستاذ مازن يوسف صباغ هو مؤرخ مدقق، يميل إلى كتابة التاريخ، ومن مصادره... بطريقة وثائقية. لذلك فإن ما يكتبه يعتبر مرجعاً فيما يتعرض له من موضوعات. تضاف إلى معلوماته عقليته وخبرته في التاريخ.

وقد شاء الله أن أكون ممن عاصرهم الأستاذ مازن، فأراد أن يكتب عني. وما يكتبه يمكن اعتباره جزءاً من تاريخ كنيستنا القبطية. فأرسل إليّ ما يزيد عن المائة سؤالاً. وحضر لمقابلتي ليسمع إجابتها ويسجلها بنفسه.

قابلني في القاهرة وفي الإسكندرية، وفي دمشق وفي بيروت. وكان اللقاء في مصر يستمر أياماً. ويشمل كل يوم عدة ساعات، حتى كأنني كنت شبه متفرغ له. وكان ذلك خلال عامي ١٩٩٧، و١٩٩٨. وكانت حصيلة هذه اللقاءات كلها، هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء العزيز.

إنه واجب عليّ أن أشكر الأستاذ مازن على ما بذله من مجهود طيب ومخلص، كما أشكره على أنه أنهض ذاكرتي في موضوعات عديدة.

وأرجو كل خير لشقيقتنا العزيزة سوريا ذات التاريخ الطويل المجيد، وعلى رأسها قائدها الشجاع الصامد المناضل، الرئيس حافظ الأسد وفقه الله ورعاه. وشكري أيضاً لوزارة الإعلام السورية وليكن الرب معكم جميعاً، يسدد خطاكم ويقويكم.

١٩٩٨/١٢/٢

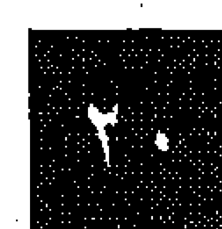
شنوده ٣
بابا الإسكندرية

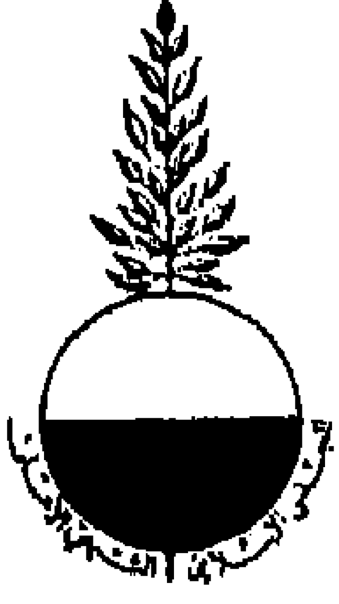
مقدمة

بقلم صاحب السماحة

الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الإعلى في لبنان





بسمه تعالى

رئاسة
المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه بإحسان، وعلى جميع أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين. وبعد..

لقد اطّلعنا على كتاب الأستاذ الجليل الأخ مازن يوسف صباغ، وهو يتناول سيرة وأفكار ومواقف أخ كبير ربطتني وتربطني به مودة عميقة ورفقة طريق عنوانها العام (الحوار سبيل التعايش) وهو الصديق العزيز البابا شنوده، والتعايش مع التنوع أساس الوحدة، والوحدة طريق القدس، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا جميعاً، وأن يبقينا معاً على هذا الطريق الذي فيه العزة والكرامة في الدنيا والآخرة.

عنوان هذا الكتاب من حيث هو يعرض لرجل كبير من كبارنا، عنوانه العام العريض هو (التعايش والحوار والعيش المشترك) ونحن نعلم أن الحوار لا يكون إلا مع التعدد والتنوع، وإلاّ يكون حواراً مع الذات ويكون حديثاً مع النفس.

فإذا لم يكن هناك تعدد وتنوُّع فليس هناك حوار.

ومن هنا فنحن في مجتمعنا إمّا أن نؤمن بالحوار وهذا يستبطن اعترافنا بالتعدد، وإما أن نزعم أننا لسنا متعددين أو متنوعين فما لنا وللحوار إذن؟ عندئذ يكون حديث الإنسان مع نفسه فقط. والتعايش وهو التفاعل لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين وإلاّ فالإنسان لا يتعايش مع نفسه، لكنه يعيش نفسه ويعيش ذاته.

إذن عنوان الكتاب وما يؤرخ له ويجمعه بين دفتيه من سيرة حياة وجهاد فكر ومواقف، يفترض وجود التعدد والإختلاف، والتعامل إمّا أن يكون بالحوار أو بالقطيعة. والمختلفون إمّا أن يتعايشوا وإمّا أن يتقاطعوا.

لقد دلّت النصوص الشرعية الإسلامية على أن الإختلاف حقيقة راسخة في الإجتماع البشري، ناشئة من طبيعة تكوين العقل الإنساني وعلاقة الإنسان بالطبيعة كما أنها نابعة من حريته، ومن هنا فإن (حق الإختلاف) ثابت للإنسان، وهو يتحمل مسؤولية إعمال هذا الحق في هذا المجال أو ذاك.

من هذه النصوص قوله سبحانه وتعالى: " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" وقوله سبحانه وتعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" كل ذلك وغيره يدل على حق الإختلاف.

نضيف إلى موضوع واقعية ومبدئية التنوع أن الله سبحانه وتعالى ذكر في آيات كثيرة قدرته على أن يجعل من الناس أمة واحدة ورأياً واحداً ونسخة واحدة، ولكنه تعالى لم يجعلهم كذلك.

فقال تعالى في سورة الأنعام الآية:٣٥ "ولو شاء الله لجمعهم على الهدى" وفي الآية:٨ من سورة الشورى " ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة" وحتى على مستوى الإيمان والكفر نلاحظ في سورة الزمر:١٤-١٥ " قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه"

وفي الآية: ١٠٧ من سورة الأنعام " ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا" إلى غير ذلك من الموارد.

وقد عظّم الله تعالى من شأن العقل الإنساني وجعله المرتكز لسلوك الإنسان والحجة عليه، وحفلت آيات الكتاب الكريم بالأمر بالتفكر وبالبحث لأجل التفكر، وكذلك وردت السنّة بذلك كما في حديث محمد بن مسلم عن الإمام الباقر(ع) **(لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر. ثم قال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب. أما إني إيّاك آمر وإيّاك أنهى، وإيّاك أعاقب وإيّاك أثيب.) (الكافي:١/ كتاب العقل والجهل).**

وهذا دعوة إلى إعمال العقل، فإذا أدّى إعمال العقل طلباً للحقيقة وليس استجابة للهوى إلى الرأي المخالف لرأي الآخر، فلا بد أن يكون هذا الإختلاف معترفاً به من الناحية المبدئية الشرعية.

إذن وجود تنوع أو اختلاف في الآراء هو حقيقة في عالم التكوين، وقد وقع ذلك في جميع مجالات الحياة، وهذه الحقيقة النابعة من طبيعة الكينونة الإنسانية وطبيعة المجال الإنساني وقعت وحصلت في دائرة الشرعيات، ومن هنا كانت شرعية الإجتهاد في الدين، إذ لولا أن الرأي الآخر والتنوع واقع موضوعي لما كان هناك وجه للإجتهاد، ولكان الناس مفطورين على رأي واحد من دون فسح مجال لأي رأي آخر ولأي فهم آخر.

إن هذا الواقع في كينونة الإنسان وفطرته (حق الإختلاف) يلاحظ - من ناحية التشريع - على مستويين:

أحدهما - على مستوى الجنس البشري. وهنا نلاحظ أن الإسلام وضع مبدأ (قاعدة الإلزام) من قبيل قوله تعالى: (..من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وفي السنّة نصوص من قبيل قوله(ع): (إن الأحكام تجوز على أهل كل دين

بما يستحلون)، وفي رواية عن الإمام الرضا(ع) (ألزموهم بما التزموا بـــه)، وعن الإمام الصادق(ع) (كل قوم دانوا بشيء يلزمهم حكمهم) وما إلى ذلك.

هذه القاعدة تدل على اعتراف الإسلام بالتنوع التشريعي، والإعـتراف بشرعية ما عليه الآخرون.

ثانيهما - حق الإختلاف داخل المسلمين أنفسهم. والدليل على شـرعية هذا الحق عمومات وإطلاقات الكتاب والسنّة بالأولوية.

هذه هي الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها التعامل مع الرأي الآخر.

وهذا يفترض مبادئ نظرية في طريقة وأسلوب التعامل:

المبدأ الأول - إذا كان الرأي الآخر حقيقة موضوعية يقتضيها التكويـن والتشريع، وكان هذا الرأي مشروعاً إذا قام على أساس البحث عن الحقيقـة وليس على أساس الهوى كما أشرنا إلى ذلك، فلا بد أن نوفر له مبدأ الحرية، ولا يمكن أن يكون هناك ضرورة بحسب الخلقة البشرية ومشروعية بحسـب الوضع التشريعي، ولا يكون الرأي الآخر حراً، إذ نكون حينئذ نناقض أنفسنا، ومن هنا هذه الحقوق، حق الحرية.

إن حرية إبداء الرأي ينبغي أن تكون من الأمور المقررة في الشريعة، ونستفيد شرعية هذا الحق لكل أحد - ما دام منبع اختلافه بالرأي مع الآخرين هو البحث عن الحقيقة وليس اتباع الهوى - من نفس الآيـات الدالـة علـى اقتضاء أصل الخلقة لحصول الإختلاف في الآراء، إذ لا معنـى لأن يكـون الإختلاف مقتضى أصل الخلقة ولا يكون للإنسان حرية التعبير عن ذاته، إذن الحرية هي أساس.

المبدأ الثاني – أنه يجب أن يقوم النقاش مع الرأي الآخر على أسـاس العلم والمنطق. وقد نص الكتاب الكريم في آيات محكمة على هذا المبدأ فـي عملية النقـد، نقد الآخر، هي قوله تعالـى في سـورة النحـل الآيـة:١٢٥ " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وقولـه فـي

الآية:٤٦ من سورة العنكبوت " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" والآية الأعم منهما وهي قوله تعالى: "وقولوا للناس حسناً" إلى غير ذلك من الآيات التي فسرتها عشرات الأحاديث في السنة الشريفة.

إذن الخطوة الأخرى بعد حق الحرية للرأي الآخر هي الحوار معه بالحسنى وعلى أساس المبادئ العلمية وليس على أساس التهريج.

المبدأ الثالث - وتتضمن المجادلة بالحسنى الإلتزام بالأخلاق، إذ لا معنى لأن يكون هناك جدال بالحسنى من دون أخلاق، ولا بد من أن تكون هناك حدود شرعية يقف عندها الإنسان في معاملته مع الرأي الآخر، ومن هنا فلا بد أن يلتزم مبدأ الأمانة ولا بد أن يلتزم احترام ذات الآخر، إحترام سمعة الآخر.

ونحمد الله على أننا نحترم هذه الأسس والمبادئ ونلتزم بها في تعاملنا مع بعضنا بعضاً، وخير مثال على ذلك صيغة التعامل والتعاون القائمة بيننا وبين جناب الحبر الجليل البابا شنوده الثالث وقد تحولت المودة إلى زمالة وإلى رفقة طريق، فشاركنا معاً في إنجاز عمل عظيم هو مؤتمر (مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس) الذي انعقد في بيروت في حزيران ١٩٩٦ ودماء شهداء قانا والمنصوري وسائر مناطق جنوب لبنان وبقاعه الغربي لمّا تجف بعد.

وعلى مستوى الفقه الإسلامي فإن المشروع الفقهي المطروح الآن والذي ينمو بعون الله تعالى داخل الأمة الإسلامية وفي الفقه السياسي الإسلامي هو فكرة ومفهوم المواطنة. فالإسلام لا يضيق أبداً بالتنوع في الإنتماء العقيدي مع الوحدة في الإنتماء السياسي. ومن هنا فلعل الكثيرين يلاحظون أني أستخدم مصطلح (مجتمع سياسي واحد لمجتمع أهلي متنوع)، وأقول وأردد أنه لا توجد أقليات في العالم العربي. العالم العربي توجد فيه

أكثريتان: الأولى أكثرية مسلمة فيها عرب وغير عـرب، والثانيــة أكثريــة عربية فيها مسلمون وغير مسلمون.

هاتان أكثريتان كبيرتان في العالم العربي. أما اختراع فكرة الأقليــات وإعادة تكوين مشروع الأقليات الذي عرفته هذه الأمة فـي نهايــة العصــر العثماني فهذا أمر لا نرى له مبرراً في الواقع ولا نقبله في سياستنا. ولقد كان من توفيقات الله لنا أن نجحنا مع صديقنا البابا شنوده ومع حكمــاء وعلمــاء وكبار مصر في التصدي لما سمّي بمؤتمر الأقليات فلم يتمكن دعاته من عقده في القاهرة أو في أية عاصمة عربية وإسلامية أخرى، فكان مآله أن يعقــد خارج العالم العربي والاسلامي ولم يستطع أن يحرف الاقباط عــن طريــق الإنتماء إلى الأكثرية الوطنية لبلادها وأمتها.

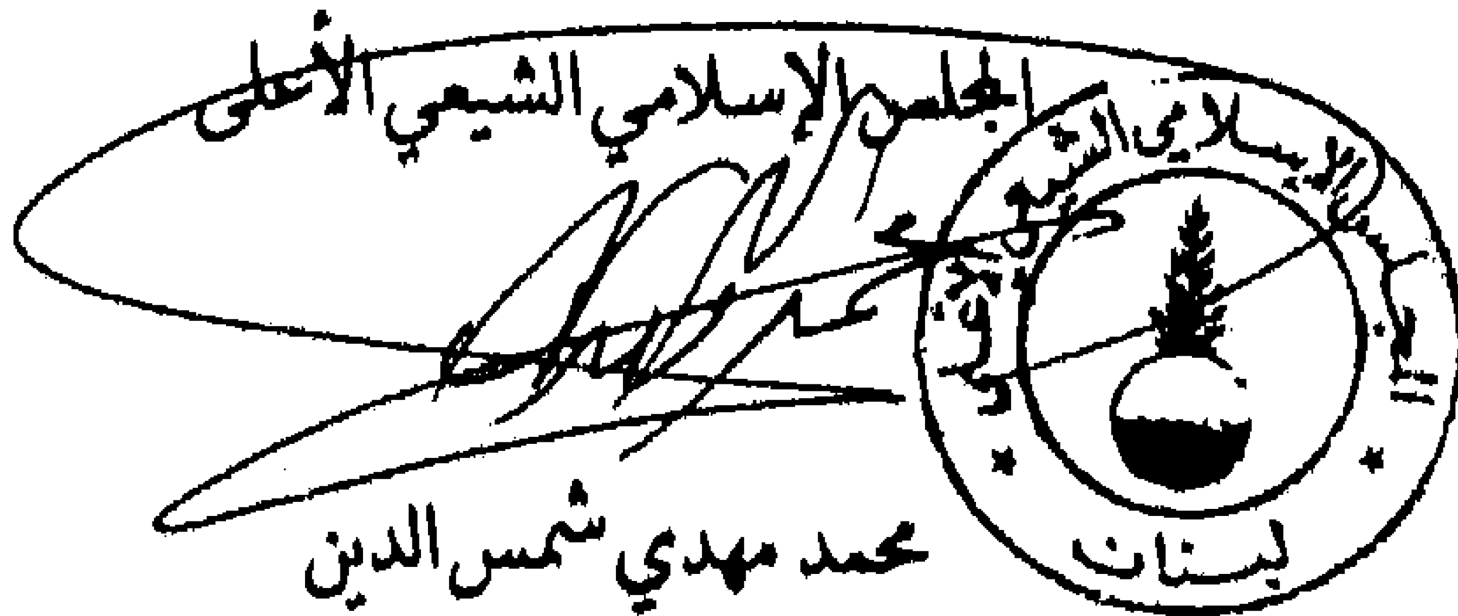
إذن يتعزز معنى المواطنة ويتعمق بالحوار الذي يثمر العيش الواحــد لمجتمع وطني واحد، داخل الوطن العربي الواحد المتنوع في الإنتماء الديني، وهذا هو منظور الفقه الإسلامي الذي هو التعبير عن فهم الفقــهاء للشــريعة الإسلامية.

نسأل الله التوفيق لنا وللجميع، ونتمنى لهذا الكتــاب الــرواج تعميمــاً لفائدته، ولكاتبه العزيز نجاح المقاصد والآمال وحسن المآل.

والحمد لله رب العالمين

بيروت في ١٩٩٨/١٢/١٠

رئيس



مقدمة

بقلم صاحب السماحة

الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني

مفتي الجمهورية اللبنانية

دار الفتوى
في الجمهورية اللبنانية
بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم مفتي الجمهورية اللبنانية
محمد رشيد راغب قباني

الأستاذ مازن يوسف صباغ، مستشار وزير الاعلام في الجمهورية العربية السوريه ، رجل علم وفكر وصحافة واعلام، في حديثه أدب جم وتقدير كبير لمحدثيه، تلحظ فيه درايةً ودُرْبَةً وخبرةً وروية، رغب إليَّ في كتابة تقديم اكتبه ليكون في مقدمات الكتاب الذي يعده عن البابا شنودة الثالث في حديثه ومواقفه والدور الذي يضطلع به ، فشكرت له هذه الرغبة وكانت هذه الكلمات:

البابا شنودة الثالث رجل وطني أدرك مكانة وطنه مصر والأمة العربية ودورها وما ينبغي أن تكون عليه، فكان الوطني الذي حمل لواء مصر والعرب في كل بلد رحل إليه، أو مؤتمر شارك فيه ، أو منبر وقف عليه، إن الحجة التي ينطوي عليها خطابه وقوة العبارة في كلماته، أظهرت وعيه بالأخطار التي تحيق بالعرب ، مما جعله يهُبُّ منافحاً في وجه الأخطار وحاثاً على تحقيق الآمال بجرأة فائقة وشجاعةٍ نادرة.

أخذت قضية فلسطين موقعها في عقله وفكره، والقدس رمزها، الحق العربي في فلسطين، إدانته لدول الغرب التي ساعدت اليهود الأجانب على

دار الفتوى
في الجمهورية اللبنانية
بيروت



احتلال فلسطين العربية عام ١٩٤٨ ، ودعمها المستمر لترسانة إسرائيل العسكرية، خطابه المستمر في توعية الأجيال بالأخطار المحدقة ، تأكيده على النهضة لأخذ الأجيال موقعها ودورها في حياة الأمة ، حثّه العرب على الوحدة في التفكير والرؤية والهدف والعمل واستخدام الوسائل والطاقات والقدرات الهائلة والمتاحة لديهم، وعدم هدر كل ذلك بالفرقة والاختلاف أو الانكفاء والانفراد أو التفرد ، كل ذلك أمور شغلت فكره وأصبحت همّه يعبر عنه في كل مناسبة .

حبذا لو كان هناك مجمع وطني يجمع رجالات بلداننا ومفكريها لتُحَصِّن الأمة ذاتها من الفتن التي تُحاكُ لها، وليقوم أولئك الرجال بدورهم في توعية أجيال الأمة بالأخطار المحدقة بها، وتفعيل نهضتها وتعزيزها، لكان الأمر إذن أفضل، وتحقيق الآمال أكبر.

بيروت
٥ رمضان المبارك ١٤١٩هـ
و٢٣ كانون الأول(ديسمبر)١٩٩٨



مفتي الجمهورية اللبنانية
محمد رشيد راغب قباني

شهــادة

بقلم صاحب السماحة الشيخ بهجــت غيث

قائم مقام شيخ عقل طائفة الموحدين الدروز في لبنان

لدى زيارة الأخ مازن يوسف صباغ ، مستشار السيد وزير الاعلام السوري ، طلب منا لقاء في مكتبنا في دار الطائفة إعطاء شهادة عن البابا شنوده بطريرك الأقباط الأرثوذكس في مصر لنشرها في مطلع كتاب يعد عن هذا الرجل الوطني ويتحدث عن إخلاصه ومحبته وإيمانه بالحوار والتعايش . فكان جوابنا :

إن البابا شنوده شخصية دينية على مستوى رفيع من الوضوح والجرأة والالتزام الصارم بالمواقف الوطنية والقومية الأصيلة ، خصوصا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية محور الهموم العربية، ومصدر القلق والإرباك الإقليمي والعالمي ، منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن وحتى نهايته التي تقترب مسرعة مع تسارع الأحداث التغييرية الجذرية وتأزم عملية السلام الموهوم ، بسبب التعنت الصهيوني ومواقف التصعيد والغرور والصلف لحكومة العدو التي نقضت كل ما سبق وتم التوافق عليه ، وذلك على الرغم من سلسلة التنازلات الفلسطينية وصولا لإلغاء الميثاق الوطني بحضور الرئيس كلينتون مؤخرا .

وقد بقي كل ذلك دون طموح المتزمتين في حكومة العدو ، وبقيت الأرض الفلسطينية المحتلة كالبركان الهائج ، وكذلك جنوب لبنان والجولان ، بانتظار ساعة الحسم وإحقاق الحق وهزيمة الباطل في ساحة الميدان .

وبقي الصوت العربي الرافض للسلام الموهوم يرتفع بشموخ وجرأة من سوريا الأسد ولبنان المقاومة ، وتتجاوب أصداؤه في العالم العربي والاسلامي ، ويلقى الدعم والتأييد من كل القيادات والمرجعيات الدينية والشعبية المخلصة .

لقد تميز موقف البابا شنوده بالوضوح والتأييد لمقاومة الاحتلال ورفض كل أشكال المهادنة والتطبيع ، كما تميز بالتلازم التام والمؤازرة والدعم المستمر للحق العربي . ولا غرابة في أصالة مواقف الرجل الذي ترعرع في أرض الكنانة ونيل الكنوز الروحية لحقيقة وحدة الأديان السماوية في جوهرها رغم تعدد مظاهرها . وهذا إيمان ذوي الألباب أهل الذوق من العائلة البشرية الإنسانية ، أخوة الإيمان وأمة الأخوان من جميع الأديان ، خصوصا في هذا الزمن

من هنا تتألق مواقف البابا شنوده الداعية لمقاطعة كل أشكال التعامل والتطبيع مع العدو وتحريم زيارة المقدّسات حتى تحريرها ، رغم تراخي وتعامل بعض المراجع والقيادات المتأثرة بالمصالح والإغراءات المؤثرة في صحة وسلامة السلوك والنهج الوطني والقومي الصحيح الذي حافظت عليه النخبة المؤمنة ، وخصوصاً من المرجعيات الدينية الإسلامية والمسيحية على حد سواء ، والتي بقيت ، رغم اشتداد الهجمة واحتدام الصراع ، على درجة عالية من الرفض المطلق لأي مساومة أو مهادنة أو خشية من مظاهر تفوّق هذا العدو والقوى التي تدعمه ، مهما علا باطلهم وتمادوا في الظلم وارتكاب المجازر واتخاذ البلاد العربية وشعوبها حقول تجارب لأسلحتهم ، كما يجري في العراق وفي جنوب لبنان ، ومهما تمادوا في محاولات تفكيك الأمة العربية وسلب خيراتها وعرقلة نموّها وتطورها وابتزاز بعض حكامها الضعفاء المهرولين وراء فتات الوعود الكاذبة والأحلام الواهمة .

وسيبقى الأمل بانبثاق النور من اشتداد ظلمة آخر الليل التي قد تكون أكثر حلكة وسواداً . فلا بدّ لهذه الأمة العربية من الوعي واليقظة ، واستجماع الصفوف واستنهاض الهمم ، لاستعادة كرامتها وتحرير أرضها ومقدساتها واستعادة مجدها المميّز كما كان عبر التاريخ بين الأمم.

والنصر في النهاية حُكم للمنتصر الثابت ، الصامد ، المناضل ، المؤمن ، الواثق بالحق ، المتسلّح بقوة الإيمان والعزم والإرادة والتصميم والثقة بالعزة الإلهية التي تبعث في النفوس القوة والهمّة الروحية المؤثرة التي تقلب كل الموازين في ساحة المعركة ، وتصغر أمامها وتنهزم كل القوى المادية .



وكما كانت الكلمة في البدء ستعود . وهي كلمة الحق الإلهية ، السلاح الروحي الحي الموجود دائماً مع واجد الوجود ، والمحصّن بحماية القُدرة الإلهية ، والغالب في النهاية من إعانة الله.

ولا بد من التحرّر من الوهم والخوف من عُقدة تفوّق قوة العدو ، والقوى الداعمة له . فالشر كالنار المحرقة تأكل بعضها وتحمل بذرة فنائها في أحشائها .

والغلبة في معركة النهاية الحاسمة التي اقتربت هي لقوة الإيمان والثقة بالحق المعزّز بالعزّة الكونية المحيطة بهذا الكون بقدرة خفية لإعزاز المحقّين ونصرتهم ، وخذلان الطامعين وهزيمتهم . والشجاعة صبر ساعة . وأعلى ما يكون الباطل يأتي عليه الحق ويخمده .

إن البابا شنوده هو من تلك المدرسة الدهرية الأصيلة ، ومن أولئك التلامذة القدماء السامعين أقوال الرُسل والأنبياء الذين رفعوا أصواتهم ، ولا تزال صرخاتهم مدوية في آذان البشرية ، لإعلاء كلمة الحق الأزلية بالكلمة السواء التي يُعزّ بها الحُق سبحانه مَن يشاء ويذلّ من يشاء ، إليه ترجع الأمور ، وهو بعباده خبير بصير .

يوسف غيث

القائم مقام شيخ عقل الموحّدين الدروز



لأننا من العروبة جئنا وإليها نعود.. بدءاً وانتماءاً ومصيراً، مسيحيتنا العربية وإسلامنا العربي.. والتاريخ يشهد والدم في العروق.

من بيت المقدس من إنطاكية ومأرب وسبأ ونجران وبصرى الشام وشهبا والحيرة والبتراء من مكة المكرمة والمدينة المنورة من الكوفة من دمشق من بغداد والبصرة والرقة من سنجار وحلب وماردين وديار بكر والرها وأفاميا والفسطاط والقاهرة والإسكندرية ودلمون وبرقة والقيروان ومراكش وجبل طارق والأندلس.

من كل ثغور العرب وفي كل بلاد العرب.. دائماً كانت وما زالت وستبقى الأمة العربية تنبت رجالاً.. شجعاناً.. مقاتلين.. حكماء.. شعراء.. رواة.. موحدين مؤمنين بأن الدين لله والوطن للجميع.

نخلة تساقط رُطباً جنياً، ودماً عربياً يرفع الأذان ويقرع الأجراس، يكبّر ويُرتّل.. الله أكبر الله أكبر المجد لله في الأعالي.

وحّدتنا العروبة.. وإيمان التوحيد جمّعنا، وسقانا غراساً عَصَت على الريح فُرقتها، فكم من ريح عصفت فكنا معاً، وكم من غزوة حَضَرت ثم وَلّت وكنا معاً.. وكم من فتنة وئدت وبقينا معاً.. دماً مهراقاً أو أقواس نصر على رَجْع الحداء بين هلال وصليب!!

في محيّاه الجليل يكتنز التاريخ صوراً وعبر، وفي قسماته تنضح العروبة إباءً بالصوت والأثر، وترحل الدهور في كلماته.. فتبقى رغم طول السفر، هو المزيج

الرائع من اجتماع التاريخ العظيم والانتماء المقيم والإيمان القويم.. إنه صاحب القداسة البابا شنوده الثالث.

في نيسان /أبريل/ ١٩٩٧ لمعت فكرة الحوار مع بابا العرب.. ومن ذا يفوّت فرصة محاورة خزان من التاريخ والحكمة والإيمان؟ وفي آب /أغسطس/ من العام ذاته حملتُ إليه أوراقي المتخمة بالتساؤلات وطلب المعرفة إلى حيث الصرح البابوي بحي العباسية في وسط القاهرة، أو محلّة «الأنبا رويس» بحسب الاسم القديم للمنطقة.

هناك في بطريركية الأقباط الأرثوذكس، وفيها مجمّع إقامة صاحب الغبطة ومكاتبه ومكتباته كان الوعد أن يكون حوار العمر في الخريف.. ذاتية وطن في رجل، وقصة انتماءٍ لا يتزعزع، وفيض عطاء لا ينقطع.

وها أنا على الوعد، وقد أعددت أوراقي وأقلامي وآلة التسجيل.. وأرهفت السمع. وبحضور ثلّة من كبار رجال الكنيسة القبطية الأفاضل، الأنبا موسى أسقف الشباب والأنبا انطونيوس مرقص الأسقف العام للقارة الأفريقية والأنبا يوآنس السكرتير العام لصاحب القداسة والأنبا غبريال الأسقف العام، والقمص انطونيوس الباراموسي والقمص أرميا أفاميا من السكرتارية العامة للكنيسة. وفي القاعة الرئيسية من المقر.. أفردت بين يدي صاحب القداسة أوراقي وتساؤلاتي.

وعلى مدى جلسات عديدة استمرت أياماً، وعلى مدى ساعات للجلسة الواحدة كان الحوار يطول ويطول، ألقي بأسئلتي كما الصياد يلقي شباكه في الواسع العميق مفعماً بالأمل ووفرة البحر.. والأعماق لا تبخل أبداً، وتأتيني الإجابات مطوّلة مستفيضة، وبين تساؤل وآخر يمتد حوار ونقاش واستطالات، فأغلق آلة التسجيل وأسافر في رحلة عبر التاريخ في متون الحديث الهادىء الرصين.. يتهاوى من

محدثي كما الغمام مثقلاً بالمطر، وبين هاتف هام أو استقبال وفد زائر يتواصل ويتواصل الحوار، ويبدأ الإعياء ظاهراً على الرجل الجليل فأستأذن بالتوقف.. وأعاود الكرة في المساء وحتى هزيع متأخر من الليل، وصاحب الغبطة يقلّب التاريخ والذات صفحة صفحة. بعض الأساقفة هامساً.. «ارحم سيدنا البابا.. دعه يرتاح»، فيبتسم ويبتسم ويشير بيده.. دعوا الأخ مازن يسأل، فأنا منشرح وأسعَدُ بالحوار والنقاش!! مازن ينعش ذاكرتي. ويأتي يوم الخميس فيغادر البابا إلى وادي النطرون في الصحراء الغربية حيث يتعبد ويتفقد الأديرة لثلاثة أيام تنتهي مساء الأحد، وما أن يعود إلى القاهرة يوم الاثنين حتى نستأنف الحوار مجدداً، ويمضي يقرأ التاريخ والمواقف.. مرّةً بالذاكرة ومرّةً بصوره ومؤلفاته قديمها وحديثها وتحت الطبع، وما أسرع أن يأتي الخميس ثانية فيغادر قداسته إلى الإسكندرية لثلاثة أيام أخر، وليعود الاثنين فنستأنف الحوار من جديد.

في شباط /فبراير/ ١٩٩٨ استكملت الحوار مع البابا شنوده في القاهرة بإعاداته وهوامشه وإيضاحاته، وفي تموز /يوليو/ ١٩٩٨ التقيته في الإسكندرية، في جلسة طويلة تفصيلية ولطالما هاتفته من دمشق مرات لاستيضاح أمرٍ أو فكرة، وأما اللمسات الأخيرة للحوار فكانت في تشرين الأول /أكتوبر/ ١٩٩٨ عندما قصدته إلى دير سيدة الجبل في /آدما/ في كسروان ـ لبنان، وكانت لنا جلسة حضرها الأنبا بيشوي السكرتير العام للمجمع القبطي المقدس.

ثم زرته في القاهرة في ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٩٩٨ وكان اللقاء طويلاً بدأ الساعة الثامنة من صباح الأربعاء واستمرت طوال النهار، وأخذت بركته على طباعة الكتاب ـ الحوار.

لقاء البابا شنوده الثالث لقاء مع تسامح المسيحية وسماحة الإسلام، يجسدهما

الانتماء العروبي بجسر الإخاء والمودة والمصير الواحد، وبالكثرة ما ردَّد: نحن شعب واحد في عروقنا دم واحد، مسيحي عروبي مشبع بحب المسلمين يؤمن بشكل مطلق بالعيش المشترك بوحدة الأهداف والتوجهات، بالحوار الجاد والمتواصل مقتنع بأن لهذه الأمة آلام واحدة وآمال واحدة. مدافع مقاتل عن الوحدة الوطنية يدعو لأن يكون للعرب ثقل اقتصادي عالمي ووزن سياسي دولي كيف لا ونحن كما يقول خزان البشرية بالعلوم والآداب والآثار... بالإيمان والحكمة.

وطني عاشق لمصر وشعبها وتاريخها، يحفظ ويمارس موروثاً طويلاً، ومتكاملاً من إخاء المسيحية والإسلام في تاريخ مصر وتاريخ العرب الموغل في خاصرة الزمان، ويدرك بوجدان أصيل أن لا انفكاك في ما وحدته روح الانتماء إلى العروبة، فيرسم آفاقاً زهراً تتجاوز الآني والطارىء وغير الأصيل. ألمعية الأفكار حاضرة في ذهنه المتوقد، يحدوها ذكاء حاد وحضور آسر وهدوء ساحر، يحاور بمحبة ودفء ويقيم الدليل والبرهان، ويصغي بمثل ما يتكلم بانتباه واحترام وتواصل دون ملل أو ضجر، صدر رحب وحلم جميل وشيخوخة شابة قوية جليلة وقورة.

لطف متميز وابتسامة دائمة. ذكاء متقد.. سرعة بديهة.. دعابة مهذبة زاهد متقشف. كريم مضياف.. وشفاف..

لهذا كله، كان هذا الكتاب.. الحوار.. الوثيقة.

وهو عبارة عن تكريم متواضع بسيط لرجل كبير.. عظيم.

والله من وراء القصد

دمشق في ١٩٩٩/٢/٨

مازن يوسف صباغ

مدخل

مصـــــر والأقبـــاط

أقباط مصر. نظرة عبر التاريخ

مصـــر والأقبــاط

أقبـاط مصـر. نظـرة عبر التاريخ

يعيش فوق أرض مصـر شـعب واحـد مـن المسـلمين والأقبـاط المسـيحيين، يمتاز بدرجـة عاليـة مـن التماسـك، والتكـامل والاندمـاج الاجتمـاعي، ولئـن كـان الأقباط أقل عدداً من المسلمين فإنهم مع ذلك لا يشكلون أقلية عرقيـة أو سـلالية، لأنهم ينتمون هم والمسلمون إلى عرق بشري واحد. كما أن ظاهرة الاندمـاج قد ارتبطـت بعمليـة تعـرّب المصـريين، مسـلميهم ومسـيحييهم، أي باتخـاذهم اللغـة العربية أداة للتخاطب ومصطلحاً للثقافة. أما سيرورة التكامل الاجتماعي فقد ظـل يحكمها في النهاية، الأسس الثابتة للحياة المشتركة، وما ارتبط بهـذه الأسـس من الوعي بوحدة المصير.

عرف العرب _ قبل الفتح العربي الإسـلامي _ أهل مصـر باسم ((القبـط)) كما سموا مصر ((دار القبط))، ولما كان المصريون في تلك الحقبـة مسـيحيين، فقد استعمل العرب كلمتي ((قبطي)) أو ((نصراني)) على التبادل، عند الإشـارة إلى سكان البلاد الأصليين.

أما كلمة ((قبط)) فالراجح أنها تحريف عـن الكلمـة اليونانيـة ((إيجيبتـوس)) التي أطلقها اليونانيون على مصر والنيل، وبوجه عـام، فقد أصبحـت كلمـة قبـط تطلق تخصيصاً على المسيحيين من أهل البلاد الذين ظلوا على ديـانتهم، بعد أن تحولت أكثريتهم إلى الإسلام. لقد أجمعت عدة مصادر، معظمها قبطـي وبعضهـا غربي، على أن القبط الحاليين يمثلون في مصر السلالة التي تنحدر مباشرة من

سكان مصر الأقدمين، الذين ينتمون إلى مجموعة الحاميين الشرقيين المنتشرين حالياً في كل شمال إفريقيا وهذه الوحدة الأثنية تتلاحم مع وحدة أخرى شقيقة هي المجموعة السامية في الجزيرة العربية أو غرب آسيا والتي يدخل في عدادها بدو الجزيرة العربية، ويقدر بعض الباحثين أن سكان مصر الحاليين يشكلون ٨٨٪ من الأسر القبطية القديمة التي اعتنق غالبيتها الإسلام، يضاف إلى ذلك أن الاختلاط الكبير الذي تم بين العرب والمصريين بعد الفتح العربي الإسلامي لم يغير من التركيب الأساسي لجسم السكان أو دمهم، وهذا يعود إلى أن العنصر العربي هو من أصل قاعدي واحد مشترك مع العنصر المصري الذي لا يختلف في السمات الفيزيولوجية عن العربي. وهكذا فإن تعريب مصر لم يغير من التجانس الأصلي لسكان البلاد.

يؤكد المؤرخون على أن القبط، منذ عصور ما قبل التاريخ المكتوب، كانوا في أكثريتهم الساحقة شعباً من الفلاحين، وكانت نشأتهم الأولى محصلة للتفاعل بين جماعة من البشر وبين البيئة الطبيعية المحيطة بهم. فقد استقرت على ضفاف النيل مجموعات من القبائل، كانت الزراعة نشاطها الرئيسي، ثم بدأت ترسي، فيما بعد، دعائم حضارة زراعية مزدهرة، عرفت باسم الحضارة الفرعونية.

لم يكن الفلاح المصري في وضع العبد، غير أن ارتباطه بالأرض كان ارتباطاً لا فكاك منه، وعلى الرغم من أن الإنتاج داخل المجمعات الزراعية كان ينحو نحو الاكتفاء الذاتي إلا أن فائض عمل الفلاحين كان يؤول إلى الدولة الشديدة المركزية، والتي يقف على رأسها حاكم فرد، قد يكون الفرعون، أو من ينوب عنه، وكان للدولة المصرية منذ نشأتها وظائف حيوية، اقتصادية

واجتماعية أساسية، في مقدمتها إنشاء المشروعات المائية وتنظيم الاستفادة من النيل وأعمال الري، وحفظ الأمن والتصدي للعدوان الخارجي.

وقد ساهم في تشكيل المجتمع المصري أيضاً الموقع الجغرافي-السياسي الفريد لمصر، وما فرضته علاقاتها السلمية أو الحربية بالمناطق التي تحيط بها، وهكذا فعندما أصاب الحضارة الفرعونية الوهن والتحلل منذ منتصف الألف الأخير قبل الميلاد، غزاها جيرانها الفرس عام ٥٢٥ق.م، ثم استولى عليها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٣ق.م وفي عام ٣٣ق.م خضعت لحكم الرومان.

المجتمع المصري والكنيسة في ظل حكم اليونانيين والبيزنطيين:

خلال الحكم اليوناني، ثم الروماني عانى الفلاحون المصريون من عسف الحكام ورزحوا تحت وطأة استغلال لا يرحم، فقد زادت سطوة البيروقراطية، وقامت في الريف ملكيات كبيرة على أنقاض المجمعات القروية، واندمج كبار الموظفين في طبقة كبار المُلاَّك. وحاول الحكام اليونانيون والرومان توظيف الدين كعامل ضبط وإدماج يكرس ولاء المصريين لهم، إلا أن الكهنة المصريين أظهروا مقاومة شديدة ضد الثقافة الهيلينية، كما رفض الفلاحون عبادة الإله سيرابيس وأبدى المصريون من سكان مدينة الاسكندرية مقاومة عنيدة إزاء الحكام أثمرت مجموعة هائلة من أعمال الأدب القومي، وهي المجموعة التي سماها العلماء المحدثون ((بأعمال الاسكندريين))، أو أعمال الشهداء الوثنيين، لما بينها وبين أعمال الشهداء المسيحيين فيما بعد من تشابه.

ما أن حل القرن الأول الميلادي، حتى دخلت المسيحية إلى مصر، وانتشرت بين السكان بسرعة كبيرة، على الرغم من الاضطهاد الذي كان يلحق

بمن كان يعتنقها من قبل الحكم الروماني، ويؤكد التاريخ المعتمد في الكنيسة المصرية بأن «مرقس» الرسول _كاتب الإنجيل الثاني _ هو أول من بشر بها في الاسكندرية، بعد أن قدم إليها من ولاية برقة في ليبيا، وأقام فيها حتى استشهاده عام ٦٨م، وقد اعتنق العديد من المصريين المسيحية حتى شكّل المؤمنون بها حوالي نصف السكان عام ٣٠٧م، أي قبيل الفترة التي تولى فيها الإمبراطور «قسطنطين» الكبير الحكم والذي دخل، هو نفسه، إلى المسيحية وأعلنها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، وظل عدد المسيحيين منذ ذلك التاريخ يتزايد حتى وصلت نسبتهم في منتصف القرن الرابع الميلادي إلى اكثر من ٩٠٪ من مجموع أهل البلاد.

سجلت البرديات اليونانية اعتزاز المصريين بتراثهم، وبالكبرياء القومية وبالعداء للمحتلين اليونانيين، كما لم يتوقف الصراع بينهم وبين أباطرة الرومان، قبل وصول المسيحية. وحين دخلت المسيحية إلى مصر تغلغلت في روح المصري، ونظر إليها على أنها أداة تحرير، وأنها سلاح الفقراء في مواجهة السيطرة الأجنبية، وساعد على انتشارها تقارب الكثير من مبادئها الأساسية من الديانة المصرية القديمة. وقد طوع المصريون المسيحية وطبعوها بطابعهم القومي فاستحدثوا نظام الرهبنة، الذي غدا حركة مصرية خالصة. ومعقلاً من معاقل الوطنية، أضفى على الكنيسة طابعاً قومياً خاصاً، ويشهد تاريخ الكنيسة القبطية على هذا الطابع الخاص، فخلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، وقبل أن تصبح المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية لعبت الكنيسة المصرية دوراً مهماً في تأكيد الهوية القومية للمصريين وفي الوقوف أمام الاحتلال الروماني، وتحمل المصريون من أجل ذلك الاضطهاد الوحشي

بسبب الموقف الوطني الرافض للاحتلال الروماني، وبسبب رفض المؤمنين المسيحيين تقديس صورة الإمبراطور، أو تقديم القرابين له. وقد تقبل المؤمنون الاضطهاد بجسارة فائقة تهز المشاعر، وقبلوا أن يموتوا بأبشع الطرق، دون أن يتزعزع إيمانهم. فقد أُلقي المسيحيون إلى الوحوش الضارية، وفي عهد الإمبراطور دقلديانوس عام ٢٨٤م بلغت القسوة والوحشية حداً دفع الكنيسة القبطية إلى أن تغير بدء تقويمها إلى هذه السنة، وأن تعيد تسميته ليصبح تقويم الشهداء، وسجلت الكنيسة تاريخ هؤلاء الشهداء، ورفعتهم إلى مراتب القديسين، يذكرون عند الصلاة في كل يوم من أيام السنة.

لم يتوقف الصراع بين المصريين وكنيستهم من جهة وبين الرومان المحتلين من جهة أخرى بعد أن أصبح الأباطرة الرومان مسيحيين يناصرون مذاهب مخالفة لمذهب الكنيسة المصرية، بل لقد اتصل الصراع بين المسيحيين المصريين وبين الأباطرة المناصرين لبابا روما، وذلك في الفترة الممتدة بين عام ٤٥١م وعام ٦٤١م. غير أنه حين أصدر الإمبراطور «قسطنطين» الكبير مرسوم ميلان عام٣١٢ ـ وبمقتضاه أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للدولة ـ بدا أن الخلافات بين المصريين وبين بيزنطة قد توصلت إلى الحل، إلا أن هذا الحل كان مجرد هدنة تقبلها زعماء الكنيسة المصرية عندما كانت كنيسة الاسكندرية زعيمة الكنائس المسيحية في الإمبراطورية الرومانية. والمعروف أن عقيدة كنيسة الاسكندرية ظلت العقيدة الرسمية للدولة حتى انعقاد مجمع خلقيدونية عام٤٥١م. وطوال هذه الفترة حصلت الكنيسة المصرية على صلاحيات الإدارة الذاتية والمستقلة، واصبح للبطاركة والأساقفة سلطات مدنية وقضائية، ثم اتفقت كنيسة روما وبيزنطة ضد الكنيسة المصرية وعين الإمبراطور الروماني

بطريركاً على الكنيسة المصرية بديـلاً عـن البطريـرك الوطنـي غيـر أن الشـعب المصري لم يرضـخ للأجنبي، وظـل متمسكاً ببطريركـه الوطنـي. وحيـن تولـى البطريرك المصري «ديسقورس» عام٤٥٧ منصب البطريركية كـان يتبعـه سـتة ملايين من المسيحيين المصريين، بينما كان يتبـع للبطريـرك الملكـي مائتـا ألـف مسيحي فقط. وكان البطريرك «ديسقورس» سيد البلاد بلا منازع، وقد نسب إليه قوله: ((إن البلاد لي أكثر مما هي إلـى البطاركـة، وإنـي أطـالب بالسـيادة علـى مصـر.)) هـذا النزوع لـدى قبـط مصـر إلـى الاسـتقلال كـان قائمـاً قبـل تحـول المصريين إلـى المسـيحية، ومـع انتشـار هـذه الديانـة تبلـورت واشـتدت النزعـة الانفصالية عن بيزنطة، وذلك بعد أن غدت المسـيحية مظلـة يتجمـع المصريـون تحتها لتأكيد هويتهم ومقاومة الاحتلال، لقد جاءت نشـأة المسـيحية المصريـة فـي حضن الحركة الوطنيـة وكـانت طـوال تاريخـها حركـة شـعبية خالصـة، كمـا أن بطريركها هو الوحيد بين كل المناصب في مصر الذي كان الشـعب يشـارك فـي انتخابه.

في القرن السادس الميـلادي تفشـت ظـاهرة الضيـاع الشاسـعة التـي تمتلكهـا الأسر الشريفة التي كـان لهـا سـجونها الخاصـة مـع رهـط مـن الموظفيـن وجبـاة الضرائب واشتدت قبضة الجهاز البيروقراطي، وفرضت ضرائـب جديـدة، وعـم البؤس الفلاحين، وكان مجتمع القبط يحاول أن يتلمس سبيلاً إلى الخلاص. علـى صعيد اللغة ظهرت محاولات بسيطة لكتابة اللغة المصرية الدارجة وجاء اعتناق المصريين للمسيحية ليدفـع هـذه المحـاولات إلـى الأمـام تمثلـت فـي نقـل الكتـاب المقدس إلى القبطية في لهجتها الصعيديـة، وعلـى صعيـد الفكـر الدينـي انتشـرت حركة الرهبنة في جهات مختلفة من مصر، وكان لها أكثر من نظام، منها نظـام

النساك المتوحدين الذين كانوا يعتزلون في مغارات بالصحراء الشرقية، وهو ما مثّل نزعة مصرية ترجع إلى سوابق ضاربة في القدم ثم جاء القديس أنطونيوس (٢٥١-٣٦٠م) فتكاثرت الأديرة في الصحراء الشرقية، غير أن حركة الرهبنة ما لبثت أن تحولت إلى حركة جماهيرية أكثريتها من الفلاحين الهاربين من قراهم، وكان هناك نظام ((رهبان الشركة)) وبمقتضاه عاش الرهبان حياة جماعية واشتغلوا بأيديهم لمصلحة الدير، وقد ظهر رهبان وادي النطرون ومريوط في مدينة الاسكندرية كفرق منظمة تلقي الرعب في قلوب بقايا الارستقراطية من عباد (سيرابيس) ثم ليساندوا بتحركاتهم بطاركة الاسكندرية في صراعهم ضد المذهب الرسمي للدولة.

والواقع المعروف أن تعاليم الرهبان ونظمهم الديرية مثلت الإسهام الحقيقي الذي قدمته المسيحية المصرية، في ذلك الوقت، إلى العالم المسيحي في كل أنحاء العالم.وبرز دور الكنيسة المصرية في منازلة العديد من النحل والمذاهب المسيحية العديدة (الهرطقات)، ومع اتساع نفوذ هذه الكنيسة، واشتداد نزعة القبط إلى الانفصال عن بيزنطة نما تفاعل الثقافة القبطية مع الثقافات السامية من سريانية وحبشية وعربية وقام القبط بعمل تبشيري في آسيا وتحركوا بحرية في فلسطين وسورية وفي شبه الجزيرة العربية.

وتتعدد الإشارات التاريخية إلى نمو العلاقات بين القبط والسريان، واتساعها بعد بدء انتشار المسيحية، فقد اتحدت كنيسة أنطاكية مع الكنيسة المصرية في مقاومة مذهب الطبيعتين، وعندما اجتاحت الجيوش الفارسية المشرق العربي في أوائل القرن السابع الميلادي لجأ إلى مصر الكثير من علماء السريان، وازدهرت الآداب واللغة السريانية بمصر ولا سيما في الأديرة، وفي القرن السادس تأسس

دير السريان في وادي النطرون. وبعد وفـاة البطريـرك القبطـي «اسـحق» الـذي كان قد تولى عام ٦٨١م أي بعد قيام الحكم العربي الإسـلامي، انتخـب الراهـب «سـيميون السـرياني»، المولـود بأنطاكيـة، ليكـون فـي عـام٦٨٤ رئيسـاً للكنيسـة المصرية تحت اسم سيميون الأول، وهو البطريرك الثاني والأربعون.

عندما دخل القبط القرن السابع الميلادي كانت أزمة المجتمـع قد استعصت على الحل، وهنا حاول الإمبراطور «هرقل» (٦١٠-٦٤١) أن يعيد الوحـدة إلـى جسم الإمبراطورية الممزق، فطرح مذهباً جديداً، وحاول أن يفرضه فرضاً علـى كنيستي الاسكندرية وأنطاكية، غير أن محاولته أخفقت، فلجأ إلى استخدام العنـف بأقسى درجاته، وهنا دخلت مصر في الفترة التي سبقت الفتح العربـي الإسـلامي بسنوات قليلة والتي يسميها بعـض المؤرخين (عهد العذاب الأعظم) وفـي هذا العهد أجبر البطريرك «بنيامين الأول» (٦٢٣-٦٦٢) على ترك كرسيه، وتخفـى قرابة عشر سنوات وتشرد القساوسة والأساقفة وأرغم الكثير من الأهالي، بما في ذلك عدد من رجال الدين، على التنكر لعقيدتهم.

وقد حدث هذا كلـه فـي وقت احتـدم فيـه سـخط الشـعب، واختـل الأمـن، وتدهورت التجارة والصناعة، وكانت هذه الأحـوال كلها باعثـاً للمصريين علـى الـترحيب بـالعرب المسلمين، يحدوهم الأمـل فـي أن ينعمـوا بحيـاة مـن الراحـة والطمأنينة.

تكوين مصر العربية:

تكونت مصر العربية خلال القرون الأربعـة أو الخمسـة الأولـى مـن الفتـح العربي الإسلامي تحت تأثير ثلاثة متغيرات كبرى هي:

- هجرات القبائل العربية المتتابعة والمكثفة والممتدة.
- دخول أعداد كبيرة من المصريين (القبط) في الدين الإسلامي.
- تحول سكان مصر كلهم، مسلمين ومسيحيين، من اللغة القبطية إلى اللغة العربية.

الهجرات العربية:

على الرغم من أن فتح العرب المسلمين لمصر، مثّل نقلة نوعية في تاريخ الهجرات العربية إلى مصر، غير أنهم كانوا على اتصال بشعب مصر منذ زمن يسبق عصر قيام الأسر الفرعونية فقد ظلت الأجناس العربية تعبر إلى مصر والسودان قبل مجيء الإسلام بزمن طويل عن طريق البحر الأحمر، وسيناء، ثمة شواهد ملموسة على مدى التجانس بين العروق القاطنة على جانبي البحر الأحمر كما أن لغة المصريين القديمة انطبعت بالطابع السامي في وقت متقدم وقد ترك عصر الأسرات الفرعونية كتابات ونقوشاً تثبت أن العرب كانوا في حدود العام ٢٠٠٠ق.م يسكنون الصحراء الغربية والشاطئ الأعلى للنيل، واستوطنوا جبال سيناء والمنطقة الصحراوية الممتدة بين مصر وفلسطين. وخلال فترة حكم الفرس واليونانيين والرومان لم ينقطع اتصال مصر بالعمق العربي، ويذهب بعض الباحثين إلى أن القرون الأربعة التي سبقت انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية كانت بمثابة المرحلة التحضيرية لتعريب إقليم الشرقية في مصر، فقد بلغ تركز القبائل العربية الرحل شرق الدلتا حداً جعل الإدارة الحكومية تسمي هذا الإقليم بالإقليم العربي. وكان للعرب في مصر المسيحية جالية تقيم في الاسكندرية، وقبل مجيء العرب المسلمين أقطع حاكم

مصر بعض نصارى غسان منطقة تنيس، ومنذ فجر المسيحية اسـتقرت كـل مـن كهلان والقبائل المنحدرة من قحطان الجزء الشمالي الشرقي من مصر، وشـكلت ركيزة تعريب إقليم الشرقية، كما سكنت قبائل جذام ولخم أهم فـروع قبيلـة طـيء المسيحية في الجهات الشمالية والجنوبية من هذا الإقليم.

بعد فتـح مصـر شـهدت البـلاد مرحلـة جديـدة ونشـطة مـن هجـرات القبـائل العربية، جاءت أصولها من الجزيرة العربية، وقد بدأت موجـات المهـاجرين فـي القرن السابع الميلادي وتوالت حتى القرن الثالث عشر.

يقرر بعض الباحثين أن عـامل الهجرات العربيـة هـو أهـم عوامـل تعريـب مصر، ثم شكل نظام الضيافة عاملاً آخر، فقد كـان مـن حـق العـرب، بمقتضـى معاهدة الصلح، أن ينزلوا ضيوفاً على المصريين، وهناك عوامـل أخـرى تتمثـل في ارتباط القبائل العربية بالأرض الزراعية ودخولهم فـي زمـرة الفلاحين مـن أهل الريف، وقد أدى ذلك إلى الاختلاط بالمصريين والتزاوج منهم، وخضعـت الغالبية العظمى من أبناء القبائل العربية سواء في الريف أو في المدن إلى عملية حتمية من الاستيعاب والتمثل في المجتمـع، يقـول المقريـزي: ((أعلـم أن العـرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر، وجهلت أحوال أكثر أعقابهم، وقد بقيـت من العرب بقايا بأرض مصر)).

لقد اختفى العرب كقبائل وأفراد بعـد أن نقلـوا دفعـة كبـيرة مـن دمـائهم إلـى شعب مصر وكانت الهجرة العربية كما يقـول الدكتـور «جمـال حمـدان»: ((أهـم وأخطـر إضافـة _ ولا نقـول بـالضرورة تغيـير أو تعديـل _ إلـى تكويـن الـدم المصري برمته)).

انتشار الإسلام بين غالبية المصريين:

على امتداد القرون الخمسة الأولى بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر كانت غالبية المصريين قد تحولت إلى الإسلام، وتوضح وقائع التاريخ أن الذين اعتنقوا الدين الجديد من أهل البلاد قد فعلوا ذلك تحت تأثير دوافع مختلفة ومتداخلة. فالثابت تاريخياً أن كثيرين من قبط مصر دخلوا الإسلام طوعاً أو عن اقتناع على الرغم من صلابة القبط في الدفاع عن عقيدتهم الدينية. غير أن ثمة بواعث قوية شجعت القبط على أن يمتزجوا بالإسلام كل الامتزاج في معيشتهم ودينهم، منها الكراهية العميقة التي كان القبط يكنونها للحكم البيزنطي، ثم هناك البلبلة الفكرية التي انتشرت في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية بسبب الصراعات الحادة بين المذاهب المسيحية، ويضيف باحثون آخرون إلى ذلك، ما لمسه أهالي البلاد من أن حكم المسلمين قد بدا أخف وطأة من نير الرومان، فقد ترك العرب مقاليد الأمور في أيدي أهل مصر من القبط، واحتفظوا لأنفسهم بالسيادة العليا وتنفيذ أحكام الدين، ومنح العرب للمصريين عهداً ينص على أن تترك الأرض للأهالي، ولا تقسم بين جنود الفتح، وعرف القبط عهداً من الحرية الدينية رزحوا تحت نقيضه في زمن الرومان، وعاد إلى العقيدة الأرثوذكسية عدداً لا يحصى من أبناءها، وفي تلك الفترة تمكنت قيادة الكنيسة من إعادة بناء الكثير مما تهدم من الأديرة والكنائس والصوامع، كما سمح للقبط ببناء كنائس جديدة، وثمة قطاع من الأقباط تحول إلى الإسلام بدافع الرغبة في تحقيق المساواة بينهم وبين المسلمين وهو ما يرفع عنهم وطأة التمييز في بعض المجالات السياسية والاجتماعية. وقد انتشرت بين الأقباط المسيحيين، في الفترة التي عرفت باسم عهد العذاب الأعظم بعض الرؤى والنبوءات التي تتحدث عن حتمية مجيء يوم الخلاص من النير البيزنطي، فقد جاء في ترجمة صموئيل القلموني وهو من

رهبان القبط الذين اشتهروا بورعهم، أنه تنبأ بقدوم العرب، وانتهاء غزوتهم بانتصار المسيحيين، وعندما جاء جيش «عمرو بن العاص» وهزم الروم، رأى المصريون في مجيء المسلمين نازلة أرسلها الله لينتقم من ظالميهم، وهذا ما سجله المؤرخ القبطي «حنا النيقوسي» مفسراً ما حدث من منطلق ديني: ((إن هزيمة الروم وانتصار العرب المسلمين كان عقاباً من الله بسبب ظلم الإمبراطور «هرقل» واضطهاده للأرثوذكس))... وهكذا فإن جمهوراً من القبط كان متعاطفاً مع العرب القادمين، وذلك في ظل المناخ النفسي والفكري الذي هيأ المصريين لفكرة زوال دولة الروم وانقضاء حكمهم على أيدي ((أبناء اسماعيل)) كما كان يدعوهم «حنا النيقوسي» وغيره من رجال الدين المسيحي.

تحول المصريين إلى اللغة العربية:

عندما فتح العرب مصر عام ٦٤٠م كانت القبطية لغة أهل البلاد الأصليين، ولم ينقض على الفتح العربي أربعة قرون حتى كانت اللغة العربية قد ثبتت مواقعها، لتصبح منذ ذلك الوقت وبوتائر مختلفة، لغة المصريين كلهم مسيحيين ومسلمين. والمعروف أن مجموع اللغات السامية، ومنها العربية والعبرية والآرامية (السريانية) وغيرها ترتبط بقرابة لغوية مع اللغة المصرية مما يسمح بجعلها فصيلة واحدة مقابلة للفصيلة الهندية الأوربية، بالرغم من بعض الاختلافات في كثير من الظواهر فيما بينها، ويرجع بعض الباحثين عملية تحول المصريين من اللغة المصرية إلى اللغة العربية إلى تزايد عدد الداخلين في الإسلام، وإلى تعجل الموظفين في دراسة اللغة العربية حفاظاً على مراكزهم، ويرجعها آخرون إلى سياسة بعض الحكام المسلمين إلى دفع الأقباط إلى اعتناق الإسلام، وحظرهم لاستخدام اللغة القبطية كلغة حديث، مثل الحاكم بأمر الله، أو السلطان بيبرس.

وواقع الأمر أن اللغة العربية أصبحت لغة دولة هي الدولة العربية الإسلامية، وأن الحياة الفكرية في العالم الإسلامي _ وخصوصاً في مصر _ بلغت ذروتها، واتحدت مصر وسوريا والأندلس مع العراق في جماعة ثقافية لا نظير لها في العالم، وكان مما لا مندوحة عنه أن يجرف هذا التقدم معه أخصب العقول القبطية وبذلك خسرتهم طائفتهم، سواء من اعتنق الإسلام منهم، أو من بقي متمسكاً بعقيدته إذ لم تكن الحياة المريحة متيسرة إلا لمن كان عربياً مسلماً كما كان ينبغي على الكاتب أن يكتب باللغة العربية حتى يجد من يقرأ له، ويؤكد العديد من المؤرخين على ثلاثة عوامل ساعدت على تحول المصريين إلى اللغة العربية:

- الدور الذي لعبه ((قبط الدواوين)) أو البيروقراطية القبطية في انتشار اللغة العربية.
- بعض التقاليد الدينية الخاصة بالمصريين.
- تحول مصر إلى مركز لعلوم اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

غير أن مبادرة البطريرك «غبريال بن تريك» (١١٣١-١١٤٥) مثلت أهم انعطافة في ذلك الوقت نحو تحول القبط إلى اللغة العربية، فقد أصدر أول قرار بابوي يقضي باستخدام اللغة العربية في الخدمة الكنسية، وسجل القرار أن جمهرة المصلين في الكنائس لم تعد قادرة على متابعة الوعظ وخدمة القداس باللغة القبطية. وقد ترتب على استعراب المسيحيين نتائج على قدر كبير من الأهمية.

أهمها:

أولاً: أن العربية أصبحت لغة الاتصال بين المسيحيين العرب كلهم، ولذلك حلت محل اليونانية التي كانت اللغة المشتركة بين الكنائس في زمن الإمبراطورية البيزنطية.

ثانياً: أن الثقافة العربية المسيحية أثرت بدورها على غيرها من الثقافات ولا سيما الحبشية والسريانية.

أما النتيجة الثالثة: فهي أنه مع ازدياد تمكّن علماء القبط من العربية دخل الأدب القبطي العربي في إطار الثقافة العربية.

والخلاصة أن المتغيرات الكبرى التي تكونت مصر العربية تحت تأثيرها تحولت إلى ثوابت في حياة المصريين أخذت تترسخ باطراد، وقد حدد استقرارها التفاعل الحضاري بين ثقافة العرب المسلمين الفاتحين وثقافة القبط. هذا التفاعل هو أحد أهم العوامل الرئيسية التي أسهمت في تكون مجتمع من المسلمين والقبط يتميز بدرجة عالية من التجانس والتماسك، إن التعرف على أوضاع المجتمع في كل مرحلة يساعد على تفهم لماذا لم يتم تهميش القبط كأقلية دينية، أو لماذا لم يتم عزلهم، وكيف أنهم كانوا جزءاً أساسياً من الشعب الذي تعرب ودخل في إطار الحضارة العربية. فقد تفاعلت الحضارة العربية الإسلامية إبان صعودها مع حضارة القبط في مصر، فنقل إلى العربية الكثير من الكتب القبطية التي تناولت البحث في الصناعة وفي الكيمياء العلمية، وتمثل العرب في مصر منجزات ما يمكن تسميته ((بالمدنية المادية)) واتفق المؤرخون على أن قبط مصر هم الذين قاموا بالدور الأساسي في بناء الأسطول العربي وكان ذلك في بداية العصر الأموي، بالإضافة إلى دار الصناعة في الاسكندرية، ووجه والي مصر ثلاثة آلاف من عمال صناعة السفن إلى تونس لإنشاء دار لهذه الصناعة، كما ذهب عدد من القبط إلى الشام للقيام بنفس المهمة. والواقع أن المؤرخين والباحثين متفقون فيما يتعلق بتاريخ الفنون القبطية والإسلامية على أن طرائق الفن القبطي وأساليبه كانت عاملاً مؤثراً في فنون مصر الإسلامية وصناعاتها، فاستعان بعض خلفاء بني أمية بالقبط في بناء مسجد دمشق،

والمسجد الأقصى، وفي إعادة بناء الجامع النبوي في المدينة المنورة، وظل النسيج القبطي بأنواعه التي اشتهرت وزخارفه يستخدم في مصر حتى القرن التاسع، ولبس الخلفاء والوجهاء النوع المعروف ((القباطي)) كما كسيت الكعبة بالـ ((القباطي المصرية)).

الأقباط في مواجهة الفرنجة:

تركزت حروب الفرنجة المتأخرة بالأساس ضد مصر فقد كان هناك إجماع في بلاد الغرب على أن استرداد الأراضي المقدسة إنما يمر عبر القضاء على حكم المماليك في مصر، وقد وضع مشروع الغزو الفرنجي الجديد أمامه هدفين: أحدهما أن تطبق أوربا على مصر من جهة الشمال والثانية أن يجري العمل على فصل الكنيسة الحبشية عن الكنيسة المصرية تمهيداً لضم الكنيسة الحبشية إلى الكنيسة الكاثوليكية، وعندئذ يمكن الاستعانة بالحبشة في الإطباق على مصر من الجنوب، وقد فشل هذا المشروع لأن ملوك الحبشة كانوا يفضلون في معظم الأحيان أن تكون علاقاتهم طيبة مع السلاطين في مصر لما كان يربط بين البلدين من روابط دينية وثقافية، فضلاً عن الروابط التجارية القديمة.

كان الفرنجة يعاملون مسيحيي الشرق معاملتهم للخوارج، فحرموهم من حقوقهم المحلية التي كانت لهم في ظل الحكم الإسلامي، وفيما يتعلق بالقبط فإنهم لم يسلموا من شر الغزاة الفرنج الذي نزلوا الفرما فقتلوا من فيها دون تمييز بين مسلم ومسيحي وبالرغم من ذلك فقد اتسعت دائرة التعصب لدى المسلمين على المسيحيين شرقيين وغربيين وضاقت دائرة التسامح الإسلامي نحو القبط، ولم يتوقف اضطهاد القبط في العصر المملوكي عند حد اتخاذ إجراءات تمييزية ضدهم بل تعداه أحياناً إلى تفضيل نصارى الملكانية على نصارى القبط، وهكذا

وجدت الكنيسة القبطية نفسها أمام معضل خطير، وكان للغزو الفرنجي أسوأ الذكريات عند الأقباط.

تمثّل اختيار القبط النهائي على مستوى الإحساس بالمصير المشترك في الوقوف إلى جانب الحكام الذين يقومون بالدفاع عن البلاد، ولم يحدث أن تمكن الفرنج من كسب القبط، وفي الوقت نفسه، وظّفت الكنيسة القبطية نفوذها الروحي العميق على الكنيسة الحبشية بما يخدم مصالح الدولة، و بما يحول دون إلحاق الكنيسة المصرية بكنيسة روما، في عصر كانت قد بدأت فيه الغزوات الأوربية الاستعمارية، ولسوف تكتسب توجهات الكنيسة القبطية هذه أهمية حاسمة في التطور اللاحق لتاريخ العلاقات بين مسلمي مصر وقبطهم، فقد شكل تمسك الكنيسة القبطية باستقلالها عن روما ركيزة أساسية من ركائز الانسجام بين المسلمين والقبط، بينما أخذت الأوضاع في بعض انحاء المشرق العربي منحى مغايراً بعد غزو الفرنج.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه مصر محكومة من قبل سلالات أجنبية، خلال فترة العصر المملوكي، فإن القبط لم ينعزلوا عن سيرورة التعريب وإنما اطرد فيها إنتاجهم القبطي العربي، ففي القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد وضع القبط الكتب الموسوعية في الفقه واللاهوت والتاريخ ونظم الدولة، كما وضعت قواميس قبطية عربية، ويمكن أن نذكر هنا أسماء أولاد العسال وفرج الله الإخميمي والأسعد بن مماتي ثم المكين جرجس بن العميد مؤلف ((تاريخ العالم)) وهو من الكتب التي استند إليها المقريزي وآخرون من المؤرخين المسلمين.

الأقباط في مواجهة الإرساليات التبشيرية:

في أواخر العهد العثماني بدأ غزو أسواق الإمبراطورية العثمانية من قبل

الدول الغربية، وقام تحالف بين البيوت التجارية الأوروبية وبين جماعات المبشرين الأوروبيين كان هدفه دفع الكنائس الشرقية، وعلى الأخص منها، الكنيسة القبطية إلى أحضان الكنيسة الرومانية. وتكررت المحاولات في أربعينيات القرن الثامن عشر لكي يعترف البطريرك القبطي بسيادة كرسي روما على الكنيسة المصرية في مقابل بسط الحماية على القبط. ولكن هذه المساعي جميعها فشلت فشلاً ذريعاً، ذلك لأن الكنيسة القبطية ظلت تحتفظ بموقف صارم، وبقدر كبير من موروث الكبرياء القومي الذي يتمثل في أنها لم تتخلَ عن رؤيتها لنفسها كواحدة من الكنائس الأربع الكبرى التي تزعمت المسيحية في العالم، جنباً إلى جنب مع كنائس القسطنطينية وروما وأنطاكية أم الكنائس.

لم تفلح بيوت التجارة الأوروبية في استخدام عناصر قبطية تعمل كوكلاء وتراجمة ومقاولين للتجار الفرنجة بسبب إعراض القبط عن التعاون معهم ومعاداتهم للإرساليات التبشيرية ومؤسساتها التعليمية، على الرغم من الإغراء بالامتيازات وبسط الحماية. وقد كان هذا الموقف الوطني مثار تعليقات دائمة لدى القناصل الأوروبيين.

بهذه الروح النافرة من السيطرة الأجنبية واجه الأقباط، وواجهت الكنيسة القبطية نشاط الإرساليات التبشيرية والمطامع الأوروبية، وهو ما يلقي الضوء على ما سجله المؤرخون من أنه حينما زحف جيش «نابليون بونابرت» على القاهرة تصدى له في أمبابة أثنى عشر ألفاً من الأهالي، مسلمين وأقباط، وامتلأت قلعة المدينة بالسجناء من الأقباط والمسلمين. وتميز موقف الأقباط من الحملة برد فعل عدائي، وحمل الكتاب الأقباط على سياسة نابليون. أما الصورة التي كونها علماء الحملة الفرنسية عن أقباط مصر فقد وردت في كتاب ((وصف مصر)) الذي وضعه

هؤلاء العلماء، وجاء فيه: "يكوّن الأقباط جزءاً من كيان الأمة في بلد مقهور، إن جماعتهم المنتشرة في سائر أنحاء مصر، بفضل النظم المستمدة من الأخلاق المسيحية تعطي صورة الوحدة والتناسق، وهي صورة نادرة في تلك البلدان التي ضربها الطغيان والاستبداد".

المسلمون والأقباط في مشروع بناء دولة عصرية:

طرأت على المجتمع المصري في القرن التاسع عشر تغييرات سياسية واقتصادية ـ اجتماعية بعيدة المدى، عجلت بهدم العديد من المؤسسات الموروثة وأعادت صياغة التركيب الطبقي للمجتمع، وقد حدث هذا تحت تأثير ثلاثة عوامل رئيسية.

- قيام «محمد علي» ببناء دولة حديثة، وما آل إليه هذا المشروع على يد خلفائه.
- الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢. وما فرضه على مصر من السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي آلت إلى تنمية مشوهة موجهة إلى الخارج وتابعة له.
- تفتح الوعي القومي، ونمو حركة وطنية ديمقراطية مناهضة للسيطرة الأجنبية ومعارضة للحكم الاستبدادي.

بعد خروج الفرنسيين حاول «محمد علي» الاستقلال بمصر عن الإمبراطورية العثمانية فأولى الشخصية المصرية اهتمامه، واعتمد على العنصر المصري في مشروعات بناء دولته العصرية، وتأثرت سياسته تجاه الأقباط بنفس الروح فلم يرفض أي طلب لبناء كنيسة جديدة، وعرفت الكنيسة القبطية في عهده، في مجال

التعليم حركة موازية لحركة الإصلاح التعليمي التي قامت بها الدولة، وحركة تنويرية موازية للنشاط التنويري الذي قام به «رفاعة الطهطاوي». وبرز هنا نشاط البطريرك الكبير الملقب (أبو الإصلاح) «كيرلس الرابع»، الذي افتتح العديد من المدارس الوطنية، خصص بعضها للبنين وبعضها للبنات، سعياً منه للنهوض بمصر، ولمسايرة ركب الحضارة الحديثة، وتغذية أبناء الوطن جميعاً بنفس العلوم التي نهضت بالأمم الأخرى. وفتح البطريرك أبواب المدارس لبني مصر أجمعين، دون تفريق بسبب العقيدة أو الدين أو المذهب، وتخرج هذه المدارس العديد من المفكرين وقادة الرأي والإدارة من المسلمين والمسحيين، كما فتح «محمد علي» وخلفاؤه من بعده أبواب الجيش أمام الأقباط، وعيّن الخديوي «إسماعيل» عدداً من الأقباط في المحاكم، وأعطاهم الحق في عضوية مجلس شورى النواب أوفي أي برلمان آخر، وبوجه عام أتاح مشروع «محمد علي» للأقباط مثلما أتاح للمسلمين من المناصب الإدارية والمالية، ومن تكوين الملكيات الزراعية، ومنذ ذلك الوقت ظهر إلى الوجود ما يمكن تسميته بالأمة المصرية، بالمفهوم الحديث، لتميز بين المصريين – مسلمين وأقباطّ– من ناحية، وبين الأتراك وغيرهم من ناحية أخرى.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اطرد الاتجاه نحو تقرير المساواة في الحقوق المدنية بين المسلمين وغير المسلمين. وفي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين تولى اثنان من القبط رئاسة الوزارة، هما «بطرس غالي باشا» من (١٩٠٨ – ١٩١٠) و«يوسف وهبة باشا» من (١٩١٩ – ١٩٢٠). واتسعت مشاركة القبط في الحياة السياسية وكان منهم أعضاء في الأحزاب السياسية التي بدأ يتوالى ظهورها منذ أواخر العقد الأول من القرن العشرين، واشترك اثنان منهم في تأسيس حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، وكان من مبادئ

الحزب أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في جميع المدارس العربية وانضم من الأقباط إلى قيادة الحزب الوطني الذي أسسه «مصطفى كامل» اثنان من أبرز زعماء الحركة الوطنية هما «ويصا واصف» و«مرقس حنا».

تأثر المثقفون المصريون على درجات متفاوتة بأفكار عصر التنوير الفرنسي وبالليبرالية الإنكليزية وجرى صياغة عدد من المفاهيم والقضايا الرئيسية في الفكر المصري القومي الحديث وقام بهذه المهمة عدد من رواد عصر النهضة على رأسهم «رفاعة الطهطاوي» (١٨٠١ - ١٨٧٣) الذي أشار إلى النبضات الأولى للوطنية المصرية في كتابه (تخليص الإبريز) وبذل جهده وذكاءه ليعبر عن فكرة الجامعة القومية تعبيراً دينياً، وليرفع شبهة التعارض بين الدين والانتماء القومي. وذهب إلى أن مصر بالرغم من أنها مسلمة ولكنها ليست كذلك على سبيل الحصر، فجميع من فيها من النصارى واليهود هم جزء من الجماعة الوطنية، وفي إطار هذه الجماعة يتعين أن يتاح لهم حريتهم الدينية كاملة وأن يقيم المسلمون معهم كل أسباب التعايش.

كان الطهطاوي معلماً ومصلحاً للأجيال المصرية، وقد تخرج من مدرسته العديد من المفكرين المستنيرين من المسلمين والأقباط. ومن تلامذته الأقباط «تادرس وهبي» وميخائيل عبد السيد وكثيرون غيرهما.

في عام ١٨٨٢ احتلت بريطانيا مصر بالقوة المسلحة لتجهض الثورة العرابية وكانت سلطات الاحتلال على علم بأن الكنيسة القبطية قد ساندت الثورة، ولاحظ عدد من الباحثين أن الاحتلال لم يجد ترحيباً من القبط، وقد بادلتهم السياسة البريطانية الموقف نفسه. وفي تلك الفترة لم يكن يخفى على سلطات الاحتلال أن البلاد تعيش في حالة تنذر بثورة وطنية على الحكم الأجنبي، فبدأت

باستخدام عدد من الوسائل والأساليب من أجل إجهاض أي تحرك ضدهـا، وكـان في المقدمة فصل القبط عن المسلمين والتقى هـذا المسـعى موضوعيـاً مـع نشـاط الإرساليات ومع تدخلات سياسية للدول الغربية الكبرى التي جاءت إلى المشـرق العربي تحت أعلام دينية.

وعلى مستوى آخر اتجه نشاط المبشـرين إلـى العمـل علـى احتـواء المؤسسـة الدينية الوطنية للقبط وتفكيكها، وهي كنيستهم الأرثوذكسية، بما يؤدي إلى شرذمتهم وتوزعهم على مذاهب أخرى، وتولت قيادة هـذه العمليـة كنـائس أمريكيـة متعـددة، وقد فعلت هذه الجهود الخارجية فعلها وولدت ظواهر لم تكـن فـي مصلحـة التوحـد والتكامل القومي، ونمت اتجاهـات تنحـو إلـى التمحـور علـى الـذات وأشـار بعـض الباحثين إلى أن الفرقة بين المسلمين والنصارى بلغت حداً ليس له مثيل في تـاريخ الأمة قبل الاحتلال، ولكن هذه الفتنة الطائفية لم تؤدِ إلى ترسخ نزعة انفصالية فـي صفوف القبط، ولم تكرس قيام (طائفة قبطية) ترتبط ارتبـاط ولاء ومصلحـة بقـوى خارجية، ويعود ذلك إلى أن آليات التكامل والاندمـاج هـي التـي كـانت ترجـح فـي نهايـة المطـاف، وعلـى امتـداد القـرن التاسـع عشـر اتجهـت حركـة القبـط الثقافيـة، كجماعـة اجتماعيـة، إلـى الارتبـاط بقضيـة الدولـة القوميـة، وكـان إدراك كـل مـن الجماعتين الإسلامية والقبطية يتبلور بـاطراد حـول مفهـوم الشـعب الواحـد فالشـيخ «الجيزاوي»، شـيخ الأزهـر رفـض اتجـاه «عبـاس الأول» إلـى إبعـاد القبـط إلــى السودان قائلاً للوالي: "إنهم أهل البلاد وأصحابها، وأنهم في ذمة الإسلام، ولم يطرأ على ذمة الإسلام طارئ" وباختصار فقد تغلبت آليات التكامل بين المسلمين والقبـط في النهاية، وحينذاك أخذت الحركة الوطنية بعد عام ١٩١١ تجمع قواهـا لتخـوض معركة جديدة من أجل الاستقلال والدستور، وكانت ثورة ١٩١٩ الكبرى.

ثـورة ١٩١٩:

شارك الأقباط مشاركة فعلية فـي أحداث ثـورة ١٩١٩ التـي قادهـا الزعيم الوطني «سعد زغلول»، على مستوى القاعدة الجماهيريـة، وعلـى مسـتوى قيـادة الثورة، ومن المعروف أن أكثرية القبط الساحقة التفّت حول الوفد المصـري وهـو الحزب الذي تزعم الثورة، وتكوّنت قياداته وقواعده علـى مبدأ المواطنـة وحدهـا وبغض النظر عن الدين، ويشار هنا مثلاً إلى أسماء ويصا واصف (كـان رئيسـاً لمجلس النواب) و«مرقس حنا» (نقيب المحامين لأكثر من دورة) و«مكرم عبيد» الذي سيصبح السكرتير العام للوفد.

مثلت ثورة ١٩١٩ إنجـازاً عبقريـاً لشـعب عظيـم، روحـه لا تمـوت، ونـهض مسلمو البـلاد وأقباطهـا فـي ثـورة عارمــة، وتـرددت أصـداء شـعارات "مصـر للمصريين" في كل مكـان، ومنـذ اللحظـة التـي قـرع فيهـا «سـعد زغلـول» نـاقوس الثورة برز اتحاد عنصري الأمة بصورة غطـى علـى كل مـا سـواه وكـان علمـاء الأزهـر وقساوسـة الأقبـاط يسيرون فـي المظـاهرات جنبـاً إلـى جنــب، والأعــلام المصريـة ترفـرف فـوق رؤوسـهم، يتعـانق فيهـا الهـلال والصليـب، وفـي الأزهــر والمساجد الكبرى في القاهرة وفي بقية المـدن والقرى كـان أبـرز الخطبـاء علمـاء الإسلام والقساوسة، بل أن القساوســة أنفسـهم ترأسـوا بعـض الاجتماعـات الوطنيـة التي تقام في المساجد، كما كان العلماء المسلمون يرأسون بعض الاجتماعات التــي تقام في الكنائس. وكان الخطباء بالكنائس في الأعيـاد القبطيـة مـن المسـلمين، كمـا كان الخطباء بالمساجد في الأعياد الإسلامية من الأقباط، فها هو القمـص «مرقـس سرجيوس» يمثل أبرز وجوه التآلف والامــتزاج بيـن القبـط والمسـلمين. وكـان هـو والشـيخان «مصطفـى القبـاني» و«محمـود أبـو العيـون» مـن أخطـب مـن عرفتهـم

المنابر حضاً على جهاد الإنكليز، وعملاً على توثيق عرى الترابط بين المصريين. وقد وقف «سرجيوس» على منبر الأزهر يوماً ليقول: "إذا كان الإنكليز يتمسكون ببقائهم في مصر بحجة حماية القبط فإنني أقول: ليمت القبط وليحيى المسلمون أحراراً". ويذكر «سلامة موسى» أن دسائس التفرقة فشلت فشلاً ذريعاً، فكان القبط والمسلمون يداً واحدة يتبادل شبابهم الخطابة في الكنائس والمساجد.

هذا الإجماع الوطني إنما صدر عن شعب لا شك في تمسكه بالدين، فقائد الثورة نفسه «سعد زغلول» درس في الأزهر، وكان من مدرسة الإمام «محمد عبده» وقد وقف إلى جانبه بطريرك الكنيسة القبطية، ومع ذلك فقد تحولت الثورة إلى حركة قومية خالصة، وخفت صوت الدين بعد أن قام بدور كبير في إشعالها. وانحصر كلام الناس في مصر وحدها.

وجد أغلبية المصريين أنفسهم في عبارة "الوطنية ديننا" التي وردت على لسان سينوث حنا وردد مثلها «مرقس فهمي» حين قال في المؤتمر القبطي: "لنجعل الوطنية ديناً عاماً للمصريين". ولم تكن مصرية الحركة الوطنية مجرد رد فعل على سياسة التفرقة، بل كانت اتجاهاً يستمد أساسه الراسخ من الرغبة العامة في تكوين الجماعة السياسية تكويناً عاماً، وفي مزج أهل مصر في كيان سياسي واحد، وإيجاد الصيغة الملائمة لتأكيد قوة التماسك القائمة بين الأهلين وكان شعار "الوطنية ديننا" يعني الوحدة الوطنية ضد الاستعمار وضمان الوجود المشترك وبرهاناً على التسامح الديني، وأساساً لبعث مصر، وإثباتاً لاتصال حلقات تاريخ الشعب المصري، أما حزب الوفد الذي كان سكرتيره العام الزعيم الوطني الكبير والخطيب المفوه «مكرم عبيد» فكان يصدر التعليمات إلى قواعده، بوجوب حماية الجبهة الموحدة ضد عوامل التفرقة.

ارتفعت ثورة ١٩١٩ بقضية التكامل القومي بين المسلمين والقبط إلى مستوى لم تبلغه من قبل، فبالإضافة إلى المفاهيم التي طرحتها "الشعب الواحد" و"الجامعة القومية" و"المواطنة" فإن تجربة هذه الثورة ما زالت تشكل في التراث التاريخي المشترك أحد الأطر المرجعية الرئيسية التي تجري استعادتها كلما وقعت أزمة في العلاقة بين القبط والمسلمين.

في السنوات التي أعقبت ثورة ١٩١٩ بدأ الاهتمام بالقضايا العربية، ثم زاد إيقاعه منذ منتصف الثلاثينات، وتنوعت وسائط التفاعل بين مصر والأقطار العربية وقد برز في داخل الوفد أكثر من شخصية لعبت دوراً مؤثراً في الدفاع عن عروبة مصر، وفي تعزيز الروابط مع الأقطار العربية، من أمثال «عبد الرحمن عزام، ومحمود بسيوني»، ولكن مما يلفت النظر بصورة خاصة الإسهام المتميز للشخصية الثانية في الوفد «مكرم عبيد»، وكان إذ ذاك السكرتير العام للحزب، ففي عام ١٩٣١ زار سوريا ولبنان وفلسطين وألقى هناك عدة خطب ذكر فيها ((أن المصريين جاؤوا من آسيا، فهم أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون واللغة والخصائص السامية والقومية)) وقال "إن تاريخ العروبة سلسلة متصلة الحلقات ورابطة اللغة والثقافة العربية في هذه الأقطار أوثق فيها من أي قطر من أقطار الأرض". "وعندما يقال المصريون عرب فالمقصود تلك الوشائج الحضارية التي لم تفصمها الحدود الجغرافية، والتي تدخل فيها تقاليد التسامح الديني". وعند «مكرم عبيد» أن الوحدة العربية حقيقة قائمة، ولكنها في حاجة إلى تنظيم، وإلى إيجاد جبهة تناقض الاستعمار، وتنمي الموارد الاقتصادية، وتزيد في تبادل المنافع، وانتقد «مكرم عبيد» فكرة الفرعونية التي تعكسها اتجاهات أدبية معينة والتي كانت تمثل حركة لفصل مصر عن الدول

العربية الأخرى، واستخدم تعبير "الجامعة العربية" قبل إنشاء المنظمة الإقليمية التي عرفت بهذا الاسم بأكثر من خمسة أعوام. ويعلق بعض الباحثين على طرح «مكرم عبيد»، بأن موقفه كان موقفاً غير تقليدي لا بالنسبة لسياسي قبطي وحسب، بل بالنسبة لأي سياسي مصري عموماً في ذلك الوقت. والواقع أن هذا التقويم صحيح تماماً، فباستثناء برنامج حزب مصر الفتاة لم يطرح أحد قضية الوحدة العربية، ولم تبرز الوحدة كشعار للتنفيذ إلا على لسان مكرم عبيد.

التيار العروبي وقضية فلسطين:

نما التوجه العربي لمصر فيما بعد من خلال احتدام أزمة فلسطين، ودخلت الحركة المصرية في حركة الجامعة السياسية العربية والقومية العربية. لم تكن العروبة في مصر في تناقض مع حركة القومية المصرية فكلتاهما تتماثلان بجامع النظرة القومية التي تستند إلى وحدة اللغة والتاريخ والاتصال الجغرافي، وقد أكد التاريخ القديم والوسيط والحديث بأن مقتضيات الأمن المصري والعربي واحدة، وظهر للعيان بأن المشروع الصهيوني الذي احتضنته السياسة البريطانية كان موجهاً ضد مصر لضمان السيطرة الاستعمارية عليها وقد تحدث وايزمن عن أن صيرورة فلسطين يهودية أمر يفيد الإنكليز كثيراً ويخدم مصالحهم في منطقة قناة السويس، ورأى كيزرون وزير الخارجية البريطانية المتعاطف مع الصهيونية بأنه إذا وجب الدفاع عن القناة في المستقبل فسيتم ذلك من جهة فلسطين.

استفتح الشعب المصري كفاحه العربي بعد الحرب العالمية الثانية بموجة المظاهرات العنيفة التي جرت احتجاجاً على المشروع الصهيوني بفلسطين، وكانت المظاهرات من السعة والشمول بما يؤكد تعلق المصريين جميعاً بمعركة

فلسطين ضد الصهيونية، وكانت هذه المعركة تثير في داخلهم جميع المشاعر الوطنية والدينية والشعور العربي النامي، وفور إعلان قيام الكيان الإسرائيلي فوق الأرض العربية الفلسطينية عام ١٩٤٨ دخل الجيش المصري مع غيره من جيوش الدول العربية إلى فلسطين وكان ذلك الجيش يضم في داخله الألوف من الضباط والجنود الأقباط إلى جانب إخوانهم المسلمين وكان بطريرك الأقباط الحالي «البابا شنوده» ضابطاً شاباً في عداد ذلك الجيش، وقد عاش في الخنادق وواجه الموت دفاعاً عن عروبة فلسطين أما ثورة ٢٣(تموز) التي قادها «جمال عبد الناصر» فقد قامت على خلفية الصراع العربي الصهيوني.

وقد حققت هذه الثورة الاعتراف الرسمي والشعبي بانتماء مصر العربي، وأعلنت على لسان قيادتها بان تحرير مصر لم يعد متصوراً إلا من خلال انتمائها إلى الجامعة الوطنية العربية. وفي هذا السياق كان الموقف الفكري للكنيسة القبطية مستنداً إلى تراثها الديني بالنسبة للصهيونية ودولة إسرائيل، وبالنسبة لانتماء مصر إلى محيطها العربي، فقد ذكر الأنبا «غريغوريوس» "إن اليهودية انتهت في نظر المسيحيين كديانة وزالت ككنيسة، وإن كل نبوءة في العهد القديم تشير إلى كيان شعب اليهود، وكنيستهم وهيكلهم لابد وأن تفهم على أنها تمت في الماضي بمجيء المسيح، أو قبل مجيئه، وأن يهودية اليوم هي ديانة من ينكرون المسيح، وأن مزاعم اليهود بأنهم أصحاب الأرض المقدسة هي مزاعم باطلة لا أساس لها". وذكر يوأنس أسقف الغربية "بأن إسرائيل الحالية لا علاقة لها بإسرائيل القديمة التي وردت في الكتب المقدسة، بل هي عصابات صهيونية تمثل حركة استعمارية فاشية عنصرية تقوم على المذهبية المرتكزة على الاستغلال والعدوان، وتستند إلى نظريات التوسع والسيطرة". وبسط الأنبا

شنوده رأي المسيحية في إسرائيل قائلاً: "إن عهد الرب إلى إسرائيل لم يتم بسبب عدم طاعتهم له، ودليل ذلك ما ورد في سفر الخروج (أنا أفنيهم) فقد خالفوا شرطه ونقضوا عهده ووصل بهم الشر إلى أن وقعوا في عبادة الأصنام".

أما قرار بابوية روما الصادر في الستينات، والقاضي بتبرئة اليهود من دم المسيح فقد وقفت الكنيسة القبطية بعنف ضده، وشنّت حملة واسعة لتوضيح الأمر ولا زالت تقوم بهذا الدور حتى اليوم.

عقد السبعينات، وتراجع المد القومي:

في السبعينات، وخلال حكم الرئيس «أنور السادات» حدثت إنعطافات بعيدة المدى في سياسة النظام الداخلية تمخض عنها تغييرات حتمية في سياسة النظام على المستويين العربي والدولي:

فعلى الصعيد العربي أخذ مركز الثقل يميل أكثر فأكثر إلى الارتباط بالبلدان العربية التي عرفت باسم البلدان المحافظة، ومع توجه النظام إلى عقد الصلح المنفرد مع إسرائيل بدأت علاقة مصر تقطع مع الغالبية الساحقة من البلدان العربية على اختلاف نظمها، وانتهى الأمر بغياب مصر عن الجامعة العربية وعن العمل العربي المشترك.

وعلى الصعيد الدولي اتجه النظام إلى توثيق علاقاته بالدول الغربية الرأسمالية عموماً وبالولايات المتحدة بوجه خاص.

لم يكن سهلاً أن يتم هذا الأمر دون مقاومة من الطبقات والفئات والقوى السياسية والاجتماعية التي ارتبطت بثورة يوليو (تموز) على أساس برنامجها الاقتصادي والاجتماعي أو على أساس توجهاتها القومية والمناهضة للإمبريالية.

وكان على السادات بالتالي أن يبادر إلى تجميع الحلف المقابل منطلقاً من شعارات ذات توجهات دينية، فرفع شعار "العلم والإيمان" و"مقاومة المادية والإلحاد". أما على مستوى الممارسة فقد تحرك في اتجاهين اثنين:

- إضافة عبارة "الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع" إلى المادة الثانية في الدستور التي كانت تنص على أن "الإسلام دين الدولة".

- تشجيع ودعم كل قوى الإسلام السياسي التي كان عليها أن تتكفل بالتعامل مع التيارات الناصرية واليسارية، وسعى «السادات» إلى عقد صلح مع عدد من قادة التيار الإسلامي الذي هجروا البلاد في الحقبة الناصرية.

وبينما اتجه بعض قادة العمل الإسلامي إلى محاولة طمأنة الأقباط بأن تطبيق الشريعة ليس فيه ما يدعو إلى الخوف، فقد نما في صفوف الأجيال الشابة التي تكونت تحت تأثير جماعة الإخوان المسلمين، ثم انفصلت عنها نزوع إلى الضغط على الأقباط وإرهابهم وقد حدث هذا بعد أن ساعدت السلطة بعض الجماعات الإسلامية على بسط نفوذها في الجامعات، فتحكمت في كثير من أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي، واستخدمت وسائل الترغيب والترهيب، ومع تزايد إحساس هذه الجماعات بأن النظام غير جاد في حسم قضية تطبيق الشريعة، تحولت عداوتها من اليساريين والقوميين إلى الأقباط.

وهكذا دخل عقد السبعينات تاريخ مصر باعتباره عقد الاحتكاكات والصراعات الطائفية التي تميزت بأبعادها وتعقيداتها المحلية والعربية والدولية، ثم سارت الأمور في نهاية هذا العقد وبداية الثمانينات إلى وضع أبرز ما فيه حالة من التوتر بين جماعات التطرف الإسلامي التي أعلنت الجهاد وبين الكنيسة القبطية والتيارات القومية واليسارية. وقد برز لأول مرة في تاريخ العلاقات

بين المسلمين والقبط مصطلح "الأقلية" للإشارة إلى جماعة المسيحيين الأقباط، وجرى استخدام هذا المصطلح خلال السبعينات من قبل قيادات من الجماعات الإسلامية، ومن قبل بعض القيادات القبطية، وهو المصطلح الذي رفض وأهمل استخدامه بعد رفض الأقباط أن ينص دستور ١٩٢٣ على ضمانات خاصة لحقوقهم كجماعة متميزة.

على أن التطورات السلبية التي لحقت بالتكامل بين الجماعتين الإسلامية والمسيحية في السبعينات يصعب تقدير أبعادها إذا لم توضع في إطار الأزمة المجتمعية الشاملة التي عمقتها مجمل السياسات التي انتهجها نظام السادات. فقد ظهرت هذه التطورات السلبية على خلفية انحسار المد القومي، وتفاقم أزمة الهوية لدى المواطنين العرب وغرق الملايين منهم في التهميش والبؤس، والواقع أن هذه الأزمة المجتمعية الشاملة، وما يتمخض عنها من عنف وتطرف ظهرت باسم الدين في أكثر من ساحة عربية، تغذيها أحياناً عواطف إيمانية عمياء تتجاوز الحوار العقلي الهادئ والمجرد. وهذا الوجه القاتم الذي يتلبس به الدين أحياناً يظهر كثيراً على مسرح التاريخ، وفي مختلف العصور، إثر أزمات اقتصادية واجتماعية خانقة، ويؤدي إلى إخراس صوت الإيمان العقلي الهادئ لتعلو فوقه صرخات التعصب والجهالة، ويحل العنف والقتل محل الحوار الصريح والسلوك الحضاري والإنساني. ويعود هذا الموقف التعصبي إلى اختزال الاختلاف الديني أو المذهبي في بعد واحد، وإلى إسقاط صور مشوهة للغير، معتمداً على رؤية ثنائية للعالم تنظر إلى الجماعات بموجبها على أنها كليات متجانسة تقف الواحدة منها بإزاء الأخرى.

إن عدداً من الظواهر خلال عقد السبعينات في مصر قد يشتم منه راحة

الطائفية ولكن الطائفية لم يتم تكريسها كظاهرة محلية في مصر، وإذا كـانت الطـائفيـة "شأنها شأن الصهيونية" تشكل نوعاً من الوعي التقليـدي الملـتزم بتثبيت أنظمـة تقـوم على سيطرة جماعة طائفية على جماعات أخرى، وإنها تقوم على خلق وطـن قومـي لطائفة معينة على حساب الجماعـات الأخـرى، فـإن مثـل هـذا التعريـف للطائفية لا ينطبق على الوضع القائم في مصر، وذلك يعود إلى أن الأقباط في مصر لم يتحولـوا مع نظام الملل العثماني إلى أقلية أو قومية تشكل قاعدة للنفوذ الإمبريـالي، فقد تعـزز ذلك عبر الثورات الوطنية الديمقراطيـة فـي أعـوام ١٨٨٢، ١٩١٩، ١٩٥٢. عـلاوة على ذلك، فإن النزعة الطائفيـة فـي مصـر الحديثـة، لا تدخـل كمكـون لـه وزنـه فـي الوجـدان الشـعبي، وذلـك لأن حركـة الجمـاهير الشـعبية إنمـا تحفزهـا وتوجههـا فــي الجوهر، أهداف ومطالب سياسية واجتماعية:

والواقع أن الجماعة المصرية بمكونيها المسلمين والأقباط تتميز بخصوصية ذات عنصرين:

عنصر موضوعي يتمثل في أرض مصر وتكوين شعبها ونظرة الدينين إليها.

وعنصر تاريخي يتجلى في حركـات المحكومين الشـعبية لاختـراق حـاجز السلطة، وفي التعامل جميعاً بلغة واحدة هي العربيــة "فقد جـاءت عمليـة تعريـب مصر أقوى من صبغها بصبغة "الإسـلام"، كمـا يقـول الدكتـور «جمـال حمـدان» "فإذا كان العرب المسلمون قد عربـوا مصـر لغويـاً ودينيـاً فقـد نصّرتـهـم مصـر حضارياً ومادياً، والحاصل أن ما حدث في مصر فتح الطريق أمام شعب مصـر ليتفاهم بلغة يتحدث بها بشر في رقعة من الأرض من المحيط إلى الخليج ...".

والخلاصة أن الكنيسة القبطية أرسـت عبر تاريخهـا الطويـل مجموعـة مـن القيم والمبادئ والممارسات يمكن إجمالها في ثلاثة محاور:

أولها: اندغام الكنيسة في المجتمع التي تعيش فيه، لأنها منذ فجر تاريخها كانت كنيسة المقهورين، وارتبطت نهضتها باقتران الموقف الوطني بالبعد الاجتماعي، وظلت طوال تاريخها عامل توحيد للشعب وانحياز للأرض.

والمحور الثاني يتجسد في الدور العالمي الذي لعبته في محيطها العربي والإفريقي فهي التي أسست كنيسة السودان وكنيسة أثيوبيا، وهي التي كانت طرفاً أساسياً في الحوارات الكبرى التي عرفتها المسيحية في القرون الأولى للميلاد.

والمحور الثالث يتمثل في أن الكنيسة المصرية كانت أم الرهبنة في تاريخ المسيحية فقد كان اللجوء إلى الصحراء هرباً بالعقيدة من اضطهاد الرومان، وحماية للتراث من همجيتهم هوالرد المصري، ومن مصر امتد نموذج الرهبنة إلى العالم كله.

البابا شنوده بطريرك العرب:

كل من التقى قداسة «البابا شنوده» شعر بمعنى الأخوة في الله، وأدرك أن المؤمنين أخوة مهما اختلفت دياناتهم لأن رابطاً واحداً، يجمعهم هو الإيمان بالإله الواحد.

وكل من نظر إلى وجهه رأى فيه نوراً هادئاً تكلله ابتسامة سمحة مضيئة، يصدر منها حب غامر.

وهو ليس رجل دين وحسب، بل واحد من أبرز مفكري مصر المعاصرين، منشغلاً دوماً بقضايا الحياة والمجتمع والثقافة، وبأبوة المصريين جميعاً، وبقضايا العالم خارج مصر.

لقداسة البابا شخصية يحيطها سحر خاص، تحظى بالقبول والحب لدى كل

من الخاصة والعامة، لما تتحلى به من سماحة وعطاء، ومن حضور وتأثير، ومن مواهب عديدة، وهو مفكر وكاتب وشاعر وأديب، وهو مؤلف لقرابة مائة كتاب في مختلف الشؤون الدينية والتاريخية والاجتماعية واللاهوتية، وهو خطيب مفوه يرتجل عظاته العامة، في اجتماعه الأسبوعي مع أبنائه، والذي يحرص عليه منذ أن كان أسقفاً عاماً في الستينات، ويحضره عدة آلاف من الشباب. وفوق ذلك، فهو متحدث لبق في مقابلاته وجلساته، بارع في النكتة الحية المعبرة والتي تضفي على مجالسه جواً من الألفة والمودة.

ولقداسة البابا مكانة عند الأقباط تفوق الوصف، فهو صاحب القداسة وهو ذو الفم الذهبي، وهو الرئيس الأعلى للكهنوت بكل درجاته، وله الأبوة العليا والسيادة في كنيسة الله المقدسة، وهو الربان الأعلى، والمعلم الأكبر، وأبو الآباء، وراعي الرعاة، وخليفة القديس مرقس، وحبيب المسيح وبطريرك المدينة العظمى الإسكندرية وليبيا وأثيوبيا وأفريقيا وآسيا وسائر بلاد المهجر، وهو بطريرك العرب جميعاً.

ولقداسة البابا علاقة وجدانية حميمة بالإسلام والمسلمين، وهو دارس للإسلام، قرأ القرآن في شبابه، وبينه وبين شيوخ الإسلام علاقات محبة ومودة في مصر وفي سائر بلدان العالم الإسلامي. وهو يواظب على زيارة المساجد الإسلامية والالتقاء بعلماء الدين الإسلامي. ويحرص في كل عام على إعداد مائدة للإفطار في رمضان يدعو إليها عدداً كبيراً من رجال الدين وقادة الفكر والصحافة والسياسة من المسلمين.

ورغم أنه لم يعان الفقر في حياته، إلا أنه ظل حاملاً صليب الفقراء والأيتام شاعراً بآلامهم في أعماقه طوال أيامه.

يقول عنه الكاتب المصري «نجيب محفوظ»: ((لقد كان البابا شنوده دائماً رجلاً صلباً متفائلاً شديد الذكاء، مصرياً عميق الأصل، عربي الوجدان والتوجهات، إنساني النزعة، عالمي الأفق.)).

ومع أن «البابا شنوده» يفرّق جيداً بين الدين والسياسة، فقد كان أول بابا يدعى من قبل رئيس الولايات المتحدة إلى البيت الأبيض، وهو أول بابا في العصر الحديث يستأنف الحوار مع رئيس الكنيسة الكاثوليكية، بابا روما، وهو أول بابا يجمع في تكوينه بين كتابة الشعر والحياة العسكرية، وهو أول بابا يدخل سفارة المملكة العربية السعودية في القاهرة في مشهد استثنائي لا نظير له، وهو أول بابا يعقد صلة حميمة بمنظمة التحرير الفلسطينية، فلا يصل رئيسها إلى مصر إلا وتكون زيارة «البابا شنوده» بين أوليات جدول أعماله.

إنه باختصار صاحب شخصية عربية دولية رفيعة المستوى، وبالرغم من تفرقته بين الدين والسياسة فإن مواقفه الوطنية هي محور فكره وسلوكه في مختلف المواقع والقرارات والدوائر السياسية والاجتماعية. ربما كانت أقرب الصفات التي تلائمه هي أنه جمع في شخصيته بين سمات الفلاح المصري وعقل وحكمة الفيلسوف.

و«البابا شنوده» الذي يقود النهضة الجديدة في الكنيسة المصرية، يجمع في وقت واحد بين إحياء التقاليد العريقة في كل ما يسمى بالعقيدة، وبين الثورة على التقاليد البالية في كل ما يمس المجتمع، حتى أنه كان البطريرك المصري الأول الذي سمح بوجود شماسات من الإناث. وهو أمر يحدث للمرة الأولى. وهو أخيراً البابا الذي كرس عروبة المسيحية الشرقية، وذلك بحكم تكوينه الأدبي وبحكم وعيه العميق.

يقول البابا شنوده: ((ولدت مع ولادة دستور عام ١٩٢٣، وكان المسيحيون والمسلمون وحدة واحدة في السراء والضراء، وكان سعد زغلول قائداً وطنياً كبيراً. وكان من الممكن حينذاك أن يكون ألمع وزراء حزب الوفد مسيحياً هو «مكرم عبيد»، وأن يكون رئيس مجلس النواب مسيحياً أيضاً هو ويصا واصف. وفي هذا المناخ نشأت وتربيت)) لذلك فهو متفائل دوماً بمستقبل مصر وهو يردد أن لا خوف على مصر أبداً فهي المحروسة حقاً. توحد شمالها بجنوبها منذ آلاف السنين وتناوب عليها الغزاة، ولم تتعرض وحدتها للخطر، أي خطر. فوحدة مصر والمصريين من أسرار هذا البلد الخالد.

ولد قداسة البابا في أسرة علم وثقافة، وكان والده شغوفاً بالقراءة وكانت لديه مكتبة كبيرة. وقد عشق الفتى نظير جيد، وكان هذا أسمه حين ولادته، عشق الكتب، وأدمن على قراءتها دون أن يرتوي له ظمأ. وظهرت مواهبه الشعرية في وقت مبكر جداً. وكانت نفسه تتجافى عن لهو الشباب وعبثهم، وهو ما باعد بينه وبين أترابه فقد كان مواظباً دوماً على القراءة والأدب والشعر.

كان الفتى نظير جيد خلال فترة دراسته، وفي جميع مراحله متفوقاً على الجميع باستمرار، وظل ترتيبه الأول طوال سنوات تحصيله منذ المرحلة الابتدائية وحتى دراسته العليا في الجامعة، وعرف فيه زملاؤه روح الإيثار والصداقة الطاهرة، فكان أخاً للجميع، بل أباً صغيراً للجميع، يفتحون له قلوبهم، ويبثونه همومهم ويشاركهم في حل مشكلاتهم. وحين دخل الخدمة الإلزامية كان أول الخريجين من ضباط مدرسة المشاة عام ١٩٤٧، وقد أحبه رؤساؤه غاية الحب، واختاره الزملاء الضباط المسلمون في الكلية كي يشرف على إعداد فطورهم وسحورهم أيام شهر رمضان، ومنحوه ثقتهم لصدقه وطهارته أكثر من

أي طالب آخر. عارض قداسة البابا زيارة أبنائه من أقباط مصر إلى القدس، وحين سئل عن سبب معارضته هذه قال: ((لن يكون الأقباط خارج صف أخوتهم العرب وسيدخل الأقباط القدس مع أخوتهم بعد تحريرها)) لذا فقد لقبه جميع العرب مسيحيين ومسلمين بكل جدارة، لقب: بابا العرب.

حين تخرج برتبة ملازم كانت حرب فلسطين قد اشتدَّ أوارها فانطلق مع رفاقه المقاتلين من الجيش المصري إلى أرض المعركة، وعاش مع الضباط والجنود في الخنادق، وواجه الموت دفاعاً عن أرض فلسطين المقدسة التي دنسها الصهيونيون، وما يزال قداسته يحمل جرح فلسطين في قلبه، فهو لا يدع فرصة من دون أن يدحض مزاعم الصهاينة والإسرائيليين وأباطيلهم بأنهم شعب الله المختار، ويفند حججهم الزائفة، مستنداً إلى التاريخ وإلى الكتاب المقدس. وقد حظي منه الشعب الفلسطيني بعطف لا حدود له، فهو يزور مخيماتهم، ويتعاطف مع نضالهم، ويصلي دائماً من أجل نصرهم ودحر عدوهم.

حينما كان «نظير جيد» شاباً كان أحد أبرز الجامعيين المتفرغين تقريباً للعمل الديني، ولم يكن مجرد شاب متحمس وحسب، بل كان يجمع في شخصيته مجموعة من الصفات التي تبدو متعارضة في الظاهر. فمع أنه كان يميل إلى العزلة والهدوء فقد كان رئيساً لتحرير مجلة مدارس الأحد، وإلى جانب كونه صحفياً لامعاً ذا أسلوب جميل متدفق فقد كان خطيباً مفوهاً وجذاباً، ورغم ابتعاده الشديد عن السياسة فقد تخصص في دراسة التاريخ السياسي، وتعلم في التدريب العسكري وأصبح من ضباط الاحتياط.

يؤكد البابا شنوده على عروبة الكنيسة القبطية وعلى عروبة الأقباط المعاصرة تراثاً وهوية، ويرى على أنه جزء من الأدب العربي الروحي يقول البابا: ((العروبة

جزء رئيسي في تكوين الشعب المصري الذي عرف حضارات عديدة أصيلة ووافدة، أما الثقافة العربية والحضارة الإسلامية فهي عنصر رئيسي وفاعل في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا. لا شك إذن أن جميع المصريين ينتسبون إلى العروبة الكبرى كثقافة وحضارة وأن أخوتنا المسلمين ينتسبون إليها كعقيدة دينية.))

لذلك فإن قداسة «البابا شنوده» لم يتوقف في يوم من الأيام عن الدفاع عن القضايا العربية في جميع المناسبات والمحافل العربية والدولية، وأمام جميع الرؤساء الأجانب الذين يقابلهم، وهو يلح دوماً على ضرورة وحدة العرب وتضامنهم، وأن ينفوا التفرقة من صفوفهم، ويصبحوا يداً واحدة وقلباً واحداً ودولة واحدة. وحين يقوم بزيارة أبنائه المهاجرين في شتى أصقاع العالم يدعوهم إلى التآخي والتعاون مع أبناء وطنهم من العرب المسلمين في تلك البلدان، وحين يلمّ خطب بالأمة العربية أو تنشب حرب بينها وبين أعدائها يستنفر أبناءه في داخل مصر وخارجها، ويجندهم لدعم أمتهم العربية بأقصى ما يستطيعون، ويزجهم في الصفوف الأولى.

وبسماحته وحلمه البالغ ساهم قداسة البابا في إطفاء شرارة الفتنة الطائفية التي قام به نفر من أبناء مصر الطائشين، رغم أنه مرّ بظروف صعبة، وتحمل النفي ثلاث سنوات طوال، بعيداً عن أبنائه المصريين. وهو يدرك بعمق بأن صورة الإسلام وقيمه ومبادئه لا تتطابق مطلقاً مع صورة المتطرفين المتعصبين من أدعيائه، ولا مع قيمهم ومبادئهم، لذلك فقد كان مطمئنا في قرارة نفسه إلى أن الفتنة ليست أكثر من غيمة صيف سرعان ما تنقشع، وأن مصر محروسة على الدوام وأن روح الإخاء والمودة بين أبناء مصر ستصمد أمام كل التجارب والمحن.

ليس «البابا شنوده» مجرد بطريرك وصل إلى السدة البابوية ليمارس السلطة الكهنوتية في أعلى ذراها، إنه ليس مجرد مصلح يريد تطبيق المثل العليا

التي آمن بها وكرس سنوات عمره من أجل تحقيقها، وإنما هو مفكر بكل ما يعنيه هذا المصطلح من معان، وله رسالة فكرية تتجاوز الإصلاحات المادية أو القانونية، أو بناء الأديرة والأبرشيات. وهو بهذه الرسالة الفكرية ينضم إلى قافلة الآباء العظام الذين ما زالت أقوالهم تراثاً حياً متجدداً تردده الأجيال. وهو يفضل نقل أفكاره من خلال مخاطبة الناس مباشرة، لذلك فقد كانت المحاضرات والحوار والإجابة على الأسئلة من أهم قوالب التعبير التي يستخدمها، وهو يجيب على الأسئلة التي يوجها إليه مستمعوه مهما كانت محرجة، ولأن السيد المسيح كان يتكلم بالأمثلة فإن «البابا شنوده» يأخذ عنه هذا الأسلوب الذي ينقش في قلب الطفل وقلب الشيخ على السواء خبرة الحياة، وأحاديثه ومحاضراته، مثلها مثل كتبه العديدة تمتلئ بالأمثلة البسيطة والمعبرة.

وهو يرتاح إلى قول الشعر وقراءته وحفظه وصداقته مع الشعر والشعراء قديمة العهد، فقد كان يحفظ منذ طفولته المبكرة عشرات القصائد الطوال من الشعر الجاهلي والإسلامي والحديث وقد برع أيام الشباب بنظم الشعر الفكاهي الذي يلقيه على مسامع زملائه وأساتذته حين كان طاباً في الجامعة، فيملأ قلوبهم بالبهجة والطرب، ولكن أجمل أشعاره وأكثرها عمقاً القصائد الفلسفية والصوفية التي تخاطب الروح وترقى بالوجدان إلى ذروة النبل والتسامي.

وفيما يتعلق بالسياسة فإن «البابا شنوده» يحرص على استمرار تقاليد الكنيسة القبطية المتمثلة في خلوها من الأهواء والنزعات السياسية التي تكيف الموقف الوطني حسب الموقع الاجتماعي، وفي المحافظة على وجود الكنيسة من دون الاستعانة بسلطة الدولة وفي هذا يكمن أنصهارها بالوطن واستئناف مسيرة النهضة ومقاومة الأجنبي المحتل للوطن والإرادة.

يجمع قداسة البابا في شخصيته بين الرهبنة وبين متابعة أحداث العـالم. وطالما أحب قداسته الرهبنة والانقطاع عن العالم هو بذلك يتبع سيرة أسـلافه مـن القديسين الذين كانوا يلجؤون إلى الصحراء ويعيشون مع الله. يعطونه الوقت كله والقلب كلـه. وقد عاش تجربة العزلة عن صخب الدنيا وبريقها حين كان شاباً، وخـلا إلـى التـأمل والتعبد. ففي دير السريان الواقـع فـي صحـراء وادي النطـرون عـاش قداسته راهبـاً بسيطاً تحت اسم الراهب «أنطونيوس السرياني» ومن هـذا الديـر انطـلق إلـى مغـارة منعزلة على بعد كيلـو مـترات مـن الديـر، وعـاش فيهـا وحيـداً مـع اللـه يتـأمل ذاتـه ويبحث في أعماقها. أمضى في المغارة ستة أعوام لا يـرى أحـد مـن النـاس، وحيـن استدعاه أسقف الدير أخيراً للإشراف على مكتبة الدير ومخطوطاته التاريخية، غـادر المغارة آسفاً أشد الأسف على انقطاع خلوته، فقد كان يعتـبر أن سنـوات العزلـة تلـك هي أجمل سنوات حياته وأخصبها وأكثرها طمأنينة.

في عام ١٩٥٥ أصبح الراهب «أنطونيوس» قسيساً، وفـي عـام ١٩٥٦ نـال رتبة القمص، ثم رسمه البابا كيرلس السادس أسـقفاً علـى الكليـة الأكليركيـة بعد تمنع شديد منه، وبعد رحيل البابا «كيرلس السادس» إلى جوار ربه عام ١٩٧١، انتخب الأسقف شنوده خليفة له، بمشاركة أبناء كنيسته جميعاً في الانتخاب ليحمل لقب البابا شنوده الثالث. وليصبح البطريرك الـ ١١٧ للكنيسة القبطيـة فـي مصـر وسائر أنحاء العالم.

حوار مع قداسته

حوار مع قداسته

■ قداسة البابا، لنبدأ حكاية العمر من سني الطفولة، البدايات أين ومتى وكيف؟

■■ **بدأت قصة حياتي منذ رأيت النور في قرية (سلام) إحدى قرى محافظة (أسيوط) في الوجه القبلي في يوم ٣ (آب) أغسطس عام /١٩٢٣/، توفيت والدتي بعد ولادتي مباشرة، وقضيت أيام الطفولة الأولى في الصعيد، كانت خطواتي المدرسية الأولى متعثرة، فقد كنت طفلاً يتيم الأم يدلله الجميع ويحنون عليه فلا يعتمد على نفسه ولا يهتم بدراسته، وليس له أخوة يقاربونه في العمر. بعد انقضاء تلك المرحلة انتقلت إلى (دمنهور) إحدى مدن الوجه البحري حيث كان شقيقي قد استقر هناك، وفي تلك المدينة أدخلت إلى إحدى رياض الأطفال، وكان التعليم فيها يسمّى آنذاك تحضيرياً ومدته ثلاث سنوات، وقد اجتزت تلك المرحلة في سنة واحدة، انتقلت بعدها إلى السنة الأولى الابتدائية. وقد أمضيت المرحلة الأولى في التعليم الابتدائي متنقلاً من (دمنهور)، إلى (أسيوط)، إلى (بنها)، إلى (القاهرة)..**

أذكر الآن أنني كنت في طفولتي مولعاً بالقراءة، إذ لم يكن حولي أطفال في مثل سني ألعب معهم، فكانت لعبتي المفضلة هي الكتب، أقرؤها بنهم شديد.

كنت في تلك السن الغضة أقرأ كتباً كثيرة جداً، إلى درجة أني قرأت كتاب "قادة الفكر" لطه حسين، وأنا في سن الخامسة عشرة، وقرأت قصة "ساره"

«لعباس محمود العقاد» في تلك السّنّ نفسها.. كنت أجد في كل كتاب يقع تحت يدي تسلية محببة، فقرأت العديد من كتب الطب، والاجتماع، والأدب، والقصص. وأذكر أني في سنة /١٩٣٧/ وكان لي من العمر أربعة عشر عاماً، كنت أقرأ في كل يوم قصة من القصص المطوّلة التي كانت تنشر حينذاك، وكان قد شاع في تلك الآونة ما يسمى بـ "روايات الجيل" فقرأت مثلاً قصصاً تدور أحداثها حول الثورة الفرنسية، والروسية، وكتباً لشتى الأدباء والمفكرين. قرأت قصص شارلوك هولمز في البحث الجنائي، وقرأت كتباً في الاجتماع والأدب، وقصصاً متنوعة جداً، وقد استهوتني أيضاً قراءة الشعر وحفظت الكثير منه، وبدأت أنظم القريض وأنا ما أزال فتى في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر.. والحق أنني لا أستطيع أن أسميه شعراً لأنني لم أكن ملماً بقواعد الشعر بعد، غير أنني في سنة /١٩٣٩/ وكان عمري ست عشرة سنة درست هذه القواعد على كتاب كان عنوانه "أهدى سبيل إلى علمي الخليل" العروض والقافية. درست بحور الشعر وتفاعيله وأوزانه، وقواعد الزحاف والعلة، والتغيرات التي تطرأ على التفاعيل، وحين ألممت بكل ذلك تماماً، صرت أجرؤ أن أسمي شعري شعراً رغم أني كنت ما أزال تلميذاً في المرحلة الثانوية.

تولعت بالشعر جداً إلى درجة أنه استهلك الكثير من وقتي، وأثر كثيراً على تفوقي الدراسي، كان ترتيبي الأول في المدرسة دائماً وبتفوق كبير، ثم صرت الأول ولكن من دون تفوق لانشغالي بالشعر، وأذكر الآن أنني كنت في الكثير من الليالي أتذكر بيتاً من أبيات الشعر وأنا نائم، أو أنظم بيتاً فأنهض من فراشي وأضيء نور الحجرة وأدوّن ذلك البيت، ثم أطفئ النور وأنام، ثم ما

ألبث أن أضيئه مرة أخرى فيستيقظ أهل البيت على حركتي تلك، وهكذا صرت أنام ومعي القلم، وحين يخطر لي بيت من الشعر أكتبه على الحائط..

وأذكر أيضاً أنني حينما كنت في الصف الثاني الثانوي كان لي مدرّس للغة العربية يحبني كثيراً وأحبه، وكان اسمه الأستاذ «محمود محمد سعد»، كان أحد رؤساء نقابات العمال أيام السلطان «عباس حلمي»، وقد طلب مني مرة أن أنظم نشيداً للعمال فنظمت له قصيدة تم تلحينها واعتمادها كنشيد للعمال، كان ذلك في عام /١٩٤٠/.. وقد ازداد تعلقي بالشعر بعد ذلك إلى درجة أنني حينما كنت أكلف بكتابة موضوع في إنشاء اللغة العربية كنت أحاول أن أكتبه شعراً فإن لم أستطع أجعل نصفه نثراً ونصفه الآخر شعراً.

تعود بي الذاكرة أيضاً إلى امتحانات نهاية تلك السنة في الصف الثاني الثانوي، وكانت تلك المرحلة الثانوية تسمى آنذاك الثقافة العامة، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات.. ففي الامتحان الشفهي للغة العربية سألني الأستاذ أن أسمعه قصيدة مما أحفظه، فقلت له لأيّ عصر من العصور تريد، قال: أَوتحفظ لكل العصور، فقلت: نعم، قال: إذن أسمعنا قصيدة من العصر الحديث، قلت له لأي شاعر تريد؟، فقال لي: لمن تحفظ، فذكرت له أسماء حوالي عشرين شاعراً من الشعراء أو أكثر، فتعجب الرجل كثيراً وسألني: لماذا تحفظ الكثير من الشعر؟ فأجبته: لأنني أحبه. وسألني إن كنت أقرض الشعر فأجبته بالإيجاب، فطلب مني أن أسمعه بعضاً مما أحفظه من شعري، فأسمعته إحدى قصائدي، وأراد أن يتأكد أنها من نظمي فسألني: من أي بحر، فقلت: البسيط، فقال: وما وزنه، فذكرت له الوزن، وتأكد فعلاً أن القصيدة من نظمي.

كانت محبتي للشعر وانشغالي به قد جعلتني أتجه فيما بعد إلى دراسة الفرع الأدبي وليس الفرع العلمي.

■ ما الذي يلح عليك من ذكريات الطفولة أكثر ولماذا؟

■■ لم يكن في طفولتي أية مشاكل، بل كانت هادئة وبسيطة، وكانت أرقى في مستواها العقلي من مستوى زملائي، ولا أذكر الآن الكثير من وقائع طفولتي إلا بضع ذكريات بسيطة، يخطر لي مثلاً أنه بسبب وفاة والدتي بعد ولادتي، وانشغالهم بها، أهملوا تسجيل تاريخ ميلادي في موعده، فتقدمت بدعوى إلى المحكمة وأرسلوني إلى طبيب من أجل تقدير سنّي الحقيقية، وكنت على ما أظن في الحادية عشرة من عمري، وقبل أن يقدر الطبيب سني قلت له: آمل أن لا تخطئ في تسنيني، فتعجب الطبيب من كلامي، كيف أن طفلاً صغيراً ينصحه، فقال لي: وأي خطأ تعني؟ قلت له: من الجائز جداً أن يولد الإنسان بعد وفاة أبيه إذا كان الأب قد توفي وترك الأم حاملاً به، قال: جائز، قلت: لكن من المستحيل أن يولد الإنسان بعد وفاة أمه، فضحك الطبيب، ثم قلت له: توفيت أمي في حمّى النفاس التي تصيب المرأة بعد الولادة، وتاريخ وفاتها معروف وهو مسجل في صك الوفاة، فلا بد إذن من أن تستند في تقدير سني إلى هذه الوثائق الخاصة بي، وقد كان تاريخ ميلادي فعلاً هو الثالث من أغسطس يوم وفاة والدتي، ولم يقع الطبيب في خطأ.

وأتذكر أيضاً قصة أخرى هي قصة زيارتي لأحد الأديرة وأنا في السنة الخامسة أو السادسة من عمري، وهو دير مشهور في جبل أسيوط اسمه: دير "درونكا" في (أسيوط) واسمه حالياً دير ((العذراء)). ما زلت أتخيل الصور نفسها ونحن صاعدون إلى الجبل ضمن جماعات غفيرة من الناس، كان ذلك منذ /٧٠/ سنة، ومع ذلك فما تزال الصورة ماثلة أمامي.

وأذكر أيضاً أنني عندما كنت في الرابع الابتدائي اشتركت في مسابقة في حفظ

المزامير، فحفظت المزمور رقم" ١٩" "السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعلمه..الخ " ومنحوني جائزة الفوز بالمسابقة إنجيلاً مذهباً، وسررت بهذا الإنجيل أيّما سرور.. وبعد انقضاء زمن على ذلك، وكان أخي الأكبر قد أصبح طالباً بكلية اللاهوت فاستعار هذا الإنجيل ليستعين به على تحضير دروسه، فأعجبه ولم يعده إلي. ثم وجدت هذا الإنجيل مصادفةً فكتبت عليه: هذا الإنجيل يخص «نظير جيد» وهو اسمي العلماني _ ولا يحق «لشوقي جيد» أن يأخذه.. ومع ذلك فقد أخذه. غير أن زميلاً له في الكلية الإكليريكية احتاج إلى إنجيل ليحضّر منه فطلب من أخي أن يعيره إنجيله فأعطاه إنجيلي نفسه، فأعجبه ولم يرده إليه، وحين قال له أخي: كيف لا ترد الإنجيل وأنت طالب إكليركي "طالب لاهوت مؤمن" أجابه صديقه: من قال لك إنه إنجيلك؟ لقد كتب عليه أنه لأخيك!!..هذا الإنجيل الثمين الذي نلته كجائزة يشهد على أنني كنت أحفظ المزامير عن ظهر قلب وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر،بل إنني كنت في تلك السن أحفظ أغلبية تراتيل الكنيسة وأنا ما أزال تلميذاً في المدرسة... ربما كانت هواية الشعر هي التي ساعدتني على حفظ هذه التراتيل، بالإضافة إلى كثرة القراءة.

وأذكر أنني ومنذ بداية التعليم الثانوي، كنت أشعر أن مستواي العقلي أرقى من مستوى زملائي، فقد كانوا يستشيرونني في حل مشاكلهم بالرغم من أنني كنت خجولاً جداً منذ الطفولة ... فعلى سبيل المثال كان أحد الطلاب في الفرقة الرياضية في المدرسة يقص علي مشاكل الرياضة والمشاكل التي يواجهها، وكان طالب آخر في فرقة الحفلات يحكي لي أيضاً مشكلاته، وكنت أخجل من أن أقطع حديثهم عن مشكلاتهم الخاصة وكانت النتيجة أنني حصلت على معلومات غزيرة في شتى مناحي الحياة.

■ هل هناك ملامح خاصة تميزت بها مرحلة الطفولة؟

■■ ما تميزت به حياتي في تلك المرحلة هو الهدوء والظمأ إلى القراءة، والصداقات العديدة مع الناس التي كان يشوبها الخجل من جانبي.

■ هل عوض لك احتضانك من قبل مرضعات بعد وفاة والدتك المبكر جداً، حنان الأم الراحلة، وأية آثار تركها ذلك في نفسك؟

■■ كثير من نساء القرية بالطبع كن يرضعنني، فصار لي أخوة في الرّضاع من كل صنف ولون ودين ومذهب. إن فقدان الأم هو فقدان نبع فياض من المحبة، وكان التعويض عن محبة الأم الراحلة هو المحبة الغامرة من الناس، ومحبتي للناس، كنت كلما قابلت أحداً من أصدقائي أغمره بحب كبير، وأرفع حجاب الكلفة بيني وبينه لذا فقد كان لديّ عدد هائل من الأصدقاء من مراحل الطفولة والصبا والشباب.. وجعل الحب الغامر من قبل العديد من الناس يغنيني عن الحب الفردي الذي يمنحه الأم والأب. ثم تحولت المحبة التي تأتي عادة من لدن الأم نحو الجماعة، والكنيسة، والمجتمع..الخ.

■ الجذور الضاربة عميقاً في صعيد مصر، تراب مصر، ونيل مصر، الأرض التي رويت عروقها بماء النيل وبالعرق، وبالدموع لتكتسي ثوبها الأخضر الجميل، ما هو أثر ذلك على مسيرة حياتكم؟

■■ علاقتي بالنيل كانت علاقة شارب الماء بالماء، وليست علاقة السابح، فأنا لم أتعلم السباحة حتى الآن، على رأي أحد الشعراء الذي قال: علاقتي بالنيل هي الأشد غيرة على الديار، هي علاقة الشرب وليست علاقة السباحة، ويقول آخر:

لا أركب البحر أخشى علي منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

لقد منحني النيل والطبيعة بشكل عام فيما بعد محبة كبيرة وتعلقاً بالأرض، وموضوع الماء كثيراً ما ذكرته في شعري في سني الشباب المبكر، وقد نظمت قصيدة صغيرة عن حالة الفقراء الذين لا يجدون قوتهم، بينما كان هناك أغنياء كثيرون يمتلكون أموالاً فائضة عن حاجتهم، كنت حينذاك في السابعة عشرة من عمري حين قلت:

حوله الأنهار تجري وبها عذب المياه وهو صاد يتشهى رشفة تشفي صداه
جف منه الحلق لكن قد تندت مقلتاه بُحّ منه الصوت من قوله دوماً آه آه

لقد كان ماء النيل بالنسبة لنا هو عنصر الحياة الرئيسي، وقد قال "هيرودوت" المؤرخ المشهور: مصر هبة النيل، ولولا النيل ما كانت مصر، كذلك فإن الملايين من المصريين قد تعلقوا بالنيل حتى أنهم أطلقوا لقب (شاعر النيل) على الشاعر «حافظ إبراهيم».. والمصريون برمتهم يدعون بأبناء النيل، وقد أوجدت الطبيعة بوجه عام رابطة عميقة بيننا وبينها، وفيما بعد وحينما دخلت إلى الرهبنة تحولت الرابطة مع الطبيعة إلى لون آخر من ألوان الطبيعة لا نهر نيل فيها.

■ ماذا عن دراستك الإعدادية والثانوية، وأية صور بقيت في ذاكرتك منذ تلك الأيام؟

■■ بسبب نقص شهادة الميلاد من أوراقي كان علي الانتساب إلى مدارس

أهلية، لأن المدارس الأميرية (الحكومية) كانت تشترط وجود مثل هذه الوثيقة الرسمية. درست في مدرسة الإيمان الثانوية في شبرا.. في أيامنا تلك لم تكن هناك دراسة إعدادية ودراسة ثانوية، بل كان التعليم الثانوي يأتي مباشرة بعد المرحلة الابتدائية ومدته خمس سنوات.. أمضيت في تلك المدرسة خمس سنوات، حتى السنة الخامسة التي تسمى بـ: (التوجيهية) وهي تعادل شهادة (البكالوريا) أو (الثانوية العامة).. كنت منتسباً إلى الفرع العلمي، وكنت الطالب الأول على الفصل على جري عادتي، غير أنني حينما انتصف العام الدراسي بدأت أعيد التفكير في مستقبلي، وقلت لنفسي: إن الفرع العلمي سيؤهلني للدراسة الجامعية العلمية، وربما أنتهي إلى دراسة الطب، وليس بمقدوري إطلاقاً أن أكون طبيباً، ذلك لأنني كنت حساساً جداً تجاه آلام الناس، فقد كنت أغادر المنزل حين يكون أحد أفراد العائلة مريضاً يكابد الأوجاع ويصرخ من الألم، لأنني لم أكن أحتمل النظر إليه وهو يتألم!!.. قلت لنفسي: إذن سأكون طبيباً أو جراحاً يفتح بطون الناس ويعيش في مثل ذلك الجو بشكل دائم؟!.. لست صالحاً لمثل هذا العمل، وعزمت على الانتقال إلى الفرع الأدبي. ورجوت أخي الأكبر الذي كنت أعيش في كنفه وتحت رعايته أن يتدبر الأمر، فقال لي: يا بني، أين سأجد لك مدرسة تقبل بك ونحن في منتصف العام، فقلت له: لا تخشَ عليّ شيئاً، فإن لم تجد لي مدرسة تقبلني، فسوف أتقدم إلى الامتحان عن طريق المنازل (الفحص الحر)، ولأن أخي كان يثق بي من الناحية الدراسية فقد قبل رجائي ووجد لي مدرسة في (الفجّالة) هي مدرسة (راغب مرجان) وكانت مدرسة أهلية أيضاً، فالتحقت بها بعد أن قبلت بصفة استثنائية.

ما زلت أذكر حتى الآن أستاذ مادة الجغرافيا. كان ضخم الجسم، ماهراً

في الرسم إلى درجة أنه كان يرسم خريطة العالم بأسره بإصبعه فقط، حتى لتجدها نسخة من كتاب الخرائط.. وفي إحدى المحاضرات وكانت تدور حول الزلازل في العالم، وجّه إلينا بضعة أسئلة في نهاية الحصة، فأجاب من أجاب، وارتبك من ارتبك.. وإذا به يتوجه إلي قائلاً: طبعاً ابننا الذي أتى من الفرع العلمي لا يعرف الإجابة، فقلت: بل أجيبك على كل ما تريد، ولخصت له الدرس بكامله مما أثار إعجابه إلى حد كبير.. ـ وأنا أشكر الربّ لأنه وهبني ذاكرة قوية جداً منذ صغري، ولا فضل لي في هذا طبعاً، فهو من عند ربي، وما تزال قوّة الذاكرة تصحبني حتى الآن ـ. وقد صار مدرّس الجغرافيا يطلب مني دائماً تلخيص الدرس الماضي في بداية كل حصة، ثم يشرح لنا درساً جديداً، ويطلب مني في نهاية الحصة تلخيصه مرة أخرى.. وقد تفوقت على جميع رفاقي في الصف في امتحان نصف السنة، رغم أنني كنت طالباً جديداً.

واتفق لي في تلك الفترة أني مررت بتجربة طريفة، فقد تقدم أحد زملائي إلى إحدى الوظائف وقبل طلبه، وسألني أن أتقدم أنا أيضاً فلم أمانع، لكن أخي لم يرتح للفكرة نظراً إلى أنني كنت في الشهادة العامة وعليّ أن أستعد لها، فطمأنته.. وقد قبل طلبي بالفعل وأصبحت موظفاً ككاتب في إحدى الإدارات، وتقدمت إلى الامتحان، ووافقت المدرسة أن أتقدم باسمها لكوني متفوقاً، وقد أحرزت النجاح والتفوق، وكنت الأول بين زملائي المتقدمين إلى الامتحان.. وعندما دخلت الجامعة حصلت على مجّانية التفوق، وكان هذا التقليد متبعاً آنذاك ـ قبل ثورة «جمال عبد الناصر» ـ أما الجامعة التي التحقت بها فكانت جامعة الملك «فؤاد الأول» (القاهرة الآن).

■ صاحب القداسة ما الذي جعلكم تتوجهون إلى دراسة التاريخ؟

■■ في مثل تلك السن لا يفكر أحدنا بعمق مثلما يفكر في سن النضج، وعلى أية حال كانت دراسة اللغات صعبة جداً على من كانوا مثلي، لأن الطلبة في تلك الأقسام (الإنكليزية والفرنسية) كانوا قد تلقوا تعليمهم في كافة المراحل بهذه اللغة أو تلك.. وكانت دراسة الفلسفة صعبة علي أيضاً، ومن المحتمل لمن كان لديه اتجاه ديني أن يتلقى أفكاراً تقلق ذهنه وتجعله غير مستقر في اتجاه معين، وكان من الصعب علي الانتساب إلى قسم اللغة العربية لأن أغلب مدرسي اللغة العربية كانوا يجمعون تدريس اللغة العربية والديانة الإسلامية في آن معاً، وكان من النادر للطلاب المسيحيين الدخول إلى هذا القسم، إلا لمن كان يرغب بالتدريس في مدارس أجنبية مسيحية ـ رغم أن هذا الأمر سبب لي إشكالاً فيما بعد ـ إذ أنني حين قررت دخول قسم اللغات السامية، وكان الانتساب إلى القسم متاحاً لطلبة الماجستير بعد تخرجهم.. قبلني رئيس القسم وقدم عني تقريراً ممتازاً جداً، ولكنني لم أقبل لأن من شروط دراسة اللغات السامية أن يكون الراغب في دراستها خريجاً في قسم اللغة العربية. وهكذا.. وجدت أن دراسة التاريخ هي الأفضل بالنسبة إلي، فقد كنت أحب التاريخ كثيراً بالإضافة إلى إيماني بفوائده الكثيرة، على رأي الشاعر الذي يقول:

ومن وعى التاريخ في صدره   أضاف أعماراً إلى عمره

ومع أنني دخلت قسم التاريخ وكنت متفوقاً فيه، فقد رغبت في الانتقال إلى قسم اللغة الإنكليزية، ووافق رئيس القسم على طلبي، غير أن رئيس قسم التاريخ رفض الموافقة على نقلي لأنني كنت الأول على دفعتي، ولأن انتقالي إلى قسم آخر حسب رأيه سيؤثر على سمعة القسم، وهكذا استمر بي الحال في قسم التاريخ إلى أن تخرجت ونلت شهادة الليسانس.

■ صاحب القداسة، هل تحدثونا عن هواجس مرحلة الشباب وأحلامها، وهل ما زالت تتأجج في أعماقكم؟

■■ كانت المرحلة الجامعية بالنسبة إلي مرحلة غنية سواء من ناحية الدراسة أو من ناحية النشاطات المختلفة.. كنت دائم الحيوية والنشاط وعضواً فعالاً في فرق الحفلات والرحلات، كنا نلتقي بالعديد من الطلبة دائماً لأننا كنا ملتزمين بتنظيم الرحلات ووضع برامجها بأقل النفقات، وفي حفلات الشبيبة كنت مشهوراً بإلقاء ألوان من الشعر والزجل الفكاهيين دائماً.. وكان الطلبة يحبون ذلك ويطربون له إلى درجة أنني ما إن أقف لأتكلم بأي كلام حتى تجدهم يضحكون جميعاً قبل أن أتفوه بكلمة واحدة، لأنهم يتوقعون مني أن أقول شيئاً مضحكاً.، كانت روح المرح تطغى على مجموعتنا بكاملها في المرحلة الجامعية، وكانت تلك الفترة أغنى فترات حياتنا بالضحكات تنطلق من أعماق قلوبنا ببساطة وبراءة فلم نكن بعد قد خبرنا مسؤوليات الحياة ومشاكلها، وكنا نتعامل فيما بيننا بقلب حار وكان جميع الطلاب أصدقاء لي.

■ سيدنا البابا، هل تذكر أسماء بعضهم حتى الآن؟

■■ أذكر أنني وبعد أن أصبحت بطريركاً، كنت مدعوّاً إلى حفل في أواخر سنة /١٩٧٨/ على ما أعتقد، أقامه السيد «ممدوح سالم» رئيس مجلس الوزراء يومذاك تكريماً لنائب رئيس جمهورية السودان، وعندما دخلت إلى الصالة رأيت الفريق «كمال حسن علي» الذي قدمه لي نيافة الصديق الأنبا صموئيل، وكان الفريق كمال مديراً للمخابرات العامة قبل أن يصبح وزيراً للدفاع ثم الخارجية، ومن ثم رئيساً للوزراء، وبعد أن تبادلنا السلام توجه إلي قائلاً: أتعرف أنك كنت تنام في بيتنا، فنظرت إليه متعجباً، فكيف أنام في بيته

وهو مدير للمخابرات.. وحين رأى دهشتي قال: أتعرف «فكري حسن علي»؟ فأجبته: نعم كان صديقاً وزميلاً لي أيام الدراسة الجامعية، وأخبرني بأنه شقيقه، فتذكرت بأنني كنت أسهر في بيته مراراً أيام الدراسة.. وعجبت كيف تذكر هذا الأمر، وتذكرت أنا أيضاً على الفور، ذلك الصديق الذي أصبح فيما بعد أستاذاً للتاريخ، ثم انتدب لتدريس التاريخ في العراق..

وأذكر الآن أيضاً أصدقاء آخرين: «يسري إلياس زهراب، وفايز عبد النور، ومحمد عبد العزيز»، وقد كان هذان الأخيران مشهورين بضحكهما المجلجل والعميق إلى أبعد الحدود، وأذكر أن ذلك الضحك أوقعني في مشكلة مع أحد المدرسين هو مدرس اللغة اللاتينية، وكانت له لهجة تثير الضحك، وكان جميع الطلبة يضحكون عندما يتكلم، ولكن من وراء ظهره.. وفي أحد الدروس كان الأستاذ واقفاً أمام السبورة، يشرح لنا بلهجته إياها، فتعالت ضحكات الجميع. وحين التفت أستاذنا إلى الوراء سكت الجميع، ما عداي فوبّخني توبيخاً شديداً. وخفت أن اضحك لأن طريقته في التوبيخ كانت مضحكة أيضاً..

كنت أحس بأن أساتذتي أنصاف آلهة يمكنهم أن يفعلوا بالطالب ما يشاؤون كما أن مستقبله بين أيديهم، وقلت لنفسي بأن هذا الأستاذ قد تضايق مني وظن بأني أضحك منه وأهزأ به، وسوف يعاملني بلا شك معاملة تضيع مستقبلي.. فجعلت أهتم باللغة اللاتينية اهتماماً شديداً، وأحضر الدرس الذي يلقيه، وأكتب الواجب وأحفظ الكلمات، وأهيئ نفسي لدرسه القادم فأُحضره قبل أن يشرحه لنا، وهكذا صرت الطالب الوحيد الذي يتجاوب مع دروس هذا الأستاذ ويجيب على أسئلته ويشعره بأنه مدرس ناجح، فقد كان جميع الطلبة

ضعفاء باللاتينية لأنها لغة صعبة.. وواظبت على ذلك حتى نسي تلك الحادثة ولم يعد يذكر سوى أنني طالب جاد في مادته تلك، حتى أنه كان يقول للطلاب أحياناً: أنا أدخل هذا السيكشن section (الصف) خصيصاً من أجل «نظير جيد».. وقد منحني ذلك قوة وتمكناً من هذه اللغة. ثم إني وضعت نصب عيني الحصول على العلامة التامة وليس مجرد النجاح بامتياز، وساعدني هذا فيما بعد في تحليل الألفاظ، ومعرفة طريقة تركيبها، واشتقاق الكلمات.. إلخ، واندفعت إلى اللغة اللاتينية ليس لأنها لغة لاتينية فحسب، بل لأنني بدأت أهتم بعلم الفيلولوجي (فقه اللغة).

وأذكر أيضاً أستاذاً آخر درس التاريخ في ألمانيا مدة خمس سنوات ثم عين في مدرستنا، وأعجبنا كثيراً بشخصيته وعلمه، وأمسكنا أقلامنا بحرص حينما دخل علينا في أول حصة كي لا تفوتنا كلمة من درسه، ولكننا وجدنا أن محاضرته كانت عبارة عن إنشاء لغوي خالص على غرار: (هذا الفرعون يظل اسمه يدوي في سمع الدنيا وفي آذان البحر، بل إن الزائر للأقصر يطالعه معبد الكرنك بقامته الفخمة وملامحه الجادة.. الخ) فخابت آمالنا وتراخت أصابعنا لأن ما قاله الأستاذ لم يكن هو ما نريده أو نتوقعه منه، وقلنا ربما كانت محاضرته الأولى وحدها على هذا الشكل أي (استعراضاً للغة)، لكن المحاضرة الثانية كانت على المنوال نفسه، وفي المحاضرة الثالثة تغيب أغلب الطلاب. كان عددنا آنذاك مئة وأربعين طالباً، حضر منهم عشرون طالباً فقط، وسجل الأستاذ أسماء الحاضرين وكنت واحداً منهم، عازماً على أن يؤدب الباقين، وجعل في كل محاضرة يمتحن اثنين أو ثلاثة منا فيسألهم أسئلة شفهية ويقدر لكل منهم علامته عن أعمال السنة. وجاء دوري أخيراً وقد كنت في السنة

السابقة الأول على دفعتي، وسألني الأستاذ عن مؤلفات (أمحوتب) فأجبته بأنها ثلاثة كتب، فقال لي: كتب فعل ماض مبني للمجهول، فهل تقصد كُتُب أم كُتِب؟ ثم أعطاني صفراً.. وهكذا أضاع علي امتيازي في أعمال السنة رغم أنني كنت ممتازاً في المواد الأخرى.

ثم حلت نهاية العام وكان الأستاذ قد وزع علينا كتاباً لـ «سليم حسن» وهو مؤرخ آثار ذائع الصيت، وكنت بالطبع قد درست هذا الكتاب، وحين دخلت الامتحان الشفهي كانت اللجنة الفاحصة مؤلفة من أستاذين، وكنت واثقاً جداً من النجاح والتفوق.. وقد أجبت إجابات مستفيضة وذكرت معلومات تدل على مدى استيعابي للكتاب ولكتب أخرى غيره، فسألني الأستاذ: ولكن من أين أتيت بكل هذه المعلومات؟ فأجبته من كتاب «سليم حسن»، ثم جاءني السؤال الثاني وكانت إجابتي حافلة بمعلومات غنية جداً أشرت إلى أنها من كتاب لـ «جيمس هنري بريستد»، وأجبت على سؤال ثالث معتمداً على معلومات وردت في كتاب ألماني مترجم إلى العربية.. فسألني الأستاذ باستغراب: ماذا كنتم تفعلون بمذكراتي إذن؟ فخجلت منه وقلت: بالطبع مذكراتك هي الأساس وارتبكت كثيراً، وبصعوبة كبيرة قدرت اللجنة علاماتي ستة من عشرين رغم كفاءتي وتمكني من الإجابة، وبذلك ضاع علي الامتياز في تلك السنة.

■ صاحب القداسة، وما الذي بقي من هواجس وأحلام الشباب وأيامه؟

■■ تركزت أحلام الشباب في تلك المرحلة بالطبع على اجتياز الدراسة والبحث عن عمل مناسب.. بالنسبة إلي كان الاتجاه الديني قد بدأ ينمو في داخلي ويتعمق على نحو متزايد، فيما كنت لاأزال طالباً في الجامعة، وكنت أعد نفسي لهذا الأمر إعداداً مسبقاً، وكان العديد من قصائدي الشعرية يدور في فلك

الدين.. كنت أحب زملائي وأمرح معهم، لكن داخلي كان معموراً بشوق كبير إلى حياة أوسع وأعمق من إطار حياتي الجامعية.. كان مرحي الظاهر مجرد استهلاك محلي وحسب، ولم يكن مهيأً للاستمرار لحياة ما بعد التخرج من الجامعة.

كنت قد تعلمت قواعد الشعر وأساليب نظمه منذ سنة (١٩٣٩) أي حين كنت في سن السادسة عشرة، وفي تلك السنة نفسها كنت قد بدأت التدريس في مدارس الأحد، وازداد حجم عملي في هذا المجال حينما صرت طالباً في الجامعة، ولما بلغت السنة النهائية التحقت بكلية اللاهوت وقبلت بصورة استثنائية، لأن المنتسب إلى تلك الكلية ينبغي أن يكون متخرجاً من الجامعة، وقد اشترطوا علي بألا أتقدم إلى امتحان القبول إلا بعد تخرجي في قسم التاريخ.. على هذا النحو كنت أجمع ما بين التدريس في مدارس الأحد، والدراسة في الكلية الإكليريكية، وفي كلية الآداب في القاهرة.. وقد نمت أشعاري في مناخ روحي، وكان نزوعي قوياً إلى الزهد في متاع هذا العالم وإلى الرهبنة، وليس مرد ذلك إلى أنني كنت انطوائياً، بل إنني على العكس من ذلك كنت بالغ النجاح في حياتي الاجتماعية، لكن الدافع الكامن في أعماقي كان أقوى من كل ما هو معروض أمامي، وأذكر بأنني كتبت قصيدة ألقيتها في آخر سنة لي في الجامعة تلقي الضوء على حالتي تلك، وكانت بعنوان (غريب):

غريباً عشت في الدنيا نزيلاً مثل آبائي
غريباً في أساليبي وأفكاري وأهوائي
غريباً لم أجد سمعاً أفرغ فيه آرائي

يحـــار النـــاس فـــي ألفـــي ... ولا يـــدرون مـــا بـــائي
يصيـــح القـــوم فـــي هـــرجٍ ... وفـــي صخـــبٍ وضوضـــاء
وأقبـــع هاهنـــا وحـــدي ... بقلبـــي الـــوادع النـــائي
غريبـــاً لـــم أجـــد بيتـــاً ... ولا ركنـــاً لإيوائـــي

* * *

تركـــت مفـــاتن الدنيـــا ... ولـــم أحفـــل بناديهـــا
ورحـــت أجـــر ترحـــالي ... بعيـــداً عـــن ملاهيهـــا
خلـــي القلـــب لا أهفـــو ... لشـــيءٍ مـــن أمانيهـــا
نزيـــه الســـمع لا أصغـــي ... إلـــى ضوضـــاء أهليهـــا
أطـــوّف هنـــا وحـــدي ... ســـعيداً فـــي بواديهـــا
بقيثـــاري ومزمـــاري ... وألحـــانٍ أغنيهـــا
وســـاعاتٍ مقدســـةٍ ... خلـــوت بخـــالقي فيهـــا
أســـير كـــأنني شـــبح ... يمـــوج لمقلـــة الرائـــي
غريبـــاً عشـــت فـــي الدنيـــا ... نزيـــلاً مثـــل آبـــائي

* * *

كســـبت العمـــر لاجـــاه ... يشـــاغلني ولا مـــال
ولا بيـــت يعطلنـــي ... ولاصحـــب ولا آل

هنـــا فـــي الديـــر آيـــات تعزينـــــي وأمثـــــال
هنـــا الإنجيـــل مصبـــاح ولايخفيـــــه مكيـــــال
هنـــا لاتُرهِـــب الرهبـــا ن قضبـــــان وأغـــــلال
ولا تلهـــو بنـــا الدنيـــا فإدبـــــار و إقبـــــال
أقـــول لكـــل شـــيطان يريـــــد الآن إغوائـــــي
حـــذارك أننـــي أحيـــا غريبـــاً مثـــل آبـــائي

كنت أيام الشباب ذلك الطالب الذي يقوم بتنظيم الرحلات والحفلات، وينظم الأشعار الفكاهية الساخرة ويلقيها في الحفلات ليضحك رفاقه وخلانه، ولكنّ في أعماقه سراً يريد أن ينطلق، غير أن أوانه لمّا يحن بعد..

أذكر الآن أنني نظمت قصيدة عنوانها (هوَ ذا الثوب) كي ألقيها في حفلة لجنة الشعر في كلية الآداب، تخيلت فيها سيدنا «يوسف الصديق» عندما سحبت امرأة سيده ثوبه كي يقترف الخطيئة معها، وقلت في نفسي لعل هذه الأفكار جالت في ذهن يوسف ذلك الحين، وقد جاء فيها:

هـــو ذا الثـــوب خذيـــه إن قلبـــي ليـــس فيـــه
أنـــا لا أملـــك هـــذا الثـــوب بـــــل لا أدعـــــيه
هـــو مـــن مالـــك أنـــت لـــــك أن تســـترجعيه
إنمـــا قلبـــي قـــد أقســـمت ألا تدخلـــــــيه
أنـــه ملـــك لـــربي وقـــــد استـــودعَنيه

هكذا كانت حالة القلب من الداخل... أما من الخارج فقد كان ذلك القلب الذي يضحك مع الناس ويتبادل النجوى معهم. لقد قررت أن أعيش مع الناس وأسعدهم ما استطعت ما دمت موجوداً بينهم، وحين أخلو بنفسي أصفو لها وأعيش لربي إلى أن يطلقني الله بسلام من جو العالم إلى حياة الرهبنة، وإذا ما وصلت إلى هذه الغاية فلا يساورني أي ندم على إساءتي لأحد أو على تقصيري في التعبير عن محبتي. كنت أعيش مع أهل بيتي (بيت أخي) بالروحية نفسها، فكان أبناء أخي ينظرون إليّ على أنني القلب المحب الذي يشاركهم ضحكاتهم ولهوهم وأفراحهم باستمرار، وعندما أغادر البيت متجهاً إلى الكنيسة يوم الأحد كنت أتحدث في الروحانيات والنسكيات وسير القديسين، كنت أجمع بين هاتين الشخصيتين معاً، ولا أرى أي تناقض بينهما، بل أرى فيهما لوناً من ألوان التكامل، أما في الخلوة فثمة شيء آخر.. يستطيع الإنسان في الخلوة أن يعيش مستغرقاً في الصمت والهدوء والتأمل، ولكن عليه أن يعيش مع الناس مندمجاً بهم، ولا يتعبهم بانطوائه وصدوده تاركاً التأمل لوقت خلوته.

يخطر لي الآن مقطوعة زجلية ألقيتها في حفل أقيم آخر السنة الأولى في الجامعة وكان الطلبة يشكون مرّ الشكوى من مادة الجغرافيا، وكانوا لا ينجحون إلا بمجهود جبار. في ذلك الوقت كانت حرب ألمانيا وإيطاليا الدوتشي حامية الوطيس، قلت في المقطوعة:

حاجة غريبة بدَخْلها بالعافية فِمخي ما تدخلشِ

بنشوف في الأطلس أمريكا وألمانيا وبلاد الدوتشي

ازاي خدو صورة أمريكا بالدقة وصمت ما يفرقشي

ما تقلي فأي فوتوغرافيا، وتقول وتقول ما هصدقشي

ورياح مبلولة تجيب ميّه، ورياح جافة ما تمطرشي

ورياح بتغير وجهتها ورياح تمشي ما تحوّدشي

أنا عقلي اتلخبط بين ديّهْ، وديه وبين ديه وديه ما فرقشي

حاجة غريبة بدخلها بالعافية فمخي ما تدخلشي

هناك أيضاً نادرة أخرى حدثت في السنة الثانية وكان رئيس قسم التاريخ يومها هو عميد الكلية واسمه «د. حسن إبراهيم حسن»، وكانت تربطني به صداقة متينة وبأخيه، (د. علي) أيضاً، وكانا يدرّسان التاريخ الإسلامي، وقد كنت متفوقاً جداً في هذه المادة.. بعد مدة من الزمن ترفع د. حسن وأصبح مديراً عاماً، على هذا النحو كانت الترقيات تتم بالتدريج، أما اليوم فيمكن لعميد الكلية أن يصبح وزيراً، ولم يكن ذلك سهلاً في تلك الأيام، فدرجات الترقية كانت شحيحة.. المهم في الأمر أننا أقمنا حفلاً بمناسبة ترقية العميد، وكانت هناك منافسة بينه وبين رئيس قسم الجغرافيا على عمادة الكلية، فألقيت قصيدة هاجمت فيها مادة الجغرافية فأرضى ذلك العميد الحالي وأرضى الطلبة أيضاً وكذلك أساتذة الجغرافية لأن فيها نوعاً من المزاح بيني وبينهم وقلت فيها:

يا ما نفسي شهر واحد بس مش عاوزه يزيد

يعملوني فيه عميد أو حتى نائب للعميد

كنت أعمل للسكشن كلها ترتيب جديد

كنت أخلي الشخص يتخرج تقول زي الحديد

كنت أمشّي الشخص منكم ع العجين ما يلخبطوش

كنت ألغي قسم جغرافيا ومش ناقصين مدايقة

متنا من كتر المذاكرة، ومش لاقيين لمذاكرتنا حايقة

من غير دراسة الجغرافيا تبقى دراسة الكلية رايقة

مش ظريف الاقتراح ده يخليكم ما تسقطوش

بس أنا يا خسارة عايش وسط ناس ما يعبّروش

لو كانوا يعرفوا اللي جرالي كانوا ما يسيبونيش

يعني لو ما كنتش أعرف المناخ ده استوائي أبقى جاهل؟!

يعني لو ما كنتش أعرف الجبل ده التوائي أبقى جاهل؟!

يعني من غير إيه زيو وكيني زيو وميزي زيو أبقى جاهل؟!

ثم أعقب ذلك حفل آخر لخريجي قسم التاريخ وكان التهكم ينصب على قسمنا هذه المرة، فطلبوا مني قصيدة فكاهية للمتخرجين، وكنا نحن في السنة قبل الأخيرة:

يا من ستتركنا كان بدي أهديكا ... طبلة وكمنجة وزمارة ومزيكا

حتى تزمر في لهو وفي طرب ... وترقص الجو فوقيكا وتحتيكا

فاليوم تخرج من (لومانِنا) فرحاً ... ونحن نترك للتأبيد بعديكا

إنّي عجبت لقسم لانصيب له ... احترت لاخيرلي فيه ولاليكا

وقد بصرت بباب النحس منفتحاً ... بدرفتيه وباب الحظ مصكوكا

كان بدّي مبخرة حتى أبخّرك — من عين هيئة تدريس تعاديكا
من عين نصحي وعواد ومن بدوي — ومن خفاجة ومن قوم تحدّوكا
جماعة يهلك التلميذ بينهم — مهما اشتغلت لهم شغلاً ألوتيكا

وأذكر أنه كانت لدينا في مادة اللاتيني قاعدة (أويز) مثل حرف F بالانكليزية كما تقول F=Future + Present، وقاعدة اسمها (جيوروندو) فوجهت خطابي للطالب الذي سيتخرج قائلاً له:

قل هل سئمت من (أتمع) قواعدها — وما وجدت بها أشياء ترضيكا
أم هل برمت من (الجيروند) مقتحماً — يقول في كل سطرٍ فيك لفيكا

كنا في غاية المرح وكذلك أساتذتنا، نضحك صاخبين دون أن نحيد عن جادة الصواب، وحين كنا نخرج من هذا الجو المرح يعود كل منا إلى انشغالاته الخاصة. بالنسبة إلي كنت في سنة التخرج أهيئ نفسي للتفرغ الديني، فالتحقت بكلية اللاهوت وتفرغت لها، وأكملت دراستي فيها وتخرجت منها وكنت الأول على الخريجين، ثم عينت في هيئة التدريس في الكلية ذاتها بالإضافة إلى التدريس في مدارس الأحد كما ذكرت. والواقع أن نشاطي كان متعدداً، فقد كان علي أحياناً التدريس في ثلاث كنائس خلال الأسبوع. كان الدرس الرئيسي لدي في كنيسة «الأنبا أنطونيوس» في شبرا، وكان هناك درس آخر في كنيسة العذراء في روض الفرج، ودرس ثالث في بيت مدارسي في روض الفرج. كان الدرس الأول يوم الجمعة صباحاً، والثاني بعد ظهر الأحد، والثالث في السابعة مساء.

بعد تخرجي من كلية اللاهوت عملت رئيساً لتحرير مجلة مدارس الأحد.. وتعمقت في الدور الديني إلى مداه، ثم أصبحت مدرساً في مدرسة الرهبان بحلوان، ورغم أنني علمانيّ فقد درَّست الرهبان.

وتوسعت لدي النشاطات الدينية فكنت أعظُ في كنائس عديدة جداً، وفي محافظات مختلفة وفي مناطق كثيرة في القاهرة، وبتّ معروفاً تمام المعرفة قبل أن أصير راهباً.

■ قداسة البابا، ننتقل إلى تجربتك في الجيش كضابط احتياط، وما الذي قدمته لك؟

■■ في أيامنا كان طلبة الجامعة معفيين من التجنيد، وكان من الممكن دفع بدل نقدي لمن يريد الإعفاء من الجيش، ولكنني تطوعت وأنا ما أزال طالباً في الجامعة، وقضيت ثلاث سنوات في التدريب العسكري اليومي في منطقة سيدي بشر أولاً، ثم في المندرة بالإسكندرية وكنت في الجيش أيضاً الأول بين الخريجين في مدرسة المشاة.

في الجيش تعلمت فضائل كثيرة أولها النظام والجدية، والتدقيق، والنشاط والاعتماد على الذات، كنا نستيقظ باكراً فيرتب كل منا فراشه ويخرج إلى العمل بمنتهى النشاط.. كانت تلك الفترة مفيدة جداً من الناحيتين النفسية والجسدية، فقد كانت هناك تدريبات رياضية وعملية تستلزم الصبر والجلد، إضافة إلى الطاعة والانضباط.

وأذكر أنني أثناء فترة التدريب كنت مسؤولاً عن وجبات الطعام في شهر رمضان، فكنت أبذل اهتماماً كبيراً بطعام السحور والإفطار، وكان الطلبة

يرشحونني دائماً لذلك لأنني كنت جاداً في هذا الشأن شديد الإخلاص لهم، وما زال زملائي الذين عايشوني في تلك الفترة يذكرونها بالخير، ومن بين الذين كانوا معي في تلك الفترة الأخ «سعيد زايد» الذي تولى الإشراف فيما بعد على البرامج العسكرية في الإذاعة وكان برنامجه جميلاً جداً..

كنت حريصاً على خدمة زملائي، متفوقاً في دراستي للنظريات العسكرية، ولم تكن تلك الفترة تخلو من المرح أثناء حفلات الكلية مع مراعاة الجدية المطلوبة.. وأذكر أنه في أحد الأيام صدر قانون خاص يتعلق بالحقوق العسكرية للضباط الاحتياط، وقد تم صدوره ضمن مرسوم ملكي، ولكن هذا القانون لم يُنفّذ وهو ما أغضب الكثير من الزملاء، وسبب لهم حزناً فقاموا بإضراب في الخارج، وجاءنا قائد الكلية وكانت تجمعني به محبة كبيرة وهو (محمد بيه بهجت) جاء ليلقي علينا محاضرة في النظام العسكري: ينبغي وينبغي.. إلخ، واسترسل في كلام طويل بينما الطلبة غير مبالين، ثم أذن لمن يريد التعليق أن يتكلم، فطلبت الكلام وتوجهت إليه قائلاً: لقد تعلمنا درساً جميلاً في الحياة العسكرية ألا وهو الطاعة فسرّ قائد الكلية كثيراً، وتابعت: إن الجيش من دون طاعة لايعتبر جيشاً على الإطلاق، ويؤسفني أن جلالة القائد الأعلى للجيش قد أصدر مرسوماً ملكياً لتنظيم حقوق الضباط الاحتياطيين وأنا واحد منهم، ولكنه للأسف لم ينفّذ وظل حبراً على ورق ويتوجب علينا إطاعته!!.. فضحك «بهجت بيه» وقال ما الذي تريدونه إذن؟ فذكرت له عدداً من مطالبنا ووعدنا بتنفيذها وكان متجاوباً معنا إلى أقصى حد.. ذلكم هو الجو الذي كنا نعيشه.

■ قداستكم هل اكتسبتم تجربة معينة أيام وجودكم في الجيش؟

■■ أشياء كثيرة جداً، فعندما تخرجت من الكلية سنة /١٩٤٧/ كان

نظري قوياً جداً وكنت أستطيع أن أصيب عصفوراً على تل بعيد - ليس كالآن -. إن الجيش مرحلة مفيدة جداً في حياة الشباب، وأقول للمتخوفين منه من أبنائنا: ستستفيدون غاية الفائدة وستعود عليكم هذه التجربة بالخير وبالفضائل الكثيرة.

أذكر أننا في بداية التحاقنا بالجيش قضينا أربعين يوماً في التدرب على الخطوة المنتظمة وعلى الضبط والربط.. كنت حينما أمشي في الطريق أسعى إلى أن تكون خطواتي متوافقة مع خطوات من أصادفه يسير إلى جانبي. فإذا كانت خطواته غير منتظمة كنت أنزعج لهذا الأمر وأقول في نفسي: يالهؤلاء الناس المجانين وغير المنظمين، وقد وصل بي الأمر إلى أن صرت أمشي مع أي مرافق لي مراعياً أن تكون خطواتنا متوافقة، وما أزال حتى الآن أمشي تلك المشية الجدية المنتظمة.

■ صاحب القداسة، حينما تنظر إلى نفسك وترى الآخرين فتمنحهم من نبضك أحلى إيقاعات المحبة، وتتألم غاية التألم من أجلهم، أما يزال هذا هاجسك حتى الآن؟

■■ بالتأكيد.. يشهد على ذلك القصيدة التي كتبتها عن الفقير والتي أسمعتك إياها، فقد عبرت فيها عن هذا الشعور تماماً.. كان هذا هو هدفنا في الخدمة لأننا في مدارس الأحد تعودنا على خدمة الناس، لم يكن هدفنا أن نعلم الناس الفضيلة وحسب وإنما أن ندربهم على أن يعيشوا الفضيلة من ناحية، وأن نقدم لهم القدوة العملية الحسنة.. كانت حياتنا باستمرار تتركز على خدمة الآخرين والسعي إلى نفعهم، أذكر واحدة من الخدمات التي أديتها في وقت من الأوقات وكرست نفسي لها حيناً من الزمن، فقد تسلمت إدارة أحد ملاجىء



الأيتام في شبرا وكان الأيتام ينادونني (بابا) مع أنني كنت صغيراً على الأبوة.. كنت أحب هؤلاء الأيتام محبة عظيمة، وأزيل الحواجز بيني وبينهم، كانوا يشعرون بأنهم يجالسون صديقاً لهم وليس مديراً لمؤسستهم، إلى درجة إنني حينما كنتُ أريد أن أوزع عليهم الهدايا، لم أكن أشتريها بنفسي وأقدمها لهم، بل كنت أصطحب الكبار منهم إلى مخزن الهدايا وأترك لهم حرية اختيارها، وأدفع الثمن ثم نخرج محملين بهداياهم التي انتقوها بأنفسهم.

وأذكر أنني حينما دخلت ذلك الملجأ أوّلَ مرة، لاحظت أن جميع الطلاب يرتدون زياً موحداً، ووجدت أن هذا غير سليم إطلاقاً من أجل وضعهم النفسي لأنهم يبدون مختلفين عن سواهم، متميزين بزيهم هذا. يشير إليهم الناس بأنهم أولاد الميتم.. فطلبت من مجلس الإدارة أن يشتروا لكل منهم ملابس تختلف عن ملابس زملائه في اللون والنوع. وفي إحدى المرات جاءني طالب من طلبة السنة النهائية في التعليم الثانوي وقال لي: إن عنواني في المدرسة يميزني عن بقية الناس لأنه عنوان الملجأ فماذا أفعل؟!.. فقلت له: ليكن عنوانك هو عنوان منزلي الشخصي حتى لايميزك عنوان الملجأ عن سواك.

وكنت أُراعي أوضاعهم النفسية كل المراعاة، وأُعاملهم كما لو كانوا أصدقاء لي، وأساعدهم في دراستهم، وأعينهم على حل مشاكلهم الاجتماعية، وأذكر أنني في ذلك الحين نشرت مقالات عديدة حول تربية الأيتام تحت عنوان: (عاملوهم برفق).. وكنت أرى أن بعض هؤلاء الأيتام كانوا يستخدمون كعازفين موسيقيين أثناء مواكب الجنازات، فشعرت بأن في هذا إهانة كبيرة لهم، وطلبت أن يتوقف هذا الأمر. وعرفت أيضاً أن مديري بعض الملاجئ كانوا يعمدون إلى تصميم مطبوعات تحمل نبذة عن المكان يتم بموجبها جمع التبرعات، وينشرون فيها

صوراً لبعض الأولاد الأيتام، أرجح بأنها تسبب لهم أذىً نفسياً فيما بعد.. فكنت أهاجم هذا الأسلوب، وأسعى إلى تغييره، لم يكن المهم بالنسبة إلي أن يتخرج هؤلاء الأطفال ويكسبوا رزقهم وحسب. وإنما وبشكل أكبر أن يتمتعوا بنفسيات سوية لايعتريها أي اضطراب يسبب لهم ألماً فيما بعد.

كنت وباستمرار أنحاز إلى جانب الضعفاء والمقهورين ضد الكبار والأقوياء، وأذكر أنني وقفت ضد شخص في إدارة هذه المؤسسة أكثر من غيره هو أمين الصندوق، كنت أحس بأنه يسعى لإثبات نجاحه في هذا العمل من خلال تكوين رصيد مالي كبير للمؤسسة، فكتبت في إحدى الأيام مقالة افتتاحية عنوانها: (شيطان الرصيد)، وقلت إنّ أمناء الصندوق يظنون بأن نجاحهم هو في تنمية الرصيد وزيادته، ويفخرون بأن مالية المؤسسة أصبحت في عهدهم أكبر بكثير عما كان عليه في السابق، ولكني أرى في هذا دليل فشل كبير، فالوضع السليم هو إنفاق ما في الصندوق لا زيادته.. والله تبارك اسمه حينما يرى الصندوق فارغاً يملؤه بدعم من عنده، وعندما يراه ممتلئاً يقول لنا: اعتمدوا على ما عندكم من مال، وعندما يفرغ ما لديكم أهبكم غيره.. كان هناك صراع بين اتجاهين: اتجاه يؤيد الإنفاق وكنت أمثله، وآخر يؤيد زيادة الرصيد ويمثله أمين الصندوق، وأتذكر أنني في ذلك المقام قلت إن ما كان يضايق (يهوذا) من المسيح هو أن المسيح كان ينفق من الصندوق باستمرار على الفقراء إلى حد أنه حينما طلبت منه الجزية لم يكن لديه في الصندوق مايدفعه فقال لـ «بطرس الرسول» ارم السنارة في البحر.

وهكذا فإن هدفنا السامي يتمثل في الإنفاق. وأذكر في هذا الصدد بيتاً لطيفاً من الشعر «لإيليا أبي ماضي»:

فهـــي بالإنفـــاق تبقـــى   وهـــي بالإمســـاك تفنـــى

كنا نتعامل مع الفقراء من هذا المنطلق، غير أن رجال مجلس الإدارة كانوا يشككون في الفقير، في حين كنت أشفق عليه بطبيعتي، وأذكر أن امرأة فقيرة طلبت معونة من مؤسستنا فسألتها عما يمكن أن تفعله بالنقود فقالت بأنها ستبيع ليموناً كبائعة متجولة ويكفيها خمسون قرشاً ـ يوم كان للقرش قدرة شرائية كبيرة ـ فأعطيناها المال وانصرفت.. وبعد ثلاثة أشهر عادت لتطلب معونة أخرى من مجلس الإدارة فلم يعطوها وقالوا لي: لقد تبين أنك رجل أصيل لكنك تُخدع بسهولة فقد أعطيت المرأة ما يكفيها، وعادت لتطلب المال من جديد، فقلت لهم كما قال السيد المسيح: لاتزعجوا المرأة، وسألتها عن السبب فقالت بأن أجرة الغرفة التي تسكنها قد عجزت عن سدادها أربعة أشهر، وقد باعت رأس مالها لتسددها، فقلت لهم: انظروا بعين العطف إلى الناس ولاتسيؤوا الظن بهم، فلكل إنسان ظروفه، وعلينا أن نتفهم الحقيقة بدلاً من أن نسيء الظن. ومازلت حتى الآن أعامل الناس على هذه الصورة الرحيمة.

«ذكر أحد الحضور، بأن البابا ساهم في زرع كلية لإنسان بسيط بمبلغ كبير منذ مدة قريبة».

■ سيدنا البابا، ما هي المحطات الهامة التي استوقفتكم وأثرت بكم في أيام الدراسة؟

■■ الدراسة بوجه عام هي إعداد لحياة مستقبلية، والمحطة الأولى والرئيسية هي الالتحاق بالدراسة المناسبة، والمحطة الثانية هي تحقيق النجاح في هذه الدراسة. إن ما تميزت به حياتي الدّراسية هو اهتمامي الكبير بالبحوث

التاريخية أكثر من اهتمامي باستيعاب المقررات المطلوبة في الامتحانات.

كنت أهتم بالبحوث التاريخية اهتماماً كبيراً، وكانت هذه البحوث تعتبر مادة مستقلة توضع لها علامة أعمال السنة ورغم أنها كانت تأخذ منا وقتاً طويلاً على حساب باقي المواد.. وذلك هو شأني، غير أن هذا كان يزيدني خبرة في طرائق البحث، فلتحضير أحد الموضوعات كنت أذهب إلى مكتبة الكلية ثم إلى دار الكتب للبحث عن المراجع.

وأذكر أنني عندما كنت أعلّم في كلية اللاهوت كنت أطلب من طلابي بحوثاً فيسألوني عن المراجع فأقول لهم إن التعرف على المراجع، هو جزء من البحث، وعليكم أن تبحثوا بأنفسكم وتستدلوا على المراجع. كنا أحياناً ندرس (الانسكلوبيدا بريتانيكا) دائرة المعارف البريطانية فنقرأ الموضوع ونقرأ تحته (البيبلوغرافيا) قائمة بأسماء الكتب التي تتناوله، وكان أحدنا ينقب في هذه الكتب لأن من المحتمل أن ترشده إلى مراجع أُخرى وهكذا.. إن البحث في المراجع هو جزء من البحث العلمي المطلوب، يعرّف الباحث بمصادر العلم وبكيفية الحصول عليها. من المتيسر حالياً الوصول إلى ذلك عن طريق الكومبيوتر، وبلمسة زر واحدة يعرف الباحث الكتب والمراجع وكافة المعلومات التي يريدها ثم يسجلها على الطابعة فتصبح جاهزة، وهو مما يقلل من دور العقل البشري في البحث.

كان العلم بالنسبة لنا في البداية يتمثل في الإقبال على الدراسة ثم النجاح فيها، ومن ثم محبة العلم. ذاته محبة العلم للعلم، محبة المعرفة للمعرفة. ويصبح الشأن هنا أبعد من النجاح والرسوب والشهادات والتقديرات العلمية، بل التلذذ بالمعرفة. ثم يأتي بعد ذلك أمر في غاية الأهمية وهو الوصول إلى

ماهية المعرفة التي يسعى إليها الإنسان، فمعرفة الذات شيء، ومعرفة الله شيء آخر، وهناك معرفة الفضيلة، ومعرفة الحق، ومعرفة الأشياء المجردة. إن معرفة الغاية من الشهادات العلمية ومن المعرفة هي متعة في حدّ ذاتها. وقد صار لها عندي فيما بعد أهداف روحية وإلهية مثلما نقول في بعض صلواتنا: اللّهم أعطني من معرفتك. كما أنّ لدى إخوتنا المسلمين درجة اسمها درجة العارفين بالله، أي الذين تعمقوا في المعرفة إلى أن وصلوا إلى المعرفة الإلهية.

■ صاحب القداسة، ما هي الخطوات الأولى على طريق العزلة الصوفية، متى كانت ولماذا؟ وكيف ومتى بدأت حياة الرهبنة؟

■■ نشأت حياة الرهبنة في البداية في أواخر القرن الثالث للميلاد. وأوّل راهب في العالم هو القديس (أنطونيوس) الذي صار أباً لجميع الرهبان. ولد هذا القديس في عام ٢٥١م وترك عالمنا الفاني سنة ٣٥٦م. وقد عاش حياته الرهبانية في أواخر القرن الثالث. غير أن قواعد الرهبنة في الحقيقة كانت تضرب جذورها في القدم، وكان موطنها البراري والقفار. نحن نسمع عن (إيليا) النبي أنّه كان يسكن الجبال. ويروي لنا الكتاب كيف أنه اعتزل على جبل الكرمل زمناً. وعاش (يوحنا المعمدان) في البراري إلى أن بدأ خدمته المقدسة وهو في سن الثلاثين. وما كانوا يسمونه بمدرسة الأنبياء في القديم، حين كان الأنبياء يسكنون الجبال ويعيشون حياة البتولية، ورد ذكره في العهد القديم. وقد سبق الرهبنة بزمن طويل تلاميذ المسيح، نذكر منهم (يوحنا) البتول و(بولس) الرسول وكان بتولاً أيضاً، ويوحنا المعمدان كان بتولاً، والمسيح نفسه كان بتولاً والسيدة العذراء كانت بتولاً و(إيليا) النبي كان بتولاً.

لقد كانت حياة البتولية معروفة في القديم. كان السكن في الجبال والقفار معروفاً، وكانت حياة الصلاة أو التدرب على الصلاة الدائمة قديمة العهد أيضاً. فحنّة ابنة «فنوئيل» التي عاصرت ميلاد المسيح أمضت أربعاً وثمانين سنة بعد تأملها عاكفة على الصلاة. غير أن حياة الأب «أنطونيوس» جمعت كل هذه التجارب فشملت حياة البتولية وحياة الوحدة وسكن الجبال وحياة الصلاة الدائمة، بالإضافة إلى وضع قواعد روحية أولية للرهبنة عمادها التفرغ إلى الله. وقد عرفت الصوفية الإسلامية أيضاً تجربة التفرغ إلى الله ومحبة الله، بالرغم من أن بعض المتصوفين الإسلاميين اتهموا باتهامات شتى نجمت عن إدراك لخطورة ما قالوه أو لأن بعض الناس لم يتعمقوا فيما أراده الصوفي. وفيما قاله الذين وجهت إليهم الاتهامات على غرار «الحلاّج» مثلاً. ومن أشهر المتصوفين الذين خاضوا تجربة التصوف «رابعة العدوية».

وأذكر أن الأستاذ الدكتور «عبد الرحمن بدوي» ألّف كتاباً عن «رابعة العدوية» بعنوان شهيدة العشق الإلهي. ولرابعة أشعار في غاية الجمال والرقة. المهم في الأمر هو روحانية الفكرة ومدى تطبيقها عملياً، والخلاصة أن الرهبنة كانت موجودة منذ القرن الثالث للميلاد، وكان لها جذورها في العهد القديم قبل المسيح، ثم جاءت تجربة التصوف في التاريخ الإسلامي. هذا من الوجهة التاريخية، أما من وجهة روحانية الفكرة فمردها إلى أن الإنسان يريد أن يتفرغ لله كلياً، ولهذا فقد قال أحد الآباء عبارة بسيطة يمكن أن تلخص تجربة الرهبنة برمّتها: إن الرهبنة هي الانحلال من الكل من أجل الارتباط بالواحد. إنها الانحلال من جميع الناس ومن جميع الأشياء والمقتنيات... بغية الارتباط بالواحد، بالله. ولكن كيف يمكن أن يتم هذا، إنه تدريب طويل يلج فيه

الراهب ويتدرج معه شيئاً فشيئاً. فإن كان مخلصاً في سريرته وعمله، فإنه يصل إلى ما وصل إليه كبار الرهبان والقديسين. أما كلمة رهبنة فهي ترجمة غير دقيقة للكلمة اليونانية «موناخوس» وتعني كلمة موناخوس: متوحد، وفي الفرنسية يسمونها «موانِ» " Moine " وفي الإنكليزية «مَنْك» " Monk " وقد شاعت كل هذه الكلمات في اللغات الحديثة بطريقة الاشتقاق من بعضها بعضاً. وهي تختلف عن كلمة الرهبنة باللغة العربية. فالرهبنة: مشتقة من الرهب يعني الخوف من الخطيئة أو الخوف من إغراءات العالم، لكن هذا المعنى يمثل البعد السلبي للكلمة وليس البعد الإيجابي. فالبعد السلبي للرهبنة هو الخوف من السقوط، والبعد الإيجابي فيها: هو التعمق في الحب الإلهي.

أما متى بدأت حياة الرهبنة؟ فأفضل إجابة على ذلك أن أعكس السؤال ليصبح: متى بدأت الرهبنة حياتها فيَّ. إن الرهبنة تبدأ في القلب وذلك قبل أن يأخذ صاحبها وضعه الرسمي حين يرسم راهباً في أحد الأديرة. كانت الرهبنة في البداية تعني موت القلب عن العالم ويبدأ الموت عن العالم في القلب، فإذا مات القلب عن العالم دخل صاحبه في الرهبنة، وبعد ذلك يأخذ الوضع الرسمي فيصبح راهباً. تبدأ الرهبنة فينا قبل أن نبدأ فيها على نحو رسميّ. وهذا ما حدث لي في الواقع، فقد بدأت أشعر أن كل شيء في العالم لايشبع القلب من الداخل، كانت عملية الموت عن العالم أو موت العالم في قلب الإنسان قد بدأت تستولي على قلبي وتنمو فيه يوماً بعد يوم، وكنت أعبر عن تلك الأحاسيس في سلسلة مقالات شرعت في كتابتها في الفترة الممتدة مابين عام ١٩٥١ و١٩٥٤ حيث أني ترهبنت سنة ١٩٥٤ وقد جاءت هذه المقالات تحت عنوان: (انطلاق الروح). وما أقصده هنا هو انطلاق الروح من روابط العالم كلها حين

تكون الروح طليقة في علاقتها مع الله. وأذكر الآن واحدة من هذه المقالات كان عنوانها: «لست أريد شيئاً من العالم» كتبتها قبل دخولي الرهبنة، قلت من بين ما قلته: لست أريد شيئاً من العالم فليس في العالم شيء أشتهيه (هذه صورة عن تجارب المبتدئين) وقلت أيضاً: لست أريد شيئاً من العالم لأن العالم أفقر من أن يعطيني ما أريد، فلو تحقق الذي أريده في العالم لانقلبت هذه الأرض سماءً، ولكنها مثلما أرى لا تزال أرضاً. لست أريد شيئاً من العالم لأنني لست من العالم، وكل ما أريده هو التخلص من هذا العالم، أريد أن أنطلق من إساره. وأتذكر أيضاً أنني كتبت قصيدة حول هذا المعنى تعبر فكرتها الرئيسية عن نهاية كل شيء، والمقصود هنا هو أن مصيرنا في يوم من الأيام أن نترك الدنيا ونرحل إلى العالم الآخر، وكل ما نبحث عنه ونجاهد في سبيله سوف نخلفه وراءنا وراحلين عن هذا العالم. لابُد إذن أن نستعد لهذا الموت قبل أن يأتينا. وأذكر في هذه المناسبة قول السيد المسيح للغنيّ الغافل:

«أهدّم في مخازني وأبني أعظم منها وأجمع مقتنياتي..» هذا ما كنت أفكر به حين نظمت قصيدة بعنوان: وماذا بعد هذا. كان ذلك في عام ١٩٤٨ بعد تخرجي من الجامعة بسنة، حين بدأت الفكرة تتبلور في داخلي وأنا ما أزال طالباً في الجامعة. وقد نشرت القصيدة في مجلة «ندرت» عام ١٩٤٨ وجاء فيها:

سأهدم في المخازن ثم أبني ... وأجمع فضتي وأضم تبري
وأغرس لي فراديساً كباراً ... بأثمار وأطيار وزهرِ
وأقطف وردةً من كل غصن ... وأطرب مسمعي من كل طير

فأبني معبداً للمال ضخماً أقدّم فيه قرباني وشكري
وأسعد بالحياة ومشتهاها وأهنأ في رفاهيةٍ وخيرِ
وماذا بعد هذا، ليت شعري سألقى الموت مهما طال عمري
فهذا المال ياويحي عليه سأترك كل أموالي لغيري
وأفنى مثل مسكين فقير وأرقد مثله في جوف قبري
ونسمة قبره ستهب حولي ولاتفريق بين غنىً وفقرِ

المقصود هنا ليس شؤون المال وإنما شؤون عظمة الإنسان:

سأسكن في قصور شاهقات وأحيا مثلما تشتاق نفسي
وأرقى مثلما أبغي وأعلو وتشرق في سماء المجد شمسي
أسير فتشخص الأبصار نحوي وأحسب كل تاج فوق رأسي
وتحني هامها الدنيا خضوعاً ويحتفل الوجود بيوم عرسي
وأملأ ساحة الدنيا غروراً وأهمل كل ترتيل وقدس
وتهتف كل حنجرة باسمي وأصبح وسط تمجيد وأنسِ
وماذا بعد هذا ليت شعري سيجري ضائعاً يومي كأمسي
وأفنى مثل صعلوك حقير وأرقد مثله في جوف رمس
ونسمة قبره ستهبّ حولي ولاتفريق في مجدٍ وبؤس

ثم أذكر في الأبيات القادمة بأن العظمة تأتي من خلال العلم، هناك بالطبع أشياء أخرى كثيرة، ولكني ركّزت على العلم:

سأقضي العمر في جد وكدٌ وأجلس فوق عرش العلم وحدي
وأصبح مرجعاً في كل فنٌ وأبني من جلال العلم مجدي
وأغدو قبلةً في كل نادٍ ولا ألقى على الأيام نِدّي
يسير أعاظم العلماء خلفي ويأتي ذكرهم في المدح بعدي
وترفع دولة الأبحاث قدري وتخشى دولة الأقلام نقدي
وأبدي رأي نابغة بعلمي فترتجّ المجامع حين أبدي
وماذا بعد هذا ليت شعري أحقاً ثروة الأفكار تُغدي
سأفنى مثلما يفنى جهول وأرقد مثله في جوف لحد
ونسمة قبره ستهبّ حتماً تماماً مثلما ستهب عندي

الحياة إذن بمجموعها لا تستحق من الإنسان أن يتعب من أجلها، فسيأتي عليه حين من الدهر، يتركها فيه لا محالةَ، شاء أم أبى. يتوجب عليه إذن أن يبحث عن الأشياء التي لا تبقى معه ولا يبقى معها، ألا وهي محبة الله، وتلك هي الغاية في العالم الآخر. أشير هنا إلى آية مشهورة من أقوال القديس «بطرس الرسول» يقول فيها: "غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى، بل إلى التي لا تُرى، لأن التي ترى وقتيّة والتي لا ترى أبديّة". عند هذه النقطة تبدأ الفكرة الرهبانية في التجلي: إننا سنعيش في هذا العالم ونبلغ أقصى مداه وحتى منتهاه، وماذا بعد، لاشيء، سوى الخواء وقبض الريح الحكمة إذن

تتمثل في الاهتمام بالعالم الآخر. ونحن نبدأ العالم الآخر من الآن، أو كما يقول بعض الآباء " نتذوق الملكوت من الآن إلى أن نذهب إليه فيما بعد". هكذا بدأت أعدّ نفسي لهذا الأمر. إن عليَّ واجبات في هذا العالم لابد أن أنتهي منها، لا بأس، إن للناس حقوقاً علي لابد أن أوفّيها لهم. حسنٌ، لم أكن أفكر إذن فيما إذا كان ينبغي أن أحيا الرهبنة أم لا أحياها، بل كنت مصمماً عليها ماضياً نحوها، فلما وجدت الوقت مناسباً اندفعت إلى حياة الرهبنة، وكان هذا يعني بالنسبة إلي حياة الوحدة الكاملة، أي أن ينفرد الإنسان ويمعن في الانفراد ويلج في عمق حياة الوحدة حتى يصل إلى نهايتها. وهذه الدرجة هي التي يسمونها في كتب الآباء درجَة السوّاح، أي الذين سيهيمون في الجبال، ليس لهم مكان معين يقيمون فيه، وإن اختاروا مكاناً وعُرف ذلك المكان لجؤوا إلى غيره، وعاشوا بلا اسم ولا لقب ولا مكان ولا دير. وحول هذا المعنى كتبت آخر قصيدة، وذلك قبل بدء حياة الرهبنة في يوليو (تموز) سنة ١٩٥٤م وقد جاء فيها:

أنا في البيداء وحدي ... ليس لي شأن بغيري
لي جحر في شقوق التل ... قد أخفيت جحري
وسأمضي منه يوماً ... ساكناً مالست أدري
تائهاً اجتاز في البيداء ... من قفرٍ لقفرِ
ليس لي دير فكل البيد ... والآكام ديري
لا ولا سورٌ، فلن يرتاح ... للأسوار فكري
أنا طير هائمٌ في الجو ... لم أشغف بوكر

أنـــا فـــي الدنيـــا طليـــق ... فـــي إقامـــاتي وســـيري

أنـــا حـــر حيـــن أغفـــو ... حيـــن أمشـــي حيـــن أجـــري

وغريـــب أنـــا، أمـــر النـــاس ... شـــيء غـــير أمـــري

ثم يممت شطر الرهبنـة كـي أحيا تلك الحياة الطليقـة، بدأت أولاً بحيـاة المجمع في «دير السـريان» واخترت لـي اسماً هو «أنطونيـوس السـرياني»، لسببين:

أولاً: لأنني كنت أحـب حيـاة الأب أنطونيـوس أول راهـب عـاش حيـاة الرهبنـة، ووضـع أسسـها، وكـان كل عظمـاء الرهبنـة فـي القرن الرابـع مـن تلاميذه. وثانياً لأنني نشأت في كنيسة الأب أنطونيوس في شبرا، وكنت متعلقاً باسم الأب أنطونيوس، والسرياني: ثم عشت في دير من الأديرة القبطية اسمه دير السريان، وسمي ديـر السـريان لأن أغلب الرهبـان فـي وقت مـن الأوقـات كانوا من السريان. وحينما بدأت الرهبنة في مصر لـم يكـن لهؤلاء أديـرة فـي بلادهم، فكانوا يعيشون في هذا الدير. ولما انتشرت الرهبنة في كل أنحاء العالم صار للسريان أديرتـهم الخاصـة. بعد أن أمضيت فـي الدير فترة انطلقت إلـى مغارة قريبة من الدير على بعد ثلاثة كيلو مترات ونصف، وعشت فيها وحيـداً، ثم ذهبت بعد ذلك إلى مغارة أخرى على بعد حوالي اثنـي عشـر كيلـو متراً من الدير وعشت عزلـة فيهـا، فكنت أقضـي الأسـابيع دون أن أرى وجـه إنسـان، وكانت تلك الأيام أسعد أيام حياتي وأقربها إلى الله.

■ أين يقع دير السريان حالياً؟

■■ يقع هذا الدير في وادي النطرون. ولنا في ذلك الوادي أربعـة أديـرة،



أذكر منها دير السريان ودير «الأنبا بيشوي»، ولي الآن مقر في دير «الأنبا بيشوي».

■ قداسة البابا، دراساتك الدينية أين ومتى بدأت؟

■■ تنقسم دراستي الدينية إلى قسمين، دراسة خاصة ودراسة رسمية. فالدّراسة الرسمية كانت في الكلية الإكليريكية، أي كلية اللاهوت القبطية الأرثوذكسية، وقد بدأت في عام ١٩٤٦م وتخرجت منها سنة ١٩٤٩م. كان موقع الكلية في القاهرة وفي منطقة شعبية، ثم نقلت/الكلية إلى منطقة (الأنبا رويس) التي نعيش فيها، غير أن دراستي اللاهوتية سبقت ذلك بزمن طويل، لأنني كما قلت، لك قد بدأت خدمتي في مدارس الأحد عام ١٩٣٩ قبل التحاقي بالكلية الإكليريكية، وخلال تدريسي في مدارس الأحد كنت أقرأ كثيراً كي أتعمق في المعرفة الدينية واللاهوتية، ولما دخلت الكلية كان مقصدي أن أدخل من الباب الرسمي. وبعد تخرجي من الكلية بدأت الدراسة الخاصة. وحتى هذه اللحظة لا يمر عليّ أسبوع من غير أن أقرأ شيئاً جديداً لأن العلم ليس له حدود ينتهي عندها، وعلى الإنسان أن يستكثر من العلم في كل يوم من حياته، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

■ التدرب في الكنيسة القبطية خلال سنوات الخدمة وكيف كان ذلك ومتى؟

■■ فيما يخص التدرب في خدمة الكنيسة فقد بدأت هذا التدرب كمدرّس في مدارس الأحد في شبرا عام ١٩٣٩ ثم كثرت الفروع التي كنت أدرّسها. وبعد حين تكرست للخدمة في بعض المناطق، كما [illegible] أيضاً، كنت مديراً لبيت الأبناء ومدرساً في الكلية الاكليريكية ثم مدر[illegible] [illegible]ـة الرهبان وقد [illegible] هذه [illegible] سنة ١٩٥٤ وفي تلك السنة [illegible] حياة



الرهبنة. كنت راغباً في الابتعاد عن الكهنوت، ولكني رُسِمتُ كاهناً سنة ١٩٥٨ لحاجة الدير إلى أبٍ مشرف. وفي عام ١٩٦٢ صرت أسقفاً للمعاهد الدينية والتربية الكنسية والكلية الإكليريكية ومدارس الأحد، وفي الفترة ما بين عامي ٦٢ ـ ٧١ كنت أسقفاً وفي ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١ رسمت بطريركاً، ومازلت أمارس هذا الموقع حتى الآن.

■ قداسة البابا، الكنيسة القبطية متى تأسست وكيف؟ وما دور القديس مرقس في تأسيسها وإدخال المسيحية إلى مصر؟

■■ بداية الكنيسة المصرية كانت في منتصف القرن الأول على يد مار مرقس الرسول، أحد تلاميذ المسيح، وهو الذي أسس كنيسة مصر وكذلك كنيسة ليبيا، فقد ولد في إقليم (برقة) في ليبيا.

تمثل دور «مار مرقس» في إنشاء الكنيسة، أما دوره الثاني فكان إنشاء أول مدرسة لاهوتية في العالم، أطلق عليها مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وقد أسس الكنيسة على أسس ثقافية وطيدة. وكان لهذه المدرسة حواراتها الشهيرة مع فلاسفة المدرسة الوثنية الفلسفية.. ومن المعروف أن الإسكندرية لم تكن خالية من الأديان ولم يكن التبشير بدين جديد فيها سهلاً حين جاءها «مار مرقس».. فقد ازدهرت فيها العبادات الفرعونية لمصر القديمة كعبادة رع وآمون وإيزيس وأوزوريس وحورس وست وغيرهم.. انتشرت أيضاً العبادات اليونانية منذ غزو «الإسكندر» لمصر سنة ٣٢٣ ق.م. وفي عهد دولة البطالمة من خلفاء الإسكندر قد أراد الإسكندر أن يقيم مصالحة بين العبادات اليونانية والفرعونية فأنشأ معبداً للسيرابيس في (الفيوم) معروف بمعبد السيرابيوم في الفيوم ولأنه كان يعرف أن المصريين يعبدون الكبش آمون رسم

نفسه بقرني الكبش فسمي «الإسكندر ذو القرنين» لكي يتقرب من المصريين في عبادتهم، بعد ذلك خضعت مصر لحكم الرومان بعد موقعة (أكتيوما) سنة ٣١ ق.م. والتي انتصر فيها «أكتافيوس» قيصر روما على «أنطونيوس» و«كيلوباترا»، وأصبحت مصر بعد ذلك ولاية رومانية تجاورت فيها العبادات الفرعونية بقيادة «رع» كبير الآلهة الفرعونية والعبادات اليونانية بقيادة «زيوس» كبير آلهة اليونان والعبادات الرومانية بقيادة جوبيتر كبير آلهة الرومان، وعرفت الأسكندرية أيضاً العبادة اليهودية، وبعض الأديان الشرقية التي اعتنقها العديد من النازحين إلى الإسكندرية لأن الإسكندرية كما يسمونها عروس البحر الأبيض كانت موئلاً لكثير من الهجرات القادمة من الشرق ومن الغرب، في خضم كل هذه التعقيدات وقف «مار مرقس» لكي ينشر المسيحية ويرسخها بين كل هذه الفلسفات فأنشأ مدرسة الإسكندرية لكي تكون سنداً ومرجعاً ثقافياً ولا يكون الأمر مجرد نشاط يقوم به رجال دين، بل وإلى جانب ذلك جهود علماء ورجال فكر.

وكان «مار مرقس» في الوقت الذي يدير فيه الكنيسة في مصر يشارك في تأسيس كنائس أخرى في أوروبا وآسيا.. وفي عام ٦٨ ميلادية قتله الرومان الوثنيون، واستشهد في سبيل دعوته وخلفه أسقف مساعد له هو «أنيانوس»، وفي ذلك الحين لم يكن في مصر سوى أسقف واحد هو «مار مرقس» وقد رسم له أسقفاً مساعداً هو «أنيانوس».

وفيما بعد بدأ البابوات يشعرون بالحاجة إلى رسامة أساقفة في البلاد، وبدأ أسقف الإسكندرية يرسم أساقفة فسموه البابا على اعتبار أنه أب للآباء الكثيرين الذين تمّ ترسيمهم.

■ ومن هنا جاءت هذه التسمية "البابا"؟

■■ **نعم من هنا جاءت هذه التسمية وسبقت الأسكندرية روما في ذلك، وهذا يعني أن لقب بابا شاع في الإسكندرية قبل أن تعرفه روما بزمن طويل.**

■ قداسة البابا بالمناسبة، ما هو ترتيبكم بين بابوات الإسكندرية؟

■■ **ترتيبي هو البابا (١١٧).**

■ ثم تحدث البابا شنوده عن بيت «مار مرقس» أول كنيسة مسيحية:

■■ **ليس هناك بيت نال شهرة أكثر من بيت «مار مرقس»: ففي هذا البيت أكل السيد المسيح الفصح مع تلاميذه الأطهار، وفيه غسل أرجلهم، وفيه أعطاهم عهده، جسده ودمه الأقدسين، وفيه اختفى التلاميذ قبيل القيامة، وفيه حل الروح القدس على التلاميذ وتكلموا بألسنة شتى. كما كان هذا البيت العظيم أول كنيسة مسيحية في العالم، وإحدى قاعاته هي علية صهيون المشهورة.**

وقد وردت هذه الحقائق جميعاً، في كافة مراجعنا القبطية التاريخية وأكدتها أيضاً كتب الكاثوليك والبروتستانت وكافة الطوائف الأخرى.

ومن الشهادات على ذلك ما ذكره الأب «بول دورليان شينو» في كتابه (قديسو مصر) حيث قال: إن «مرقس» عرف باسم ابن مريم (جارة ومضيفة المسيح) وإن (بيت مريم حيث احتفل المسيح بالفصح الأخير كان على جبل صهيون على صخرة كبيرة).

وثمة شهادة واضحة أخرى، وهي ما سجله الكاردينال بارونيوس (من أشهر علماء الكاثوليك في القرن ١٦) حيث قال عن بيت «مار مرقس» إنه:

(كان محط رحال المسيح وتلاميذه: ففيه أكل الفصح معهم وفيه اختفوا بعد موته، وفي عليةٍ منه حل عليهم الروح القدس. وقد كان هذا البيت أول كنيسة مسيحية).

وهذه الحقيقة عينها ذكرها ثيئودسيوس من كتاب القرن السادس في كتابه عن الأرض المقدسة الذي نشره Gildemeister واسمه: "De situ Terrae Sanctae".

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: إن بيت «مار مرقس» كان مركزاً للحياة المسيحية في أورشليم.

ولأن السيد المسيح صنع الفصح في بيت «مار مرقس»، فقد أجمع العلماء على أن «مار مرقس» كان هو الرجل حامل جرة الماء الذي عناه الرب بقوله لتلميذيه: "اذهبا إلى المدينة، فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه وحيثما يدخل فقولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذ فهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة".

وقد أشار إلى هذا الأمر "الكسندر" من كتاب القرن السادس في كتابه "Landatio Barnabaoe".

"هذه العلية التي في بيت مرقس، هي التي كان يجتمع فيها تلاميذ الرب يواظبون بنفس واحدة على الصلاة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته وهي التي قصدها الكتاب بقوله: "ولما دخلوا صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها".

وفي هذه العلية حيث كانوا مجتمعين، حل عليهم الروح القدس "وملأ كل

البيت".. و"امتلأ الجميع من روح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة.. وهكذا يكون هذا البيت المقدس قد شهد بدء قيام الكنيسة الأولى".

لذلك ليس عجيباً أن يكرس هذا البيت للرب ويصبح أول كنيسة.. وعندما خرج بطرس من السجن بمساعدة الملاك لجأ إلى هذا البيت مباشرة.. وكما يقول عنه الكتاب: "جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب بمرقس، حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلون".

هذه البيئة الروحية العجيبة، أي إنسان تقدمه لخدمة الرب؟ إنسان ينشأ في حضن هذه الأم القديسة، ووسط أقارب من رسل المسيح، وفي هذا البيت الذي دخله الرب، وقدم فيه جسده ودمه، والذي ملأه الروح القدس..

أي إنسان تقدمه هذه البيئة إن لم يكن ناظر الإله مار مرقس الإنجيلي، الذي انضم إلى تلمذة الرب، وصار من خاصته، واختاره الرب ضمن تلاميذه السبعين.

■ قداسة البابا شنوده.. هل صحيح أن مصر عرفت أول كنيسة في التاريخ؟

■■ أول كنيسة في التاريخ لاشك هي كنيسة أورشليم.. "كنيسة القدس" على اعتبار أن المسيحية بدأت أولاً في فلسطين، وتلاميذ السيد المسيح استقروا أولاً في فلسطين، لكن كنيسة مصرأقدم كنيسة في أفريقيا، ولذلك فهي تعتبر أم الكنائس في أفريقيا ومن أقدم كنائس العالم، وأشهرها في الدراسات اللاهوتية، فقد أسست فيها أقدم مدرسة لاهوتية في العالم.. ومن المعروف أن كنيسة مصر أسست قبل كنيسة روما وسبقت في الزمن كنائس أوروبا كلها.

■ هل الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية هي أول كنيسة بنيت في أرض مصر، وهل صحيح ما يرجحه البحاثة (بطلر) أنها أول كنيسة بنيت في العالم المسيحي كله؟

■■ لا شك أن الكنيسة المرقسية في الإسكندرية هي أول كنيسة بنيت في مصر، ذلك لأن كنيسة مصر معروفة في التاريخ باسم كنيسة الإسكندرية ورئيسها معروف باسم بابا الإسكندرية، وقد اشتهرت في العالم بالكرسي الإسكندري فكونها أقدم كنيسة في مصر أمر معروف ولاشك فيه، أما مسألة كونها أقدم كنيسة بنيت في العالم المسيحي فربما استند البحاثة (بطلر) في هذا الأمر إلى أن الكنائس قديماً كانت نادرة وسط العالم الوثني الذي كان يضطهد الكنائس ومع ذلك فقد كانت تبنى كنائس، وكان المسيحيون أحياناً يتعبدون في المغارات وفي المقابر بطريقة سرية لأن الدولة الرومانية كانت شديدة البطش جداً ومصممة للغاية على نشر الوثنية وعدم السماح لأي دين غير وثني أن يقوم، ولم ينته هذا الاضطهاد الوثني إلا سنة ٣١٣ ميلادية، حين أصدر «الملك قسطنطين» "مرسوم ميلان" الذي لم يكن في واقع الأمر سوى مرسوم للتسامح الديني سمح فيه بوجود أديان أخرى غير الوثنية فبدأت المسيحية تستقر ولكن قبل ذلك كان هناك عصر حافل بالشهداء المسيحيين ولذلك فإن التقويم القبطي يسمى بتقويم الشهداء. ويبدأ من عام ٢٨٤ ميلادية حينما اشتد الاضطهاد الديني وازداد عنفه الدموي أيام الإمبراطور وهكذا جعلت الكنيسة تقويمها عام ٢٨٤ ميلادية في عصر الدماء على اعتبار أن الكنيسة قد تأسست على الدماء!

لم يكن الاستشهاد في ذلك الحين استشهاداً من قبل الأفراد وحسب، وإنما

من قبل مدن بأسرها.. هناك شهداء (إسنا) على سبيل المثال ـ مدينة إسنا كلها قُتلت ــ.. قتلوا كل المسيحيين فيها.. كذلك شهداء أخميم لأن كل المسيحيين قتلوا فيها... وفي بعض الأحيان كان المسيحيون يقتلون بالآلاف، وفي إحدى المرات قتلوا خمسة أبناء على حجر أمهم وهي تشجعهم على الاستشهاد من أجل الاحتفاظ بالإيمان وعدم قبول الوثنية، وكان الرومان أحياناً يرغمون الجنود قبل الحرب أن يخروا للأصنام لأخذ بركة الآلهة الوثنية فكان المسيحيون يرفضون ذلك. فكانوا بالتالي يقتلون.

■ ما هو تأثير الاضطهاد الروماني على الكنيسة المصرية؟!

■■ لقد زادها قوة وصلابة إلى درجة أن الكنيسة تعتبر نفسها قد بنيت على دماء الشهداء وكان العديد من الناس يدخلون في المسيحية كرد فعل على الوحشية التي كان يعامل بها الشهداء ومن قبل معذبيهم الذي يطلبون منهم الدخول في الوثنية، ونتيجة لبعض المعجزات التي كانت تحدث على يد بعض الشهداء.. ولم تستطع الوثنية بكل قوتها وأسلحتها وفلسفتها واضطهادها أن تقضي على المسيحية، وفي النهاية آمن الإمبراطور «قسطنطين» بالمسيحية ويؤكد المؤرخون: إن المسيحية هي التي أعطت قوة «لقسطنطين» ولم يكن «قسطنطين» هو الذي منح القوة للمسيحية.. فالمسيحية ولاشك هي التي ساندته، وإذا كان الإمبراطور «قسطنطين» قد أصدر "مرسوم ميلان" سنة ٣١٣ ميلادية فقد أقيم في سنة ٣٢٥ ميلادية أول مجمع مسكوني في العالم وكان مندوبو الكنائس فيه ٣١٨ أسقفاً، وقبل ذلك كان البابا «الكسندروس الإسكندري» قد عقد مجمعاً مقدساً في الإسكندرية حضره مائة من أساقفة مصر وليبيا الخاضعين لرئاسته.

لقد كان هناك إذن انتشار للمسيحية كبير جداً قبل «قسطنطين» ولذلك فحين أصدر «قسطنطين» قراره بالتسامح الديني فقد كان ذلك في الواقع اعترافاً بالواقع الموجود وكان يعكس أيضاً إصرار الدولة الرومانية على استمرارها في ذبح الناس.

■ ولماذا اختار السيد المسيح مصر ملجأ له من الاضطهاد الروماني من وجهة نظرك.. هل كان يعود ذلك لدور مصر الحضاري وتقاليدها الإنسانية؟!

■■ في الحقيقة كانت مصر مركزاً حضارياً كبيراً منذ القدم كما كانت محطاً لزيارات كثير من الأنبياء الأول فقد زارها «إبراهيم» أبو الأنبياء، وزارها «يعقوب» أبو الأسباط الاثني عشر وعاش فيها «يوسف الصديق» وزير التموين لمصر، والذي أنقذها من المجاعة، بل كان الرجل الثاني في الدولة، كذلك ولد فيها «موسى النبي» وأصبحت مصر بسبب قربها من فلسطين أيضاً وحضارتها العريقة مركزاً كبيراً وقد قيل في الإنجيل: إن «موسى» قد تهذب بكل حكمة المصريين.. وكان المصريون مشهورين بالعمل والمعرفة والتدين.. إنهم لم يصلوا في الحقيقة إلى دين سماوي لكنهم كانوا يمتلكون كل المؤهلات الدينية الرفيعة وكانوا يؤمنون بالخير والفضيلة والثواب والعقاب والدينونة وخلود النفس.. وفي عهد «أخناتون» وصلوا إلى التوحيد فكانت لديهم الاستعدادات الفطرية القلبية لقبول أي دعوة سماوية وكانوا مؤهلين لذلك.

حقيقة إنهم لم يعرفوا الله معرفة حقيقية لكنهم عرفوا الصفات الإلهية وعبروا عنها بتعدد الآلهة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما أراد السيد المسيح أن يبارك مصر لكي يعطيها استعداداً لقيادة المستقبل أو مكانة متقدمة في المستقبل التاريخي.

ولا يمكن أن ننسى مسألة أخرى حدثت قبل ميلاد المسيح بحوالي ٢٨٠ عاماً وهي أن التوراة أو العهد القديم ترجم في مصر لأول مرة في التاريخ إلى اللغة اليونانية لغة العصر في عهد «بطليموس الثاني» ثاني خلفاء «الإسكندر المقدوني الأكبر» على يد سبعين عالماً من علماء اليهود في اللغة العبرانية وتم بالفعل ترجمته من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية، وسميت بالترجمة السبعينية، وهي أقدم ترجمة للكتاب المقدس في العالم للعهد القديم وليست للإنجيل.. وكانت أكثر لغات العالم ثقافة هي اليونانية المنتشرة وهو ما مهد لظهور النبوات ولانتشار الرموز الدينية.

كذلك كانت هناك مكتبة الإسكندرية وهي أعظم مكتبة في العالم آنذاك في خزائنها مئات الآلاف من المخطوطات من شتى فروع العلم فكانت مصر مؤهلة لقيادة العالم ثقافياً وعلمياً لأن بلاد اليونان على الرغم من ثقافتها المتعددة اتجهت إلى الفلسفة أكثر، والفلسفة لا تصل إلى عامة الناس؛ أما مصر فقد اتجهت إلى العلم أكثر من الفلسفة فكان لها ذلك السبق في الفلك وفي الطب والصيدلة والكيمياء والهندسة وفي علوم كثيرة للغاية، لقد كانت مصر دولة كبيرة وعظيمة وجاء ذكرها في العهد القديم: "مبارك شعب مصر" في نبوءة أشعيا.

وقد استطاعت مصر بعد ذلك أن تتعمق في الفكر المسيحي وأنشئت فيها جامعة مسيحية باسم "مدرسة الإسكندرية القديمة" التي حلت محل المدرسة الوثنية، فضلاً على أن مصر بموقعها المتوسط كانت تستطيع الاتصال بكثير من البلدان في العالم.. ومع ذلك كله يمكن أن نقول ببساطة: إنه اختيار إلهي أن يحدث كل ذلك بركة لمصر.

■ قداسة البابا شنوده.. حين دخلت المسيحية مصر احتلت الكنيسة المصرية مكانة كبيرة في العالم المسيحي وكانت مدرسة الإسكندرية الدينية لا تقل شهرة عن مدرسة الإسكندرية الفلسفية في عصر ما قبل المسيح، ما هو دور كنيسة الإسكندرية في المجامع المسكونية وفي الزعامة اللاهوتية في كافة أرجاء العالم المسيحي؟!

■■ احتلت مصر مكانة عظيمة في المجامع المسكونية نتيجة للثقافة اللاهوتية الضخمة التي تلقاها آباء الإسكندرية وبخاصة في القرن الثاني والثالث والرابع بالذات، حيث كان كثير من بطاركة الإسكندرية من أساتذة الكلية اللاهوتية. لذلك احتلت مصر مكانة عظيمة في المجامع المسكونية وبخاصة في القيادة اللاهوتية، فأول مجمع مسكوني عقد في نيقيا عام ٣٢٥ ميلادية، وكان بطل هذا المجمع هو القديس (إتيناسيوس) الشماس الإسكندري الذي اصطحبه البابا الإسكندروس البابا التاسع عشر ثم فيما بعد صار بطريركاً للإسكندرية عام ٣٢٨ ميلادية، وفي المجمع المسكوني الثاني الذي عقد في القسطنطينية عام ٣٨١ ميلادية كان البابا «تيمو ساوس الإسكندري» من أشهر باباوات المجمع ومن أشهر العناصر فيه لدرجة أنني قرأت في الجزء الرابع عشر من مجموعة كتابات آباء نيقيا وما بعد نيقيا والجزء الرابع عشر هو الجزء الخاص بقوانين الكنيسة، إن أبانا القديس «تيمو ساوس الإسكندري» حين زار مجمع القسطنطينية سألوه عدة أسئلة أصبحت إجاباتها فيما بعد قوانين للكنيسة وأصبحت كل إجابة صدرت عنه قانون كنيسة، وأصبحت تسمى بقوانين أبينا القديس «تيمو ساوس الإسكندري»، وهذا في حد ذاته دلالة على مدى اعتبار العالم لبابوات الإسكندرية إلى درجة أنهم في وقت من الأوقات

سموا بابا الإسكندرية البابا المسكوني. إذ كان كثير من أساقفة العالم يتتلمذون في الإسكندرية، وأستاذ مدرسة الإسكندرية فيما بعد يصبح بابا الإسكندرية ويغدو كثير من الأساقفة تلاميذه.

في مجمع أساسوس المجمع المسكوني الثالث الذي عقد في أساسوس عام ٤٣١ ميلادية كان رئيس هذا المجمع هو البابا «كيرلس الإسكندري الأول» الذي كانت بعض قوانين الكنيسة من وضعه إلى أن حدث الانقسام الأول في الكنيسة عام ٤٥١ ميلادية وصارت الكنيسة القبطية وحدها، ونحن حالياً نعمل على حل الإشكالات التي حدثت في مجمع خلكيدون وتمكنا أن نصل إلى اتفاق مع غالبية الكنائس.

■ ما هو الدور العالمي الذي لعبته الكنيسة المصرية في تأسيس كنيستي السودان وإثيوبيا.. ما هو تأثير كنيسة الإسكندرية الأم عليهما؟!

■■ الكنيسة في مصر هي التي نشرت المسيحية في بلاد النوبة والسودان وهي التي نشرت المسيحية في أثيوبيا، والبابا «أثناسيوس الرسولي» البطريرك العشرون من أباطرة الإسكندرية هو الذي رسم أول أسقف لأثيوبيا عام ٣٢٩ ميلادية.. وكانت كنيسة الاسكندرية ترسم لهم مطارنة وأساقفة أمامهم فكانوا يرسمون لهم كهنة طوال قرون عديدة ومازال لنا مطرانان في الخرطوم ومطران في أم درمان. وكانت كنيسة أثيوبيا خاضعة خضوعاً مباشراً للكنيسة القبطية وكانت هذه الكنيسة ترسل لها مطارنة أقباط حتى عام ١٩٤٨ حينما طلبوا رسامة أساقفة أثيوبيين لهم يكونون خاضعين للكنيسة القبطية فتم ترسيم خمسة أساقفة في ٢٤ يوليو ١٩٤٨ وبعد ذلك ترقية مطران ثم جاثليق إلى أن صار لهم بطريرك خاص بهم.

ويعتبر «مار مرقس شفيعاً» للبندقية (فينيسيا) في إيطاليا وله مكانة كبيرة في روما أيضاً.

■ مسيحيو مصر وحدهم هم الذين يُطلق عليهم لفظ "قبط" ولعل هذا يعني المعنى "الوطني" وليس فقط المعنى الديني.. فهل يعني هذا تمسك أقباط مصر بوطنهم؟!

■■ بالتأكيد فكلمة قبط معربة من "ايجبت" أي مصري وكلمة أقباط تعني مصريين ومجرد تسميتنا بأقباط يعني انتمائنا الوطني لمصر. والحقيقة أن محبة الأقباط لمصر محبة تفوق كل وصف ومع ذلك ففي بعض البلاد الأخرى يوجد مثل هذا التشابه على غرار السريان الأرثوذكس، فاسم السريان مأخوذ من اسم سوري، وهناك أيضاً نوع من الانتماء الوطني، ويقال: السريان الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس. ولدى الكنائس القديمة أيضاً يوجد الارتباط الوثيق والقوي بالوطن. وقديماً كانت الكنيسة القبطية تسمى بكنيسة الإسكندرية. وعرفت في التاريخ بهذا الاسم طوال وقتها.

■ لقد وقف أقباط مصر كخط دفاع أول أمام الغزاة، حتى الذين رفعوا منهم راية الصليب مثل الصليبيين!

■■ الصليبيون جاؤوا من الغرب ولا علاقة لهم بالأقباط.. الأقباط وقفوا ضد الصليبيين وكانت لهم روحهم الوطنية في الدفاع عن تراب مصر، وكانوا مع صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين.

والحقيقة إن اسم الصليبيين تسمية خاطئة لأنهم غزاة أجانب ومن الممكن تسميتهم أقوام من الغرب.. غزاة أجانب ولكنهم لم يكونوا ينتمون إلى الصليب في شيء!.

■ صاحب القداسة، ماذا تعني الكرازة المرقسية؟

■■ الكرازة تعني مناطق نشر المسيحية. والكرازة البطريركية: هي المناطق التي كرز فيها القديس «مرقس الرسول» والتي أصبحت تابعة للكرسي المرقسي حتى بعد القديس «مرقس الرسول». بدأ القديس «مرقس الرسول» خدمته في الإسكندرية ونشر الرهبنة في ليبيا، ثم أسس الكنيسة الليبية في منتصف القرن الأول للميلاد، ولنا حالياً في ليبيا كنيسة في طرابلس وكنيسة في مسراطة، وفيما بعد بدأت الكنيسة القبطية تخدم في السودان، ولنا في هذا البلد حتى الآن مطرانيتان تقع إحداهما في الخرطوم والثانية في أم درمان. في سنة ٣٢٩ تم تأسيس كنيسة قبطية في إثيوبيا الحبشة، وقد أرسل إليها القديس «أثناسيوس»، وأول أسقف لها كان اسمه «أفرومنتيوس»، وسماه الأحباش «أمير السلام». ثم شرعت الكنيسة القبطية بعد ذلك تنتشر في بلاد كثيرة ومنها بلاد النوبة، حتى أن اسم النوبة هو الآن من أسماء بطريرك الكنيسة القبطية. والكنيسة القبطية اليوم تخدم في بلدان كثيرة في إفريقيا، في كينيا وفي زامبيا وزيمبابوي وزائير، وتخدم كذلك في ناميبيا وفي تنزانيا وفي جنوب أفريقيا، ولنا كنائس عديدة في تلك البلدان، كما لنا كنائس تخدم حالياً في أوغندا.

■ صاحب القداسة، ما هي الحقيقة التاريخية لوضع أقباط مصر؟ وما هو دورهم في التكوين التاريخي الاجتماعي؟

■■ كلمة قبطي: تعني مصري ـ وقبط: تعني مصر. فالأقباط هم المصريون الذين تسموا بهذا الاسم منذ القديم. ولكن حينما تعددت الأديان في مصر كالمسيحية والإسلام أطلقت كلمة أقباط على المصريين المسيحيين. وتعني كلمة الأقباط في اللغة المصريين، وذلك تبعاً للاشتقاق أو للعرف

المصري المسيحي. وتاريخ الأقباط يعود إلى تاريخ الفراعنة فالفراعنة هم أجدادهم، وفي العصر المسيحي تسموا بالأقباط ومازالوا يسمون حتى الآن.

■ ما هو الأساس العرقي للأقباط ؟ هل هم عنصر قومي متمايز؟ أم تشكيلة دينية اجتماعية؟

■■ بالنسبة إلى الأقباط فإن أصلهم من أبناء الفراعنة القدماء تحدروا من حام شقيق سام، وحام أنجب مصرايم ومن مصرايم أتى اسم مصر، غير أنهم حالياً جزء من الشعب العربي ومن الأمة العربية من الناحية القومية والسياسية، لأنهم يتكلمون العربية ولأنهم جزء من الوطن العربي ومن القومية العربية. فالأصل القديم شيء والانتماء القومي شيء آخر، غير أنهم يمتلكون لغتهم الخاصة وهي اللغة القبطية. وهذه اللغة موجودة في القداديس والتراتيل وفي داخل الكنائس فقط.

■ صاحب القداسة، كيف تنظرون إلى رحلة العائلة المقدسة للسيد المسيح والسيدة العذراء والقديس يوسف من بيت لحم إلى مصر، لاسيما مع اقتراب احتفالات الذكرى الألفية الثالثة للمسيحية؟

■■ سوف نحتفل بعد سنتين إن شاء الله بمرور ألفي عام على مجيء السيد المسيح إلى مصر، إن قدوم العائلة المقدسة إلى مصر قد وردت فيه نبوءة في العهد القديم في سفر أشعيا النبي (١٩) آية (١) كذلك فإن تأسيس الكنيسة المصرية وردت عنه نبوءة أيضاً في العهد القديم في سفر أشعيا آية (١٩) تقول: "في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للربّ عند مدخلها، فيعرف المصريون فيها الرب"، هذا المذبح بالطبع ليس

مذبحاً وثنياً لأن الآية تقول يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وليس مذبحاً يهودياً، لأن اليهود لم يصرح لهم بمذابح خارج مدينة الرشيد، فهذا المذبح إذن هو المذبح المسيحي. وهكذا فإن كنيسة مصر تكاد أن تكون الوحيدة من كنائس الأمم التي وردت فيها نبوءة في العهد القديم في سفر أشعيا النبي، والجميل أيضاً أنه قد ورد في نفس السفر ونفس الأصحاح أي سفر أشعيا ١٩ عبارة: مبارك شعب مصر، فقد اعتبر الرب أن المصريين شعب له، وقد قال اليهود في العهد القديم إننا شعب الرب، ونحن نقول إن المسيحيين شعب الله ليس في العهد القديم وحسب، وإنما في العهد الجديد أيضاً الذي ورد فيه: مبارك شعب مصر.

■ إلى أين وصلت العائلة المقدسة في رحلتها؟

■■ بدأت العائلة المقدسة رحلتها آتية من الشرق، كانت البداية في خرمة وببيز في شرق الدلتا والشرقية، ثم وصلت إلى مناطق كثيرة مروراً بالقاهرة وتابعت إلى دير المحرق في جنوب مصر، ومن دير المحرق صعدت شمالاً في طريق رجوعها.

■ تعتبر قداستكم مرجعاً روحياً وسياسياً للأقباط في مصر. ماذا بشأن الأقباط في الحبشة وإفريقيا تحديداً؟

■■ يعتبر بابا الإسكندرية سواء أكان أنا أم غيري، الأبَ الروحيّ لكل الأقباط أينما كانوا ولجميع التابعين للكنيسة القبطية، فبابا الإسكندرية هو أبو الأقباط في مصر وفي السودان وفي بلدان أفريقيا كلها، وحتى في جنوب أفريقيا، وحينما أزورهم هناك تستقبلني الكنائس على أنني الأب الروحي لهم،

وكذلك الحال في كل كنائسنا في أفريقيا وأيضاً في كنائسنا في المهجر، وهي كثيرة في أمريكيا وكندا وأوروبا. يعتبر بابا الإسكندرية بابا الأقباط في كل مكان أقيمت فيه كنائس قبطية، كما أن لنا أيضاً كنائس قبطية في العديد من بلدان الوطن العربي.

■ قداسة البابا ماعلاقة الكنيسة القبطية مع الكنائس العربية سواء منها الكنائس الشرقية أو الغربية؟

■■ تتفق الكنيسة القبطية اتفاقاً كاملاً في الإيمان والمذهب مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، وهذا يعني في الشرق العربي السريان والأرمن. إنها تتفق مع الكنائس البيزنطية في كل شيء ماعدا نقطة واحدة خاصة بطبيعة المسيح، ولكننا بدأنا في معالجتها لاهوتياً، إلا أنها لم تحل رسمياً مع باقي الكنائس الأرثوذكسية الأخرى في الشرق العربي التي أسستها كنيسة القسطنطينية قديماً، أي ما يعرف بالروم الأرثوذكس، رغم أنهم كانوا يتبعون الدولة الرومانية في وقت من الأوقات.

■ أعني هل هناك علاقات مستمرة؟

■■ فيما يخص ذلك، هناك علاقة وطيدة وأكيدة وواسعة الأبعاد نظراً إلى أننا جميعاً أعضاء في مجلس كنائس الشرق الأوسط، ومجلس كنائس الشرق الأوسط يضم ممثلين للكنائس الشرقية القديمة، كما يضم أيضاً ممثلين للبروتستانت، ويضم ممثلين للروم الأرثوذكس وممثلين للكاثوليك. كل هذه الكنائس تجتمع معاً في مجلس كنائس الشرق الأوسط على مستوى الرؤساء أو على مستوى اللجنة التنفيذية. وقد كان لنا اجتماع هام جداً في العام

الماضي١٩٩٧ على مستوى رؤساء كنائس الشرق الأوسط بأكملهم على اختلاف مذاهبهم.

■ صاحب القداسة، يقال أن هناك علاقة متميزة بين الأقباط في مصر والسريان في الشام، ما هي تلك العلاقة وكيف يمكن وصفها؟

■■ **الأقباط والسريان مذهب واحد لايختلفان في شيء على الإطلاق. وحدث أن كان لنا تاريخ واحد تقريباً، بل وأكثر من ذلك فقد سجل تاريخنا القبطي أن أربعة من بطاركة الأقباط كانوا من السريان، وأنا نفسي ترهبنت في دير السريان في مصر، وكان اسمي «أنطونيوس السرياني». وقد كان للأقباط علاقة وطيدة بالقديس «مار سويريوس» السرياني الذي جاء إلى مصر فراراً من اضطهاد «جوستنيان» الروماني، وقضى عندنا قرابة ثمان وعشرين سنة، وكان مرجعاً روحياً ولاهوتياً في أرض مصر، وكان الناس يوجهون إليه أسئلة فيجيبهم عنها. ومن جملة الكتب التي نشرت عن القديس «مار سويريوس» الأنطاكي كتاب ديني عنوانه: رسائل القديس «مار سويريوس»، نشرته المجموعة باترولوجيا أورينتاليس patrologia oraientalis في باريس. وقد حوى أسئلة موجهة إلى القديس أجاب عنها كلها، ونحن نذكر اسم القديس «سويريوس» بعد اسم «مار مرقس» مباشرة، وقبل أسماء بطاركتنا الأقباط الذين هم أقدم منه في التاريخ. وقد حدث في وقت من الأوقات حين كانت هناك مشاكل في رسامة بطاركة الأقباط والسريان أن بطرك الأقباط وبطرك السريان كانا يشتركان معاً في رسامة مطرانين وكانا يتبادلان الرسائل اللاهوتية باستمرار، وعندنا في مصر يوجد اهتمام كبير بالآباء السريان في الحياة الرهبانية وخصوصاً القديس «مار فيلكسينوس» أسقف منبج والقديس «يعقوب**

البرادعي» والقديس «يعقوب السروجي» و«مار إسحاق السرياني» و«مار أفرام السرياني»، ولدينا الكثير من الكتب السريانية. كما أن السريان يهتمون اهتماماً كبيراً ببطاركة الكنيسة القبطية من النواحي اللاهوتية ويهتمون خاصة بالقديس «اثناسيوس» والقديس «كيرلس». وقد أبرمت حالياً اتفاقية وقع عليها الآباء البطاركة الثلاثة للكنائس الأرثوذكسية الشرقية السريان والأرمن والأقباط بأن يكونوا صفاً واحداً في المسائل اللاهوتية وفي موقفهم من المجامع المسكونية ومن الهيئات المسكونية التي تشرف على العمل المسكوني العام.

تتميز الكنيستان في الواقع بأنهما كنيستان رسوليتان أنشئتا أيام الرسل وتتميز الكنيسة السريانية بأنها لقبت قديماً بكرسي إنطاكية، أما نحن فنسمى باسم كرسي الإسكندرية. وهناك عبارة جميلة وردت في سفر أعمال الرسل ص١١ تقول بأن التلاميذ سمّوا مسيحيين أولاً في أنطاكية، وهذا يعني بأنهم كانوا يسمون بالتلاميذ، لكنهم أول من نالوا لقب "المسيحيين" وظل ترتيب الكنائس متداولاً منذ القرون الأولى: كرسي الإسكندرية وكرسي أنطاكية معاً.

■ سيدنا البابا، ما علاقة الكنيسة القبطية مع الفاتيكان ومع رئيس أساقفة كنتربري؟

■■ حينما بدأت مسؤولياتي الحالية أردت أن أقيم صلة مع كافة الكنائس، على اعتبار أن الوحدة المسيحية يريدها الرب، فزرت الفاتيكان في مايو (أيار) ١٩٧٣ بمناسبة مرور ستة عشر قرناً على نياحة القديس «اثناسيوس الإسكندري»، ولكي أحصل على دراسات عن القديس «أنطونيوس» من هناك، وكانت فرصة مناسبة لتوقيع اتفاقية مع قداسة البابا «بولس السادس» تدور حول النواحي اللاهوتية التي نتفق عليها كلانا، وأما نواحي الخلاف فقد قررنا

تشكيل لجنة مشتركة لاهوتية لبحثها ومعالجتها، وأقمنا علاقة طيبة منذ ذلك الحين. وفي عام ١٩٨٨ تم توقيع اتفاق رسمي حول طبيعة المسيح، اتفقنا على أن لنا رأياً واحداً في هذا الجانب من الإيمان. أما بخصوص رئيس أساقفة كنتربري فهو رئيس الكنيسة الإنكليزية بالطبع، وبيننا وبينهم نوع من العلاقة يسمى "فورم" forum أي لجنة مشتركة، وما زالت العلاقات قائمة فيما بيننا بالرغم من وجود خلافات كثيرة. وفيما يخص رئيس أساقفة القسطنطينية الذي هو البطريرك المسكوني فقد زرته عام ١٩٧٢ في أكتوبر (تشرين الأول) أثناء الرحلة الطويلة التي زرت فيها سورية ولبنان وتركية، وزارني هو في مصر، وعلاقتنا طيبة أيضاً مع البطريرك الحالي المسكوني «برثلماوس» وقد كنا معاً في مجلس الكنائس العالمي وقام هو بزيارة مصر أيضاً، كما أقمنا اتفاقاً لاهوتياً حول طبيعة المسيح يضم اللاهوتيين في الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، وفي الكنائس الأرثوذكسية الأخرى وباقي رؤساء الكنائس وعددها حوالي ٤٠ كنيسة من الكنائس البيزنطية والأرثوذكسية، ولكنهم لم يجتمعوا على رأي واحد، ونأمل أن يجتمعوا سوياً ويتوصلوا إلى اتفاق شامل.

كذلك فإن لنا علاقات طيبة مع رؤساء الكنائس الروسية سواء منهم البطرك "بيمن" الذي فارق الحياة منذ خمس سنوات والذي زرته سنة ١٩٧٢ وزارني أكثر من مرة، أو غيره من البطاركة، وقد ذهبت إلى روسيا للمشاركة في الاحتفال بمرور ألف سنة على معمودية روسيا، كما زارني البطريرك "ألكسي" البطريرك الحالي لروسيا. في رومانية أيضاً علاقتي مع الجميع طيبة، وقد زرت في عام ١٩٧٢ البطريرك "جوستنيان" الذي توفي أيضاً.

■ هناك تمايز بين التقويم القبطي والتقويم الميلادي؟ فما هو سبب هذا التمايز؟

■■ لدينا تقويم قبطي صغير اسمه تقويم الشهداء، يبدأ من سنة ٢٨٤م وهو عام الاستشهاد، ولا يعتمده بعض الأفراد في مصر وحسب وإنما بلاد بأسرها، لقد كانت أصعب الأيام على المسيحيين في مصر أيام «ديوقليانوس». ومنذ عام ٢٨٤م بدأنا تقويماً جديداً قبطياً بشهور قبطية، والفارق بينه وبين التقويم الميلادي ٢٨٤ سنة.

■ قداسة البابا تشهد مصر دائماً ظواهر خارقة على غرار ظاهرة ظهور السيدة العذراء في ميدان التحرير أعقاب ١٩٦٧ ما هو تشخيصكم لهذه الظواهر؟

■■ بدأ ظهور السيدة العذراء على قباب كنيستها في الزيتون في ٢ أبريل (نيسان) ١٩٦٨ وقد تكرر ظهورها عدة مرات واستمر شهوراً طويلة، وكان يحضره مئات الآلاف من الناس، وتجري فيه معجزات كثيرة. وقد شكل البابا «كيرلس» السادس لجنة للنظر في المعجزات التي تحدث. كان هناك عدد من أساتذة كلية الطب يتابعون حالة المرضى قبل ظهور المعجزة وبعد ظهورها، ويراجعون الكشوفات الطبية والتقارير الطبية قبل وبعد ظهور المعجزة. وكان لظهور العذراء تأثير كبير جداً. وقد كتب العديد من المؤلفات عن ظهور السيدة العذراء في منطقة الزيتونة في مصر، وفي الخارج، باللغات العربية والإنكليزية والألمانية، والتقطت صور لهذا الظهور أيضاً. وكان الأمر عجيباً حقاً. ومنطقة الزيتونة قريبة من منطقة المطرية التي أقامت فيها العذراء مدة من الزمن، ولها شجرة مشهورة هناك اسمها شجرة المطرية، يمكنك أن تزورها إن رغبت. وقد أصبحت موقعاً سياحياً في هذه المنطقة، كما عثر على البئر التي شربت منها العائلة المقدسة.

لقد كان للعائلة المقدسة علاقة طيبة بمصر، وعاشت سنوات في هذا البلد وليس عجيباً أن تظهر العذراء في مصر مرة أخرى.

■ صاحب القداسة، هناك ظواهر في الكنيسة القبطية كادّعاء القدرة على شفاء المرضى ومعالجة الأبرص وإخصاب العقيم ومداواة الأمراض الخبيثة. ما الذي يسمح لجماعات من الأقباط أن تذهب إلى هؤلاء المدّعين وتتبارك بهم رغم أحكامك الشديدة تجاه هذه الظواهر؟

■■ لا بد لنا أن نفرق بين ما هو معجزة حقيقية من الله، وبين ما هو في مستوى الادّعاء. والمعروف أن القديسين الذين تجري على أيديهم المعجزات يأبون من الظهور ولا يعلنون عن أنفسهم ولا يبحثون عن وجاهة شخصية ولا عن سمعة ولا عن مجد رفيع، لكن الكتاب يقول أن على المؤمنين أن لا ينكروا باستمرار ظهور المعجزات، وإنما عليهم التفريق بين الحقيقية منها وغير الحقيقية. أما الشخص الذي يعلن بأنه يشفي الأبرص ويعطي علاجاً للعقيم والعاقر، فإن مجرد إعلانه هذا هو عمل غير روحي، ولا يحل فيه روح الله لأن العمل الروحي لا يأتي بالتظاهر والإعلان، وإنما يكون في السرّ والتخفّي. غير أن المعجزات موجودة حتماً، وهي تحدث في أعياد القديسين غالباً.

■ ما هو عدد الأبرشيات القبطية في مصر والعالم؟

■■ إن كلمة أبرشية في الواقع تحتاج إلى تفسير، ونحن نستخدم هذه الكلمة للأسقفية في الخارج. لدينا مطران في كرسي الأبرشية، ولدينا اثنان في السودان أحدهما مطران الخرطوم، ولدينا أسقفان واحد في لوس أنجلوس والثاني في جنوب أمريكا الشمالية. ولدينا أسقف في روما وتورينو وميلانو

وأسقف في ألمانية واسكتلندا وبرمنغهام، ولدينا أسقفان في إفريقية، ولدينا مشروع أسقفيات في أمريكا وأستراليا وأوروبة لم ينجز بعد، فقد كان هدفنا أولاً إنشاء الكنائس ثم نقوم بعد ذلك برسامة الأساقفة، ولدينا اثنان من الأساقفة في فرنسا واثنان في إريتريا، وقد رسمت أنا نفسي خمسة أساقفة في إريتريا لكي يخدموا كنائسهم دون أن يكونوا تحت مظلة الكنيسة القبطية. ولكن الكنيسة القبطية تساعدهم على الحياة الرّعوية دون أن تطالب بالقبالة، ولدينا في مصر ثلاثة أنواع من الأساقفة، فهناك أساقفة أبرشيات وأساقفة أديرة وأساقفة عموميون، وقد بلغ عدد أعضاء المجمع المقدس حالياً ٨٥ عضواً بين أسقف ومطران.

■ صاحب القداسة، متى بدأت الرهبنة في الكنيسة القبطية؟ وأين هي اليوم؟

■■ لقد بدأت منذ بدء الرهبنة في العالم أجمع، لذلك لقبت الكنيسة القبطية أمّ الرهبنة، بدأت الرهبنة منذ أواخر القرن الثالث للميلاد مع القديس أنطونيوس الكبير، وهو أول راهب في العالم كله، ولذلك يسمونه في بلاد العالم كلها بأنه أب جميع الرهبان، وقد عاش عمراً مديداً، فقد ولد عام ٢٥١ ميلادية، في قرية "قمن العروس" إحدى قرى بني سويف وانتقل من عالمنا الحاضر عام ٣٥٦ ميلادية وهكذا عاش حوالي ١٠٥ عام.

بعد ذلك بدأت حياة وتكوين الأديرة عن طريق تلاميذ «الأنبا أنطونيوس» الذين انتشروا في العالم، ونشروا الرهبنة، وأول إنسان أسس الرهبنة ووضع لها قوانين خاصة بها هو القديس «باخوميوس» الذي عاش في الصعيد، وكان مركزه إسنا، واستطاع أن يؤسس في إسنا وضواحيها تسعة أديرة، كانت أول أديرة في العالم. ووضع "قوانين" للرهبنة هي قوانين باخوميوس التي انتشرت

في جميع أنحاء العالم والتي أخذها القديس «باسوليوس» في قيصرية كبادقية، ثم بعد ذلك قوانين الرهبنة المصرية التي نشرها «يوحنا كسيان» في بلاد الغال، أي في بلاد فرنسا، ثم أخذتها الرهبنة البندكية الكاثوليكية وانتشرت في العالم كله... وتلا ذلك ولادة الرهبنة في برية شيهيت، أو في وادي النطرون، بعد أن أسسها القديس مكاريوس الكبير، وفيما بعد تأسست رهبنة في منطقة القلالي، وفي نواحي جبل برنوج نشر القديس «أمونيوس» الرهبنة هناك، وتأسست بعد ذلك أديرة في الفيوم، ومن بين رسائل القديس «أنطونيوس» الرسالة رقم ٢٠ الموجهة إلى القديس ببنوده رئيس أديرة الفيوم، ثم تأسست أديرة في جبل القلمون وجبل النقلون، ونحن نسمع عن «أنبا إسحق» رئيس جبل القلمون في مصر، وقد بقي من أديرته حالياً دير «الأنبا صموئيل»، وفيما بعد بدأت الرهبنة تنتقل من مصر إلى الخارج، وصار أغلب زعماء الرهبنة في الخارج يتتلمذون في مصر أولاً، أو على الرهبنة المصرية عموماً، وقد أتى إلى مصر على سبيل المثال «يوحنا كاسيان» وكتب العديد من الكتب عن الرهبنة القبطية مثل كتاب "Institutes" (المعاهد) والكتاب" Conferences " (المقابلات أو اللقاءات). أما كتابه "المعاهد" فيشمل ١٢ جزءاً، أربعة الأجزاء الأولى تتحدث عن الرهبنة القبطية، ويتحدث الباقي عن المحاربات الروحية في مجاهدة النفس وتحدث كتاب (Conferences) عن لقاءات مع كثير من آباء الرهبنة القبطية، وضم أسئلة وإجابات. وقد ذهب يوحنا كاسيان لنشر الرهبنة في فرنسا منطلقاً من واقع الرهبنة القبطية، كما أن الرهبنة في روما نشأت عن طريق كتاب "حياة أنطونيوس" الذي كتبه القديس أثناسيوس الرسولي، البطريرك العشرون من بطاركة الإسكندرية، وقد انتشر هذا الكتاب في روما،

بل كان سبباً في انتشار الرهبنة في روما، كما كان سبباً لتوبة القديس «أوغسطينوس»، لأنه نشأ في البداية نشأة غير صالحة.

كذلك فإن القديس «هيلاريون» أحد آباء الرهبنة، والقديس الأنبا أوكين في سوريا، والعراق وباقي آباء الرهبنة دخلوا في حياة الرهبنة عن طريق الكتب الرهبانية التي نشرت الرهبنة القبطية، وأشهر هذه الكتب كتاب "بلاديوس" التاريخ اللوسيوسي (Historia Lousioca)، وهو كتاب لأحد النبلاء اسمه «لاوسيوس»، وضع فيه قصصاً كثيرة عن رهبنة الأقباط وفضائلهم، وكان سبب انتشار الرهبنة في جهات كثيرة من العالم.

ونشر القديس «باسيليوس» الكبير الرهبنة في بلاد سورية. كما أن هناك كثيراً من البلاد تأثرت بالرهبنة القبطية وبقواعد القديس «باسيليوس»، ومن قواعد القديس «باسيليوس» أخذت فيما بعد القوانين البندكتية للرهبنة البندكتية الكاثوليكية. المهم في الأمر أن مصر كانت هي الكنيسة الأم للرهبنة، وموطن الرهبان الأول، إلى درجة أن بعض الأمراء ترهبنوا فيها مثل (مكسيموس) و(دوماديوس)، وهما أميران من أولاد أحد ملوك الرومان، والقديس «ارسانيوس» معلم أولاد الملوك، جاء إلى مصر وترهبن فيها. كانت الرهبنة في قلب مصر، المنبع الرئيسي الذي انتشرت منه الرهبنة إلى كل أرجاء البراري المصرية والجبال، إلى حد أن «يوحنا كاسيان» قال: إن المسافر من الإسكندرية إلى الأقصر لاتنقطع عن أذنيه أصوات ألحان دينية على امتداد البراري المصرية الغربية.

■ سيدنا البابا، كيف تحولت الرهبنة من رهبنة فردية إلى رهبنة جماعية؟

■■ أخذت الرهبنة فيما أخذت لوناً من الازدواج ثم لوناً من التدرج.. وأعني بالازدواج وجود رهبنة فردية ورهبنة جماعية في الأديرة في آن معاً.

وقد وُجدت أنظمة رهبانية كثيرة فكانت رهبنة القديس «أنطونيوس» هي الرهبنة الأنطوانية، رهبنة وحدة. ثم رهبنة القديس «مكاريوس» عام ٣٠٠ ميلادية والذي توفي عام ٣٩٠ ميلادية، وتأسست في عهده أربعة الأديرة الكبرى في وادي النطرون حيث كان الرهبان يعيشون حياة وحدة في مغارات أو كهوف في الجبل أو حفر في الأرض في قلايات منفردة، ويحضرون إلى كنيسة الدير يوم السبت مساء لاجتماع روحي يسأل فيه الرهبان المبتدئون ويجيب فيه شيوخ الرهبنة، ويقضون الليل في الصلاة والتسبيح ثم يصلون صباح الأحد ويأكلون معاً على مائدة واحدة وينصرفون إلى وحدتهم كي يحضروا في آخر الأسبوع المقبل.

وقد عاش بعض الرهبان في مغارات منعزلة لا يقابلون أحداً من الناس على الإطلاق وتركوا لنا عدة أنظمة. في الرهبنة..هناك رهبان متوحدون بصورة كاملة، ورهبان الأديرة التي تزعمها اثنان من الآباء المشهورين: رهبنة القديس «باخوميوس» وكان مركزها في إسنا، ورهبنة القديس «الأنبا شنوده» وكان مركزها في سوهاج وأخميم، وكانت هذه الأديرة كبيرة تضم مئات الرهبان، وأحياناً الآلاف إذ كانت أديرة متجاورة، لكنها كانت بحاجة إلى قيادة حازمة جداً لتحفظ النظام وسط آلاف الرهبان المقيمين في تلك المناطق.

كانت الرهبنة في ذلك الحين بعيدة كل البعد عن الكهنوت وكان الآباء البطاركة ينتخبون من الشمامسة في المدن أو من أساتذة كلية اللاهوت أو من العلمانيين، ففي عهد القديس «الأنبا أنطونيوس» في القرن الرابع وهو مؤسس

الرهبنة اختير شماس «باساناسيوس» ليكون بطريركاً. وأما «أنطونيوس» فقد فضل حياة الوحدة والهدوء والتأمل، وظل الأمر على هذا الحال أيضاً طوال القرن الرابع. ولكن منذ منتصف القرن الخامس بدأ اختيار أساقفة من الرهبان وبعد ذلك احتاج الرهبان إلى آباء من الكهنة واحتاجوا إلى كهنة أو قسوس لصلاة القداسات في الكنائس.. وكان يأتيهم قسوس من الريف ومن ثم بدأت رسامة كهنة من الرهبان أو قسوس من الرهبان ثم شاع ذلك حتى صار الأساقفة كلهم من الرهبان، وقد أقام في الأديرة عدد كبير من القسوس غير أنه مع مرور الوقت قلت حياة الوحدة واقتصرت على عدد قليل من الذين يعيشون فيها، وأصبح نظام الأديرة هو نظام الأغلبية لكن حالياً يسود في أديرتنا الأنظمة كلها فالذين يعيشون في وحدة يعيشون فيها، والذين يعيشون في مغارات يعيشون فيها، والذين يعيشون في الأديرة يحيون حياة مجمع الرهبان.

■ قداسة البابا ما هو الهدف من الرهبنة؟ وهل الرهبانية هروب من الحياة المادية وضغوطها المتلاحقة أم أن رجل الدين لابد أن يعود إلى الحياة العامة ليهدي الناس؟!

■■ من المعروف أنه لا رهبنة في الإسلام ولكن في الإسلام نظام التصوف، وقد كانت حياة التصوف تشبه من نواحٍ كثيرة حياة الرهبنة إلى حد ما. فالمتصوفون يتفرغون للعبادة والصلاة والتأمل سواء أكانوا من الرجال أو النساء، وأبلغ مثال على ذلك «رابعة العدوية» التي كانت من أشهر المتصوفات في جيلها.

ولكن ما هو هدف الرهبنة؟ أن هدف الرهبنة أصلا هو التفرغ للعبادة، ولعل العبارة البليغة التي تعبرعن فلسفة الرهبنة أفضل تعبير هي قول أحد الآباء: "الرهبنة هي الانحلال من الكل للارتباط بالواحد".

الواحد هو الله وقد رغب بعض الناس في أن يتفرغوا للعبادة ووجدوا لذة في التفرغ للصلاة والتأمل والتسبيح والترتيل وحياة الوحدة والهدوء والبعد عن ضوضاء العالم ومشاكله وحياة الزهد والصوم وصفاء النفس وصفاء الفكر متخلصين بقدر الإمكان من أسار الحياة المادية التي تشغل الإنسان عن أبديته.

أما بصدد ما هو أفضل بالنسبة لرجل الدين، وهو الشق الثاني من السؤال؟ فأنا أرى أن الناس أصناف واتجاهات ونفسيات، وليس للجميع نفسية واحدة أو فكر واحد، هناك أشخاص فضلوا أن يتفرغوا للعلم وحده وربما بعدوا أيضا عن الزواج وعن الحياة العائلية ليتفرغوا للعلم من أجل ألا ينشغلوا بمشاكل العائلة.. ومن المؤكد أن الزواج أمر مقدس وطاهر، وربنا دائما يباركه، ولكن بالخصوص الوقت والتفرغ فإن بعض الناس تفرغوا للعلم، والبعض الآخر تفرغ للسياسة فامتلكت حياتهم كلها، كما إن بعض الناس شغلهم الاقتصاد والتفرغ له ولا مانع يمنع من هذا كله. وإذا انشغل بعض الناس بالعبادة فسوف يتفرغون لها، ومع ذلك فمهما احتاجت الكنيسة إلى بعض الرهبان لكي يخدموا فيها وحاولوا أن يجمعوا بين الأمرين على قدر الإمكان، فإنهم لا يصرفون وقتهم كله في العبادة، وإنما توجد فسحة للعبادة، ولكن الذين أرادوا أن يتفرغوا كليا للعبادة عاشوا حياة الرهبنة، ولما أدركوا أن الأديرة هي أيضاً عبارة عن مجتمعات صغيرة بالرغم من أنها بعيدة عن العالم ولكنها مع ذلك مجتمعات صغيرة بدؤوا ينسلخون منها تدريجيا ويحيون حياة الوحدة، وبعضهم إلى الحياة في المغارات والجبال بعيداً عن الناس تماماً. وكما قلت فإنه ليس جميع الناس فكراً واحداً ولا نفسية واحدة ولا اتجاهاً واحداً ولا

أغراضاً واحدة، والله بمعرفته بطبائع الناس وتنوعها أوجد أيضاً أو سمح بوجود أنواع متعددة من الحياة تناسب كل إنسان يريد أن يعيش فيها.

■ صاحب القداسة وماذا عن الرهبنة القبطية اليوم؟

■■ تعيش الرهبنة القبطية اليوم ازدهاراً كبيراً. فلدينا هنا في مصر إثنا عشر ديراً، ولدينا دير في كاليفورنيا في أمريكا وديران في أستراليا، واحد في سدني وآخر في ملبورن. وفي ألمانيا هناك دير في كروفرباخ ودير في هوكستر، وهناك دير في ميلانو في إيطاليا، ودير في السودان. والأديرة هذه يزداد عددها وكذلك عدد الرهبان. وفي دير "الأنبا بيشوي" وحده الذي يوجد لي مقرّ فيه رهبنت أكثر من ١٥٠ راهباً هذا الأسبوع من شهر آذار ١٩٩٨ بالذات خلال يوم السبت ويوم الأحد. ففي يوم السبت رسمت خمسة رهبان جدد في دير السريان، وفي يوم الأحد رسمت ثلاثة رهبان جدد في دير البراموسي. والرهبان هؤلاء يزداد عددهم باستمرار بصورة منتظمة. ولدينا في كل دير بيت خلوة لمن يريد أن يقضي فترة من حياة الخلوة الروحية من الشباب، كما أن أديرة الراهبات ازدادت أيضاً، فقد كان لدينا خمسة أديرة للراهبات، وأنشأنا دير القديسة "دميانة" في إحدى براري مصر، وفي دير ابي سيفين للراهبات رسمت حوالي ٩٥ راهبة.

■ ماذا عن اختيار الأساقفة في الكنيسة القبطية: هل يتم اختيارهم من الرهبان، أم من العلمانيين، أم من الفئتين معاً؟

■■ الأساقفة في الكنيسة القبطية كلهم من الرهبان بلا استثناء ونشكر الله أن لدينا عدداً من الرهبان يكفي لرسامة أضعاف الموجودين، ونحن نحرص على أن يكون الاختيار حائزاً على موافقة الشعب. وفي بداية حملي

لمسؤولية الكنيسة، كنت أذهب إلى الأبرشيات وأقابل كافة الهيئات وأستطلع رأي الجميع، إلى أن نستقر على اختيار شخص لرسامته راهباً. أما الآن فإن الظروف لاتسمح لي بذلك، بل يأتي الناس من كافة الأبرشيات التي تحتاج إلى أسقف، وفيهم عدد من ممثلي الشعب أيضاً، فنناقش الأمر معاً، ونختار من يصلح لأن يكون أسقفاً. أما الأسقف العام فإنه غير مرتبط بأبرشية، ولا ضرورة للمشاركة الشعبية في اختياره، ولكن إذا تحول الأسقف العام إلى أسقف أبرشية فينبغي أن يحصل على موافقة الشعب.

■ هل لكم أن تحدثونا عن الكيفية التي تم اختياركم فيها للأسقفية؟

■■ لقد تم الأمر في الواقع بخدعة صغيرة، كنت أحبّ أن أحيا حياة الوحدة والتأمل، بعيداً عن هذه الوظائف الرسمية، غير أنني طُلبت لمقابلة البابا "كيرلس السادس" نفسه لأمر هام، ولم يكن بوسعي معارضته، وأثناء المقابلة ناقشني في هذا الأمر، ثم حسم الموضوع. ففيما أنا خارج من عنده وضع يديه على كتفي وقال: كذا وكذا.. ولم تكن هناك أبرشية خالية في ذلك الوقت، فكنت أول شخص رسّم أسقفاً عاماً في هذا الجيل، وقال لي: لم يعد لك الحق في أن تترك هذا المكان، ووجدت نفسي في وضع لا أستطيع الفرار منه، وتذكرت في ذلك الحين عبارة قالها أرميا النبي: "عرفت يا رب أنه ليس للإنسان أن يختار طريقه، ليس له وهو يمشي أن يخطو خطوات".

واضطررت إلى الخضوع للأمر الواقع، ثم أُقيمت الحفلات الرسمية الكنسية الطقسية، وتمت رسامتي أسقفاً.

■ في أي سنة تم ذلك؟

■■ **كان ذلك في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٦٢.**

■ استمراراً لحديثنا السابق، هل لكم أن تحدثونا عن الطريقة التي تم فيها اختياركم "بطريركاً" للكنيسة القبطية الأرثوذكسية؟

■■ **حدث الأمر على عدة مراحل: أما المرحلة الأولى فهي مرحلة الترشيحات والبطريرك عندنا لا يرشح نفسه، بل يرشحه ستة من أعضاء المجمع المقدس، أو اثنا عشر من أعضاء المجلس العام.**

■ المجلس الملّي العام للطائفة أم لكنيسة القاهرة؟

■■ **المجلس الملّي العام لسائر الكنيسة القبطية، كما أن المجالس الملية الفرعية في الأقاليم تشترك في الانتخابات وفي الترشيح بالإضافة إلى المجلس الملّي العام. وهكذا تم ترشيح تسعة إلى الكرسي البطريركي غير أنه بمقتضى اللائحة كان هناك لجنة مسماة بلجنة الترشيح تقوم بغربلة هؤلاء المرشحين، وتنظر في الشكاوى إن كان ثمة شكاوى مقدمة ضدّ أحد منهم أو معارضات.. الخ.**

وحين اكتملت هذه اللجنة قررت اختيار خمسة من هؤلاء التسعة بمقتضى القانون، وكنت أنا واحداً من بين الخمسة، بعد ذلك جرت انتخابات شارك فيها من لهم الحق في الإدلاء بأصواتهم من جميع الأبرشيات في القاهرة والإسكندرية وفي كل محافظات الوجه البحري، فنجح في هذه الانتخابات ثلاثة، وكنت واحداً من بينهم، ثم أقيم قداس للقرعة الهيكلية فسجلت أسماء الثلاثة على أوراق ووضعت في علبة صغيرة مختومة بالشمع الأحمر، وقد حضرت القداس من بين من حضر، وصلّى الناس جميعاً ثم جاؤوا بطفل صغير وعصبوا عينيه برباط فوضع يده في العلبة واختار ورقة من بين الأوراق الثلاث، وهكذا

صار صاحب الورقة هو البطريرك. وأقيمت له الاحتفالات بعد أسبوعين من أجل تتويجه وقد كان ذلك في ١٤/نوفمبر(تشرين الثاني)/١٩٧١ وكانت الانتخابات في ٢٩/أكتوبر(تشرين الأول)، وجرت القرعة الهيكلية في ٣١/أكتوبر(تشرين الأول)/١٩٧١.

■ اسمح لي أن أسألك لماذا اخترت اسم "شنوده"؟

■■ كان اسمي شنوده حينما كنت أسقفاً، ولم يتغيّر. وأنا لم أختر هذا الاسم، وإنما البابا هو الذي اختاره، ففي رسامتي الأسقفية غيّر البابا اسمي من «أنطونيوس» إلى «شنوده»، وشنوده هو أحد مؤسسي الرهبنة في الكنيسة، وله دير يسمى الدير الأبيض في بريّة سوهاج، ويعتبر «شنوده» في التاريخ كأب للأدب القبطي، وكان قديساً ذائع الصيت، أما ديره فيفتح نهار كل أحد للشعب، ويؤمه حوالي عشرة آلاف من المؤمنين، وفي كل الأحوال فإن الكنيسة هي التي تختار الأسماء من بين أسماء بعض القديسين القدامى.

■ هل تحمل ذكريات معينة عن مرحلة الأسقفية وعن النشاطات التي مارستها قبل أن يتم اختيارك رئيساً للكنيسة القبطية؟

■■ لمّا وجدت نفسي قد أصبحت أسقفاً عزمت على أن أؤدي واجبي كاملاً كأسقف، وشرعت في العمل، كنت في ذلك الحين أسقفاً لكلية اللاهوت وأسقفاً لمعهد الدراسات القبطية، وأسقفاً للتربية الكنسية أي لمدارس الأحد وللتعليم بصورة عامة. بدأت أولاً كمعلم، ولأول مرة رأى الطلاب أسقفاً داخل فصل دراسي يمسك بيده إصبعا من الطبشور ويكتب على السبورة ويلقي الدروس، وقد كنت قبل الرهبنة مدرساً في الكلية الأكليريكية، ثم إني أذنت لمن يريد من

الشعب حضور هذه الدروس، أن يجلس كمستمع، كان الطلبة يستمعون ويُمتحنون، أما أفراد الشعب فكانوا يحضرون ويستمعون، ولكن من دون أي امتحان، كنت ألقي الدروس في أحد مدرجات الكلية، ولكن المدرج غصّ بالحضور، فكنا نضع كراسي إضافية في خارجه، غير أن المدرج لم يعد كافياً فانتقلنا إلى قاعة واسعة، كنا نشغل في البداية ركناً بسيطاً منها ثم ما لبثت القاعة أن امتلأت عن آخرها، فوضعنا كراسي إضافية وسمّاعات في جهات كثيرة، ولكن ذلك لم يعد كافياً، فانتقلنا إلى قاعة مفتوحة، وتوسّع الاجتماع إلى أن انتهينا إلى وضعنا الحاضر، وهكذا تحولتُ آنذاك إلى واعظ شعبي أكثر من كوني أسقفاً، فكنت أدعى من قبل الآباء الأساقفة إلى أبرشياتهم للوعظ فيها، وكنت أحياناً أمضي أسبوعاً كاملاً عندهم من أجل إحياء نهضة روحية للوعظ، وكنت في الوقت نفسه مثابراً على عملي اللاهوتي في التدريس. وفي الوقت ذاته في طبع بعض الكتب التي كانت تضم محاضراتي، وعندما جاءت ترشيحات البطريركية لم يكن من الممكن أن يتجاهلوا اسمي لمعرفتهم بما أقوم به، وفي ذلك الحين قمت بإصدار مجلة "الكرازة" عام ١٩٦٥ وما تزال مستمرة في الصدور حتى الآن، وأصبح كل أملي التدريس في كلية اللاهوت والوعظ في الأبرشيات وتحرير المجلة وإصدار الكتب، وفي أثناء عملي كأسقف تم اختياري كأول رئيس لرابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط، وكان اسمها أتيما، وكان رئيس الرابطة يبقى رئيساً مدّة سنتين، ثم يتم اختيار رئيس جديد.

في العظات التي كنت ألقيها وضعت نظاماً ثابتاً يتمثل في الإجابة على أسئلة الحاضرين قبل بدء المحاضرة، وصار ذلك الترتيب تقليداً متبعاً لدى العديد من الآباء، حيث تتم الإجابة على أسئلة الجمهور، ثم يلي ذلك إلقاء المحاضرة. في

ثناء خدمتي كأسقف أمكنني زيارة لبنان للمرّة الأولى. وأسجل هنا ملاحظة هامة، ففي أثناء عملي كأسقف وضعت لنفسي قاعدة والتزمت بها منذ رسامتي أسقفاً، وهي أن أقضي نصف الأسبوع في مكان عملي في القاهرة، والنصف الآخر في مكان عملي في الدير، كنت أذهب باستمرار إلى الدير وأقضي فيه ثلاثة أيام من الأسبوع على الأقل، إلاّ في المناسبات التي كنت أمضي فيها أسبوعاً بكامله في إحدى الأبرشيات. وقد حافظت على هذا المبدأ حتى الآن. وهكذا أكون أول بطريرك من بطاركة الكنيسة القبطية يقضي نصف الأسبوع في الدير باستمرار، ما عدا أثناء السفر خارج البلاد. وفي فترة عملي كأسقف زرت في عام ١٩٦٣ أديرة جبل "أثوس" بمناسبة العيد الألفي لتأسيسها على يد القديس "أثناسيوس" قديس الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية في اليونان، وتوجهت إلى بلاد اليونان، وهناك أبحرنا من ميناء بريبه في اليونان على متن باخرة لمدة ١٦ ساعة حتى رست بنا عند أديرة جبل "أغسس" وفي تلك الفترة، فترة الأسقفية بدأنا في وضع مناهج مدرسية للتربية الكنسية. وقد أنجزت منهاج المرحلة الابتدائية فقط، وتم اختياري أيضاً رئيساً للجنة التعليم الديني في وزارة التربية. ومن أجل هذا المنصب كان يجري اختيار ثلاثة أشخاص يمثلون الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية، وكان يرأسها ممثل الكنيسة الأرثوذكسية باعتبارها الكنيسة الوطنية أو كنيسة الأغلبية.

في آخر شهرين لي في الأسقفية، أي في الشهر التاسع من عام ١٩٧١ ذهبت إلى فيينا في النمسا لحضور مناقشات لاهوتية بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وبين الكنيسة الكاثوليكية، كنت ممثلاً للكنيسة القبطية ومعي عضو آخر هو الربان «صليبا» من سورية. وخلال تلك الاجتماعات عرضت اقتراحاً

عن الصيغة الإيمانية المشتركة التي يمكن أن نقبلها جميعاً كإيمان موحد بطبيعة المسيح، وكان موضوع المناقشة هو قول القديس "كيرلس الكبير" "طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسدة". وقلت لهم يحسن بنا كي نتوصل إلى اتفاق أن نبتعد عن الاصطلاحات اليونانية القديمة التي ربما يكون للكلمة الواحدة فيها معان عدة، وأن تُقترح صيغة إيمانية بلغة مبسطة، وقد وضعت هذه الصيغة وقبلت من الجميع، وهي الصيغة التي صارت مقبولة رسمياً من الكنيستين الكاثوليكية والقبطية فيما بعد، لأن مناقشات فيينا كانت لاهوتية غير رسمية.

■ صاحب القداسة، الاهتمام البالغ بالشباب والأسر الجامعية في تلك الفترة، هل لك أن تحدثنا عنها؟

■■ كان من ضمن اهتماماتي كأسقف في ذلك الحين رعاية الأسر الجامعية. وقد تأسست الأسر الجامعية قبل أن أكون أسقفاً، وكان يشرف عليها أحد أساتذة كلية الطب الدكتور «شفيق عبد الملك»، وبصفتي أسقفاً للتعليم أصبحت مشرفاً عليها، ليس من الناحية الإدارية، وإنما من الناحية التعليمية. كنت خلال الأسبوع ألقي محاضرتين أو ثلاثاً أمام هذه الأسر الجامعية التي يجتمع فيها الطلاب المسيحيون من كل الكليات ليشكلوا أسرة تجتمع في أقرب الكنائس. وبعض هذه الأسر كان يجتمع في البطريركية، وفي كلية الطب في عين شمس، وفي كلية الهندسة، كنا نلقي عليهم محاضرات كل أسبوع، وقد انضم أغلبُ الطلاب المسيحيين إلى هذه الأسر، وكنت أُدعى إلى مجالس العزاء في بعض الجنائز فألقي ما يشبه محاضرات عزاء، إلا أن هذه المحاضرات هي الوحيدة التي لم تسجل لأن الناس لم يكونوا مهتمين بتسجيل المحاضرة، بل بتأثير هذه المحاضرات على أحوالهم النفسية.

■ علمت أن قداستك هو أول من دعا إلى مؤتمر لخدام التربية الكنسية؟

■■ بالطبع. فأنا كمسؤول عن التربية الكنسية كنت أدعو إلى عقد مؤتمرات إقليمية لخدام التربية الكنسية، وقد عقد أحد هذه المؤتمرات في بني سويف في منطقة بياض، وكان مؤتمراً موسعاً. وعقدنا مؤتمرات أخرى في محافظة الدقهلية وفي المنصورة، ومؤتمرات شهرية في القليبوية وفي بنها، وكانت ثمرة هذه المؤتمرات إصدار كتاب "الخلاص" في المفهوم الأرثوذكسي". وقد حوى سلسلة محاضرات ومناقشات جرت في بنها سنة ١٩٦٥-١٩٦٦. في تلك الفترة أيضاً أصدرت كتاب "شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية" وكان ذلك عقب قضية حكم فيها القاضي بالسماح لأحد المسيحيين بأن يتزوج امرأتين. وكان مضمون الكتاب ضد هذا الرأي، وفيما بعد صدر حكم من محكمة النقض المصرية ينص على الالتزام بشريعة الزوجة الواحدة في المسيحية وفقاً لما أصدرناه من كتب. وفي تلك الفترة أيضاً أصدرت كتاب "الوصايا العشر في المفهوم المسيحي" وبعض كتب أخرى، وكل ذلك أثناء خدمتي كأسقف.

■ قداسة البابا، حياتكم حافلة بالإنجازات والنشاطات البارزة، هل لكم أن تحدثونا عن أهم الإنجازات التي قمتم بها بعد أن تسلمتم مهام البابويّة؟

■■ من الأفضل أن لا نتكلم عما عملناه نحن، بل عما عمله الله على أيدينا، وما أعاننا على عمله. أعتقد أن أهم عمل تم إنجازه هو انتشار الكنيسة في المهجر. فحينما بدأت خدمتي كبطريرك لم يكن عندنا في المهجر سوى سبع كنائس، منها كنيستان في أمريكا، إحداهما في أقصى الشرق في جيرسي ستي، والأخرى في أقصى الغرب في لوس أنجلوس، غير أن لنا اليوم أكثر من ستين كنيسة، وهناك ثلاثة أساقفة يعملون حالياً في المهجر، ونحن الآن بصدد

رسامة أساقفة آخرين بعد أن باشرت الكنائس في إنشاء كنائس جديدة، وبعد أن تشكلت مجتمعات قبطية وصار لها كنائس مشيّدة، إلا أنها تفتقر إلى القسس. وفي أستراليا كان لنا كنيستان، وصار عندنا حالياً اثنتان وعشرون كنيسة، وديران في سدني وملبورن وأيضاً ثلاث مدارس منها اثنتان في ملبورن والثالثة في سدني كما أصبح لنا أيضاً كنيستان في نيوزيلند. وكل هذه الكنائس لم تكن موجودة، فقبل مسؤوليتي كان هناك كنيسة واحدة في سدني وكنيسة أخرى في ملبورن، أما الآن فهناك إحدى عشرة كنيسة في سدني وست كنائس في ملبورن من دون أن نذكر الدير في سدني. وهناك كنائس في برلين وبرسبنت وكمبره وبيربس، وهذا يعني الكثير من العمل. وفي كندا كان لدينا كنيستان فقط واحدة في تورنتو والثانية في مونتريال، ولدينا حالياً ست عشرة كنيسة، وكنائس أخرى في دورنشتار، وكانت لدينا كنيسة واحدة مستأجرة في لندن، وأصبح لدينا حالياً ما لا يقل عن ٤٠ كنيسة في أوروبا وثلاثة أساقفة في المملكة المتحدة، هناك كنائس في سكوتلندا وكنائس في إنكلترا وكنائس في إيطاليا لها أساقفة، وهناك كنائس في ألمانيا وكنائس في السويد والدانمرك واليونان وهولندا وبلجيكا، وهذا يعني أن كنيستنا انتشرت كثيراً جداً. ولم يتوقف الأمر على إنشاء كنائس بل قمنا بشراء أراض كثيرة، فهناك مثلاً الدير الذي أقمناه في كاليفورنيا وهو يملك ٢٤٠ فداناً. ولدينا كنائس كثيرة امتلكت أراضيَ واسعة كي تقيم فوقها أنشطة للشباب، وربما تقيم أديرة، ففي تورنتو اشترت كنيستنا مئة فدان في ضواحي المدينة، وفي بوسطن اشترت الكنيسة ١٧٠ فداناً في ضواحي المدينة، وصار لنا في هذه المناطق كنائس أخرى إضافة إلى الكنائس التي ذكرتها. وتهيأت هناك أنشطة متنوعة للشباب لم تكن

موجودة سابقاً. وفي ألمانيا صار لنا كنائس كثيرة وأديرة، وقد اشترى أسقفنا هناك قرية كانت بالأصل معسكراً للجيش، وأصبحت قرية قبطية وهي تتألف من عدد كبير من الفدادين والمباني، ففيها حوالي اثنين وثلاثين مبنى وقاعة، وصار لنا كاتدرائية كبيرة في برلين وكنائس أخرى في برلين ودسلدورف في فرانكفورت وستوتجارت في همبورغ وفي ترير في هوكستر وفي ميونخ وفي مدن عديدة جداً.

علاوة على كل ذلك قامت حركة ترجمة واسعة النطاق عن اللغات المحلية سواء منها اللغة الإنكليزية أو الفرنسية، وسوف نعود إلى لغتنا القومية حينما نتحدث عن إفريقيا إن شاء الله. ففي أوروبا هناك الكثير من اللغات المحلية، في أمريكا وأستراليا توجد اللغة الإنكليزية، وفي كندا هناك الإنكليزية والفرنسية، لقد نشطت حركة الترجمة عن اللغة الإنكليزية والفرنسية واليونانية والهولندية والدانيماركية، غير أنه كان ينقصنا إنشاء كنائس في أمريكا الجنوبية، وصار لنا الآن كنيسة في البرازيل، وقد اشترينا لها مبنيين كبيرين ليكون أحدهما كنيسة وليكون الثاني مسكناً للكاهن...

هناك نشاطات أخرى في فترة مسؤوليتي البطريركية، هي إقامة الكنائس في إفريقيا، وقد رسمنا أول أسقف لنا في إفريقية هو "أنطونيوس مرقس" وهو حاضر معنا الآن، وقد ازداد عمله إلى درجة أننا احتجنا إلى أسقف آخر ليساعده، أما أنشطة الكنيسة القبطية في إفريقيا فقد ابتدأت في منطقة كينيا وصار لنا مركز كبير في نيروبي يتألف من كنيسة ومستشفى، بالإضافة إلى نشاط اجتماعي كبير بعد ذلك انتشرت الكنيسة في مدن أخرى في كينيا وفي زامبيا وزمبابوي، ثم في زائير، وفي جنوب إفريقيا بدأنا بسبع كنائس وبلغ

عددها حالياً عشراً، حتى في بلدان لم يدخلها الأقباط من قبل على الأرجح، ولدينا الآن كنائس في تنزانيا وأوغندا كان عددها اثنتين وعشرين كنيسة وصار عددها اليوم ثلاثين، وفي كل يوم يزداد عددها بفضل العمل الكبير الذي يُبذل ومن ضمنه بالطبع تعميد المواطنين وإعداد بعضهم لكي يكونوا كهنة ثم رسامة هؤلاء الكهنة ورسامة الشمامسة وترجمة القداس الإلهي إلى كثير من اللغات المحلية مثل لغة السواحلي في البداية وبعد ذلك لغة اللوا والكوسو.

لقد زاد عملنا في إفريقيا زيادة ملحوظة بالإضافة إلى العمل في البلاد العربية.

■ سيدنا البابا، هل هذه الكنائس في إفريقيا تقوم بخدمة أقباط مصريين هناك أم أقباط جدد من الأفارقة تم تبشيرهم؟

■■ بل أقباط أفارقة جدد تم تبشيرهم وتعميدهم، ورسامة كهنة محليين وطنيين منهم يحملون نفس الجنسية. أما في البلاد العربية فلدينا كنيسة في لبنان وكنائس في الأردن والكويت والعراق والبحرين وأبو ظبي ودبي والعين وثلاثة كنائس في ليبيا لم تكن موجودة من قبل، وفي الكويت كان لنا كنيسة واحدة وصار لنا عدة كنائس حالياً.

هناك جانب آخر في العمل أثناء مسؤوليتي البطريركية أريد الإشارة إليها وهو إنشاء أسقفية للشباب أيضاً بإشراف نيافة الأنبا موسى، ولهذه الأسقفية أنشطة واسعة جداً ليس في مصر وحدها، فهي تعقد مؤتمرات في أوروبا وأمريكا وأستراليا وفي كل مكان، وتنظم أنشطة متنوعة في الأوساط الشبابية حيث يلتقي الأسقف بالشباب ويفتح قلبه لهم، والشباب بالمقابل يفتحون قلوبهم للأسقف

ويطرحون عليه مشاكلهم وهمومهم، ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم.

وقد خرّج الشباب عدداً من الأساقفة، كذلك فقد تم تنظيم نشاط واسع للغاية في أسقفية الخدمات الاجتماعية، ويُعد نيافة الأنبا «صموئيل» مؤسس هذه الأسقفية، وقد رسمنا نحن الأنبا «سرابيون»، ويخدم في هذه الأسقفية حالياً نيافة الأنبا «يوأنس»، ولها عمل واسع الأبعاد جداً، يتكون من الخدمات الاجتماعية، والعناية بالفقراء، وكذلك التدريب المهني ومحو الأمية وتنظيم الأسرة، وهناك النواحي الصحية كإنشاء مستشفيات وبعض النشاطات التعليمية، كالكومبيوتر، واللغات إلى جانب أنشطة أخرى عديدة جداً.

■ بعد الحديث عن الإضافات يا سيدنا وتقسيمها، وكل تلك الرعاية المكثفة، وهو عمل ضخم جداً، وإنجازات عظيمة ولا شك، ألا يسمح سيدنا أن ندخل إلى ميدان الاهتمام بالشأن العام؟

■■ لنا عودة باستمرار إلى الذي تريده.

يعتبر التقسيم الإداري الكنسي عملاً هاماً، فحين يكون هناك مطران يشرف على مساحة جغرافية واسعة جداً من الأرض، فلن يكون بمقدوره على الأرجح أن يزورها كلها، لذلك فقد قسمت هذه الأبرشيات الضخمة إلى أسقفيات وجعلت لكل أسقف منطقة محدودة، وقد نتج عن ذلك أن كل أسقف صار يبذل نشاطاً كبيراً، ويزور كل مدينة وقرية، بل ويبادر إلى تأسيس كنائس عديدة لم تكن موجودة من قبل، وقد رسمنا عدداً كبيراً من الأساقفة لم تكن تعرفه كنيستنا من قبل، ونمت شجرة الحكمة وتشعبت فروعها كثيراً، وبعد أن كان لدينا في المجمع المقدس أربعة وعشرون عضواً صار لدينا خمسة وثمانون عضواً،

يشرفون على أبرشيات اتسعت وكبرت، وانصب الاهتمام فيها على كل فرد، وازدادت الخدمة الكهنوتية، إلى درجة أنني في فترة خدمتي، رسمت العديد من القسس للأديرة ومن قسس الأبرشيات وصار عددهم الآن ٥١٨. وفي الأسبوع الماضي كان عددهم ٥١١ قساً جديداً في الإسكندرية من غير أن أذكر القسس الذين رسمهم الأساقفة، وفيما مضى كان لدينا كلية لاهوت واحدة، في القاهرة، وصار لدينا بالإضافة إلى كلية القاهرة كلية في الإسكندرية وكلية في طنطا وأخرى في شبين الكوم، وفي دير المحرق والمنيا والبلنية، كما أن بعض المعاهد الجديدة شرعت تتحول الآن إلى كليات، إحداها في دمنهور والأخرى في شبرا الخيمة، وصار لدينا كليات في المهجر، في نيو جرسي وفي لوس أنجلوس وفي سيدني بأستراليا، وازداد التعليم الديني زيادة كبيرة من غير أن نذكر مدارس الأحد والعمل الضخم الذي يجري فيها.

■ قداسة البابا، الرحلات هل لك أن تحدثنا عنها؟

■■ قمت بزيارات متعددة لتفقد أحوال الناس، فلأول مرة يزور بطريرك الكنيسة القبطية أستراليا، ولم يكن هذا يحدث من قبل، لقد زرت أستراليا حتى الآن أربع مرات، وأجمل ما في تلك الزيارات أنني في طريقي من أستراليا إلى أمريكا مررت على هونولولو وأقمت كنيسة هناك، كان عدد العائلات التي تزور الكنيسة ست عائلات فقط، كنت أذهب إليهم وأصلي لهم قداساً، وفي بعض الأحيان كان يذهب إليهم كاهن من لوس أنجلوس أو كاهن من كليفلند، وقد بلغ عددهم اليوم اثنتين وعشرين عائلة، خصصنا لهم كاهناً خاصاً وصارت لهم كنيسة خاصة. أما أمريكا و كندا فقد زرتهما عدة مرات. نسيت أن أقول فيما يتعلق بالكليات الإكليريكية أننا أنشأنا كلية في لندن في منطقة استيغينيج، وما

زلت حتى اليوم ألقي الدروس في أمريكا ولندن ومصر في داخل كلياتها اللاهوتية بمشاركة مجموعة كبيرة من الآباء الأساقفة يصلون إلى هناك لإلقاء الدروس الدينية، ثمة زيارات كثيرة أيضاً إلى أوربا وإفريقيا فقد قمت بزيارة ليبيا والسودان والحبشة وزائير وجنوب إفريقيا وزامبيا وبلدان عديدة أخرى في أوربا ومعظم زياراتي كانت للمرة الأولى لتفقد أحوال الشعب ولتأسيس الكنائس.

■ قداسة البابا، وماذا عن زيارتك للفاتيكان وخاصة أنك تكلمت البارحة عن بطريرك استنبول، والبابا «بولس السادس» والبابا «يوحنا بولس الثاني»؟

■■ فيما يتعلق بالعمل المسكوني، فقد دخلنا في مجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس الشرق الأوسط ومجلس كنائس كل إفريقيا، دخلت الكنيسة القبطية كل هذه المجالس، وكان ممثل كنيستنا لدى مجلس الكنائس العالمي مساعداً لرئيس المجلس وفي إفريقيا في الـ AACC، (All Africa Conference of Churches) كان ممثلنا واحداً من المقررين الرئيسين.

وهكذا، ففي أمريكا وكندا وجنوب إفريقيا وأستراليا انفتحت الكنيسة على العالم بأسره، بعد أن ظلت بعيدة زمناً طويلاً. وإلى هنا يكفي فيما أظن.

■ يقال أن هناك تصدعات وخلافات وآراء متضاربة داخل البيئة القبطية والكنيسة القبطية؟ ما هو رأي قداستكم؟

■■ إن للكنيسة القبطية برمتها رأي واحد، غير أن هناك بعض الأفراد لا يخدمون بالأصل في الكنيسة، بل إنهم يعملون في السياسة وخارج الكنيسة، يحاولون أن يتدخلوا في شؤون الكنيسة، وهم ليسوا أكثر من بضعة أفراد

يعدون على الأصابع، والمشكلة أنهم وجدوا لهم موقعاً في الصحافة العربية، فشرعوا يكتبون ما يعنّ لهم، لكن عامة الشعب القبطي، لا يأبه بتلك الكتابات.

■ صاحب القداسة، ماذا تعني العروبة بالنسبة إليكم؟

■■ العروبة تعني الوطن الكبير الذي نعيش فيه، وتعتبر مصر واحداً من أعضاء هذا الوطن الكبير، نحن نحب أن يكون هذا الوطن قوياً صلباً معتمداً على ذاته، وأتذكر أني حينما دعيت إلى أبو ظبي، إلى مؤتمر من أجل القدس قلت أمام المؤتمر: لماذا لا تنشأ سوق عربية مشتركة بدلاً مما يطرح اليوم باسم سوق شرق أوسطية، فالعرب قادرون أن يبنوا هذه السوق ولديهم المال ويمكنهم استخدام الخبراء وبإمكانهم أن يؤسسوا صناعتهم بكل السبل.

من السهل عليهم إيجاد خبراء، ومن السهل عليهم إنشاء سوق عربية، غير أن المشكلة تكمن في انقسام العرب، وحين يتحدون يصبحون قوة يحسب لها الحساب.

■ ماذا عن الأحداث السياسية التي شهدتها قداستكم قبل ثورة يوليو؟

■■ إن أهم ما حدث في مصر قبل الثورة هو بالطبع ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول باشا، وقد اتحدت فيها مصر كلها بكل طوائفها ومذاهبها وأحزابها لتكون جبهة واحدة ضد المستعمر الأجنبي، واستطاعت هذه الثورة فعلاً أن تغرس جذورها في التاريخ وتعبر عن قوة مصر، وبعد ذلك بأربع سنوات، أي في عام ١٩٢٣ وضع الدستور المصري الأول، وصار هناك تمثيل شعبي لمصر متمثل في مجلس النواب ومجلس الشيوخ، تظلله روح الوطنية وروح الديمقراطية، غير أن تدخل بريطانيا في شؤون مصر وتدخل السفير

البريطاني الدائم استمر يعرقل تقدمنا، مما دفع الشعب المصري إلى المطالبة بالجلاء عن أرضنا، فقد كانت هناك وحدات من القوات البريطانية معسكرة في مصر، وقد تم هذا الجلاء بعد ثورة ١٩٥٢.

■ هل لك أن تحدثنا عن عبد الناصر، وعن الدور الذي قام به؟

■■ مصر موجودة منذ أقدم عصور التاريخ، أما «جمال عبد الناصر» فقد صار له اسم كبير في العالم العربي بأسره، وقام بأعمال عظيمة خلال تموز (يونيو)٥٢ وما بعدها، لعل أهمها:

أولاً: طرد الإنكليز من مصر لتصبح مصر مستقلة لا يوجد فوق أرضها مستعمر أجنبي.

وثانياً: تأميم قناة السويس. فبعد أن كانت خاضعة لهيمنة أجنبية صارت هذه القناة ملكاً لمصر وتحت إدارة مصرية، وأصبحت مورداً كبيراً لبلادنا.

وثالثاً: تطبيق الاشتراكية في مصر. والحق إنّ أهمّ ما عمله «جمال عبد الناصر» هو تمثيل العمال والفلاحين في مجلس الشعب بنسبة ٥٠٪ بالإضافة إلى تأميم المصانع والشركات الأجنبية وتنفيذ الإصلاح الزراعي بحيث لم يعد هناك من يملك من الأرض أكثر من ٢٠٠ فدان، بينما كان كبار الملاك يملكون آلاف الفدادين، وزعت جميعها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً، عبر ذلك تحققت الاشتراكية وتقلصت الرأسمالية في المجال الزراعي، بالرغم من أنه تشكلت فيما بعد رأسمالية أخرى صناعية وتجارية، وزاد عدد المستغلين فيها، وتكونت مجموعات عديدة من المليونيرات على حساب الفقراء.

في المقام الرابع، تأتي مجانية التعليم، وكان أول من نادى بها هو «طه

حسين»، الذي كان عميداً للأدب العربي، ثم صار وزيراً للتعليم، وهو الذي طالب بأن يكون التعليم كالماء، يحصل عليه جميع الناس مجاناً، وقد تحققت مجانية التعليم في عهد عبد الناصر وما زالت سارية إلى الآن، وازداد عدد الجامعات فقد كان لدينا في مصر كلها جامعة واحدة هي جامعة القاهرة، ثم أنشئت جامعة في الإسكندرية ترأسها «طه حسين» في وقت من الأوقات. وبعد ذلك افتتحت جامعة في عين شمس. حدث كل هذا قبل الثورة، وفي عهد «جمال عبد الناصر» زاد عدد الجامعات. وفي عهد «أنور السادات» و«حسني مبارك» وصل عدد الجامعات في مصر إلى إحدى عشرة جامعة، وتم افتتاح فرع لجامعة القاهرة في الخرطوم. غير أن السياسة تدخلت فيه، وعلى الأخص حول إمكانية افتتاح فرع لجامعة الإسكندرية، وافتتحت في بيروت جامعة بيروت العربية وهي فرع لجامعة الإسكندرية.

■ برأيكم قداسة البابا، ماذا قدمت التجربة الناصرية لمصر وللوطن العربي؟

■■ أحيا «جمال عبد الناصر» لدى العرب شعوراً بقوتهم وجسّد مثال الزعيم الذي لم يعد زعيماً لمصر وحدها، بل غدا زعيماً قومياً أو زعيماً عربياً، كما أنه أقنع البلدان الأجنبية بأن هناك قوة عربية يحسب لها حساب في الشرق الأوسط. وزاد من هيبة الجامعة العربية إلى حد بعيد فصار لها مكانتها كمنظمة عربية ودولية، وبادر «جمال عبد الناصر» إلى مساعدة بلدان عربية أخرى للنهوض بحركتها الوطنية، ولكن مأساة ١٩٦٧ والاحتلال اليهودي لبعض الأراضي العربية سبّب نكسة كبيرة للسياسة الناصرية، فتوجه «جمال عبد الناصر» إلى العمل الدؤوب كي يستعيد الجيش المصري قوته، غير أن المنية عاجلته قبل أن ينجز هدفه هذا.

■ قداسة البابا، هل يمكن أن تستعيد لنا شيئاً من ذكرياتكم عن التلاحم الوطني والقومي في مصر؟

■■ مصر أنهكتها ثلاثُ حروب، حرب سنة ٤٨ وحرب سنة ٥٦ وحرب سنة ٦٧ ولكنها حققت الانتصار في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ولا يزال الحديث عن انتصار أكتوبر يبعث النشوة في قلوب الناس، له ذكرياته العسكرية البطولية وله دروسه أيضاً في التخطيط العسكري وفي بسالة الهجوم واستعادة الأرض وإعادة رفع العلم المصري وفي تحطيم أسطورة الجيش اليهودي الذي لا يقهر، ولكنه قهر في حرب أكتوبر (تشرين الأول).

■ عدوان إسرائيل عام ٦٧ ماذا أثر فيكم؟

■■ عدوان ٦٧ ترك أثره على العرب جميعاً، ومازلنا نقاسي منه. وإذا كانت مصر قد استعادت أراضيها بعد حرب أكتوبر، فإن مشكلة فلسطين نفسها ومأساة القدس ونتائج حرب ٦٧ ما تزال قائمة حتى الآن. لقد كانت حرب ٦٧ محصلة لعمل صهيوني كبير ومتواصل بدءاً من عام ١٨٩٨ عندما أعلن عن قيام الحركة الصهيونية، واستطاع اليهود عبر العديد من الاتصالات مع القوى الكبرى وتقوية أنفسهم أن يحصلوا على وعد بلفور سنة ١٩١٧ بعد قيام حركتهم بعشرين عاماً، وسواء أكان ذلك الوعد غامضاً بعض الشيء أو مفهوماً، فإن اليهود استطاعوا بفضله وبعد ثلاثين عاماً أي في سنة ١٩٤٨ أن يعلنوا دولتهم وأن يقسموا القدس إلى شرقية وغربية، بعد وعد بلفور وفي الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩١٧و١٩٤٧ كانت فلسطين تخضع للانتداب البريطاني، وتحت حماية هذا الانتداب بدأت وفود من المهاجرين اليهود كبيرة جداً تهاجر إلى فلسطين ويسمح لها بدخول الأراضي المقدسة وكان عددها أحياناً يصل إلى ٥٠

ألفاً و ١٠٠ ألف، وكان اليهود بالاتفاق مع الإنكليز يكثفون الهجرة إلى الأراضي المقدسة، وقاوم الفلسطينيون بشجاعة وخاضوا حرباً ضد الغزاة، ولكنهم لم يحققوا الانتصار نتيجة التدخل الأجنبي في المنطقة، وظلت الأمور تتطور حتى وصلت إلى حرب ٤٨ وبعدها بعشرين سنة حدثت حرب ٦٧.

■ صاحب القداسة، بماذا تحدثنا عن حرب تشرين ـ أكتوبر ٧٣ والشراكة المصرية السورية؟

■■ هناك شراكة بين مصر وسوريا منذ أيام الجمهورية العربية المتحدة، أعني بذلك الوحدة بينهما، ولكن الوحدة كما يبدو كانت أقوى في الفكر السياسي، من الوحدة في الأرض. وقد كان لسوريا دور كبير في حرب أكتوبر، وكانت تشكل مع مصر جبهة قوية، ولازالت سوريا تمثل الصمود العربي تحت قيادة الرئيس الحكيم «حافظ الأسد».

■ الوحدة الوطنية، ما معناها لدى قداستكم؟

■■ في كل المناسبات أنظر إليك يا أخي المواطن فأرى نفسي كما لو كنت أنظر في مرآة، ذلك هو جوهر الوحدة الوطنية. الوحدة الوطنية في رأيي لها معنيان بلا شك، الوحدة الوطنية على الأساس السياسي، والوحدة الوطنية على الأساس الديني، أو كما نقول في مصر وحدة بين المسلمين والمسيحيين. لقد تحققت الوحدة الوطنية منذ القديم وفي أيام الملك «مينا» حينما حدثت وحدة القطرين: الصعيد والدلتا على يد الملك «مينا» في ظل أسرة واحدة هي الأسرة الفرعونية. والوحدة الوطنية بحاجة دائماً من أجل تعزيز قوتها إلى أن يكون لدى جميع المواطنين هدف واحد وفكر واحد، من

الممكن أن تتعدد الوسائل المؤدية إلى الهدف، ولكن وحدة الهدف ينبغي أن تظل قائمة.

■ صاحب القداسة، يقال أن هناك بعض المعارضين لتوجهكم الكنسي في مصر. ماذا يمكن أن تحدثونا عن ذلك؟

■■ ليس هناك معارضون لتوجهنا الكنسي، صدقني لا يوجد معارضة بمعنى المعارضة. وعندما أسأل هؤلاء، والواقع أني لا أسألهم ولكن حينما يسألهم سائل ما قصدكم، لا يعطون أيّ ردّ. غير أن البعض يسعون إلى الزعامة، يريد العلمانيون أن يتزعموا الكنيسة، ونحن لا نمانع إطلاقاً أن يكونوا زعماء، ولكن فليعملوا داخل الكنيسة. لقد لاحظت بأن الذين يعارضون هم أقل الناس عملاً، وهم إذا عملوا فسيجعلهم العمل ينشغلون عن المعارضة، لقد عارضني البعض مثلاً بقوة وعنف وعلى صفحات الجرائد لأني منعت الأقباط من الذهاب إلى القدس، هناك مثل قول عربي مأثور يقول:" من بحث عن عيب وجده وإن لم يجد اختلقه".

■ إن اصطناع الخلاف يشكل حالة لا تخدم الوطن ولا القضايا الوطنية والكنسية ألا توافقني الرأي؟

■■ نعم، ولكن وراء كل ذلك الرغبة في إظهار الذات، هناك إنسان يريد أن يؤكد ذاته أو أن يشعر بذاته فيسير على مبدأ: خَالِفْ تُعرف.

■ ماذا فعل قداسة البابا شنودة لتمتين الصلات الوطنية والفكرية مع المسلمين؟

■■ من بين المبادرات التي كانت ناجحة جداً المآدب الرمضانية، فقد كنا في شهر رمضان شهر الصوم عند أخواننا المسلمين، نُعد مأدبة إفطار، كانت

مبادرتنا الأولى في داخل البطريركية، ثم انتشرت في كنائس القاهرة، ثم في كل المحافظات، وأصبحت تقليداً وطنياً يحضره الجميع، وهذه الحفلات الرمضانية يحضرها كل قادة البلد بلا استثناء، رئيس الوزراء ورئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الشورى وفضيلة الشيخ الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة المفتي وفضيلة وزير الأوقاف، ويحضرها أيضاً نواب رئيس الوزراء وعدد كبير جداً من الوزراء ورؤساء الجامعات ورؤساء القضاء بكافة درجاته وتنوع محاكمه، ويحضرها أيضاً مديرو الصحف ورؤساء الأحزاب السياسية وبعض المحافظين كمحافظ القاهرة ومحافظ القيلوبية ومحافظ الجيزة ورجال الفكر، وباختصار كافة الرموز البارزة في البلد. جمعت المأدبة الأولى قرابة مئة وخمسين من القيادات ووصل عددهم حالياً إلى ما يقرب من ٥٠٠ مدعو، حتى أن القاعة الكبيرة المخصصة لذلك لم تعد كافية فأعددنا قاعة أخرى تتسع للكثيرين خلال هذه المآدب سواء أكانت في الكاتدرائية أم في داخل الكنائس، يتبادل الجميع عبارات المودة والمحبة فيما بينهم وتزداد أواصر الألفة والثقة لدى باقي أفراد الشعب بالتأكيد.

أما المبادرة الثانية، فهي المودة الكبيرة التي تربط بيني وبين فضيلة شيخ جامع الأزهر، وقد نشأت هذه المحبة منذ أن كان يعمل في منصب مفتي الديار المصرية، ولم يعد الأمر مقتصراً على ما بيننا من مودة وصداقة، بل تعدى إلى أننا أصبحنا ندعى سوياً إلى العديد من الندوات، فنتكلم فيها معاً، فقد دعينا مثلاً إلى الندوة التي أقامتها جريدة الأهرام، وإلى ندوات أخرى أقامتها بعض الجمعيات المشهورة، كما دعينا إلى ندوة في أبو ظبي عن القدس، ودعينا إلى أحاديث تلفزيونية خاصة في برنامج صباح الخير يا مصر، وكان الجميع يروننا

برأي واحد وفكر واحد ومحبة واحدة. وقد كان لهذا أيضاً تأثيره الإيجابي الكبير على شعبنا إلى درجة أن البعض فكر أن ينشر الأحاديث والخطب التي اشتركنا بها معاً في كثير من الندوات، أضف إلى ذلك الصداقة التي تربط بيني وبين فضيلة وزير الأوقاف ومحاولتنا معاً تكوين لجنة مشتركة لحل مشكلة الأوقاف، نصف أعضائها من وزارة الأوقاف والنصف الآخر من الكنيسة القبطية، وقد نتج عن ذلك أثر طيب في حل الكثير من المشاكل بروح من السماحة والمحبة التي أظهرها وزير الأوقاف الدكتور «محمود حمدي زقزوق». ونحن نشكر الله على نجاحنا في كل هذه المواقف، وعلى النتائج الإيجابية التي تمخضت عنها، كما أن المقالات التي تنشر لنا في الصحف العامة شكلت رابطة قوية فيما بيننا وبين إخوتنا المسلمين، بدأنا أولاً بنشر سلسلة من المقالات الأسبوعية في جريدة الجمهورية ابتداء من أواخر نوفمبر سنة ٧١، ثم في مجلة الشباب وفي مجلة أكتوبر وفي كثير من الصحف، وأجرينا أحاديث صحفية كثيرة ساهمت في زيادة الروابط الفكرية بيننا وبين أخوتنا المسلمين. وعلاقتنا بالصحافة علاقات طيبة أيضاً، فأنا ما زلت عضواً في نقابة الصحفيين، كما أننا نقيم حفلات لإخواننا الصحفيين ونجري ندوات صحفية، أضيف أيضاً إلى كل ذلك رحلاتي إلى الخارج، إلى الدول العربية. وأذكر من بينها لبنان الشقيق حيث أني التقيت هناك قرابة سبعين من كبار رجال الدين الإسلامي من بينهم مفتي السنة وشيخ عقل الدروز وأئمة الشيعة ورجال كبار آخرون، وصادقت أيضاً الشيخ محمد مهدي شمس الدين، إن العلاقات الأخوية الطيبة بيننا وبين أخوتنا المسلمين ناتجة عن موقفنا الموحد تجاه الوضع السياسي العربي والموقف في الشرق الأوسط، والحق إنني قد شعرت بكثير من المودة الخالصة من قبل إخواننا المسلمين.

زيارة البابا شنوده

إلى سورية ولبنان عام ١٩٧٢



البابا شنوده يلقي محاضرة أثناء زيارته لدمشق عام ١٩٧٢.



مع السيد الرئيس حافظ الأسد ١٩٧٢ .



مع السيد الرئيس حافظ الأسد ١٩٧٢ .



مع السيد الرئيس حافظ الأسد ١٩٧٢ .



مع السيد الرئيس حافظ الأسد ١٩٧٢ .



مع الرئيس اللبناني الراحل سليمان فرنجية .

■ قداسة البابا، المسيحية والصهيونية ضدان لا يلتقيان، لقد قلتم هذا، ما رأيكم.. نريد منكم توضيحاً أكثر؟

■■ هناك فرق كبير بين اليهودية والصهيونية. فاليهودية ديانة إلهية ولها كتاب إلهي نؤمن به ولا ننكره. ولكن الصهيونية مبدأ سياسي يقوم على السيادة على أراضي الغير، والتوسع من خلال استعمار أرض الغير، وتلك أمور لا توافق عليها المسيحية لأنها تفتقد العدل وليس لها أي أساس ديني. وفي عام ١٩٦٥ كنت قد ألقيت محاضرة في نقابة الصحفيين في مصر حول إسرائيل في رأي المسيحية، وقد نشر ككتاب يمكن الاطلاع عليه. (منشور كوثيقة في آخر الكتاب).

■ المشروع الصهيوني، أين يبدأ وأين ينتهي برأي قداستكم؟

■■ المشروع الصهيوني بدأ، ولكننا لا نريده أن ينتهي إلى ما يريد. إن شعار إسرائيل من النيل إلى الفرات، شعار مقلق جداً لكل العرب. وسياسة التوسع التي لا تعرف لها حدوداً تقلق العرب جداً بسبب تهديدها للأرض العربية، إما عن طريق الاغتصاب، أو كما حدث في البداية عن طريق الشراء، وهذه أمور لا نريد أن نقولها، لكنها حدثت في البداية، أو عن طريق بناء المستوطنات وفرض سياسة الأمر الواقع، وسياسة التوسع هذه لا نعرف إلى أين ستصل حدودها. غير أن اليهود يعملون بطرق عديدة لنشر أفكارهم ودعايتهم في الوقت الذي يكتفي العرب فيه بالشكوى والإدانة دون أن يعملوا شيئاً.

كنت في أبو ظبي وفي دمشق، وقلت: لماذا لا يوجد "لوبي" عربي ينشط في كافة البلدان الغربية، وقلت أيضاً: يبدو أننا في كثير من مجتمعاتنا العربية

وكأننا نكلم أنفسنا: أعني أننا عرب نتحاور مع عرب، نعقد المؤتمرات ونحاور أنفسنا، في الوقت الذي ينبغي أن يكون لنا لوبي عربي في أمريكا وفي بعض البلدان الأوروبية. لدينا في الواقع صحافة عربية وتلفزيون عربي في أمريكا، وهناك حركة نشر للأفكار العربية في أمريكا، وهناك اتصالات مع أعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ، واتصالات مع سفارات وهيئات سياسية أوروبية وأمريكية، غير أننا نحتاج إلى إنشاء لوبي واسع النطاق قوي التأثير على الرأي العالمي، دون الاكتفاء بالمؤتمرات التي يتحاور فيها عرب مع عرب، أو بنشر مقالات في الصحف العربية، والأجدر بنا أن ننشر آراءنا في الصحف الأجنبية أو ننشئ صحافة لنا في البلدان الأجنبية، ذلك هو واجبنا الملح.

■ قداسة البابا، هل يمكن أن تحدثنا عن موقف الكنيسة القبطية من الاختراقات الصهيونية لبعض الجماعات المسيحية في أمريكا وأوروبا؟

■■ إذا وجدت هناك اختراقات، فلن تكون إلا داخل الجماعات البروتستانتية الأمريكية أو الجماعات التي لها اسم مسيحي وهي ليست رسمية مثال ذلك:

السبتيون - وهؤلاء لا نعتبرهم كنيسة مسيحية لأن لهم جذوراً يهودية، وهم يسمون أنفسهم بالسبتيين، ويقيمون السبت ويقدسونه، ويزعمون أن ملكوت السموات لا يمكن أن يدخله شخص دون أن يقدس السبت، وذلك اختراق يهودي لهذه الجماعة، ولكني لا أستطيع أن أسميها جماعة مسيحية إلا إذا آمنوا حقاً بالإنجيل أو العهد الجديد. هناك أيضاً جماعة "شهود يهوه" وهم يتخذون في الواقع اسماً يهودياً لله ورد في العهد القديم وهو اسم يهوه، ويعتنقون فكراً يهودياً أيضاً فيما يتعلق بأورشليم التي ستكون حسب زعمهم

عاصمة العالم الجديد، وهم يزعمون بأن مجيء المسيح الثاني سيكون في القرن العشرين، ولهم أيضاً أفكارهم عن تقديس السبت، وشهود يهوه في أصل تكوينهم تتلمذوا على السبتيين، ثم تشكلت لهم جماعات انتشرت في كل أرجاء العالم ولهم مركز كبير في بروكلين في أمريكا وجميعهم يقدسون السبت..

هذه الاختراقات إذن تحدث وسط جماعات لا نعتبرها مسيحية، كما تحدث لدى بعض الجماعات البروتستانتية الأمريكية المتعصبة توراتياً، وهم يعتنقون التفسير الخاطئ للنبوءات في العهد القديم، وعلى الأخص التفسير الخاطئ لمجيء المسيح.

■ شعب الله المختار، هل هو حقيقة تاريخية؟ أم قول يتشدّق به اليهود على نحو أعمى؟

■■ قال اليهود: نحن شعب الله كما جاء في العهد القديم، وهذا يعني أن العالم كله كان وثنياً، وكان اليهود هم الوحيدون الذين يعبدون الله، وكانت الأرض التي يقيمون فوقها أرض الأنبياء، ومنهم «موسى» النبي و«إيليا» النبي. وبعد حين جاءت المسيحية وانفتح باب الإيمان بالله أمام جميع الأمم، وانتشرت عبادة الله في أرجاء العالم كله. واليوم يُعدّ الذين يعبدون الله بمئات وآلاف الملايين، وليسوا فقط ذلك الشعب وحده، ولا يمكن لأحد أن يقول بأن الله يتخلى عن مئات الملايين التي تعبده لكي يتخصص برعاية أربعة أو خمسة ملايين يهودي. وأذكر أنني شرحت هذا الأمر للرئيس «كارتر» حينما قابلته في البيت الأبيض عام ١٩٧٧ حينما سألني: هل وضعت كتاباً عن اليهود؟ تباحثنا معاً في موضوع الشعب المختار، وشرحت له رأيي في هذه النقطة، وفي النهاية قلت له: لو كان اليهود ما يزالون شعب الله المختار، فلن نكون لا أنت

ولا أنا من شعب الله، لأننا نحن الاثنين لسنا يهوداً. فابتسم الرئيس وانتهت المناقشة عند هذه الجملة.

ما يمكنني قوله الآن: إن شعب الله حالياً هو كل الذين يؤمنون به. صحيح أن اليهود هم الوحيدون الذين كانوا يؤمنون بالله في عهد «موسى»، غير أن مئات الملايين تؤمن بالله في وقتنا الراهن.

■ قال اليهود: دم المسيح علينا وعلى أولادنا، كيف نفهم هذا القول وكيف يمكن أن توضحه قداسة البابا للقراء والناس؟

■■ هم الذين قالوا وقت محاكمة المسيح: دمه علينا وعلى أولادنا، والحجة التي يتذرعون بها اليوم كي يتبرؤوا من دم المسيح أنهم يقولون إن يهود اليوم غير يهود الأمس الذين قالوا عن المسيح «لبيلاطس»: اصلبه، اصلبه.

ونحن نقول لهم إذا كنتم حقاً تريدون أن تتبرؤوا من دم المسيح فاحكموا على أن آباءكم قد أخطؤوا وارتكبوا ذلك الذنب، وأنكم أبرياء مما فعله آباؤكم. أما إن كنتم ترون بأن المسيح الذي جاء منذ عشرين قرناً من الزمان كان رجلاً ضالاً ومضلاً، وأن من الحكمة أن يحكم عليه آباؤكم بالصلب، فحينئذ تكونون مشاركين في نفس المسؤولية عن صلب المسيح.

■ قداسة البابا، كيف ينظر الصهاينة إلى السلام، وأي سلام يريدون مع العرب برأي سيادتكم؟

■■ السلام في نظر الصهاينة هو أن يعيشوا هم وحدهم في سلام، وأما الباقون فعليهم السلام، لذلك فهم لا يأبهون بحقوق الغير، بل يريدون أن

يخضعوا الغير لهم حتى لو تنازل لهم عن جميع حقوقه. والسلام في نظرهم هو أن يكف المعتدى عليه من قبلهم عن المطالبة بحقوقه. وهذا يذكرنا بتلك العبارة التي قيلت أيام «سعد زغلول» ضد الاحتلال: "هناك قوم إذا رأوا ضارباً يضرب ومضروباً يبكي يقولون للمضروب لا تبك، قبل أن يقولوا للضارب لا تضرب". وهكذا فإنهم يريدون من العرب الذين احتلت أراضيهم أن يكفوا عن الكلام والاحتجاج والمطالبة بحقوقهم لكي تعيش المنطقة في سلام، دون أن يقول أحد للمحتل لماذا تغتصب أراضي غيرك من دون حق. السلام عندهم هو سلام اليهود فقط، وليس سلام المنطقة أو سلام جيرانهم أو سلام العرب عموماً.

■ ما هو تقييم قداسة البابا شنوده لما تلاقيه العملية السلمية من جمود ومماطلة، وماذا ترمي إسرائيل من ذلك؟

■■ الواقع أنه لا توجد حالياً عملية سلمية، وكل ما يوجد الآن هو سياسة كسب الوقت، سياسة كسب الوقت لتثبيت الأمر الواقع، والأمر الواقع هو دوام احتلال الأرض العربية، لذلك فهم يماطلون ويضيعون الوقت من أجل المزيد من بناء المستوطنات، والمزيد من استيطان أراض عربية جديدة، ثم يصبح الأمر الواقع معقداً، بحيث تصبح المشكلة: كيف يمكن إزالة كل هذا ؟ هذا ما حدث في الجولان حيث بنى الإسرائيليون مستوطنات عديدة، ولكي يتنازلوا عن الجولان صار لابد من أن يتنازلوا عن المستوطنات وعن الساكنين فيها، وهنا تتعقد المشكلة يوماً بعد يوم. فلكي يكون هناك عملية سلمية لا بد من أن تتوفر النية الصادقة في السلم لدى الطرفين. الواقع أن العرب يبدون استعدادهم للسلم كل يوم، لكن إسرائيل لا تبدي أي استعداد. وكلما تقدم العرب باقتراحات بناءة وقفت

إسرائيل ضد هذه المقترحات ولا تقبل إطلاقاً بأن تنفذها، كنا سابقاً نقول بأن إسرائيل وأمريكا تسيران في خط واحد، ولكن حينما تقدم أمريكا اليوم مقترحات للسلام تقف إسرائيل ضدها، وهي مستعدة لأن تعكر الأجواء في أمريكا نفسها ومستعدة أيضاً لأن تخلق إشكالات كثيرة للرئيس الأمريكي لكي ينشغل بهذه الإشكالات ولا يتكلم عن السلام أبداً، أنا أرى بأن المشكلة تتعقد يوماً بعد يوم، وأرى في الواقع بأنه ليس هناك عملية سلمية وإنما سياسة فرض الأمر الواقع واستمرار الاحتلال وإبقاء المستوطنات وزيادة عددها أيضاً كل يوم ومحاولة التحلل من الاتفاقيات الدولية السابقة، وحتى من قرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وأذكر بهذه المناسبة رسام الكاريكاتير المصري «صلاح جاهين» حين رسم رسماً كاريكاتورياً لـ«بيغن» رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الحين وإلى جانبه مدفأة مشتعلة وأمامه كومة من الأوراق هي قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وهو يقول: نريد أن نتدفأ هذا الشتاء بهذه الأوراق، فيما هو يضعها في المدفأة، والحقيقة أن إسرائيل لم تعد تعبأ بأي شيء له علاقة بالسلام.

■ صاحب القداسة، كيف يمكن للعرب عموماً أن يسقطوا المشروع التلمودي الصهيوني؟ ما هو دور الكنيسة القبطية والكنائس العربية في ذلك؟

■■ ما هو أصعب من التلمود (بروتوكولات حكماء صهيون) ففي هذا الكتاب تظهر نوايا إسرائيل في السيطرة على سياسة العالم كله وليس فقط على الأراضي المقدسة، والاستهانة بكل الديانات الأخرى، وبكلمات صريحة جداً. والعجيب أن مثل هذه الأشياء تنشر علناً، فإذا ووجهوا بما ورد فيها من حقائق بشعة وغير معقولة، حاولوا أن ينكروها وتبرؤوا من مسؤوليتها وتأثيرها على الناس، في حين أنه ينبغي على حاخامات إسرائيل أن يصدروا بياناً رسمياً

يرفضون فيه بروتوكولات حكماء صهيون، ويرفضون أيضاً ما ورد في التلمود، ولكني أعتقد بأنه لن يصدر مثل هذا البيان مطلقاً، إن كتاب التلمود كتاب ضخم وله أجزاء عديدة وأعتقد أن أغلب العرب حين يتكلمون عن التلمود فإنهم يتكلمون عما نشر حوله وليس عن التلمود نفسه، فهذه المسألة تحتاج إلى دراسة معمقة. وأنا أرى أن تقوم إحدى الجامعات بتقرير بحوث للدكتوراه حول هذه الأمور، مرة عن التلمود ومرة عن بروتوكولات حكماء صهيون، وعن أصلها ونسخها وترجمتها وما ورد فيها، وأن يكون البحث بحثاً علمياً ولا مانع أن يشارك في لجنة المناقشة أحد اليهود من الأساتذة أو من الحاخامات، أو على الأقل أن يصدر هذا البحث ويُنشر. وأن يترجم التلمود إلى اللغات العالمية المعروفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية حتى يكون في متناول أيدي الناس بحيث أنهم حينما يستشهدون بشيء منه يقولون إنه الجزء الفلاني.. الخ، والواقع أن كثيراً من اليهود يؤمنون بالتلمود أكثر مما يؤمنون بالتوراة، على اعتبار أن التلمود يشمل تفسيرات قادتهم لما جاء في التوراة.

■ إذاً، فالكتاب الحقيقي لليهود هو التلمود؟

■■ كتاب اليهود هو التوراة بالطبع، ولكن التلمود يمتلك مكانة كبيرة جداً لاتقل في وزنها عن مكانة التوراة.

■ قداسة البابا، أفهم من أقوالك أن الكنيسة لها دور هام في رفض الدعاوى التوراتية؟

■■ هذا صحيح، أتذكر أنني في إحدى المؤتمرات الصحفية التي دعيت إليها، ربما كان ذلك في ديسمبر عام ١٩٧١ في نقابة الصحافيين المصريين

(محاضرة منشورة في آخر الكتاب)، تعرضت إلى نقطة هامة هي التالية: هل ورد في العهد القديم أي نبوءات برجوع اليهود إلى أراضيهم بنص صريح وواضح، وقد قلت حينها: نحن لا ننكر وجود آيات عديدة في التوراة تتحدث عن رجوع اليهود إلى أرضهم، فهل تشمل هذه الآيات الوضع الحالي، والجواب: لا، إذاً فما معنى تلك النبوءات، معنى تلك النبوءات هو الآتي: لما كان اليهود قد تركوا عبادة الله، وانحدروا إلى عبادة الأصنام على نحو بشع، وخصوصاً في أيام «يربعام ابن نباط» الذي عاصر «رحبعام بن سليمان» والذي نشر عبادة الأصنام وجعل بني إسرائيل يضلون ضلالاً شديداً، وأيضاً في أيام «آخاب بن زمري» الذي كان يعاصره ٨٥٠ نبياً من أنبياء البعل والسواري يأكلون على مائدته ومائدة زوجته «ايزابيل» والذين قضى عليهم «إيليا» النبي، لقد انتشرت عبادة الأصنام انتشاراً كبيراً وعلى مدى زمني طويل، إلى حد أن الرب أسلمهم إلى أيدي أعدائهم في سورة غضب شديد وسُبوا إلى بلاد بابل في العراق، وحينما كانوا يعانون من آلام هذا السبي، وعدهم الله بالرجوع إلى أراضيهم من سبي بابل إلى أورشليم، وقد جرى هذا الرجوع فعلاً في أيام عزرا، وتم تدوين هذا الرجوع في سفري عزرا ونحميا، وكان يرافقهم زربابل. وقد أعيد بناء الهيكل أيام زربابل وسمي هيكل زربابل، بعد أن كان اسمه هيكل سليمان، وهكذا فإن الآيات التي وردت حول رجوع اليهود تعني رجوعهم من سبي بابل إلى أراضيهم في القرن السادس قبل الميلاد وليس اليوم مطلقاً، فهذه الواقعة التاريخية انتهى أمرها تماماً وجاء ذكرها في العهد القديم، ودونت فيه آنذاك، ولا علاقة لها إطلاقاً بالعهد الجديد، وإذا نحن أنكرنا وجود تلك الآيات فسيقف ضدنا من يريدون إحصاء لهذه الآيات، وإذا قلنا إن الكتاب المقدس "أي

العهد القديم" تم تزويره فسيقف ضدنا اليهود والمسيحيون، ولكن الرأي السليم أن نقول بأن الآيات موجودة، ولكنها لا تعني العصر الحاضر مطلقاً، ولكنها تعني الرجوع من سبي بابل الذي حدث في القرن السادس في أيام عزرا ونحميا، وأصبحت تلك الواقعة ملكاً للتاريخ وانتهى أمرها. وأذكر الآن أنني حين ألقيت كلمتي هذه أمام نقابة الصحفيين وتعرضت في البداية إلى آيات النص وشرحتها، قال لي الأستاذ «عبد القادر حاتم» (نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الإعلام وقتها) بعد انتهاء كلمتي إنها أفضل كلمة قلتها، فالآية موجودة في العهد القديم وهم يقولون لك تفضل آية كذا وسفر كذا.. ثم غضب الله بعد ذلك على بني إسرائيل مرة أخرى، وانتهى الأمر بمجيء المسيحية وقول السيد المسيح: هو ذا بيتكم، يترك لكم خراباً وحجر على حجر، لا يترك فيه إلا ويُنقض.

■ قداسة البابا، لقد حظرتم على الرعية زيارة القدس التي مازالت تحت الاحتلال. هل يمكن توضيح مغزى ذلك الحظر؟

■■ تعتبر زيارة القدس حالياً لوناً من التطبيع، وعلى الأخص إذا كان الناس يحملون اشتياقاً كبيراً لزيارة القدس ويذهبون إليها بالآلاف وبعشرات الآلاف، وسينجم عنها أضرار عديدة.

أولاً: تعتبر الزيارة نوعاً من التطبيع لأن معنى كلمة التطبيع هو أن نجعل الوضع الحالي طبيعياً، ولكن بقاء الاحتلال ليس شيئاً طبيعياً. إن تطبيع العلاقات يتم عادة في جو طبيعي، أما التطبيع على أساس بقاء الاحتلال وطرد سكان الأراضي من أراضيهم وتشريدهم، فكيف يكون هذا طبيعياً. نحن في الكنيسة القبطية ضد التطبيع وبجميع أشكاله، مع العدو الصهيوني.

ثانياً - إن اليهود مستعدون لأن يقولوا لنا: الزيارات متاحة لكم ومفتوحة أمامكم، لكن ملكية الأرض لنا. ويصبح مغزى الزيارات ليس الخلاف على ملكية الأرض وإنما الرضى بالوضع القائم.

ثالثاً - إن جميع هذه الزيارات ستدر عائدات سياحية ضخمة على إسرائيل.

رابعاً - ستنعش هذه الزيارات الاقتصاد الإسرائيلي وتنقذه من الجمود.

خامساً - يمكن للذين يذهبون أن يقعوا تحت تأثير الإعلام الإسرائيلي ويخضعوا لعملية غسل الدماغ، ولاندري ماذا سيكون تأثيرهم حينما يرجعون. ثم إن الأراضي المقدسة اليوم قد أصبحت ساحة حرب ونزاع وتطبيع، العلاقات مع إسرائيل في هذا الجو، معناه التنازل عن القضية الفلسطينية تنازلاً كاملاً.

مازال موقفنا من هذه المسألة كما هو، فنحن لا نغير موقفنا، وأن أقول لأبنائي: إن الله لا يدخل المسيحيين إلى ملكوته لأنهم زاروا الأماكن المقدسة، وإنما بنقاوة القلب، وقداسة السلوك والعلاقة الطيبة مع الله.

أنني أقول لأبنائي أيضاً: هل تريدون زيارة الأماكن المقدسة ... زوروها في مصر. فنحن في مصر لدينا أراضي مقدسة. فالعائلة المقدسة زارت مصر. ولها مواضع كثيرة في الطريق الذي سلكته، والأديرة الموجودة عندنا هي أقدم أديرة في العالم كله. والكنيسة القبطية هي أم نظام الرهبنة في العالم. فأول راهب في التاريخ هو القديس انطونيوس، وهو قبطي من صعيد مصر.

أنا أعلم أن كل مسيحي في مصر يريد أن يقدّس، أي أن يزور القدس.. وأقول لهم: أولاً ليس في المسيحية فريضة الحج. وزيارة القدس ليست من أركان الدين المسيحي، وأقول لهم ثانياً بأنني أعرف رغبتهم وأفهمها وأقدرها،

ولكن إذا كان ذلك يضر بالقضية الوطنية. قضية الوطن والشعب مسلميه وأقباطه، أليس الأفضل ألا نفعل؟ وأقول لهم ثالثاً أنا شخصياً لم أزر القدس والأماكن المقدسة فيها، وأذكر أن عجوزاً مسيحياً قال لي: أريد قبل أن أموت رؤية الأرض التي عاش عليها المسيح فقلت له: مت وأنت مطمئن،وسوف ترى المسيح نفسه وتعيش معه أيضاً.

إن قراري بمنع أبنائي الأقباط من زيارة إسرائيل هو قرار لا رجعة عنه، وأنا مقتنع به بناء على مبادئ معينة في داخلنا، وهذا القرار ليس نابعاً من السياسة وشؤونها، لقد قاسيت كثيراً بسبب هذا القرار. وهاجمني بسببه بعض الاقباط، ولكنني سأظل على موقفي والرب معي.

■ صاحب القداسة، مدينة القدس كمعنى وقضية كيف تنظرون إليها؟

■■ القدس التي يسميها اليهود أوروشليم ويسميها الكتاب المقدس مدينة الملك العظيم، مذكورة مراراً في العهد القديم وفي العهد الجديد أيضاً، ولعظم أهميتها سميت بالقدس، ولهذه المدينة المقدسة مكانة لدى سائر الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلامية، وفوق أرضها آثار دينية قديمة جداً تخص الأديان السماوية الثلاثة، وذكريات تاريخية، ولاسمها وقع عظيم في قلوب الجميع، وحين يستأثر اليهود بها فإن معنى ذلك أن ديناً واحداً من الأديان الثلاثة هو المسيطر عليها، كما أن تدويل القدس معناه تنازل العرب عن ملكية القدس وعن عروبتها، وإذا قبل العرب مسلمين ومسيحيين بمسألة التدويل، فما أسهل أن يصبح وضع القدس متداولاً بين إدارة العرب لها ثم إدارة إسرائيل، وهي خطوة وسيطة تنتهي أخيراً بالسيطرة الإسرائيلية الدائمة، إن القدس الجديدة مختلفة جداً عن القدس القديمة، كما أن بناء مستوطنات في القدس

جعل الصورة الأثرية للقدس تفقد قيمتها التاريخية القديمة ومع ذلك فإن العالم كله مهتم بحل مشكلة القدس وعدم بقائها في وضعها الحاضر.

أولى مشكلات القدس كان تقسيم المدينة إلى شرقية وغربية، تلا ذلك استيلاء اليهود عليها شرقاً وغرباً، وفيما بعد جرى العمل على تغيير طابع القدس وإزالة هذا الطابع الأثري القديم وبناء مستوطنات جديدة فيها، ومن المخاطر التي تحيق بالقدس التنقيب الجاري تحت المسجد الأقصى، فإذا زعم اليهود بأن المسجد الأقصى قد بني على أطلال هيكل سليمان فسيصبح هذا المسجد مهدداً بخطر جسيم، ولا ندري ماذا سيفعل به اليهود وماذا سيكون مستقبله.

■ صاحب القداسة، لقد قمتم بزيارة دمشق في شهر مارس (آذار) ١٩٩٧ أية انطباعات حملتم عنها يا صاحب القداسة؟

■■ دمشق مدينة قديمة جدا، بل هي من أقدم المدن التاريخية الأثرية في العالم. ويذكر لنا التاريخ المسيحي قصة «بولس» الرسول حينما ظهر له المسيح في الطريق إلى دمشق، ولكننا حين نعود إلى ما قبل ذلك إلى أيام أبينا «إبراهيم أبي الأنبياء»، نذكر أنه أرسل غلامه «العازر الدمشقي» لاختيار زوجة لابنه «إسحاق»، لقد كان «العازر» إذن ينتمي إلى دمشق أيام سيدنا «إبراهيم»، فدمشق مدينة قديمة جداً وحافلة بالآثار. خلال زيارتي لها سررت جداً بزيارة الأماكن الأثرية التي لاتزال كما هي، لما تحظى به من الاهتمام. ودمشق هي عاصمة سوريا، وسوريا هي إقليم عظيم الشأن أيضاً ضارب في القدم، ولسوريا مكانتها الرفيعة في التاريخ منذ قرون عديدة. خلال زيارتي الأولى لها، وكانت في أكتوبر/(تشرين الأول) عام ١٩٧٢، التقيت بالرئيس «حافظ الأسد» وكانت لنا جلسة طيبة وممتعة، وشعرت بروحه البعيدة كل البعد

عن التعصب بكل أشكاله، فهو يكرم المسيحيين كما يكرم المسلمين، ولا فرق عنده بين هذا وذاك، والوحدة الوطنية الحقيقية سائدة.

وفي زيارتي الثانية لسوريا في العام الماضي ١٩٩٧ وجدت أن هذه الروح ما تزال سائدة حتى الآن، وقد كان لنا لقاء طيب مع سيادة الرئيس «حافظ الأسد»، حضره كل ممثلي كنائس الشرق الأوسط ورؤساء المجلس والسكرتير العام والعديد من الأعضاء، واستمتعت بجلسة طيبة مع رجل صريح وصامد ومفكر. والحقّ إنّنا معجبون جميعاً بصمود الرئيس «حافظ الأسد» في وجه العدوان الصهيوني وضد احتلال اليهود لأرض العرب، ولم تتغير سياسته إطلاقاً منذ عام ٦٧ حتى الآن، رجل يمثل الصمود العربي والقوة العربية والصراحة العربية. وقد أصبح موقفه هذا موضع احترام حتى من اليهود أنفسهم ومن الأمريكان، والجميع يأمل أن تحل سوريا مشكلتها مع الاحتلال، ونحن نصلي من أجل أن يرجع الجولان إلى السيادة السورية مثلما كان من قبل. ونصلي كي يوفق الله الرئيس «حافظ الأسد» في خطواته الوطنية والقومية.

■ قداسة البابا بين لقائكم الأول في أكتوبر/(تشرين أول) عام ١٩٧٢، ولقائكم الثاني في مايو/(أيار) عام ١٩٩٧ بالرئيس «حافظ الأسد»، مرّ خمسة وعشرون عاماً هل نستطيع معرفة شيء عن انطباعكم عن ذلك؟

■■ انطباعي أن سوريا، مازالت نفس سوريا وأن «حافظ الأسد» مازال نفس «حافظ الأسد»، كما أن مكانة هذا الإقليم في قلوب العرب هي نفس المكانة، لأن سوريا هي إحدى الدول العربية الكبيرة والقوية في الشرق الأوسط، والمسيحيون فيه يعيشون في راحة كاملة وكلهم راضون كل الرضى عن القيادة الحكيمة للأسد وعن سياستها الصائبة هم وإخوانهم من المسلمين.

■ قداسة البابا، كيف رأيت سوريا شعباً وبلداً ووحدة وطنية، وحرية في ممارسة الشعائر والعبادات؟

■■ رأيت فيها حرية العبادة، وكذلك حرية إقامة دور العبادة من دون أية صعوبات، كما رأيت حرية التخاطب مع رئيس الدولة وسهولة مقابلته، ولمست العلاقة الطيبة بين سائر رجال الدين وبين رئيس الجمهورية. وهنا أريد العودة إلى الرئيس «حافظ الأسد».

عندما أتحدث عن «الرئيس الأسد» باستمرار، أتذكر صفات الصمود والقوة والحكمة، فهو إنسان صامد في سياسته ومواقفه، ويصر على استعادة أراضيه في الجولان وجنوب لبنان وفلسطين، و«الرئيس الأسد» مشرَّبٌ بالعروبة الصافية، وهو بعيد كل البعد عن التعصب الديني. والمسيحيون في سورية يشعرون بكامل الراحة والرضا والسعادة بسياسته نحوهم، هم وإخوانهم المسلمون، وهو من الشخصيات العربية البارزة جداً، نرجو أن يوفقه الله ويسعد سورية برئاسته. كما يسعدنا أيضاً نمو علاقات المودة بين «الرئيس الأسد» و«الرئيس مبارك»، وبين مصر وسورية، والزيارات المتبادلة بين الرئيسين تكون باستمرار وحدة في العمل العربي، وسياستهما معاً في اتجاه مشاكل الشرق الأوسط والموقف تجاهها. وأنا في الزيارتين اللتين قمت بهما إلى سورية عام ١٩٧٢ وعام ١٩٩٧ كنت أشعر هناك وكأنني في وطني تماماً، شاكراً ما لقيته من محبة وترحاب.

في دمشق دعيت إلى «مسجد أبو النور» في حي ركن الدين لإلقاء محاضرة فيه، ودخلت المسجد ومعي حوالي خمسة أو ستة من الآباء البطاركة، وعدد كبير من الآباء المطارنة والأساقفة، كانت الدعوة من قبل الشيخ الجليل «أحمد

كفتارو»، وفي المسجد كان هناك آلاف من الناس غصت بهم ساحة المسجد الواسعة والمباني المحيطة به من كل ناحية، وألقيت كلمة شملت النواحي السياسية الوطنية والنواحي الدينية، وقوبلت كلمتنا بالترحاب الكبير. وعقب المحاضرة جلسنا جلسات خاصة مع الشيخ كفتارو ومع باقي الشيوخ، وكذلك مع وزير الأوقاف الأستاذ «محمد زيادة» الذي كان في استقبالنا وتوديعنا في المطار. والحقيقة إنني احتفظت بذكريات طيبة جداً من زيارتي لدمشق، سواء من لقاءاتي بشيوخ المسلمين أو من لقاءاتي بجميع الوزراء ورجال الدولة، وعلى الأخص من لقائي برئيس الجمهورية فقد كان الترحاب كبيراً وكرم الوفادة في أعلى حدوده، وقد حضرنا اجتماعات عديدة جداً والقينا كلمات عديدة جداً في مناسبات متعددة، حتى أن هذه الزيارة تحتاج إلى كتاب يدوّن فيه كل ما قمنا به من زيارات وما ألقينا به من كلمات وما توطد فيه من علاقات. والحق إنني لن أنسى أبداً زيارتي الثانية هذه لدمشق.

■ صاحب القداسة، ما هو دور الكنائس المسيحية الشرقية لدعم موقف سوريا لتحقيق السلام العادل والشامل؟

■■ الكنائس الشرقية، ومعها باقي الكنائس، تؤيد جميعها سياسة سوريا لسببين أثنين: أولاً: إنّ رجال الكنيسة كمواطنين سوريين وعرب يحبون بلادهم من أعماق قلوبهم، وثانياً: لأن الحق إلى جانب سوريا، فهم يؤيدون سوريا ويؤيدون الحق الذي هو إلى جانب سوريا، والرئيس «حافظ الأسد» رئيس الجمهورية يشعر بلا شك بأن كل الكنائس تقف إلى جانبه وتؤيده في سياسته، والجميع يريدون أن تتحرر بلادهم من ربقة المغتصب الذي اغتصب منطقة حيوية هي منطقة الجولان.

■ قداسة البابا، في مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي عقد في دمشق دار حوار حول وحدة الكنائس في الشرق. إلى أين وصل هذا الحوار؟

■■ لوحدة الكنائس مستويان أساسيان، أحدهما قائم والثاني يحتاج إلى مدى زمني للوصول إليه، أما الوضع القائم فهو وحدة الكنائس في العمل ووحدتها في الاجتماع وفي التفكير المشترك، ومجلس كنائس الشرق الأوسط يضم أربع أسر: الأسرة الأرثوذكسية الشرقية القديمة، والأسرة الأرثوذكسية البيزنطية، والأسرة البروتستانتية، والأسرة الكاثوليكية التي انضمت أخيراً. وبذلك يكون للمجلس أربعة رؤساء يمثلون هذه الكنائس، والجميع ملتزمون بوحدة العمل المشترك، وفي الشهادة المشتركة للحق، أما الوحدة العقائدية فتحتاج إلى زمن طويل وإلى حوار لاهوتي، نحن نعمل في بعض المجالات الممكنة ولكن الوحدة العقائدية تحتاج إلى مجالات أوسع من مجال الشرق الأوسط، فالأسرة الكاثوليكية لا يمكنها الموافقة إلا باتفاق الكاثوليك في العالم كله، والأسرة الأرثوذكسية البيزنطية ترتبط أيضاً باتفاق عقائدي مع أربع عشرة كنيسة في العالم من قسطنطينية أو تركية إلى روسية ورومانية وبلغارية إلخ...... فليس الأمر سهلاً كما ترى.

والأسرة الأرثوذكسية الشرقية وقّعت اتفاقية تجمع الكنائس الأرثوذكسية في الشرق الأوسط للأقباط والسريان والأرمن، وهؤلاء يتخذون موقفاً موحداً في أي اتفاق على المستوى المسكوني، والأسرة البروتستانتية أيضاً لها كنائس متعددة. وهكذا فأن الأمر ليس سهلاً من ناحية وحدة العقيدة، ويحتاج إلى زمن وجهد أطول غير أن هناك وحدة مسيحية في العمل المشترك ضمن المساحة المشتركة.

■ في حال توصلت الكنائس الشرقية إلى النجاح في التنسيق والتشاور فيما بينها، ما هي انعكاسات هذا النجاح على المسألة العربية برمتها؟

■■ مهما تعددت واختلفت عقائد الكنائس الشرقية، فهي واحدة من ناحية الخط السياسي والخط الوطني والقومي. ففي هذا المجال هناك إجماع كامل، وقد صدر بيان مشترك في تأييد القضية العربية والقضية الفلسطينية، وفيما يخص مأساة الشعب العراقي وما يعانيه من آلام بسبب نقص الأغذية والأدوية وانتشار بعض الأوبئة وسوء الحالة الاقتصادية إلى حد بعيد فإن مجلس كنائس الشرق الأوسط يبذل كل ما في وسعه للوقوف إلى جانب الشعب العراقي ومساعدته مادياً ومعنوياً.

■ قداسة البابا، وادي النطرون والأديرة والإقامة في الأديرة بكل تجلياتها ماذا تعني لكم ؟

■■ يضم وادي النطرون أربعة أديرة كبيرة ترجع إلى القرن الرابع الميلادي، وهي حسب تاريخ تأسيسها: دير البرموس، ودير أبو مقار، ودير الأنبا بيشوي، ودير السريان. وهذه الأديرة عامرة جداً بالرهبان، وهي تمتلك مساحات من الأرض واسعة جداً نتجت عن استصلاح أراضي الصحراء. وقد نشأت أنا راهباً في دير السريان، فقد ترهبنت منذ ٤٤ عاماً في دير العذراء السرياني، وعلاقتي بهذه المناطق علاقة دائمة ومتينة، وخلال فترة رهبنتي كنت أمكث باستمرار في الدير، وحين حضّرت رسامتي الأسقفية، كنت أقضي نصف الأسبوع في وادي النطرون داخل الدير وأقضي النصف الآخر في القاهرة، وثابرت أيضاً وأنا بطريرك على هذا التقليد، ولم أنقطع قط عن هذه

المنطقة حتى أصبحت مألوفة لدي بكل ما فيها. وفي اعتقادي أن على رجل الدين أن لا تشغله الخدمة، وحين يخدم في هذا العالم ينبغي أن لا تشغله الخدمة عن نفسه، لأنه يحتاج إلى فترات من الهدوء والسكون والخلوة لكي يجلس إلى نفسه ولا يمضي الوقت كله في الجلوس مع الناس، فحتى الطبيعة لها تأثيرها على رجل الدين كما قال أحد الآباء، إن مجرد النظر إلى القفار يميت في القلب الحركات الدنيوية. وأتذكر أنني حينما كنت أحيا حياة الوحدة في تلك القفار، كان الهدوء وجلال الطبيعة يغمراني ويسكنان نفسي، وأتذكر أيضاً أنني كتبت مرة هذين البيتين:

هدوء الليل موسيقا وأنغام تداعبني
وصوت الريح في رفق يصبّ اللحن في أذني

كنت أشعر كما لو أن لصوت الريح لحنه وموسيقاه، وكنا نجلس أحياناً هناك في صمت الطبيعة الشامل، إلى درجة أنني كنت أقول لبعض الزوار: أنصت الآن لكي تسمع صوت الصمت. وبالرغم من وجود عشرات ومئات الرهبان، فإن ذلك لم يكن يعكر الهدوء، لأن المساحة رحبة جداً. كان للرهبان مواقعهم التي يعيشون فيها حياة الشراكة الرهبانية، ولكن بقية المنطقة تظل في هدوء شامل. إضافة إلى ذلك، كان للأديرة نشاطاتها العديدة، فهناك النشاط الزراعي وإنتاج الخيرات، وهناك النشاط الفني وإنجازاته، وهناك النشاط العلمي والفكري، فعلى سبيل المثال كان الرهبان يتعلمون فن العمارة وإنشاء المباني وفن صناعة التحف الخشبية المرصعة، ويصنعون بالعمل اليدوي أيضاً الأيقونات واللوحات الفنية سواء بالموزاييك أو بطريقة الرسم بالزيت، وينتجون مصنوعات عديدة في داخل الدير، ورهبان الأديرة هم أول من

استصلح الصحراء قبل أن تبدأ الدولة بمشاريع الاستصلاح، ومنذ ١٦ قرناً كانت الأديرة ولا تزال مزارات يؤمها السائحون من كل جهات العالم، كما يأتي إليها الأقباط والمصريون عامة للزيارة، ومن أجمل المناسبات الحالية في الأديرة، أعيادُ القديسين التي يحتفلون بها، فيحضر آلاف من الناس تعبيراً عن محبة الأقباط للقديسين، ورغبة في التبرع. وأعياد القديسين تفوق الوصف، ليس في أديرة وادي النطرون فحسب، بل وفي أديرة أخرى مثل دير الرزيقات قرب الأقصر حيث يحضره سنوياً في فترة العيد مئات الآلاف من الزوار إلى درجة أن الدير اشترى ١١١ فداناً تنصب فيها الخيام لاستيعاب جموع الناس في فترة العيد، كما أن آلاف الزوار يؤمون دير العذراء ليشاركوا في عيد العذراء في دير المحرق الذي كان آخر موئل للعائلة المقدسة، كما أن هناك آلاف الناس يزورون دير الأنبا شنوده في بريّة سوهاج. لقد ظلت الأديرة عامرة بمحبة الناس ومحبة أعياد القديسين، وفي أديرة وادي النطرون أيضاً بيوت خلوة للشباب، يمضون فيها فترات خلوة روحية في ظل إرشاد روحي، وقد أصبحت من الأماكن المعروفة عند جميع الأقباط، ولا ننسى إطلاقاً ما قمنا به في دير الأنبا بيشوي في وادي النطرون حيث كنا نحتفل بصنع الميرون (الزيت المقدس) في كل يوم أربع مرات، وهي أكثر مرة نحتفل فيها بصنع الميرون في كافة عصور الكنيسة. ويوجد في كل دير متحف يحتوي على بعض الآثار الدينية إضافة إلى الأماكن الأثرية نفسها في داخل الحصون التي بنيت أيام الرومان، وقد اعتاد أبناء شعبنا كثيراً أن يقضوا يوم شم النسيم التابع لعيد يوم القيامة في تلك الأديرة، والواقع أن الحياة في الدير متعة خالصة، أما عن إقامتي في الدير في فترة خلافاتي مع الرئيس السادات فقد ذهبت إلى الدير

لتمضية نصف الأسبوع هناك، فضرب الجيش حصاراً عسكرياً حول الدير، وكان ذلك خلال حركة ٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨١م التي قام بها الرئيس السابق، فقضيت في الدير تحت الحصار العسكري أربعين شهراً من ٥سبتمبر سنة ١٩٨١ إلى يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٨٥.

■ هل هناك سابقة في تاريخ الكنيسة القبطية فرضت فيها الإقامة الجبرية على أحد البابوات؟

■■ حدث ذلك أيام البابا «كيرلس الخامس» ووكيله الأنبا «يؤانس» الذي صار فيما بعد البابا «يؤانس التاسع عشر»، وكان ذلك لمدة بسيطة نتيجة خلاف كنسي طلب من الدولة التدخل فيه أيام الخديوية قبل الانتداب البريطاني وخدمة البابا «كيرلس الخامس» بدأت على الأرجح في سنة ١٨٧٥م.

إنني بطبيعتي أحب البقاء في الدير، ورغم أنني بقيت أربعين شهراً فيه بناءً على قرار من الرئيس السادات، ولكني لم أتضايق نفسياً، على العكس من ذلك، فقد كانت بالنسبة إليّ فترة نشاط مكثف داخل الدير، فمن الناحية الفكرية قمت بتأليف بعض الكتب فأصدرت آنذاك ستة عشر كتاباً من كتبي، بالإضافة إلى عقد اجتماعات مستمرة، اجتماعات روحية لآباء الرهبان وإلقاء محاضرات عليهم، وقمت أيضاً ببعض النشاطات الزراعية والعمرانية في الدير، لأن ذلك كان من جملة هواياتي، لقد كانت فترة لطيفة للغاية زارني فيها وزير الداخلية «حسن أبو باشا» ثلاث مرات في الدير وزارني وزير الدولة مرة وكان اسمه «سعد مأمون»، وكانت وفود الشعب تأتي لزيارتي، فكنت أقيم لهم اجتماعات روحية في الدير، وزارني طبعاً الكثير من الآباء الأساقفة، ثم بدأت التمهيدات لعودتي إلى القاهرة، وكانت آخر خطوة فيها زيارة اللواء «أحمد رشدي» وزير

الداخلية الذي خلف «حسن أبو باشا». رجعت إلى القاهرة واستُقبلت في البطريركية وألقيت كلمة للشعب قلت فيها لقد هنأني الكثيرون بعودتي إلى مقري مرة أخرى، والواقع أنني لا أعرف لي مقراً سوى قلوبكم المملوءة بالحب، وعن هذا المقر لم أبتعد لحظة واحدة ولا حتى طرفة عين، ثم أقبل عيد الميلاد فاحتفلنا به في ٦ يناير (كانون الثاني) وأقيمت الصلاة في ذلك اليوم الذي حضره جموع غفيرة تعدّ بالآلاف من بسطاء الناس، وكان ذلك احتفالاً غريباً عام ١٩٨٥، ثم عادت الأمور طبيعية كما كانت، بل ازدادت قوة وعمقاً.

في تلك الفترة التي قضيتها في الدير، ربما كانوا يظنون أنني لو عدت إلى القاهرة فستعتدي عليّ الجماعات المتطرفة. غير أنه لم يحدث شيء من هذا القبيل، وهذا ما قاله لي وزير الداخلية اللواء «حسن أبو باشا» في أول زيارته: تأكد أن هذه الحراسة لك وليست عليك، وقالها لي أيضاً مدير المباحث العامة في زيارة له، فقلت له: الحراسة التي لي تحرسني حيثما تحركت، أما الحراسة التي عليّ فتمنعني من الحركة، وهذا فارق كبير، والواقع أنني لم أنزعج إطلاقاً في تلك الفترة، ولكن الشعب كان منزعجاً. كما أنني انقطعت فيها عن إلقاء محاضرات الكاتدرائية على جري عادتي كل أسبوع.

■ قداسة البابا، هل يمكنكم أن تحدثونا عن علاقتكم مع الرئيس أنور السادات؟

■■ قابلت الرئيس «أنور السادات» في يوم أول نوفمبر (تشرين الثاني) أي في اليوم التالي للقرعة الهيكلية، قابلته حينذاك لأول مرة في قصره في الجيزة عام ١٩٧١ وكان لقاء عاطفياً حاراً، وقبل الاحتفال الرسمي كان قد أصبح معروفاً بأنني البطريرك الجديد. فقد صدر مرسوم جمهوري باعتماد

القرعة.. الخ، وقال لي بالحرف الواحد: أنا درست تاريخ الكنيسة جيداً، وأريد للكنيسة القبطية أن تعود لها أمجادها القديمة، ولكنني حينما حاولت العمل في الكنيسة قامت الدنيا عليّ ولم تقعد، وبدأت سلسلة طويلة من المضايقات من قبل المتطرفين.

بعد أن توليت المسؤولية، قابلني الأستاذ «مصطفى بهجت بدوي» ومعه الأستاذ «عبد الحميد حمروش» وطلب مني أن أكتب مقالاً أسبوعياً في جريدة الجمهورية، وبدأت فعلاً بكتابة مقالات أسبوعية كان لها تأثيرها الإيجابي الكبير إلى أبعد الحدود، وأوجدت جواً جميلاً بيننا وبين أخوتنا المسلمين.

ثم حدثت بعض المضايقات، وحين شعرت بها، ألغيت هذا المقال الأسبوعي، وكان ذلك في منتصف يوليو عام ١٩٧٢ رغم أن مقالاتي أحدثت تأثيراً حسناً، وكان بيني وبين الأستاذ «أحمد حمروش» صداقة فدعاني لإلقاء محاضرة بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على موقعة حطين التي انتصر فيها «صلاح الدين الأيوبي» على الفرنجة فألقيت محاضرة سجلت على شريط فيديو، وكان لها أثرها الإيجابي الكبير.

أذكر الآن ما قاله الأستاذ «محمد حسنين هيكل» بعد أن ألقيت المحاضرة، فقد قال: ((بعد أن تحدثت يا استاذنا ليس هناك من يتحدث بعدك))، وهذا يعني أنه كان معجباً بكلمتي التي شرحت فيها ما ورد عن إسرائيل في الكتاب المقدس.

كان قد حدث أمر غريب كانت له نتائجه في ١٥ مايو ١٩٧١ وقبل أن أتولى مسؤوليتي الحالية بستة أشهر، كان السادات قد قام بما يسمى بحركة

التصحيح، وزجّ بجميع الذين كانوا مع عبد الناصر في السجون، وقال السادات يومها أنه اكتشف حركة تجسس عليه في بيته، وواقع الأمر أنه كان عاجزاً عن ممارسة سلطته على هؤلاء، لأنهم كانوا أقدم منه في مؤسسات الحزب، فـ«علي صبري» مثلاً كان هو المسؤول عن الاتحاد الاشتراكي كله، فكان يمسك بيده السلطة الشعبية، وكان «محمد فوزي» قائداً للجيش، كانت كل مقاليد السلطة في أيديهم، فلم يكن السادات قادراً على ممارسة السلطة، ولم يتمكن من ذلك إلا بعد أن قبض على هؤلاء ووضعهم في السجن، لم يكن للسادات سلطة شعبية ولاتمثيل سياسي، فأخرج الأخوان المسلمين من السجون ليساندوا سلطته، وبدأ يشجع الجماعات الإسلامية على الظهور كي تشكل سنداً شعبياً له.

وقال السادات بالحرف: يعني الجماعة دول أنا (حافرمهم)، هكذا قال بالنص، وخرجت تلك الجماعات تهتف وتقول " أفرم أفرم يا سادات.. الناس خونه جبنات.." لقد ساندوه وصار بينه وبينهم اتفاق جنتلمان، والبعض من هؤلاء الذين أخرجهم من السجن أعادهم إلى مناصبهم مع حقهم في الأقدمية، افترض مثلاً أن شخصاً كان في السجن وكان في الدرجة الرابعة فلدى خروجه حسبت له مدة السجن كأقدمية ورقي إلى الدرجة الأولى، كان هؤلاء مشحونين بالسخط، وكانت فورة الغضب التي تملأ نفوسهم خلال فترة السجن على وشك الانفجار، ما كان بوسعهم أن يهاجموا الدولة لأنها هي التي أخرجتهم من السجن، فكان هجومهم على الأقباط، وأحرقت عدة كنائس في تلك الفترة، ولم يحاول السادات حتى إعادة بناء الكنائس التي أحرقت، كان الجو متوتراً جداً منذ اللحظة التي خرج فيها هؤلاء السجناء من المتطرفين، وذلك لأنهم كانوا قد كوّنوا لأنفسهم

مبادئ جديدة أكثر تطرفاً من مبادئهم عندما دخلوا السجن، لعل من ضمن هؤلاء كانت جماعة التكفير والهجرة التي كان أعضاؤها يكفّرون المجتمع كله، ويهاجرون وهم يقولون إنهم يهاجرون من هذا المجتمع الكافر إلى فترات خلوة أو هدوء، والواقع أن هذه الفترات كانت فترات تدرّب على السلاح وعلى تزوير البطاقات الشخصية وجوازات السفر وعلى البحث عن طرق الهروب.. إلخ، فلما عادوا من خلوتهم عادوا بقوة إلى درجة أن خطورتهم حولّها البعض إلى فكاهة حين قالوا: صار المجتمع قسمين: قسم التكفير والتهجير، وقسم التفكير بالهجرة.

«الشيخ الذهبي» قتلوه فعلاً، مع أن «الشيخ الذهبي» كان في وقت من الأوقات عميداً لكلية أصول الدين، كان شيخاً له مكانته الدينية المرموقة ومن الصعب على أحد أن يتهمه بالكفر، وقد اتهمه بعض الشباب بأنه كافر، وذلك على رأي الشاعر الذي قال:

سيقول الناس عني في غد قد عصى اللة إمام المتقين

قتلوا ذلك الشيخ، وتسمّم الجو بسبب هذه الجماعات، ثم تكاثرت هذه الجماعات وتوالدت، وكان السادات يقول عن هؤلاء المتطرفين: هؤلاء هم أولادي، وكان يشجعهم كما كان يشجعهم أيضاً «محمد عثمان إسماعيل» محافظ أسيوط.

أنشئت جامعة أسيوط قبل ظهور هذه الجماعات، فقد أنشئت في عهد «جمال عبد الناصر»، وعهد برئاسة الجامعة إلى الدكتور «سليمان حزين»، وكان هذا الرجل متعصباً جداً فأخذ يرتب أوضاع الجامعة بالطريقة التي يريدها،

وصار مناخ الجامعة يشكل خطورة. وبعد زمن صار «سليمان حزين» رئيساً للجامعة وأميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي في أسيوط، فأصبح مصدر خطر كبير على أجيال الشباب، وتخلص منه «جمال عبد الناصر» بطريقته المعهودة، فقد رقاه إلى وزير ثقافة، فترك منصبه وفقد كل شيء، ومايزال تأثيره موجوداً في أسيوط، وشعر السادات بخطر هذه الجماعات ولكنها كانت هي الوحيدة التي تسانده، واستطاع بشكل أو بآخر أن يشكل له حزباً منها، كان يقول: قدري أن أنزل إلى الشارع السياسي وأشكل له حزباً، لكن هذه الجماعات كانت قد انتشرت وأصبحت خطراً على السادات نفسه إلى درجة أن السادات خلال زيارته لجامعة أسيوط وجامعة المنيا في ١٤ـ ١٥ أبريل عام ١٩٧٨ ألقى خطبة هناك على الهواء، وتحدث فيها عن الاعتداءات على المسيحيين بالاسم، فلان ضرب فلان..الخ، ولكن من دون فائدة، فقد وصل بهم الأمر إلى أن اعتدوا على الطلبة المسيحيين في المدينة الجامعية، وضربوهم وأهانوهم وطردوهم من المدينة الجامعية، وحتى في الفترة التي تسبق الامتحانات. وأصبح الجو متوتراً. وكان السادات يتوجه في خطابه إلى محافظ أسيوط قائلاً: أنت تسمعني يا محمد عثمان إسماعيل، ثم يكرر كلامه: أنت تسمعني يا محمد، وحين سألني البعض بعد خطاب السادات: ما رأيك وكيف تسير الأمور، قلت لهم: لقد قالوا للسادات "يا ريّس أنت تتحدث على الهواء" فقال لهم: أنا أريد أن أصارح شعبي، في تلك الفترة لم تكن حدة الخلاف قد احتدمت بينهم وبين السادات، ثم قلت لهم لماذا لايعزل السادات محمد عثمان إسماعيل بسبب خطورة ميوله المتعصبة، وحينما نقلوا كلامي للسادات أجابهم: محافظ أسيوط متعصب ومطران أسيوط متعصب أيضاً، فإذا عُزل المطران يُعزل المحافظ.

ما أعرفه عن تعصب هذا الرجل، أعني المطران أن أولاده الرّوحيّين قد أصيبوا بجراح في داخل أبرشيته وطردوا من المدينة الجامعية، ثم حدث الاعتداء أيضاً في عام ١٩٧٧ على مطرانية أسيوط نفسها وعلى المحلات التجارية في أسيوط وعلى الصيدليات..الخ، لكن السادات كان حينها يمارس السياسة التي يسميها البعض سياسة التوازنات، حيث أشيع أن هناك تعصّباً من هنا وتعصّباً من هناك، متعصبين أقباط، ومتعصبين مسلمين، ومتطرفين أقباط ومتطرفين مسلمين. بدأت الشائعات تروج بهذا الاتجاه وأنه لا بد من إقامة التوازن، وأخذوا يشيعون بأن الأديرة تحتوي على مخازن أسلحة، وعندما حدثوني عن هذا الأمر قلت لهم: إنّ الأديرة مفتوحة أمام الجميع، أمام كل شخص يدخل إليها، فأين هو السلاح؟ وإذا كان هناك سلاح فأين كانت وزارة الداخلية وكيف اكتشفت السلاح دون أن تقبض على أحد، فلم يحدث مطلقاً أن قبطياً واحداً ضُبط ومعه سلاح غير مرخص، لكن الشائعات بدأت تعكر الجو، ووزعت نشرات سرية صعّدت التوتر للغاية، وأصبح الجو ملتهباً، كانت الجماعات المتطرفة موجودة في الجامعات وعلى الأخص في جامعة أسيوط والمنيا، والمدينتان قريبتان من بعضهما، وكان أفراد هذه الجماعات يستخدمون ما يسمى بمجلات الحائط، وعلى صفحاتها كانوا يهاجمون الدولة من أكبر رأس فيها إلى أصغر المديرين، لم يكن «جمال عبد الناصر» يسكت عن مثل هذه الأعمال، ولكن «أنور السادات» كان للأسف يسكت عنها، وقتل «جمال حسن علي» في نفس الأسبوع، وتحدثت مع بعض المسؤولين ووجهت إليهم أسئلة ذات مغزى وأجابوني إجابة لم أقتنع بها، ثم أثبتت الأحداث أن رأيي كان صحيحاً، قلت لهم يومها إنّ هؤلاء الأولاد المتطرفين في الجامعة والذين يحررون مجلات الحائط ويشتمون فيها من رئيس الجمهورية وحتى

أصغر القيادات، هؤلاء حينما يتخرجون من الجامعة ألا يلتحقون بالخدمة العسكرية، قالوا: نعم، قلت إذن فإن تطرفهم سوف ينتقل إلى الجيش، قالوا: لا، اطمئن، فالجيش نظيف تماماً وهو محصن ضد التطرف، ثم ظهر أن الذين قتلوا السادات كانوا من الجيش، وبعد مقتل السادات بالطبع بدأوا يطهرون الجيش تطهيراً على أعلى المستويات، فقد كان هؤلاء المتطرفون ضباطاً في الجيش، خالد الإسلامبولي كان ضابطاً في الجيش و«عاطف الزير» كان ضابطاً أيضاً، لذلك فقد بدأوا بعد حادثة السادات عملية تطهير واسعة داخل الجيش، كان الجو مشحوناً بالتوتر إلى أعلى حد، وكان السادات يريد أن يتخلص من هذا الجو، ولكنه يريد أن يتخلص منه عن طريق التوازنات، فيضرب الأقباط ويضرب المتطرفين المسلمين في نفس الوقت، وحين كنت أخبره عن الاعتداءات على المسيحيين، لم يكن يتقبل مني ذلك، لماذا؟ لأن أمراً خطيراً قد حصل، وهو اتفاقية كامب ديفيد بينه وبين اليهود، فقد صوّرته صحف الغرب كبطل من أبطال السلام، وقسموا جائزة نوبل للسلام بينه وبين بيغن رئيس وزراء إسرائيل، وصار اسمه في الصحف الغربية يلمع كبطل من الأبطال، وفي مثل ذلك الوضع لم يعد يحتمل نقداً من أحد على الإطلاق، وصار يعتبر كل شكوى أقدمها إليه ضد هؤلاء المتطرفين، إساءة لحكمه وإساءة لشخصه، وكان السادات في ذلك الوقت يعتبر كل انتقاد له هو انتقاد لمصر، ولكي يتخلص من القيادات القبطية التي تشكو من عدوان هذه الجماعات ويصفو له الجو تماماً، أصدر قرارات خمسة سبتمبر، ففرضت الإقامة الجبرية على البابا وبعض الأقباط في الدير وألقي في السجن ثمانية من المطارنة الأقباط ومن الأساقفة، كما أن أربعة وعشرين من الآباء والكهنة ألقوا في السجن ومعهم قرابة مئة من كبار الأقباط، ومن جهة أخرى زُجّ

بحوالي ١٧٠٠ من أفراد الجماعات المتطرفة في السجن، وأدخل إلى السجن أيضاً كبار رجال الصحافة.

حتى زعماء الأحزاب السياسية أيضاً، زجّ بهم السادات في السجن، ومن بينهم هيكل وأحد زعماء حزب مصر الذي تحول إلى الحزب الوطني وهو «عبد العظيم العطا»، وقد مات في السجن، وسبق هذه الحملة خلاف مع الصحافة، ثم سُنّ قانونٌ جديد للصحافة، ونشب خلاف مع المحامين وحلت على أثره نقابة المحامين، وبات الجو أيام السادات مشحوناً بالفتن والاشتباكات، وقد ارتأى السادات أنه مقابل ١٧٠٠ عنصر من الجماعات الإسلامية ينبغي أن يُلقى المطارنة والبابا في السجن ويحقق بذلك توازناً، وسبق هذه الفترة حوادث شغب كثيرة، ولكي يبرر السادات قراراته تلك، انتهز فرصة ما حدث في الزاوية الحمراء حين اندفع بعض من المتطرفين وأخذوا يحرقون عدداً من الكنائس، كنيسة بعد أخرى، كنيسة منشية الصبر، وكنيسة الوايلي وغيرها، وقد أحرقوا بعض الكنائس في اليوم نفسه.

■ قداسة البابا، هل تعتقد أن ذلك كان تغطية على زيارته للقدس؟

■■ ما حدث هو أن قيادة هذه الجماعات هي التي ثارت ضد السادات، وكان أكثرهم سخطاً في ذلك الوقت رئيس حزب الأخوان عمر التلمساني، وكانت مجلة الدعوة والاعتصام تطلق الاتهامات في كل اتجاه وبصورة علنية وليس مجلات الحائط فقط، لأن السادات في ذلك الوقت احتضن شاه إيران، بينما كان هؤلاء يميلون إلى الخميني، فهاجموا السادات بعنف. وحين أقر السادات مشروع قانون للأحوال الشخصية، كتب «عمر تلمساني» في مجلة الاعتصام: "نقول لقانون الأحوال الشخصية، لا.. لا.. واتهموا القانون بأنه ضد

الإسلام، وبدأت الخصومة بين الجماعات وبين السادات تظهر إلى العلن على صفحات هذه المجلات، وقد التقى السادات سنة ١٩٧٩ بقيادات رفيعة منهم، وحين التقى بـ«عمر تلمساني» قال له التلمساني: أنا أشكوك إلى الله، وقد أذيع ذلك في التلفزيون، تكهرب الجو وكان مقلقاً، وكان السادات يحاول أن يتخلص من ذلك بأي ثمن.

ثم بدأت حوادث الإغراق في الماء خلال حادثة الزاوية الحمراء، كنت في مسكني، وفي كل نصف ساعة كانوا يقولون لي جثة جديدة أغرقت في النيل، ثم وصلت أصوات الضجيج والصراخ التي يطلقها المتطرفون إلى أسوار البطريركية، ولولا أنها كانت محاطة برجال الأمن الذين عملوا على تفريقهم ليذهبوا إلى منطقة أخرى، لحدث اعتداء على الأقباط في غاية البشاعة والمأساوية، إلى درجة أن المسلمين الذين يحبون الأقباط كانوا يؤوونهم في مساكنهم كي يحموهم من الموت، كما أن بعض الأقباط كتبوا على مساكنهم عبارة إسلامية كي ينجوا من القتل. وقد جرت عمليات سلب ونهب لبيوت الأقباط، وكانت الجواهر وقطع الأثاث والأجهزة تُلقى من النوافذ. كانت عملية قتل ونهب وتخريب على نطاق واسع، وانتهز السادات هذه الفرصة، فرصة حوادث الزاوية الحمراء، وفكر أن يستخدم السلطة الاستثنائية لرئيس الجمهورية، وخطط لتنفيذ حركته في ٥ سبتمبر، وألقى في غياهب السجون من يشاء، كان السادات قد زار أمريكا وقُوبل هناك مقابلة سيئة من المصريين المستائين، وحين عاد قال بأن الأقباط قابلوه مقابلة سيئة، والواقع أنه قامت خلال زيارته لأمريكا مسيرات بعضها من الإيرانيين، وبعضها من الفلسطينيين والليبيين، وفي النهاية تظاهرت مجموعة من الأقباط، وتركز انتقامه من مسألة

الأقباط في شخص البابا، اعتبر السادات دفاعي عن الأقباط تدخلاً في السياسة، وأنا لم أكن طوال حياتي سياسياً، ولم يكن الأقباط مسؤولين عن موقفي، بل أنا المسؤول عنه، وقلنا له: سيادة الرئيس، تحمل مسؤوليتك، ولم يقم بأي فعل، ووقف السادات في مجلس الشعب، وألقى كلمة خطيرة جداً تكلم قرابة ساعة ضد الجماعات المتطرفة وضد الجو الذي أثاروه، وساعتين تقريباً ضد الأقباط وضدي شخصياً، وذكر حكايا عجيبة عن محاولة تشكيل دولة قبطية في أسيوط، وقال إنّ مسألة إنشاء دولة قبطية أثيرت عام ٥٦ في زمن «جمال عبد الناصر»، وأن البابا انزعج حينذاك وقطع سفره بسرعة ولم يكمل رحلته، وقال أيضاً: أن حكاية إقامة دولة قبطية للأقباط في أسيوط لايعرفها إلا «جمال عبد الناصر» والبابا «كيرلس» وأنا، والحقيقة أننا كنا نعيش في تلك الفترة محنة مصر، أما البابا فقد ظل فترة بعد انتهاء المؤتمر وليس كما يقول السادات، فقد قال له «هيلاسيلاسي»: ابق معنا بعد انتهاء المؤتمر، فوافق على البقاء، وتاريخ سفره وتاريخ رجوعه معروف ومسجل، لكن السادات كان يريد أن يخلق جواً من الإثارة في طرحه مسألة إقامة دولة للأقباط في أسيوط، وهي مسألة بعيدة عن المعقول تماماً، بل إنها قوبلت بالسخرية وعدم التصديق لأسباب كثيرة شرحتها في أحد الاجتماعات، وقلت حينها: هل من المعقول أن تتشكل دولة للأقباط في أسيوط لتقسم مصر إلى ثلاثة أقسام: قسم شمال أسيوط، وقسم جنوب أسيوط، وقسم هو دولة أسيوط، وهل معقول أن الذي ينزل جنوباً من المنيا إلى الجنوب يتجمرك في أسيوط، والذي يصعد شمالاً من سوهاج إلى الدلتا يتجمرك في أسيوط، ثم إن هذا الأمر أيضاً ليس في صالح الأقباط، لأن أمن الأقباط هو في عيشهم المشترك مع المسلمين، ومن يريد أن

يعتدي عليهم فلن يفرق بين قبطي ومسلم، ولو أراد الأقباط كلهم أن يتجمعوا في بلدة واحدة إذاً لكان القضاء عليهم في حالة أي تهديد سهلاً جداً. على الأخص وحين يتجمعون في أسيوط. الأقباط أنفسهم لايقبلون بهذا الوضع، ثم هل من المعقول أيضاً أن يشكل الأقباط دولة في أسيوط بحيث يمكن أن يعتدى عليهم من الشمال من مدينة المنيا ومن الجنوب من سوهاج ومن الغرب من الوادي الجديد ومن الشرق من الصحراء، ليس من الحكمة أبداً أن يفكر الأقباط بهذا الأمر، ثم كيف يقبل الأقباط أن يتركوا جميع مقدساتهم في القطر المصري كي يتقوقعوا على أنفسهم في أسيوط، وكيف يتركون أديرة وادي النطرون في برية شيهيت، وأديرة الجبل الأحمر مثل دير الأب «أنطونيوس» ودير الأنبا «بولا» ودير «مار مينا» في ماريوت ويتركون كنيسة العذراء في الزيتونة والكنائس التي زارتها العائلة المقدسة في مصر القديمة وفي الشرقية، ويتركون جميع مزارعهم ويتخلون عن مقابر آبائهم، إلا إذا شاءت الدولة أن تفعل ذلك، وطلبت من المسلمين أن يتركوا أملاكم للأقباط في أسيوط لكي يأخذوا بدلاً عنها عمارات في شبرا وفي العباسية..الخ. وماذا عن جوامع المسلمين ومساجدهم في أسيوط، من يأخذها؟ لن يقبل الأقباط ولا المسلمون مطلقاً بمثل هذا الأمر، ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا فرضته الدولة بنفسها، وكيف يستطيع الأقباط أن يخرجوا المسلمين من متاجرهم ومصانعهم..

وقلت لهم أيضاً بأسلوب الفكاهة: أنتم تعلمون أن لدينا أكثر من ٢٠ أسقفاً في الأبرشية، فأين سيخدم هؤلاء إذا تركزوا جميعهم في أسيوط، هل سيأخذ كل واحد منهم بعض حواري أسيوط ونسميهم بعد ذلك الآباء الحواريين، أم أن ذلك من أجل إثارة الفتنة بين الناس. وفي المحاضرة الطويلة التي ألقاها

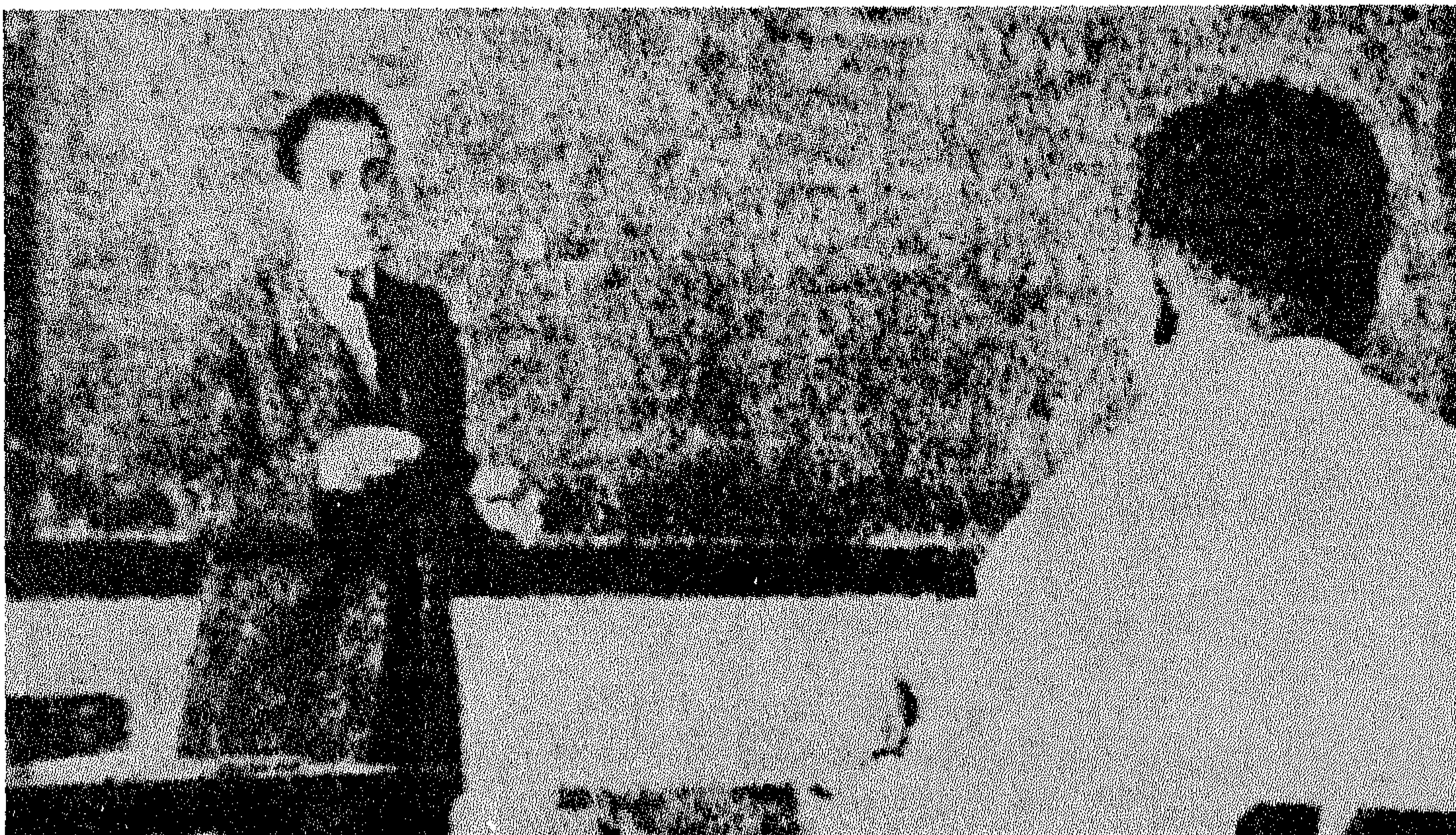
السادات والتي استمرت ساعتين في مهاجمة الأقباط تحدث عن الفتنة، وقال إن المخطط مضى عليه سبع سنين وأنا أتابعه وأنا ساكت. وكان ردّي على ذلك أنه لولا المحبة التي بيننا وبين أخوتنا المسلمين، وأن المسلمين لن يصدقوا هذا الكلام، فسوف يعقب محاضرة السادات هياج وفتن دموية ستتحول إلى مجزرة للأقباط بعد أن وصفهم رئيس الجمهورية نفسه بكل الأوصاف السيئة، واتهمهم بحبك المؤامرات وتكوين دولة لهم..الخ، غير أنه، ولله الحمد، لم يحدث شيء من هذا. وفي ١٤ مايو يوم الجمعة كان لديّ محاضرة في الكاتدرائية، وكنت حائراً ماذا أقول للناس، وقد تجمهر أكثر من ٧٠ ألفاً وملؤوا الكاتدرائية وساحة الكاتدرائية وازدحم بهم شارع رمسيس، وأخبرني أحد الأساقفة بأنه أوقف عربته على مسافة بعيدة بسبب ازدحام الناس الذين قدموا لكي يروا ماذا سيجري بعد الكلام الذي قاله الرئيس عن البابا، دخلت الكاتدرائية بحذر شديد إلى درجة أنني خفت أن أتأثر عاطفياً بمحبة الناس، وخفت أن يندس بعض الخارجين على القانون أو المندسين من قبل الدولة أو المعارضين ثم يهتفون وتصبح الكاتدرائية شعلة نار، وحاولت أن أهدئ الشعب، ولكني لم أستطع فهددت بأنني سأترك الكاتدرائية وأخرج إذا لم يهدؤوا فهدؤوا، وتلوت الآية التي تقول: شاكرين في كل حين على كل شيء، كان الشعب يهتف بالروح والدم نفديك يا فلان، وهم يقصدونني، وقال جماعة السادات هذا الهتاف كان يوجه لـ«جمال عبد الناصر»، فكيف يوجه للبابا شنوده، وبدأ السادات يزداد غضباً، ومنذ ذلك الحين لم يعد يلقي كلمة في التلفزيون أو في اجتماع عام، إلا ويصيبني منها إهانات وشتائم تجرح شعور الأقباط.

البابا شنوده

وشخصيات عالمية


شنوده معلم في المدرسة .


ضابط في الجيش المصري .


شنوده معلم في المدرسة .



البابا شنودة في لحظة تأمل .



مع المرحوم بطريرك موسكو وكل روسيا البطرك بيمن



مع البطريرك الماروني الراحل الكاردينال المعوشي .



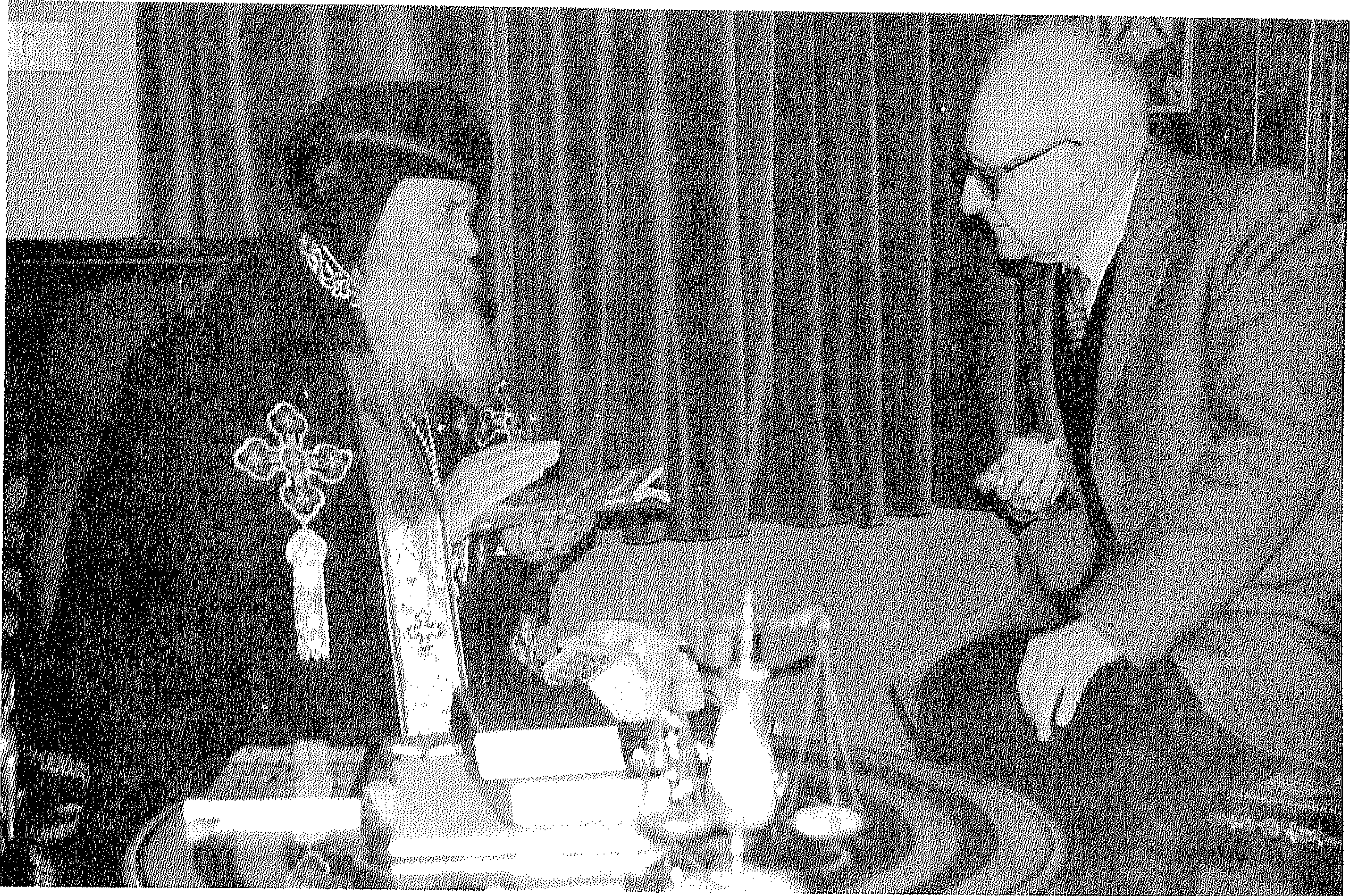
الأنبا شنوده



شنوده مع البابا بولس السادس .



البابا شنودة مع جيس جاكسون في امريكا .



مع المفكر العالمي روجيه غارودي .



■ ماذا كان ردّك في محاضرة الكاتدرائية؟

■■ لم أتعرض للموضوع إطلاقاً، فأنا لا أريد أن أثير حرباً أهلية في البلد، تحملت كل ذلك بصمت وهدوء، ولم أردّ على شيء، كان ردّي الوحيد على صفحات مجلة جواباً على بيان وزير الداخلية «نبوي إسماعيل» في مقالة عنوانها المغطيات لاتحل المشكلات، فقد أراد أن يغطي على هذا الأمر كما لو كنت مسؤولاً عما حدث في أمريكا، حتى أن أحد القادة العرب في ذلك الحين حينما سمع بهذا الأمر قال: إن السادات حينما يحاسب «البابا شنوده» عما يفعله الأقباط في أمريكا، فكأنما يحمله مسؤولية سياسية عن قيادة هؤلاء الناس خارج مصر، في نفس الوقت الذي يتهمه بالتدخل في السياسة، ومنذ ذلك الحين لم يحدث لي أنني التقيت بالسادات حتى يوم مماته. كان ذلك آخر عهد بيننا. خطابه في ١٤ يناير عام ١٩٨٠، وسلسلة الشتائم والإهانات.. الخ، أما عن مسألة المخطط الذي مضى عليه سبع سنوات وهو ساكت عليه، وهو ما ردده في ١٤ يناير عام ١٩٨٠ فأبسط رد عليه كان حينما زرت الرئيس كارتر عام ١٩٧٧ وكان الرئيس السادات قد التقى به قبل أسبوع فقال لي الرئيس كارتر: يتحدث السادات عن مخطط قبطي منذ سنوات وهو ساكت عليه، هذا الكلام غير معقول، إن السادات يثير غضب جميع المصريين ضده. وهذا ما عبر عنه هيكل بعبارة خريف الغضب.

قبل إقامتي الجبرية في الدير كانت العلاقة الساخنة بيني وبين السادات هي نفسها التي كانت بينه وبين البلد كلها، بينه وبين السياسيين والصحافيين والمحامين وأساتذة الجامعة والجماعات الإسلامية والأقباط، كان النزاع مع السادات يشمل الجميع، وحين حدث الاعتداء على السادات وقُتل، كانت

المحاولة تستهدف سيطرة الجماعات على الدولة. وحينما سمعت بمقتل السادات حزنت على مقتله، وطوال الأسابيع التي تلت كانت دعواتي في صلواتي "يا رب سترك لهذا البلد" لقد حدثت أحداث أليمة في أسيوط وقُتل فيها نائب مدير الأمن وكان رجلاً قبطياً اسمه «اللواء الحوري»، وقُبض على عدد من الجماعات المتطرفة هناك، وحدثت أحداث في سوهاج والمنيا وفي مدن كثيرة، ولكن الوزير «نبوي إسماعيل» وزير الداخلية بالرغم من أن له اتجاهاته السياسية الخاصة فهو كرجل شرطة، كان رجلاً قوياً واستطاع في حادثة المنصة نفسها ترك المنصة مباشرة وسارع لحماية دار الإذاعة والتلفزيون حتى لا تستولي عليها الجماعات المتطرفة، ونظّم آنذاك حملة لضبط الأمن. ما من شك بأنه قام بعمل شجاع في ذلك الحين، ولكنه للأسف حين كانت الجماعات الخطيرة تتنامى كان اللواء «نبوي إسماعيل» وزير الداخلية يهوّن الأمر أمام رئيس الجمهورية، وقد جرى بيني وبينه نقاش حول سياسته الأمنية، وحين تعرضت لما يفعله هؤلاء الأولاد وخصوصاً كلامهم على صفحات مجلات الحائط وغير ذلك سألته: لماذا تترك هؤلاء المحرضين هكذا؟، قال لي: هؤلاء مجموعة أولاد، وأنا سأعمل لهم قيمة إذا سجنتهم، أنا أستطيع أن أرميهم في السجن وأستطيع أيضاً أن أخلصهم من ضلالهم، وعلمت بأن هذا ما يقوله لرئيس الجمهورية، والحقيقة أن بعض السياسيين كانوا يسلكون طريق التهويل، وآخرين طريق التهوين، وكان هو من هذا النوع، فبعد أحداث سبتمبر والقبض على كل هؤلاء المتطرفين، أجري استفتاء للسادات حصل فيه على أكثر من ٩٩٪، وقالوا له: يا رئيس البلد كلها معك، وكأنه تخلص بعد الاستفتاء من هذه الفئة المشاغبة من المسلمين والمسيحيين، وبقي وحده.

كانت رغبة السادات في ذلك الحين أن يتخلص من كل معارض، والعديد من أعضاء مجلس الشعب والبرلمان حين كانوا يعارضونه يطالب بطردهم من المجلس، وكانوا يطردون فعلاً ومن بينهم «كمال الدين حسين» وهو أحد أعضاء مجلس الثورة، و«علي عاشور»، ورئيس حزب الوفد في الإسكندرية، ولم يكتف السادات بذلك فحّل مجلس النواب، وكان فيه عدد من النواب الوفديين، رغم أنه كان يدّعي السماح لرجال ما قبل الثورة أن يعملوا في السياسة، وكان هو الذي أفسد السياسة واتهم الآخرين بإفسادها، وكان يقول أيضاً بأن الديمقراطية لها أنياب ومخالب، ولم أسمع أبداً بأن الديمقراطية لها أنياب ومخالب، وحين سأله أحد الصحافيين الأجانب سؤالاً لم يعجبه رد عليه: لولا الديمقراطية لكنت ضربتك بالرصاص، وقد أثار هذا الصحفي بالطبع عندما عاد إلى بلاده الجو ضده.

لقد كانت حادثة المنصة حادثة خطيرة، وكان لها تأثيرها العميق في مصر، وقد أزيلت هذه المنصة ولم تعد موجودة مطلقاً، أصيب السادات بأكثر من ٩٠ رصاصة، فبعد أن قتله «خالد الاسلامبولي» برصاصة في رقبته، هجم على المنصة وأفرغ فيه أكبر كمية من الرصاص لكي يتأكد من موته، كان الإسلامبولي يظن أنه حينما يتخلص من رئيس الجمهورية فسيكون من السهل السيطرة على قيادة البلد على يد أنصاره الذين يتوزعون في كل مكان، وحتى لو قبض عليه فسيكون من الممكن إخراجه من السجن، ولكن الوزير «نبوي إسماعيل» وزير الداخلية كان قوياً في السيطرة بسرعة على الأمن، ونشكر ربنا أن الرئيس «حسني مبارك» قبل أن يمسك بزمام الأمور في ذلك الوقت العصيب، حيث لم يكن أحد يقبل أن يتولى الحكم، كما أمكن أن ينتقل الحكم بطريقة دستورية سليمة من شخص إلى آخر، لقد

قلت للرئيس السادات في خطاب من خطاباتي إليه: نحن يا سيادة الرئيس نتخذك حكماً منصفاً، ولكنه للأسف اتخذني خصماً له لمجرد أنني شكوت إليه ما كان يحدث من اعتداء على الأقباط، ولو أنه أخذ شكاواي حينذاك على محمل الجد، واقتص من الذين كانوا يثيرون الشغب لما قُتل، لأنه كان سيقبض على رؤوس المتآمرين الذين قتلوه فيما بعد، وفي اجتماعنا معه في القناطر الخيرية وكان ذلك، في سبتمبر عام ١٩٧٧، وكنا قبل الاجتماع فرضنا صوماً على جميع الأقباط خمسة أيام، صامها الجميع، سواء الأقباط في مصر أو في المهجر، تعرض السادات خلال اللقاء لموضوع الصيام مستهجناً ذلك، فقلت له: صومنا موجه إلى الله وليس موجهاً ضد أحد من الناس، إنه صيام ناس يريدون أن يتلطف الله في أمورهم فيتقربون إليه بالصوم، وهو ليس سياسة ضد أحد، وتعرض أيضاً بكلام أبنائنا في المهجر، وكان متضايقاً جداً وقال: يشتكوني إلى «كارتر»، وكارتر ماذا له عندي، هذه أموري الداخلية، ثم قال: ملعون من يتكل على ذراع بشر، نحن لا نتكل على إنسان أياً كان هذا الإنسان، لا كارتر ولا غيره، كان لقاؤنا هذا في القناطر الخيرية استمر أربع ساعات ونصف، ولكن «موسى صبري» للأسف لم يكتب عنه سوى سطرين اثنين حول عنوان اللقاء، بينما كتب في كتابه "خمسون سنة في قطار الصحافة" حوالي ١٤ صفحة عن أسعار الخضروات وغيره.

التقينا في القناطر الخيرية مع الرئيس السادات، وكان يرافقني أعضاء من المجمع المقدس، كان ذلك منذ ٢١ سنة، وكان عدد أعضاء المجمع قرابة خمسين أسقفاً ومطراناً، لم يحضر بالطبع الذين كانوا في المهجر، وحضر معنا في هذا اللقاء رئيس الوزراء «ممدوح سالم»، ولم يكن هناك من الصحفيين سوى «موسى صبري»، وقال الرئيس السادات في تبرير ذلك: «إن موسى»

كان زميلي في سجن القناطر، كنت أنا مسجوناً عن الضباط الأحرار، وكان هو مسجوناً عن الكتلة، وطوال هذا الاجتماع كان الرئيس السادات غاضباً على أبنائنا في المهجر، اعتبر أن هذا الأمر إساءة له، وكان قد قرأ بعض تقارير وصلته من بعض السفراء والقناصل في المهجر، ولكن ليس الأقباط وحدهم هم الذين تحركوا ضده في أمريكا بهذا الشكل الذي يصوره، إنما كانت هناك مجموعات كثيرة أخرى تظاهرت أمام البيت الأبيض من معارضيه ومن بلدان عربية متعددة وربما كان آخرهم الأقباط.

وخلال هذا اللقاء وجدت أننا لن نستطيع أن نتفاهم معه ما لم نوضح له مسألة أقباط المهجر أولاً، لأنه يشغل بؤرة تفكيره، فقلت له: هل يمكن يا سيادة الرئيس أن أحدثك عن أبنائنا في المهجر، فقال: تفضل، فقلت له: أول نقطة أحبّ أن أعرضها عليك هي أن كثيراً من أولادنا هؤلاء هاجروا بسبب عامل نفسي عميق في داخلهم، ربما لم ينل بعضهم نصيبه في التعيين أو في الترقية أو في الإيفاد إلى بلد في الخارج، وبسبب هذا العامل النفسي تصدر عنهم بعض التصرفات التي تبدو غريبة، وحين نحكم على أولادنا في المهجر فإنما نحكم عليهم بحسب الجو الذي يعيشون فيه، وليس بحسب الجو الذي نعيش فيه نحن، فهؤلاء يعيشون في أمريكا ويستطيعون أن يهاجموا حتى رئيس الجمهورية نفسه علانية، وفي الراديو والتلفزيون والصحف، دون أن يعاقبهم أحد، ولكننا نحن في البلدان الشرقية نحترم أولي الأمر منا، إنّ وضعهم مختلف تماماً، فإذا أرادوا أن يخرجوا في مظاهرة لإعلان رأيهم يمكنهم أن يطلبوا إذناً من وزارة الداخلية، فتصرح لهم بالمظاهرة ويخرجون حاملين اللافتات وقد كتبوا عليها ما يريدون من طلبات دون أن يتعرض لهم أحد. ونحن لانستطيع

الحكم عليهم بحسب مقاييسنا في الشرق، ثم ضربت له مثالاً فقلت له: إنني شخصياً أواجه الآن مشكلة كنائسية في أستراليا، فقد أرسلت إلى هناك اثنين من الأساقفة، وحينما وصلا، وقبل أن يفعلا خيراً أو شراً، استقبلوهما بلافتات كتب عليها: نريد أساقفة وليس أباطرة، فهل هؤلاء معادون لنا، ذلك هو الأسلوب الذي تعودوا عليه في المهجر، ونحن حينما نتعامل معهم، نتعامل على هذا الأساس. هذا هو سلوكهم معنا ومعكم، وإذا أوقفناهم عند حدهم يتهموننا بأننا نتملق السلطة، ونحن لسنا من هذا النوع، إنهم يقرؤون جرائد ويقصون قصاصات منها. فسألني لماذا يقصون قصاصات من الصحف، قلت له: سأروي لك حكاية حدثت معي سابقاً، فقد مرّ عليّ أحد مديري المباحث في مصر وقال لي: هل قرأت مجلة الأقباط التي تصدر في أمريكا، فقلت له: نعم وصلني ثلاثة أعداد منها وقرأتها، وكان ذلك في السنوات الأولى من السبعينات، فقال مدير المباحث فما رأيك، قلت له: نحن لا نقبل أبداً أن يهاجم أحد بلادنا في الخارج، أما كنائسنا في أمريكا فكل كنيسة تصدر مجلة ليس فيها سوى كتابات روحية أو عقائدية أو أخبار محلية وسير قديسين ولا تتعرض للهجوم على بلدنا إطلاقاً، فلما رأى مدير المباحث أنني قد قرأت تلك الصحف، ولم أسترح لما قرأته قال لي: هل يمكنك أن ترد على هؤلاء الناس، فقلت له: لا أستطيع أن أرد. فسألني لماذا، فقلت لأن أولادنا في الخارج يقرؤون صحفنا ويقصون منها قصاصات؟ وهنا التفت إلي الرئيس السادات، وقال لي: لماذا يقرؤون صحفنا ويقصون منها قصاصات فقلت له، إنّهم مثلاً يقرؤون إعلاناً كبيراً في جريدة الأهرام يتحدث عن حركة تعيينات واسعة النطاق أو حركة ترقيات واسعة النطاق في مصر فيقصون هذا الخبر وينشرونه ويكتبون تحته سطراً واحداً

كتعليق على أن الأسماء المسيحية قليلة في هذا الإعلان، كيف أرد على هؤلاء وبين أيديهم دليل مادي، أو هم يقرؤون مثلاً في صحيفة أخرى إعلاناً عن افتتاح كلية كذا في الجامعة الفلانية فيقصون الإعلان وينشرونه تحت تعليق أن هذه الكلية لم يدخلها طالب مسيحي واحد، ولا أستاذ مسيحي واحد. فطالما أنّ تكافؤ الفرص معدوم لدينا، فكيف أرد على هؤلاء وهم يملكون دليلاً مادياً.

ثم انتقلت إلى نقطة أخرى وقلت له: يا سيادة الرئيس، إن أولادنا هؤلاء المقيمين في الخارج هم سفراء مصر، يحبون بلادهم ويحبونك أنت أيضاً، ولا ينسون أنك قمت بكثير من الأعمال الجليلة في بلدك، فقد كانوا في حرب أكتوبر جنوداً لمصر في غير ميدان المعركة، فخلال حرب أكتوبر ذهبت إلى «الأنبا صموئيل» وقلت له: أنت تقول "To be or not to be" وعليك الآن أن تثبت ذلك خلال هذه الأيام من حرب أكتوبر، فذهب إلى الدكتور «محفوظ» وزير الصحة وقال له ماذا تحتاجون للمعركة، فقال الوزير: نحتاج إلى أجهزة طبية كثيرة، وأحضر له الأنبا «صموئيل» كمية ضخمة جداً من أجهزة نقل الدم وغيرها، أرسلها أولادنا في المهجر، ثم ذهب إلى الدكتورة «عائشة راتب» وزيرة الشؤون الاجتماعية وسألها عن حاجة الوزارة فقالت نحتاج إلى كمية كبيرة من الأغطية، فبادر أولادنا في المهجر إلى إرسال كميات كبيرة من الأغطية، وكان ذلك هو شأننا في مسائل أخرى كثيرة، كنا جميعاً خلال تلك الفترة نزور الجبهة ونزور المستشفيات العسكرية بأعداد كبيرة من آباء الكنيسة، بحيث أن وكيل وزارة الخارجية المصري أرسل لي خطاباً في ذلك الوقت يشكرنا فيه على ما فعله أولادنا أثناء الحرب، وقلت له يا سيادة الرئيس: هم يحبون بلدهم ويحبونك، وهم سفراء للبلد، ويمكنك أن تكسبهم إلى

صفك، ولكنهم قرؤوا أخباراً في الجرائد عن تطبيق الشريعة الإسلامية فخافوا على عائلاتهم، وتستطيع أن تطمئنهم وتكسبهم إلى صفك، والمسألة لاتستدعي غضبك.

ولكن الرئيس السادات، وبعد كل الكلام الذي قلته، هدّد وتوعد، فقلت له: أنت عتبت علينا يا سيادة الرئيس، فهل تسمح لنا أن نعتب عليك أيضاً، فقال لي: تفضل، فقلت له: الأقباط هؤلاء أليسوا قطاعاً من أبناء هذا البلد بحاجة إلى أن تهتم به مثل غيره، لماذا لا تلتقي معهم، فأنت تلتقي مع الصيادين ومع القبائل ومع الفنانين ومع الطلبة ومع كثيرين، والبعض من قبائل البدو من سكان الصحراء الغربية يضعون أحياناً يدهم على كثير من الأراضي ويدعون ملكيتها، وكان الرئيس «جمال عبد الناصر» في زمنه سنة ١٩٦٤ قد أصدر قانون رقم.. نظم فيه هذه العملية وأصدر قرارات لدراسة هذه الحالات من خلال لجنة خاصة لم تكن تأخذ بأي إدعاء، ها أنت يا سيادة الرئيس تلتقي مع الصيادين والفنانين وأولاد علي ومع هيئات كثيرة، فلماذا لا تلتقي مع الأقباط، وهل يجوز أنك منذ خمس سنوات لم تلتق مع الأقباط ولو مرة واحدة، فقد التقينا أنا وأنت في ديسمبر سنة ١٩٧٢ ونحن الآن في سنة ١٩٧٧ وقلت: ما رأيك أن نتفق على أن تجلس معنا مرة واحدة كل سنة، فحينما تجلس مع الأقباط ويحكون لكم مشاكلهم يرتاحون جداً وأنت ترتاح أيضاً، فقال لي: ليس لدي مانع وليكن لقاؤنا في عيد الفطر من كل سنة، وسررنا بذلك، ثم أصبحت الجلسة جلسة لطيفة وبدأ يتحدث عن رغبته في حل مشاكل كثيرة، ولكنه في عيد الفطر في السنة الجديدة لم يلتق بالأقباط، بل ذهب إلى الكنيست الإسرائيلي، ثم لم يجتمع معنا إلى أن وافته المنية.

كان السادات قد عرض مسألة الكنائس وبناء الكنائس، وكانت له عبارة، كثيراً ما يرددها في العديد من المناسبات، كان يقول دائماً: البابا طلب مني ٤٠ كنيسة وأنا أعطيته ٥٠ كنيسة، وفي الحقيقة أن لذلك قصة، فحينما زارني في ديسمبر سنة ١٩٧٢ عقب الأحداث المريرة في كنيسة الخنجة، جلست للحديث معه في مكتبي مدة ساعة ونصف وكان الباب مغلقاً، وكان قبل زيارته وفي عديد من المناسبات يردد حديثاً عن الكنائس وكرره أمامي فقال: الأقباط يبنون كنائس بطريقة غير شرعية تثير مشاعر المسلمين، ما رأيك أن نتفق على عدد الكنائس التي تُبنى كل سنة، ما هو الرقم الذي تريده من أجل بناء كنائس جديدة كل عام، وأنا أعدك أن أوافق عليه وأضيف عليه عشر كنائس من عندي، ولبثت وقتاً أفكر بماذا أقول، فإن طلبت عدداً كبيراً فكأنني أستغل نبل الرئيس الذي وعدني وعداً، وإن ذكرت عدداً قليلاً أكون قد ضيعت حقوق الأقباط، وتأخرت في الجواب، فأعاد سؤاله علي وقال لي: لماذا لا تتكلم، قل وأنا أعدك بأن أوافق على الرقم الذي تطلبه وأضيف عشر كنائس من عندي، قلت له: يا سيادة الرئيس إنني أفكر في الرقم الذي إذا ذكرته لك ووافقت عليه لا تقع في إحراج مع المسلمين، فقال لي: لا يوجد إحراج والأمور الداخلية في أيدينا، لكن المهم أن نكون متحدين من جهة الخارج، فقلت له: نحن لدينا أكثر من عشرين محافظة في مصر فلو أن كل محافظة بكل بنادرها وكل مراكزها ومدنها وقراها كان لها كنيستان، يكون العدد أربعين كنيسة كل سنة، فقال الرئيس: لك خمسون. هذا الأمر اتفقنا عليه يومها، ولكننا حين التقينا في القناطر الخيرية تعاتبنا فيه لأنه لم ينفذ مطلقاً، إذ لم يسمح لنا ببناء كنيستين في كل محافظة، قلت له: إن المسلمين لهم أكثر من مسجدين في الشارع

الواحد في المدينة، القاهرة وحدها بني فيها أكثر من ١٠٠٠ جامع، غير الألف الموجودة سابقاً. بالنسبة لتعداد السكان ليس هناك عدل، فعندما يكون في البلد ٦٠ مليوناً بينهم عدة ملايين من الأقباط، فإن الأمر يحتاج إلى كنائس. وخاصة أن كل محافظة تشهد امتداداً واتساعاً جديداً، وهناك مدن جديدة تبنى مثل دمنهور الجديدة وطنطا الجديدة، كما أن القاهرة نفسها تتوسع وتتضخم، فكرر السادات كلامه السابق أثناء اللقاء قائلاً: البابا طلب مني ووعدته بكذا، فقلت له: يا سيادة الرئيس، الاتفاق الذي كان بينك وبيني بخصوص الكنائس كان اتفاقاً نبيلاً قُوبل من الأقباط بالشكر وعرفان الجميل، وأنا أعترف أنك وعدتنا فوق ما نطلب، لكن المهم هو: هل الاتفاق الذي بينك وبيني قد نفذ أم لم ينفذ.

الأمر الأول، أنك وعدتني بخمسين كنيسة كل سنة، وكان الذي حدث في سنة ١٩٧٣ صدور ٣٢ قراراً جمهورياً ببناء كنائس، وفي سنة ١٩٧٤ صدر ١٧ قراراً جمهورياً وسنة ٧٥-٧٦ وكان «سيد فهمي» وزير الداخلية أصدر خمسة قرارات جمهورية، وفي هذه السنة التي نحن فيها صدرت أربعة قرارات جمهورية، فيكون عدد القرارات على مدى خمس سنوات ٥٨ قراراً جمهورياً، أي ٥٨ كنيسة فقط، وهكذا فإن الاتفاق الذي بيني وبينك لم ينفذ.

والأمر الثاني أن وزارة الداخلية بدأت تلاحق الكنائس القديمة وتطلب منها نسخاً عن قرارات جمهورية من أجل إدخالها ضمن مخطط المدينة، ونحن لدينا كنائس منذ القرن الرابع، فكيف نأتي بقرار جمهوري ومن أين؟ فقال لي أعطني القرار الجمهوري لكنيسة الماسة، فقلت له إنّ كنيسة الماسة من الكنائس القديمة التي اتفقنا عليها مع الرؤساء السابقين بعدم المساس بها، وثانياً فإن هذه الكنيسة مبنية قبل الجمهورية، وإن كنت تريد أن تسأل فاسأل عن المرسوم الملكي وليس

عن القرار الجمهوري، فهل هذا يستحق المناقشة، أنت تعلم سيادة الرئيس أن الاتفاق بيننا لم ينفذ، وأن وزارة الداخلية تطالب الكنائس القديمة بمرسوم جمهوري، والأمر الثاني أن بعض الكنائس حصلت على قرارات جمهورية لبنائها، ولكننا لم نستطع أن نبنيها، وضربت أمثلة لثلاث كنائس. وسألني أن أوضح ما حدث. فضربت له مثلاً كنيسة دمياط وقلت له: حصلنا على قرار ببناء كنيسة دمياط عام ١٩٧٣ وذلك بعد أن قدمنا كل الأوراق الرسمية الخاصة بها، ودرستها وزارة الداخلية وتأكدت منها، وطلبت استصدار قرار جمهوري، وحين ذهبنا لنجهز الأساسات هجم علينا الناس بالفؤوس والعصي، فسألني السادات لماذا؟ قلت له: افتعلوا مشكلة قانونية حول ملكية الأرض، وحين وصل المحافظ ومدير الأمن وآخرون قال المحافظ: ما دام هناك إشكال قانوني، يحول الأمر إلى القضاء ويوقف البناء إلى أن يفصل القضاء، وأوقف البناء فعلاً، والقضاء بالطبع سوف يفصل لصالحنا بالطبع لأن لدينا عقد الملكية، ولكن حتى يفصل القضاء في ذلك بعد سبعة أشهر يكونون قد بنوا جامعاً في المنطقة فوق الأرض نفسها أو في مكان مجاور لها، ويقولون لنا ابحثوا عن أرض أخرى، وقد تكرر ذلك، ولم نستطع بناء كنيسة منذ عام ٧٣ حتى الآن أي عام ١٩٧٧ وعندما سمع ذلك سكت، وخاصة بعد أن ذكرت له قصة كنيسة الريان، وقلت له أن رئيس الوزراء «ممدوح سالم» يعرف التفاصيل عنها، فقد كان في السابق وزيراً للداخلية، وهو يعرف كل شيء وكان جالساً معنا، وأكملت حديثي قائلاً: ليس هذا فقط وإنما أي بناء نبنيه مهما صغر يحتاج إلى قرار جمهوري، فإذا أردنا بناء تشميسة يقولون هات قرار جمهوري، فانزعج الرئيس السادات من سماع هذا الكلام، وتابعت: وإذا كنا نريد أن نبني دورة مياه يقولون هات قرار جمهوري، هل أذهب إلى رئيس الجمهورية لأطلب

منـه قراراً جمهورياً من اجل بنـاء دورة مياه، فغضب رئيس الجمهوريـة وقـال لرئيس الوزراء ما هذا يا ممدوح، فلما رأيت الجو قد تـأزم قلت للرئيس: أريد أن أروي لك فكاهة يا سيادة الرئيس، فقال: تفضل، قلت: فكاهة كنيسـة الأربعـة عشر جامعاً، فضحك، وقال: ما معنى ذلك، فقلت: كنا قد اخترنا أرضاً لبناء كنيسة، فبنـوا إلـى جانبها مسجداً، فلم تعد مناسبة فاخترنـا أرضـاً ثانية فبنوا بجانبها مسـجداً والثالثة كذلك..... حتى أصبح عدد المساجد في المنطقة أربعة عشر جامعـاً، فقلنـا لهم لا داعي لأن نتعبكـم فـي بنـاء الجامع الخـامس عشر، واختـار الأسـقف منـزلاً جاهزاً وأزال الحوائط الفاصلة وفتح الغرف على بعضها وصار يصلي فيهـا، وقلـت لهم هذا الرجل يريد أن يصلي فماذا يفعل، طبعاً أنا أتحدث عن وضع غـير قـانوني، ولكن الظروف ألجأته إلى هذا الأمر.

تطور الحديث فيما بيننا إلى أن وصلنا إلى الاعتـداءات الجاريـة، وبـدأ كـل أسقف يتحدث عما يحصل لطائفته، فقال الرئيس: أنا لا أقبل بهذا الوضـع أبـداً، ولـم أكن أعرف أن الأمور تسير بهذه الصورة، لقد كنـت أطلـع علـى صـورة أو صورتين، أما الصورة المتكاملة عن حالة الأقباط فهـذه أول مـرة أطلـع عليهـا، ونحن سنبدأ بداية جديدة. وشـعرنا بالاطمئنـان لهـذه البدايـة الجديـدة، وخرجنـا مرتاحين، خاصة بعد أن عرض كل مطران ما لديـه، وأجـاب الرجـل عليـه بنبـل شديد. ولكن شيئاً لم يحدث طـوال مـدة حياة السـادات، فقد كـان متضايقـاً من موقفي ضد التطبيع مع اليهود، أنا لا أدري مـاذا كـان يكنّ لـي فـي قلبـه، لكـن موقفـي هذا كـان ثابتـاً منـذ أيـام الرئيـس «جمـال عبد النـاصر»، حيـن ألقيـت محـاضرة عن إسـرائيل شـرحت فيهـا رأي المسيحية، وكـان ذلـك فـي نقابـة الصحفيين عام ١٩٥٦ وظل موقفي ثابتاً لـم يتغير إطلاقـاً. وفـي أيـام السـادات

أيضاً دعيت إلى نقابة الصحافيين في ديسمبر ١٩٧١ وألقيت محاضرة حول نفس المعنى، ولم يتغير موقفي مطلقاً، إذ لا يليق بالرجل أن يبدل قناعاته حسب السياسات القائمة، وإنما عليه أن يتصرف حسب ضميره. ما أتذكره الآن من موقف السادات المتناقض وغضبه الشديد علينا، أن الكنائس الأميركية أرسلت له ميدالية تقدير واعتبار لموقفه كرجل سلام. أقام الرئيس السادات حفلاً حضره عدد قليل من رجال الدولة كي يتسلم الميدالية، وبعد أيام أرسل إليّ هذه الميدالية مع خطاب يقول فيه: وصلتني هذه الميدالية باعتباري بطلاً للسلام من الكنائس الأميركية، وأنا أقدم لك هذه الميدالية كي تضعها في المقر البابوي عندك لتحتفظ بها، وكان ذلك في خطاب رسمي مع نفس الميدالية. والعجيب أنه بعد سنة فقط بدأ يتحدث عن مخطط قبطيّ ضده منذ سبع سنوات وهو ساكت عنه، فلماذا إذن حدثني الرئيس «كارتر» بأن الرئيس السادات تحدث عنك بكلام طيب، بينما كان قبل أسبوع من انقلابه ضدي وضد الأقباط يفكر بخطط معينة.

■ صاحب القداسة، دعوة المسيح إلى الخلاص والمحبة طبعاً جاءت لكل الأمم، ولم تكن مقصورةً على أحد من الناس، ماذا تحدثنا عن ذلك؟

■■ السيد المسيح أخرج موضوع الخلاص من التركز حول اليهود إلى عمومية الأمم، كان اليهود يحتقرون باقي الشعوب كلها، ويعتبرون أنهم وحدهم الشعب المختار، وأنهم الشعب الوحيد المقبول أمام الله، وجاء السيد المسيح ودعا كل الأمم إلى الإيمان بالله، وقال لتلاميذه في إنجيل متى ص٢٨: ((اذهبوا وأرشدوا جميع الأمم وعمّدوهم وعلموهم جميع ما أوصيتكم به)). وقال في إنجيل مرقس ص١٦ ((اكرزوا بالإنجيل في الخليقة كلها)). وقال أيضاً لتلاميذه في سفر أعمال الرسل آية ٨ بعد القيامة، قال لهم: "ولكنكم ستنالون

قوة متى تحل روح القدس عليكم، وحينئذ تكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل يهودا والسامرة وإلى أقصى الأرض". هذه الدعوة بالطبع لم تكن تريح اليهود إطلاقاً، لادّعائهم أنهم الشعب المختار، ولذلك فحينما قال «بولس» الرسول: إن السيد قد ظهر لي في الرؤيا وقال لي: ((ها أنا أرسلك بعيداً إلى جميع الأمم)) (أعمال الرسل ص٢٣) حينذاك صاح اليهود ضد «بولس» الرسول قائلين: إن هذا الرجل لاينبغي أن يعيش، لأنهم كانوا ينكرون على الأمم أن يكون لها ذكر عند الله بل لهم وحدهم، ولكن السيد المسيح نشر شمولية الإيمان ونادى بأن كل الشعوب تشترك فيه جميعاً وأن الشعب المختار عند الله هو الشعب الذي يؤمن به أياً كان جنسه أو لونه أو عرقه أو لغته.. وهكذا بدأت المسيحية تنتشر في آسيا وإفريقيا وفي أوروبا.

■ سيدنا البابا، قبل مجيء السيد المسيح كان هناك شعب واحد هو الكنعانيون، ماذا يعني ادّعاء اليهود؟

■■ كان اليهود يعيشون في أرض كنعان، والمسيح نفسه كان من سكان فلسطين، وقد استخدم اليهود كلمة كنعانيين قالوا: إنّ أرض الميعاد هي أرض كنعان، ولكنهم صاروا يقولون إنّ فلسطين هي لليهود فقط وليس للكنعانيين، ونشب خلاف شديد بين اليهود والكنعانيين.

■ قداسة البابا، لغة السيد المسيح كما هو معروف تاريخياً هي الآرامية، وهي اللغة السورية القديمة، وهناك حتى الآن ثلاث قرى في سورية لا تزال تتحدث بلغة السيد المسيح، هل زرتها قداستك، وما أهمية ذلك برأي قداستكم؟

■■ حين حكم اليهود بعض فلسطين ولفترة، كانت اللغة العبرية منتشرة،

ثم بعد سبي بابل، عاد الشعب اليهودي وقد نسي تماماً اللغة العبرية، لذلك قيل في سفر نحميا إصحاح ٨: ((أنه قُرئ عليهم التوراة وفسر لهم معناها لكي يقرؤوا))، أي أنهم لم يكونوا يفهمون العبرية، وأصبحت اللغة الآرامية هي لغة الشعب، وفي ذلك الحين كان التلاميذ الاثنا عشر يتكلمون الآرامية، وحينما تصادفهم كلمة غير آرامية يترجمونها إلى الآرامية، لأن السيد المسيح كان ابن الشعب ويتحدث بلسان الشعب كله، ولم تكن الآرامية لغته هو ولغة تلاميذه الاثني عشر وحسب، وإنما لغة الشعب كله، وقد زرت في سوريا صيدنايا ومعلولا والأديرة الموجودة هناك.

■ صاحب القداسة، ما هو موقف الكنيسة القبطية من ظواهر معينة، مثل شهود يهوه والسبتيين والمسيحيين المتصهينين؟

■■ لقد قلنا في قرار المجمع المقدس بأن السبتيين وشهود يهوه ليسوا مسيحيين على الإطلاق، فالمسيحيون أياً كانت مذاهبهم في تعددها، سواء أكانوا أرثوذوكس أم كاثوليك أم بروستانت كلهم يؤمنون بقانون الإيمان الواحد وهو القانون المسيحي، وكل من يخرج عن قانون الإيمان المسيحي لايعتبر مسيحياً، فشهود يهوه والسبتيون يؤمنون أن السيد المسيح هو الملاك ميخائيل، وأن الملاك ميخائيل والمسيح هما شخص واحد، لقد كان الملاك ميخائيل أحد تجليات السيد المسيح في العهد القديم..الخ، كذلك فهم لا يؤمنون بالعقائد المسيحية الأصلية، وهناك الكثيرون في سورية ولبنان كتبوا ضد شهود يهوه وضد السبتيّين، ويسمي السبتيون أنفسهم "الأدفنتست" ومعناها: المجيئيين، لأن لهم عقائد خاصة في المجيء الثاني غريبة عن العقائد المسيحية المعروفة، أما شهود يهوه فيعتقدون بأن الله سيطهر الأرض ويسكن

فيها الناس بعد القيامة فينجبون فيها البنين ويغرسون الغراس ويأكلون منها ويسكنون بيوتاً فيها، أما السماء فلا يسكنها إلا مجموعة قليلة من الناس يسمونهم القطيع الصغير، وهكذا تصبح الوعود التي وعدها ملكوت السموات وكأنها لم تكن، وهم يفسرون الآية الموجودة في كورنثوس الأول ٢-٩: ((ما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر))، بأنها تتحدث عن الحياة الأخرى، أي أنها كلام يتعذر تطبيقه، فهم يزعمون بأن البيوت التي يسكن الناس فيها والغروس التي يأكلون منها والكروم التي يقطفون منها هي في الحياة الأرضية، وهي حياة رآها الناس وسمعوا بها وعاشوا فيها وليست مما لا يخطر على قلب بشر. هناك إذن خلافات كثيرة بيننا وبينهم، ولكن لهؤلاء الناس أيضاً ترجمات للكتاب المقدس خاصة بهم مملوءة بالأخطاء، حوّروها لكي تناسب عقيدتهم يسمونها ترجمة العالم الجديد للكتاب المقدس، وهي في كثير من آياتها تختلف عن الإنجيل الذي نؤمن به نحن. وشهود يهوه والسبتيون لديهم جذور يهودية لأنهم يؤمنون بالسبت بعكس إيمان جميع المسيحيين في العالم أجمع، ومسألة السبت هذه كانت من المسائل التي أراد بها اليهود الأولون الذين دخلوا المسيحية أن يهوّدوا المسيحية، والمقصود بتهويدها أن تصبح للمسيحية نفس الطقوس اليهودية القديمة، فيما يتعلق بالأعياد والمواسم، وعلى صعيد النجاسة والتطهير. هذا يؤكل. وهذا لا يؤكل وهذا هو ما عارضه «بولس» الرسول في كولوسي إصحاح ٢- آية ١٦-١٧ قال: "لا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، فهي ليست من العقيدة" فقد عارض التمسك بالسبت اليهودي كما عارض العادات اليهودية والأعياد اليهودية، وأصبح للمسيحية أعيادها غير الأعياد

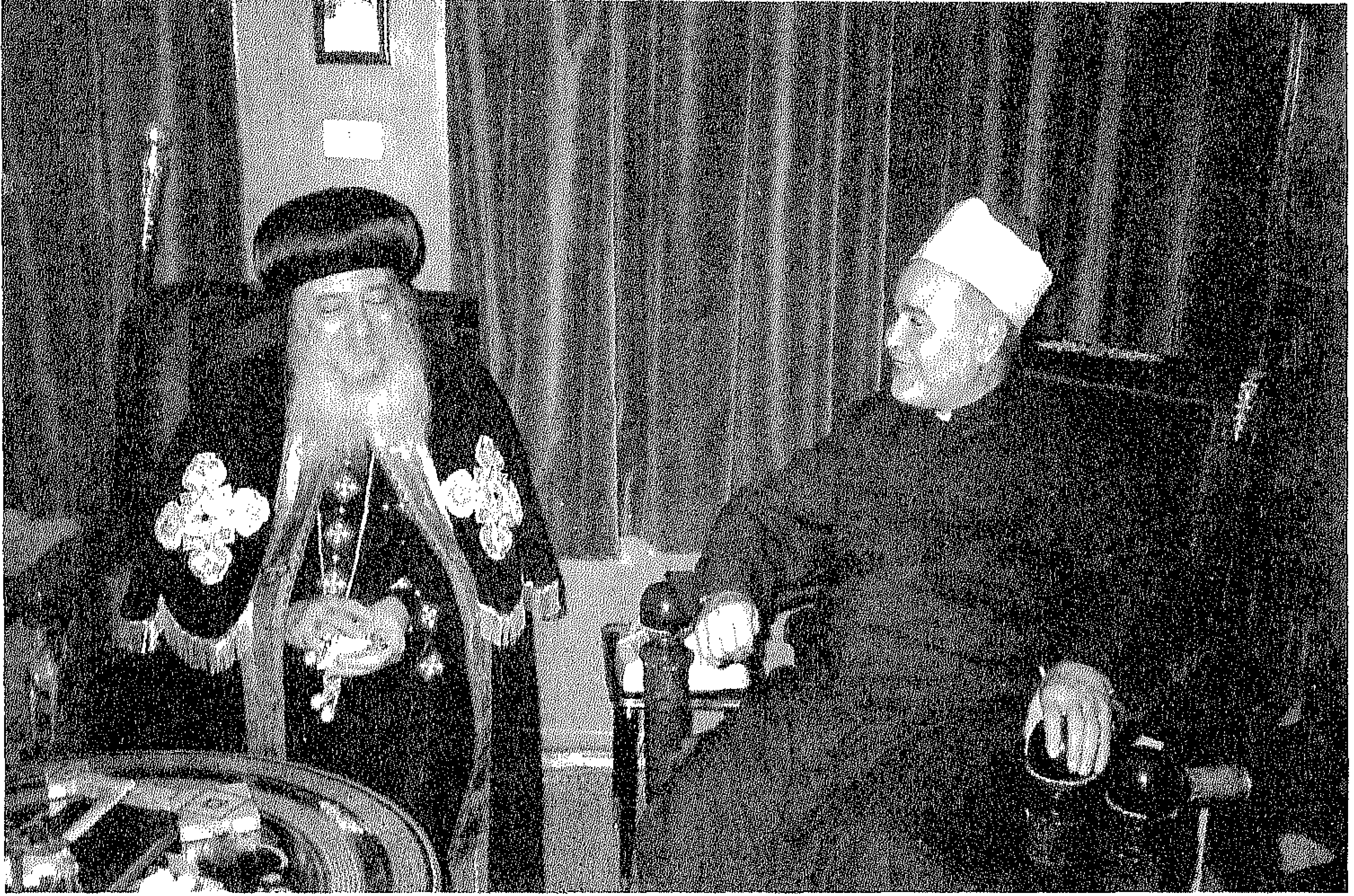
لقاءات



حديث باسم بين الرئيس مبارك والبابا شنودة في إحدى اللقاءات .



مع الرئيس أنور السادات .



مع صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر .



مع الدكتور كمال الجنزوري رئيس وزراء مصر .



مع الدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى في مصر .



مع صاحب الفضيلة المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر سابقاً .



مع الدكتور بطرس بطرس غالي الامين العام السابق للامم المتحدة .



مع صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد فريد واصل مفتي الديار المصرية .



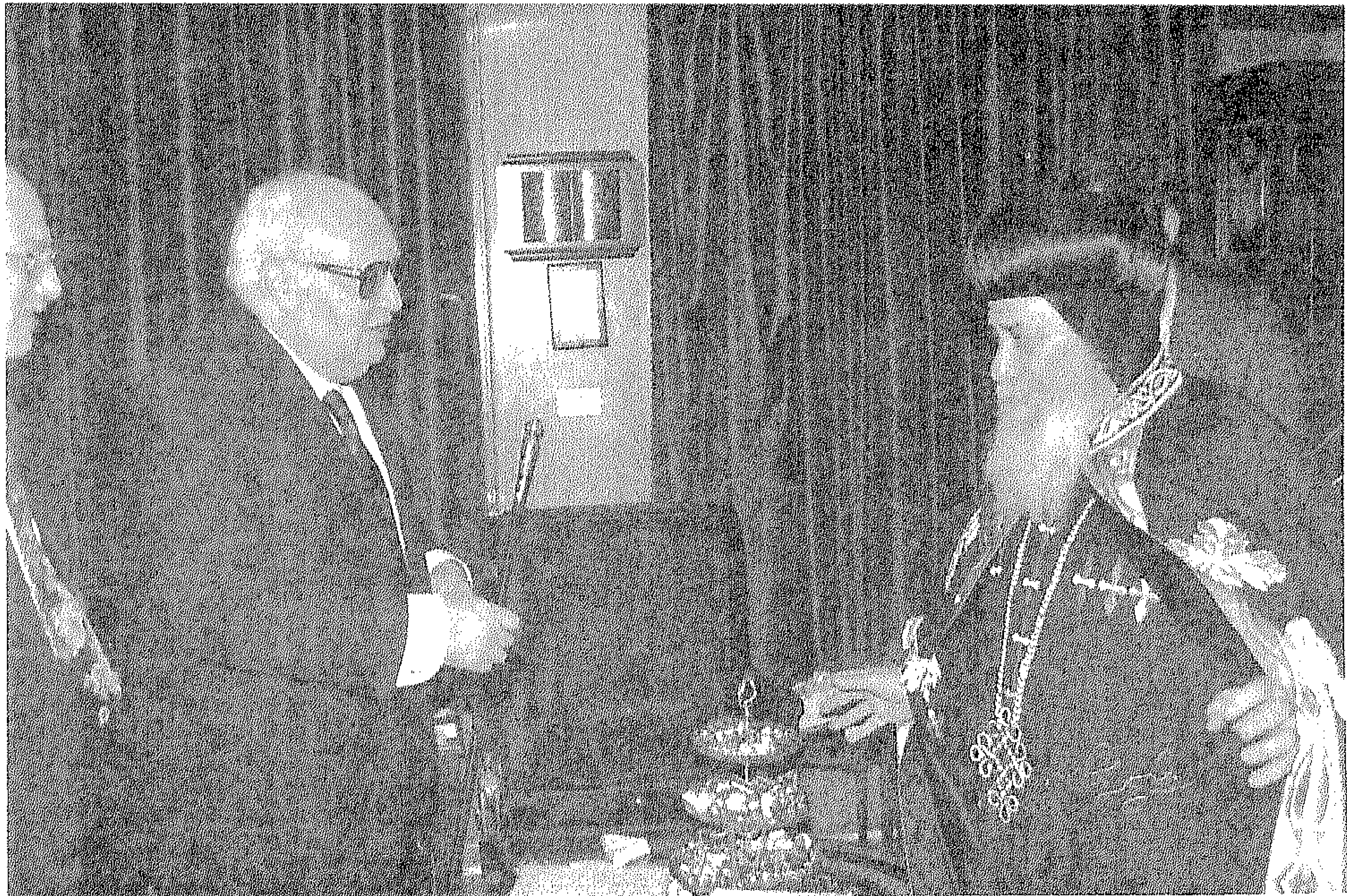
مع فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر والأستاذ ابراهيم نافع رئيس اتحاد الصحفيين العرب ونقيب الصحافة في مصر .



مع المطران المناضل هيلاريون كابوجي مطران القدس في المنفى .



مع الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي لرئيس الجمهورية والدكتور زكريا عزمي رئيس ديوان رئاسة الجمهورية المصرية



البابا شنوده مع الدكتور عاطف صدقي رئيس وزراء مصر السابق ورئيس المجالس القومية المتخصصة في مصر حالياً



مع السيد فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد المصري .



مع المشير محمد عبد الغني الجمسي .



الأنبا شنوده مع المرحوم الشيخ عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر سابقاً والشيخ المرحوم جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق.



البابا شنودة في ضيافة شيخ الأزهر الراحل في حفل أفطار شهر رمضان .



الرئيس حسني مبارك يرحب بالبابا شنوده في إحدى المناسبات القومية.



في زيارة الصحفي المرحوم مصطفى أمين في المشفى .



في زيارة الفنان مصطفى حسين كبير رسامي الكاريكاتير في مصر .



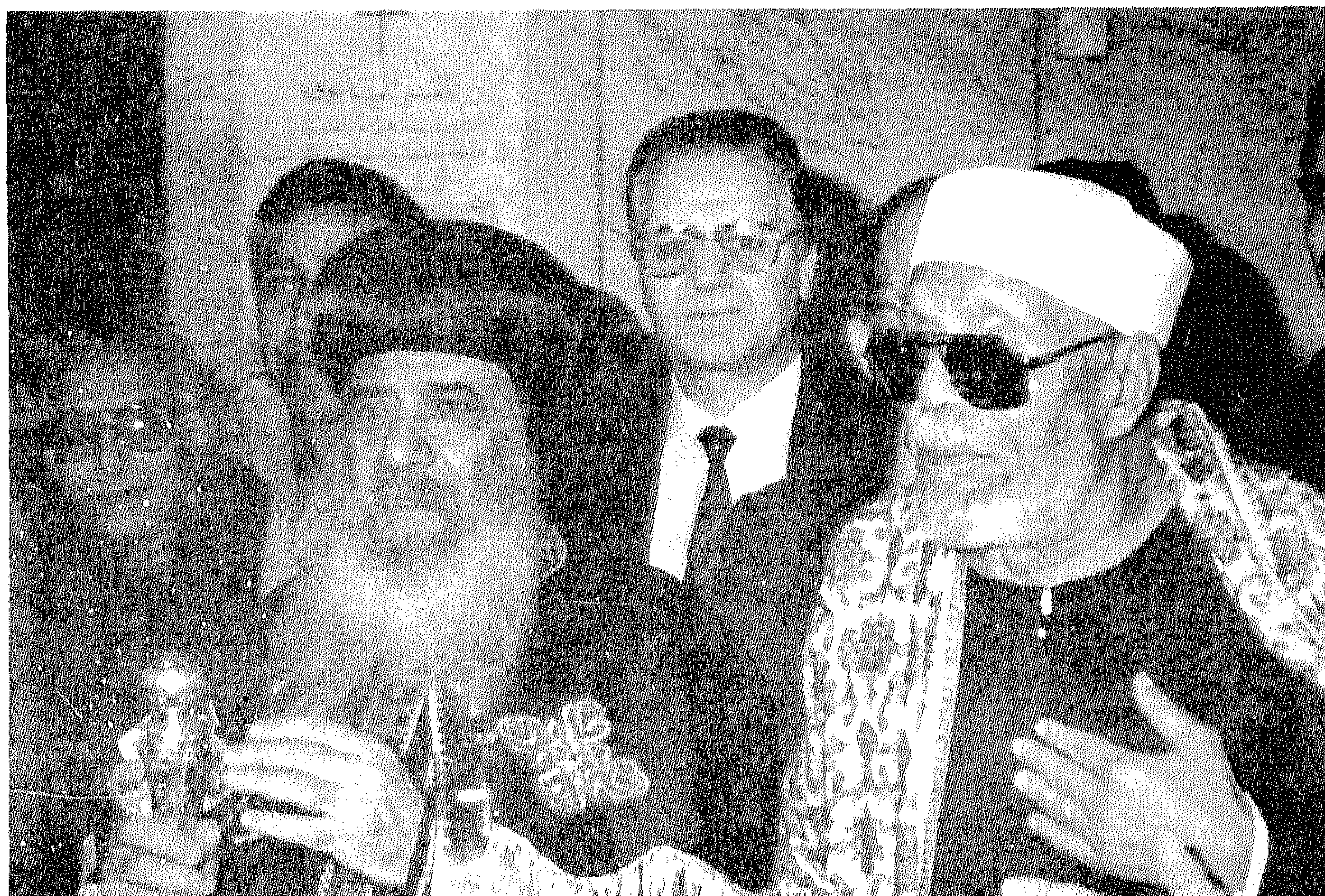
مع صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي عندما كان مفتي الديار المصرية .



مع المرحوم الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .



مع غبطة البطريرك حكيم بطريرك الروم الكاثوليك .



مع فضيلة الشيخ المرحوم متولي شعراوي .



مع الدكتور كورت ڤالدهايم الأمين العام السابق للأمم المتحدة ورئيس جمهورية النمسا سابقاً والدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية.



الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري. الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان. أصحاب الفضيلة د. محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر ومحمد فريد واصل مفتي الديار المصرية.

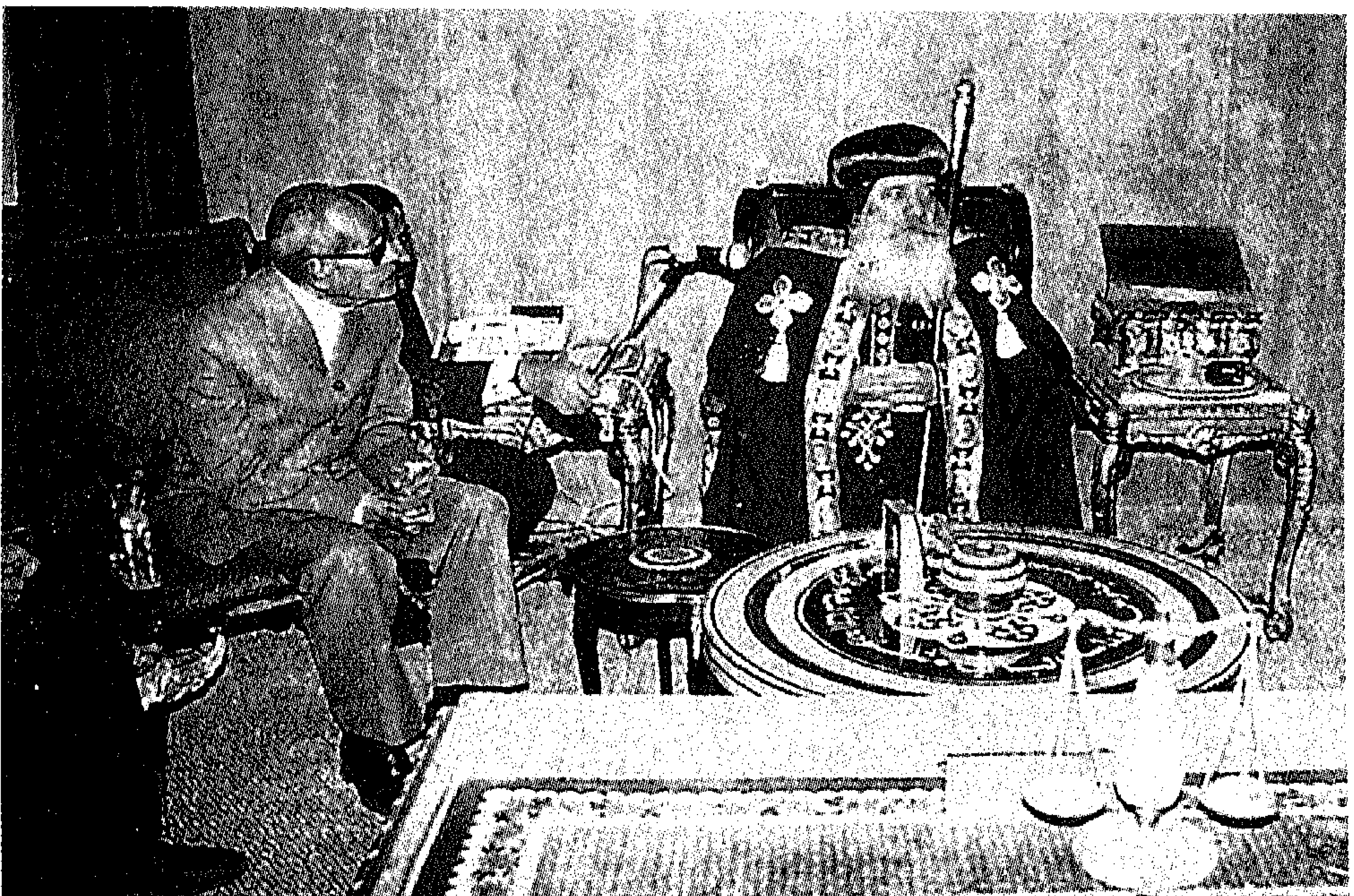


مع الرئيس حسني مبارك والمرحوم شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق والشيخ المرحوم الداعية محمد متولي شعراوي. ووزير الأوقاف المصري السابق محمد محجوب.



الرئيس مبارك يتبادل الحديث مع البابا شنوده .


مع الأستاذ محمد حسنين هيكل


مع الكاتب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ

اليهودية القديمة مثل عيد الفطير وعيد الأبواق وعيد الغفران..الخ.

في أمريكا للأسف تأثروا بالفكر اليهودي، ولكن لا وجود لهذا التأثير في كنائسنا الشرقية.

■ سيدنا البابا، عبادة الشيطان ظاهرة جديدة تكلموا عنها في مصر العام الماضي، ما رأيكم في ذلك؟

■■ مثل هذا الكلام بالطبع شائع في أمريكا، وحين نادى به بعض الأفراد في مصر فمعنى ذلك أن هذا الكلام مستورد من أمريكا أيضاً. إن معنى الحرية في أمريكا أن يتحرر الإنسان من كل شيء ويسلك كما يشاء، لأن له حريته الشخصية الكاملة، ومن هنا نشأت في أمريكا مذاهب كثيرة جداً، حتى أن شهود يهوه والسبتيّين ظهروا أولاً في أمريكا في منطقة بنسلفانيا، والمورمون أيضاً ظهروا في أمريكا وكذلك المسيحية الصهيونية وعبادة الشيطان أيضاً، ليس المطلوب هو الحرية المطلقة بل الحرية المنضبطة بحيث أن الإنسان يكون حراً شرط أن لا يعتدي على حريات غيره ولا على حقوق غيره، ويكون حراً شرط أن لا يخالف النظام العام ولا قانون البلد، ويكون حراً شرط أن لا يكسر وصايا الله. المطلوب هو حرية منضبطة وليس حرية تسير نحو التسيب واللامبالاة، والعجيب أن هؤلاء الذين يقومون في أمريكا بعبادة الشيطان لا يتجرأ أي واحد منهم، فيما هو يهاجم الله أن يخالف قواعد المرور، وإلا سحبت منه رخصة القيادة، فهو يحترم قواعد المرور أكثر مما يحترم وصايا الله، هذا ما يحصل في أمريكا، والواقع أن عبادة الشيطان معناها، تعدد الآلهة أي ما كان يسمى قديماً بإله للخير وإله للشر، إن عبادة الشيطان بالنسبة لأهل الغرب هي عبارة عن متنفس للشهوات البشرية وللنزعات التي يضبطها الدين والقانون، بينما

يسمح بها الشيطان، وإذن فلا مانع عندهم من عبادة الشيطان طالما أنــه يعطي حرية أكثر في التسيب الخلقي والتسيب الفكري. ولكن هؤلاء الذين ظهروا في شرقنا ونادوا بعبادة الشيطان أثاروا الاستهجان ووقف الرأي العـام كلـه ضدهـم وأخذ يهاجمهم ولم يقم لهم أهمية تذكر، فاختفى الموضوع مباشرة بعد ظهـوره على يد نفر قليل من بعض الشباب المهووس، وأذكر أيضاً على ظاهرة التسـيب ما ظهر في أمريكا من جماعات الهبز والبيتلز الذين كانوا يسـمونـهم الخنـافس، وقيل عن هؤلاء النـاس بأنـهم كانوا يشربون الدمـاء ولديهم أفكار شيطانية.

■ صاحب القداسة، لبنان متى زرتها وما هي ذكرياتك هناك؟

■■ زرت لبنان في الستينات حينما كنت رئيساً لرابطة الدراسات اللاهوتية، وكنت أسقفاً، فزرت دير السريان في منطقة العطشانة وزرت دير مـار جرجس ومناطق عديدة في جبل لبنان، وحضرت حفلة أيام رئاسة الرئيس «شارل الحلو» بمناسبة افتتاح مؤسسات سريانية في لبنان، وتكلم الرئيس «شارل الحلو» وتكلـم البطريرك «مار إغنـاطيوس يعقوب الثـالث» بطريرك أنطاكيـة السـرياني آنـذاك، وتكلمت أنا فقلت: وُصِفَ الفردوسُ بأنه أبـرع جمـال رآه البشـر، ولـم يجـدوا لـه تشبيهاً إلا بلبنان، فقيل عنه في الكتاب ((فتى كالأرز طلعته كلبنان))، ولبنـان هـذا كـان جنـة مـن الجنـات، حتـى أن «سـليمان الحكيـم» أخذ منـه خشـب الأرز لبنـاء قصوره. قبل الحـرب كـان جبـل لبنـان قطعـة مـن قطـع الجمـال، وهـو يحـاول أن يستعيد كل ذلك بعد الحـرب، كثـيرة هـي زيـاراتي إلـى لبنـان، ففـي أول السـتينات وآخرهـا ذهبـت إلـى لبنـان وزرت هنـاك الكنيسـة السـريانية ورابطـة الدراسـات اللاهوتية، ثم في سنة ١٩٧٢ زرت لبنان فـي عهـد الرئيـس «سـليمان فرنجيـة» وتناولنا الطعـام علـى مائدتـه، وكنـت أرد الزيـارة للبطاركـة الذيـن حضـروا حفلـة

التتويج الخاصة بي في عام ١٩٧١. وكانت زيارة غنية التقيت خلالها بكل رؤساء الكنائس في لبنان، وزرت البطريرك «مكسيموس الحكيم» للروم الكاثوليك والبطريرك «مار أغناطيوس يعقوب الثالث» بطريرك السريان الأرثوذكس، والبطريرك «إلياس معوض» بطريرك الروم الأرثوذكس والبطريرك «الكاردينال المعوشي» بطريرك الموارنة في بكركي، وزرت رئيس الجمهورية، وكانت أيام الزيارة جميلة جداً، كما أتذكر زياراتي المتعاقبة للبنان في سنة ٩٦ أو ٩٧ حيث عقدنا مؤتمراً دعا إليه مجلس كنائس الشرق الأوسط ليكون مؤتمراً من أجل القدس، وقد حضره طبعاً رئيس الجمهورية الأستاذ «إلياس الهراوي» ورئيس الوزراء الأستاذ «رفيق الحريري» ورئيس البرلمان الأستاذ «نبيه بري»، وزرت الأستاذ «إلياس الهراوي» أيضاً وعقدنا اجتماعاً حضره قرابة خمسين إلى سبعين من كبار شيوخ المسلمين، منهم السنة والشيعة والدروز، وقالوا لي في ذلك الاجتماع: أنت لست بابا الأقباط فقط بل بابا المسلمين أيضاً، وأنت بابا العرب، وأصبحت بابا العرب، وهي من العبارات اللطيفة التي قيلت لي، إن علاقتي طيبة جداً بلبنان وبكل من يعيش في لبنان، وقد نشأت صداقة ومودة بيني وبين الشيخ «محمد مهدي شمس الدين» رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ذهبنا معاً إلى منطقة قانا في الجنوب حيث زرنا مقابر ضحايا الاعتداء الإسرائيلي هناك، وألقينا كلمة وعزينا الناس، وأقام المجلس الشيعي مؤتمراً كبيراً في إحدى القاعات الواسعة دعوني إليه أيضاً فألقيت كلمة هناك، والتقيت مع الشيخ «محمد مهدي شمس الدين» في كثير من اللقاءات في أماكن متعددة وارتبطنا بعلاقة مودة خالصة بالإضافة إلى صداقتي ومحبتي للأستاذ «نبيه بري»، وهم زعماء الشيعة بلبنان، وارتبطت بعلاقة محبة مع الشيخ «د. محمد

رشيد القباني» مفتي الجمهورية اللبنانية، وهو مفتي السنة، وكنا باستمرار نجتمع ونتوافق في الرأي تماماً، وقد زارني في مصر الشيخ «محمد مهدي شمس الدين»، وكانت مشاعر المودة والحب تجمع بيننا بقوة، كما أن العديد من رجال الدولة تربطني بهم علاقة محبة، فالرئيس «رفيق الحريري» تجمعني به مودة كبيرة وقد التقيت به لقاءات عديدة، وحينما أقام مأدبة عشاء لمندوبي مجلس كنائس الشرق الأوسط ألقى الحريري كلمة، وكنت أنا من ردّ على هذه الكلمة، وبادلناه نفس العواطف والحب وشكرناه على مشاعره الطيبة. وكانت لنا أيضاً لقاءات مع رؤساء الطوائف المسيحية هناك على تعددها، وعلاقات طيبة مع رجال الدين والدولة اللبنانيين والسوريين جميعاً.

وقد زارني في مصر وفد من تلفزيون المستقبل في لبنان وأجرى معي حديثاً طويلاً كان تمهيداً لذهابي إلى هناك، كما أجريت في لبنان أحاديث متنوعة مع تلفزيون آخر هو LBC وحتى مع التلفزيون الإيراني أجريت حديثاً طويلاً ومفيداً.

■ ما رأي قداستكم بالتنسيق بين سورية ولبنان، لاسيما بخصوص المسار التفاوضي، مسار العملية السلمية؟

■■ لقد كان دخول سوريا إلى لبنان من أجل حمايتها من الاعتداء اليهودي، وقامت سوريا فعلاً بدور كبير في هذا المجال وعلى الأخص في مجال إعادة الأمن وإنهاء الحرب الدموية، والسلم الأهلي، وأحب أن أشير إلى سياسة الإعمار القائمة هناك والتي أعادت بناء المناطق التي تهدمت خلال الحرب وإلى الجهود الكبيرة التي قام بها الرئيس «رفيق الحريري» في هذا المجال، كما أن التعاون بين سوريا ولبنان هو لمصلحة البلدين الأخوين. وكل ذلك يجري باقتدار وحكمة وبعد نظر الرئيس الأسد.

■ لدى قداستكم تجارب مرموقة في ميدان التعاضد والتآخي مع بعض الشخصيات الإسلامية المصرية التي ارتبطت معكم بعلاقة مميزة، هل يمكن الحديث عن بعض تلك العلاقات؟

■■ من بين هذه الشخصيات فضيلة الشيخ «أحمد حسن الباقوري»، كانت تجمعني به محبة كبيرة، وقد زارني مرات عديدة وقدمني في محاضرات ألقيتها في جمعية الاقتصاد السياسي حول العدالة الاجتماعية في المسيحية، وقال يومها: كل ما أريده منك في هذه المحاضرة هو أن تغير اسمها لتكون عن العدالة الاجتماعية في كل الأديان عموماً، وأنا موافق على كل ما ورد فيها إسلامياً. وكانت بيني وبين المفتي «محمد خاطر» علاقة محبة وكان شخصاً بالغ اللطف، وأول شيخ من شيوخ الأزهر اتصلت به عندما صرت بطريركاً هو «الشيخ الغمامي» وكانت علاقتي به أيضاً طيبة. كما أن علاقتي بالشيخ «جاد الحق علي جاد الحق» شيخ الأزهر علاقة متميزة، وكان هو أول من زارني في الكاتدرائية من شيوخ الأزهر، وكان يتابع مآدب رمضان باستمرار حتى وفاته ومجيء خلفه الشيخ الحالي مفتي الديار المصرية الشيخ «الطنطاوي» الذي تطورت العلاقة بيني وبينه إلى أعلى مستوى. ومن شيوخ الإسلام الذين عاصرتهم وكان بيني وبينهم مودة الشيخ «بيصار»، كما أنني التقيت بفضيلة الشيخ «متولي الشعراوي» وحينما كان مريضاً يعالج في لندن أرسلت إليه أحد الآباء الأساقفة واثنين من الآباء الكهنة للاطمئنان على صحته وتقديم هدية له، ولما عاد إلى مصر، قام بزيارتي، ثم زرته في المستشفى، ونشأت بيننا مودة يحرص كل منا على استمرارها، وقد تقابلنا في أحد الأيام في جلسة أدبية دارت حول الشعر والأدب واستمرت أكثر من الساعة والنصف، كان ذلك في يوم

جنازة «إبراهيم باشا فرج»، وقد حضر الشعراوي الجنازة، ومرّ عليّ في مكتبي وسُرّ من الحديث الذي دار بيننا، وطلب مني إهداءه ديوان شعري، وهو بعنوان "انطلاق الروح" وحينما تقابلنا في القصر الجمهوري لتهنئة الرئيس مبارك بنجاته من محاولة الاغتيال قال لي: لقد قرأت ديوان شعرك بكامله، فقل لي ما هي آخر قصيدة كتبتها، قلت له: آخر قصيدة لم أكتبها بعد، لعلك تقصد أحدث قصيدة، فقال لي: نعم أحدث قصيدة، فأسمعته قصيدة حديثة من قصائدي، وقد شملنا جو لطيف من المودة وبقيت علاقتنا حميمة وطيبة إلى يوم وفاته.

■ صاحب القداسة، كيف ترون مشكلة العنف...كيف يمكن مواجهة العنف؟

■■ حين يصل العنف إلى حد القتل واستحلال مال الغير، يكون هذا العنف قد وصل إلى الجريمة، لأن الدين لا يوافق على قتل النفس إلا بمقتضى ما يوافق الشريعة من جهة وتحت إشراف الحاكم أو أولي الأمر من جهة أخرى. كثيرون من الذين اعتنقوا الأصولية ومارسوا العنف كانوا يجعلون من أنفسهم وكأنهم أصحاب السلطات الثلاث بأجمعها. لهم السلطة التشريعية بأن يشرعوا ما هو حلال وما هو حرام، ولهم السلطة القضائية بأن يحكموا على فلان بما يشاؤون، ولهم سلطة التنفيذ أيضاً كأنما صار بيدهم سلطة التشريع والقضاء والتنفيذ، ولكن هذه ديكتاتورية صريحة، ويبدو العنف هنا مرفوضاً من الناس، بغيضاً إلى نفوسهم فإذا خضع البعض، أو سايرت مجموعة من الناس تحت ضغط العنف يكون خضوعهم عن طريق الخوف لا عن طريق الاقتناع، والحقيقة أن الخير ليس هو مجرد عمل الخير، لأن البعض قد يعمل الخير اضطراراً وإجباراً، والبعض قد يعمل الخير خجلاً، والبعض قد يعمل الخير

مجاراة للجو، والبعض قد يعمل الخير لكسب مديح الناس أو خوفاً من انتقادهم دون أن يكون مقتنعاً بالخير من داخله، ولكن الخير الحقيقي هو أن يحب الإنسان الخير وأن يفعل الخير عن قناعة ومحبة ويكون جزاؤه عند الله على قدر ما في قلبه من حب للخير ومن اقتناع بالخير ومن جهد في سبيل الخير، أما العنف فلا يوصل إلا إلى الخراب والضياع.

■ التكفير وتهمة الارتداد كتلك التي وجهت إلى «نصر حامد أبو زيد» و«نجيب محفوظ» و«حسن حنفي» وآخرين، وكذلك تهمة الاعتداء على النص المقدس التي واجهها «يوسف شاهين»، هل شاركتم في الحوار حولها وكيف ترونها؟

■■ تعرضت في وقت من الأوقات لمسألة التكفير، وقلت ينبغي أن يكون واضحاً ما معنى التكفير، هل الكافر هو الشخص الذي لا يؤمن بالله عموماً أم هو الذي يعتنق غير الإسلام ديناً، أم أن الكافر هو الذي يكسر قاعدة أساسية في الدين، أو يرتكب إحدى الكبائر، أم أن الكافر هو كل من يختلف في الرأي مع الجماعات المتطرفة. والواضح أن الذين نادوا بمبدأ التكفير كفّروا المجتمع كله في البداية، واعتبروا المجتمع بأسره مجتمعاً كافراً كأنما ليس عند الله سواهم، حتى أن هؤلاء كفّروا المدارس القائمة، واعتبروا أن من يدخل مدارس الحكومة خارج عن الدين، كذلك فإن الحكومة في رأيهم هي حكومة كافرة، ولذلك فهم لا يدينون بطاعة للحكومات ولا يعتدّون أي اعتداد بالمجالس النيابية أو البرلمانية على اعتبار أنها كافرة، بل وحتى المساجد اعتبروا أن بعضها جوامع ضلال، ولم يعودوا يصلون فيها لأنهم يزعمون أن الأصولية هي في العودة إلى الصلاة في الفضاء والعراء مثلما كانت في البداية، وقبل أن يبني

المسلمون لهم جوامع، والكفر حسب رأيهم قد ازداد إلى درجة أنهم كفروا أشخاصاً لهم مكانتهم في العلم، وهنا نسأل: من هي السلطة الدينية العليا التي تحكم بالتكفير، هل هي الجماعات المتطرفة؟ بالطبع لا، لأنها ليست سلطة دينية عليا، وأفرادها "ما أوتوا من العلم إلا قليلاً" وربما أن ما أوتوه من العلم كان من مصادر غير معترف بها مثل: بعض الكتب القديمة لبعض الملل أو النحل، فحين يقتلون من يحكمون بتكفيرهم فإن هذا يتنافى مع مبدأ: لا إكراه في الدين، ولم يقف الإسلام ضد المخالفين في الدين، وإنما ضد المخالفين الذين يخرجونكم من دياركم، يعني الذين يعتدون عليكم، وليس ضد كل مخالف في الدين، على هذا النحو عاش الإسلام مع أديان أخرى في سلم ووفاق دون أن يعتدي على معتنقي هذه الأديان، فمسألة التكفير أخذت منحى خطراً بوجه عام، وتمادى أصحاب هذا الفكر إلى حد الشطط، وترافق مع التكفير الاعتداء والحكم بالقتل، فـ«نجيب محفوظ» مثلاً أديب كبير استحق جائزة نوبل في الأدب، وله تقديره الكبير في بلاد الغرب، ونحن نفخر به، وله روايات عظيمة يستخدمها رجال الفن في التمثيل والسينما..، أما الذين اعتدوا عليه وأرادوا قتله فلم يقرؤوا كتبه، وحتى لو قرؤوها فلن يفهموها لأنهم ليسوا في المستوى الذي يؤهلهم للحكم على رجل كبير مثل نجيب محفوظ، ولكنهم كانوا يتلقون أوامر من الخارج، والمشكلة في هؤلاء الناس أنهم يبايعون الأمير بالطاعة المطلقة، فإذا أمرهم بالقتل يقتلون، وإذا أمرهم باستحلال مال الغير يستحلون مال غيرهم، وإذا أمرهم بالتخريب يطيعون، لأنهم يطيعون الأمير في كل ما يقول، وحين طلب منهم الأمير أن يقتلوا «نجيب محفوظ» كمثال، حاولوا قتله، ومثل «نجيب محفوظ» فإن أي كاتب آخر مهدد بأن يحكم عليه أمثال هؤلاء الناس

بالكفر، وهذا الأمر في الواقع يؤدي إلى إرهاب فكري وإلى خوف قاتل بحيث أن كل رجال الفكر لايجرؤون على التعبير عن أفكارهم حتى يتخلصوا من تهمة الكفر في يوم ما، ويحكم بإعدامهم، وهذا بالتأكيد ضد مبدأ الحرية حيث يعبر كل إنسان عن أفكاره، ومن أراد أن يجادله فليجادله على مستوى الفكر دون أن يدخل الأمر في مسألة التكفير، فالتكفير ضد الإيمان، والإيمان علاقة بين الإنسان وربه، أما الحكم بالكفر فيكون من سلطة دينية عليا وبعد نقاش وحوار طويل مع صاحب الفكر.

■ قداسة البابا، هناك شخصيات وقوى مصرية وقفت ضد التعصب الديني ودانت التطرف والاعتداءات على رموز مصر سواء كانت إسلامية أم قبطية وأكدت على الوحدة الوطنية المصرية، كيف ترون هذه المواقف؟

■■ كل القيادات الفكرية في الواقع وكل الرموز السياسية وكل أصحاب الأقلام الكبيرة وقفوا ضد الإرهاب، واعتبروا الإرهاب ظاهرة شاذة في أرض مصر لا يوافق عليها أي إنسان صاحب فكر ولا أي إنسان عاقل ولا أي رجل دين، لأن الجميع مهددون من ويلات هذا الإرهاب.

حين يقال للمتطرف ما رأيك بالدستور؟ يقول أنا لا أؤمن بالدستور، وحين يسأل ما رأيك بالبرلمان، يجيب: لا نؤمن بالبرلمان؟ ثم: ما رأيك بالديمقراطية؟ فيقول: لا نؤمن بالديمقراطية، وحين يسأل لماذا؟ يكون رده: عن طريق الدستور والبرلمان والديمقراطية فإن الشعب يحكم نفسه بنفسه وهذا خطأ وضلال، لأن الشعب ينبغي أن يحكمه الله، ولكن كيف يحكم الله؟ هل يرسل للناس أنبياء وملائكة؟ بل إنه يحكمهم عن طريق قادة الرأي والفكر، ولكن هؤلاء المتطرفون يريدون أن يحدثوا انقلاباً في البلد، ليس في التعامل بين

الناس فقط، بل وفي القانون والدستور والتشريع والبرلمان، وفي كل شيء، وماذا سيحلّون محل ذلك؟ لا أحد يعرف، فالمتطرف يقول لك: نخضع لحكم الله! ولكن كيف يحكمنا الله؟ هل يعيد عهد الأنبياء فيحكمنا عن طريق رؤى وملائكة، أو يقول أحياناً: يحكمنا الله عن طريق كتاب الله، ولكن من يفسر كتاب الله.

■ صاحب القداسة، إلى أي نوع من الثقافة ينتمي هؤلاء، وهل بوسع قداستكم قراءة المختلف عقائدياً وفكرياً، ومن هو المختلف في رأيك، وما نوع هذا الفكر؟

■■ الحكمة في رأينا تشمل كل فروع المعرفة البناءة، والإنسان المثقف بحقّ، هو الإنسان الذي يظل يتتلمذ دائماً ويزيد إلى علمه كل يوم شيئاً جديداً، أما بالنسبة لرجل الدين فينبغي أن لا يقف عند حدود الدين فقط، بل عليه أن يهتم بنواح عديدة من العلم حتى يستطيع أن يبدي رأيه حين يسأله سائل في بعض المسائل المحيرة وفي مسائل كثيرة خاصة بالمعرفة، وما رأي الدين فيها. وبالنسبة إليّ فأنا أقرأ الكثير في شتى فروع المعرفة، فما أفهمه يدخل إلى عقلي، وما لاأفهمه أحاول أن أستشير فيه المتخصصين، وأتمثل في ذهني ما يوافقني ليس فقط في شؤون العلم بل وفي شؤون الأدب، وأقرأ كثيراً الأدب سواء في الشعر أو النثر أو القصص لكتاب مصر أو لكتاب المهجر أو لكتاب أجانب، أقرأ كثيراً في الدين الإسلامي، ولدي مكتبة إسلامية واسعة جداً، ربما ليست موجودة عند كثير من شيوخ المسلمين، وهي تضم العديد من العلوم القرآنية ومن كتب التفسير والحديث وكتب الفقه وكتب التاريخ الإسلامي، قديمة وحديثة، بالإضافة إلى كتب الشريعة، ولدي أيضاً كتب كثيرة في اللاهوت

المقارن الخاص بمختلف المذاهب المسيحية وببعض المذاهب غير المسيحية، وأقرأ أيضاً عن الديانات الشرقية القديمة مثال: الهندوسية والبوذية والكونفوشسية والزرادشتية والعبادات البدائية، ويوجد في مكتبتي الكثير من دوائر المعارف المتنوعة وعشرات القواميس، ومن كتب الآباء والكتب الدينية المسيحية في فروعها المتعددة وفي كل ما يتعلق بالكتاب المقدس والتفسير واللاهوت والعقيدة وتاريخ الكنيسة والطقس والقانون..الخ، ولا يمرّ عليّ يوم من الأيام تقريباً إلا وأضيف إلى معلوماتي شيئاً جديداً ما وسعني ذلك، فإذا لم أقرأ الجديد فلن أستطيع أن أقدم للناس أي شيء جديد، وإذا وقفت معلومات الإنسان عند حد معين فإنه لا يستطيع أن يشبع رغبة الآخرين في التعلم، لأن العلم حالياً يتقدم على كل الصعد، والمفروض بنا كرجال دين أن نجاري الركب وأن لانقف عند حد معين ونجمد عنده، لأن المثقف الحق هو الذي يُنمي ثقافته باستمرار.

■ صاحب القداسة، هل سبق ووجدت خلافاً معك اعتبرته فيما بعد مكملاً لك؟ ومتى يكون المختلف معادياً؟ ومتى يمكن أن يكون محاوراً؟ ثم صديقاً؟

■■ الاختلاف في الرأي لا يجوز أن يسبب تصدعاً في العلاقات، لأنه ليس لجميع الناس عقليّة واحدة، ولا يتمتع جميع الناس بمعرفة واحدة وبأسلوب واحد في التفكير، فمع الاختلاف يوجد الحوار، ولكن الحوار ينبغي أن يكون حضارياً، لأن الحوار غير الحضاري يلجأ إلى الإهانة والتشهير وإلى جرح شعور الناس، ويخرج عن الحدود الموضوعية إلى النواحي الشخصية، وفي هذه الحالة لن يكون الحوار حواراً ودياً. ويحسن بمن يحاور شخصاً من هذا النوع أن يوقف الحوار معه عند حد، ولكن الحوار الموضوعي مقبول ومفيد

للطرفين، إن كان كل منهما معتدلاً في تفكيره وغير متعصب لفكر معين وغير مقيد برأي مسبق، بحيث أنه لا يريد أن يتنازل عن رأيه، وفي هذه الحالة فقط يكون الحوار مفيداً.

■ تُطرح اليوم أسماء ومسميات جديدة منها: العولمة، الشرق أوسطية، حوض البحر المتوسط، إعادة هيكلية المنطقة، ما رأي قداستكم بهذه المسميات؟

■■ بالنسبة لمفهوم العولمة، فمن الخير أن يصبح العالم كله خلية واحدة حية يضم كل البشرية، ولكن هذا لا يمنع إطلاقاً من أن يكون لكل وطن شخصيته المستقلة به ويكون له ثقافته الخاصة، لأن كل وطن من الأوطان لم يصل إلى وضعه الحالي إلا نتيجة جذوره القديمة الممتدة إلى قرون عديدة، وهذه الجذور هي التي كونت هذه الشخصية بفكرها وطباعها واتجاهها، بتقاليدها وقيمها، من المفيد أن يشترك العالم كله في مبادئ واحدة عادلة وبناءة تعود على الكل بالخير، على غرار أن يستفيد العالم أجمع من الرقي التكنولوجي ومن الاختراعات الحديثة، ولكن من دون أن يكون الواحد في الوقت نفسه صورة طبق الأصل عن غيره، وأن لا يجري استخدام التكنولوجيا بطريقة تضر ولا تنفع أو بطريقة تخرج عن الأخلاق والقيم، إنني أؤمن بتعاون جميع بلدان العالم معاً على أسس عادلة تضمن للجنس البشري عموماً التقدم والرقي، مع الاحتفاظ لكل شعب بشخصيته الخاصة به، ليس فقط في تقاليده وقيمه وإنما أيضاً في تسيير أموره وسياسته الداخلية.

لقد كنت باستمرار أنادي بالسوق العربية بدلاً عن السوق الشرق أوسطية، وذكرت ذلك حينما ذهبت إلى أبو ظبي في مؤتمر حول القدس، ومع ذلك ينبغي الحذر من التكتلات الدولية التي تحاول أن تبحث عن مصلحتها على حساب

مصالح الآخرين. ينبغي ضمان مصلحة جميع الأمم والدول ووضع مبادئ عادلة تنظم علاقة هذه التجمعات ببعضها، هناك تكتلات إقليمية مثل الاتحاد الأوروبي وهناك تجمعات على أساس اللغة مثل الدول الفرانكفونية التي تتكلم الفرنسية، وهناك تكتلات اقتصادية، ونحن نؤيد تعاون كافة الدول فيما يعود على الجميع بالخير والفائدة المشتركة، أما إذا كان هناك تكتلات تستغل غيرها من الدول أو تقف دول ضد دول أخرى فنحن لا نؤيد ذلك إطلاقاً، نحن مع جامعة الدول العربية ومع تفعيلها وتنشيطها على اعتبار أن لأعضائها مصالح مشتركة، غير أننا ضد كل تكتل دولي لايخدم المصالح المشتركة لكل أعضائه أو يعتدي على غيره. نحن دائماً مع مصالحنا الوطنية والقومية.

■ صاحب القداسة، هل يمكن أن تحدثونا عن طبيعة العلاقة مع سيادة الرئيس محمد حسني مبارك؟

■■ أعرف الرئيس «محمد حسني مبارك» منذ كان نائباً للرئيس، وقد زرته في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠. يختلف الرئيس مبارك في أمور جوهرية، في شخصيته وفي أسلوبه عن الرئيس السادات، فالرئيس مبارك (أهدأ أعصاباً)، ويمكن أن (يتحمل النقد) ويناقشه بموضوعية. بينما الرئيس السادات لم يكن كذلك، ولا ننسى قولته للصحفي الأمريكي في أيلول (سبتمبر) ١٩٨١ "لولا الديمقراطية، لضربتك بالرصاص".

عزل الرئيس السادات الكثير من معارضيه، وممن كانوا أعضاء في مجلس الشعب، أما الرئيس «مبارك» فتذكر له أنه كثيراً ما كان يجتمع مع رؤساء الأحزاب السياسية المعارضة، ويناقش معهم في شؤون سياسته وفي شؤون إدارة الدولة، ولا ننسى عبارة الرئيس مبارك الشهيرة: (إن المعارضة

جزء من نظام الدولة) وقد عين بعض زعماء المعارضة في مجلس الشعب أو في مجلس الشورى. وسياسة الرئيس مبارك مع الصحافة تختلف عن سياسة الرئيس السادات، فهو يتقبل نقد المعارضة وما أكثر ما كان أحد الصحفيين ينشر مقالاً بعنوان (لا يا سيادة الرئيس).

نقطة أخرى في سياسة الرئيس مبارك، إنه أقام مصالحة بين مصر وبين كثير من الدول، وأهمها المصالحة مع الدول العربية ومع رؤساء وملوك وأمراء العرب، لأن الشقاق وصل إلى ذروته أيام الرئيس السادات.

إن لعلاقته الطيبة مع قادة الأمة العربية نتائجها الإيجابية في توحيد كلمة العرب، حتى أن هذا الأمر أصبح معروفاً عند زعماء الغرب.

وفي عهد الرئيس مبارك عادت جامعة الدول العربية إلى مقرها الأصلي في القاهرة بكل مؤسساتها وفروعها وأنشطتها، كما عادت العلاقات إلى مجراها الطبيعي مع دول أوروبا الشرقية التي كان الرئيس السادات قد أحدث قطيعة معها، وكذلك مع دول عدم الانحياز وإفريقيا.

وقد اختير الرئيس مبارك أكثر من مرة رئيساً للمجموعة الإفريقية، وأما بصدد اهتمامه بحالة البلاد الداخلية، فقد قال عبارته المعروفة (إنني اخترت الطريق الصعب) وهنا لا ننكر مدى اهتمامه بالبنية الأساسية للبلاد، وما حدث في عهده من إنجازات كبيرة جداً في الطرق والمواصلات والكباري العلوية والأنفاق (المترو)، والاتصالات الهاتفية، والرقي الكبير في وسائل الإعلام والعمل الجبار في استصلاح الأراضي. بحيث أضيفت إلى الرقعة الزراعية في مصر مئات الآلاف من الفدادين المعدة للزراعة، بالإضافة إلى تعمير الصحارى

وإنشاء مشروع قناة توشكي في جنوب الوادي وتعمير سيناء. وأعمال الإنشاء والتعمير في عهده لا حصر لها.

والرئيس مبارك يميل بطبعه إلى الاستقرار والهدوء، بدليل أنه كثيراً ما يبقى في عهده رئيس الوزراء والوزراء مدة طويلة، حفاظاً على استقرار السلطة والسياسة.

ويتميز أيضاً الرئيس مبارك بأسلوبه المهذب البعيد عن التجريح على الرغم من المشكلات السياسية العويصة، وهو بطبيعته طويل البال، لا يصدر قراراً إلا بعد دراسة وفحص وتدقيق مما يستغرق معه وقتاً.

ونحن نرجو أن يوفقه الله في سياسته من أجل خير مصر والعرب والمنطقة. وما من شك في أنه حظي باحترام العالم العربي له. وبسبب وضوح سياسته وصراحته وبساطته في حياته.

ومن الأمثلة البارزة عن صراحة الرئيس مبارك أنه لأول مرة يتحدث كرئيس لجمهورية مصر عن الديون الكبيرة التي ترزح تحتها الدولة، وكيف يتم سدادها باستمرار. ونتيجة لسياسته الحكيمة وعلاقاته الطيبة تنازل الكثير من الدائنين عن ديونهم على مصر.

علاقتنا طيبة جداً سواء مع الرئيس مبارك أو مع مجلس الوزراء، ونحن نلتقي كثيراً في اجتماعات قومية وفي مؤتمرات وحفلات، والرئيس يجاملنا في جميع الأعياد والمناسبات الهامة، ويرسل ممثلاً له ينوب عنه في المآدب الرمضانية وقد أرسل لنا خطاباً مؤيداً ومشجعاً وموافقاً حينما أقمنا أول حفلة رمضانية، ونحن بدورنا أيدنا اختياره رئيساً للجمهورية حينما رُشح للرئاسة.

■ هل هناك شخصيات مصرية تاريخية تركت تأثيرها فيكم؟

■■ طبعاً هناك الشخصيات العظيمة في تاريخ مصر مثل سعد زغلول الذي ترك أثره في كل مصر وشعبها ونهض بمصر وقادها في ثورتها الوطنية وكان رمزاً معبراً عن فكر الشعب بأسره، ولم يكن لديه أي تعصب ديني على الإطلاق، وكان محبوباً من أبناء شعبه جميعاً، وقد قيل عن الانتخابات في أيامه أنه إذا كان هناك مرشح قبطي في دائرة كلها من المسلمين فإنه ينجح، وإذا رشح مسلم نفسه في دائرة أغلبيتها من المسيحيين فإنه ينجح أيضاً، وقال عنه أحد الشعراء:

أذكُرْ لنا سعداً، فإن حديثه ... في كل آن متعة الآذان
مَن قاد مصر إلى العلا وأدارها ... في لحظة كمراجل البركان
مَن سنّ للشعب الجهاد شريعة ... وأزال عنه فوارق الأديان
من جاء بالسر الحلال مفسراً ... فاضت عليه بلاغة القرآن

لقد كان سعد رجلاً من فلتات التاريخ في مصر، ومما يدل على عدم تعصبه أنه اختار مكرم عبيد المسيحي الذي كان يعتبره مثل ابنه لأن سعد لم يكن له أولاد، وقال الشاعر في ذلك:

لم تتخذ ابناً ومتّ فما لنا ... نحصي ملايينا من الأبناء

وحينما توفي كتب عنه أحد الشعراء السوريين قائلاً:

قالوا دهت مصر دهياء فقلت لهم ... هل غيّض النيل أم قد زلزل الهرم
قالوا أشد وأنكى، قلت: ويحكم ... إذن فقد مات سعد وانطوى العلم

إلى أن قال:

كأنّ سلكاً من الكهراب يمسكه سور على طرفيه العرب والعجم
إن أنّ أنت له بغداد وانخلعت له دمشق وراح البيت يلتطم

وأذكر وأنا ما أزال شاباً أنني قرأت كتاباً من الشعر بعنوان دموع الشعراء، وكانت هذه الدموع تراق على «سعد زغلول» الذي كان في الحق أكبر شخصية تاريخية تأثرت بها في تاريخنا الحديث.

■ سيدنا: وهل هناك شخصية تاريخية مصرية أخرى أثرت بنفسك؟

■■ في تاريخ مصر شخصيات عظيمة يصعب عدها في عصرنا الحاضر خذ مثلاً شخصية «جمال عبد الناصر»، فقد كان لها تأثير هائل في كل بلاد العروبة، بل في العالم كله، فهو الذي صنع مكانة للعرب عموماً ولمصر خاصة ولولا ظروف النكسة عام ١٩٦٧ التي كان لها أسبابها التي خرجت عن إرادته لكان تاريخه كله أمجاداً في أمجاد، وقد ظل محبوباً على الرغم من بعض التجاوزات والأخطاء التي قام بها بعض مساعديه.

ومن الشخصيات التي أعجبت بها «مكرم عبيد» في نزاهته وفصاحته وأسلوبه الأدبي الرفيع والعميق، بل يكاد أن يكون في نظري من أكبر أدباء اللغة العربية في عصرنا الحديث، وله أساليب روحية وأساليب أدبية، حتى في المجال السياسي. فقد قال مثلاً في إحدى المرات:

((لا تفرحوا بشهوة نلتموها، وإنما بشهوة أذللتموها))، وقال في مناسبة أخرى: ((الرجل الحق هو الذي يتطور دون أن يتغير، ويكبر دون أن يتكبر، ويحتفظ بثباته وبوثباته)). وكان كثيراً ما ينتقد ديوان المحاسبات في مصر

حينما كان معارضاً فيقول: ((إن ديوان المحاسبة في بدء إنشائه تحول إلى ديوان محاسيب بدلاً عن حسِّيب، والفرق بينهما شَدّة، وقد تنفع الشَدة في وقت الشدةْ))، وكان نقيباً للمحامين لفترة طويلة ووزيراً للمالية لمدة طويلة أيضاً وكان سكرتيراً عاماً لحزب الوفد. إلا أنه اختلف مع النحاس وسبب اختلافه معه نكبة لمصر وقد ذكر في كتاب له، تلك الحالة فقال: كنت في أثناء ذلك حتى كأنني اثنان في واحد.

■ صاحب القداسة، من السياسة والدين ننتقل إلى الأدب وعلاقتك الوطيدة مع الفنون الأدبية وخاصة الشعر؟

■■ طالما كنت أحب الشعر وأقرأ الكثير منه، وبدأت أنظم الشعر وأنا في الرابعة عشرة من عمري، كنت في السنة الأولى الثانوية، ولكني درست قواعد الشعر في السنة الثالثة أي عام ١٩٣٩، كان عمري ست عشرة سنة، وبدأت أنظم الشعر الذي يستحق اسم الشعر، درست على كتاب عنوانه "أهدى سبيل إلى علمي الخليل" درست بحور الشعر وتفاعيله وأوزانه وقوافيه والزحاف والعلة، وجعلت أحفظ الكثير من الشعر وأنظمه. ولكن شعري في السنوات الأولى ضاع ولم يبق منه إلا الشعر الذي كتبته في الشؤون الروحية، وكنت أعجب بكثير من الشعراء لعل أهم واحد منهم هو أحمد شوقي، فقد قرأت له العديد من قصائده وحفظت الكثير، أتذكر كتاب "مصرع كيلوبترا" الذي حفظت مئات الأشعار منه، وحفظت كتاب الشوقيات إلى آخره عن ظهر قلب، وحفظت لـ«حافظ إبراهيم»، وقرأت لشعراء المهجر وخاصة «إيليا أبو ماضي» و«ميخائيل نعيمة»، ورغم أني أحتفظ بمحبتي الكبيرة لشعراء المهجر فإني أختلف مع بعض أفكارهم حول مصير الإنسانية وحريتها، ولعل هذا ما تساءل عنه «إيليا أبو ماضي» في قصيدة الطلاسم:

أقديماً أم حديثاً أنا في هذا الوجود

هل أنا حر طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدري ولكن لست أدري

والحق أن كثيراً مما لا يدريه «إيليا أبو ماضي» يمكن أن يُجاب عليه، كما أنه في قصيدته هذه هاجم الرهبنة بأسلوب قاس، وقرأت لميخائيل نعيمة الكثير ولم يكن له ديوان قائم بذاته، لكن كثيراً من أشعاره وردت في كتبه، والكثير منها ورد في كتابه "مرداد" وهو من أفضل كتبه رغم أنني لا أوافق على باب الصلاة الذي ورد فيه، وأنا أقول ما تفهمه فهو لك وما لا تفهمه فهو لغيرك وبالنسبة إلى مقاله في الصلاة لا اتفق مع نعيمه، فأنا أقرأ ويعلق بذهني ما أحبه مما أقرأ وأنا أحفظ ما أحب، أما الباقي فيختفي من ذاكرتي، وجميل ما قاله «إيليا أبو ماضي»:

لست مني إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزناً

كما يعجبني قول علي الجارم في هذا الصدد:

الشعر من نشوة الفنان يرسلها إلى القلوب فتحيا بعد إقفال

لقد حفظت آلاف الأبيات من الشعر وأنا ما أزال تلميذاً في التعليم الثانوي، و أسمعت أستاذ اللغة العربية خلال الامتحان الشفهي للسنة الثانية الثانوية قصيدة أحفظها وكانت لشاعر اسمه «فؤاد بليبل» وكان اسماً جديداً على الأستاذ نفسه، وقد أعجبته جداً، كانت القصيدة مكتوبة في مجلة الشؤون

الاجتماعية وتعتبر من قمم الشعر العربي، كان كاتبها «فؤاد بليبل» يتكلم فيها عن امرأة خاطئة:

أسألت من نبذوك نبذ المنكر　　كم بينهم من فاجر متستر
الصائمون المفطرون على الدما　　الظامئون إلى النجيع الأحمر
من كل عادٍ في ملابس عادل　　أو مجرم يمسي بهيئة خيّر

وموضوع القصيدة غريب بعض الشيء، لكن الشعر فيها جزل والمعاني قوية، كنت أقرأ وأحفظ وأكتب الشعر بكل مشاعري. وكان الشعر الذي أكتبه يتسم بالسهولة بحيث أن بمقدور كل شخص أن يقرأه ويفهمه، وإذا وجدت كلمة صعبة كنت أبذل جهدي كي أبسطها لتصبح مفهومة، وقد كتبت في بعض الأوقات شعراً في السياسة، ثم لم يعجبني الجو السياسي فتركت الكتابة فيه، ربما كان ذلك في سنة ١٩٤٨، وأذكر حتى الآن بعض الأبيات:

قد كنت في غربة أو كنت في ظعن　　ثم انتشيت وبي شوق إلى وطني
قد خدروني بألفاظ منمقة　　وظل سحرهم ينصبّ في أذني
حتى انخدعت بما قالوا وما سردوا　　يوم انخدعت بهم كم كان يؤلمني

ثم لم أعد أكتب في الشعر السياسي منذ ذلك الحين، وتحول شعري فيما بعد إلى شعر ديني روحي قدسي، وهو الذي بقي لي حتى الآنْ، يضاف إليه ما كتبته في الزجل أو الشعر الفكاهي.

■ صاحب القداسة، هل لنا أن نعرف عدد مؤلفاتكم الدينية والشعرية وغيرها؟

■■ حتى الآن نشرت أكثر من تسعين كتاباً، وحين ينشر هذا الكتاب يكون الرقم قد تغير. (نثبت صور عن أغلفة الكتب في نهاية كتابنا هذا)

■ قداسة البابا، مَنْ من الشعراء يحتل مكانة في أعماقكم وعقلكم؟

■■ هناك شعراء قدامى وشعراء محدثون منهم «أحمد شوقي» و«حافظ إبراهيم» وشعراء المهجر، والواقع أن هناك قصائد كثيرة قرأتها لبعض الناس وأعجبت بها جداً منها قصيدة لـ«مصطفى بهجت» عنوانها (جاء المسيح) ومنها بعض أشعار لـ«عبد الرحمن الشرقاوي» وأشعار لـ«صالح جودت»، وثمة شعراء قرأت لهم قصائد وحفظتها ثم نسيت اسم الشاعر.

■ سيدنا، الشعراء العرب الجاهليون القدامى، هل أعجبت بأحد منهم؟

■■ شعراء المعلقات كان لهم شعر جزل ولكن أسلوبه يكاد يكون منحوتاً من صخر، أعني أن أشعارهم ليست سهلة، لذلك كنت معجباً بشعراء الأندلس حينما خرجوا من وعورة الشعر الجاهلي إلى الشعر السهل الجميل مثلما وصف بهاء الدين زهير الأسلوب القديم الصعب الذي تميز به أبو تمام، وخاصة حين قال له أحدهم: لماذا تقول ما لا يفهم، فردّ عليه أبو تمام: ولماذا لا تفهم ما يقال.

وقد قال زهير ساخراً من ذلك الشعر، محاكياً له على سبيل السخرية:

إنما الحيزبون والدردبيس ... والطخا والنقاخ والعنطليس
لغة تنفر المسامع منها ... حينما تروى وتشمئز النفوس
إنما هذه القلوب حديد ... ولذيذ الألفاظ مغناطيس

قد أعجبتُ أيضاً بالمحاورات والمجادلات الشعرية التي كانت تحدث بين جرير والفرزدق والأخطل.

يقول جرير:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً　　　أبشر بطول سلامة يا مربع

وأعجبت أيضاً بالمحاورات التي كانت بين «أحمد شوقي» و«حافظ إبراهيم»، وخاصة حينما كان شوقي في المنفى وأرسل إلى «حافظ إبراهيم» يقول له:

يا ساكني مصر إنّا لانزال على　　　عهد الوفاء ومازلنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم　　　شيئاً نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة　　　ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

فرد عليه «حافظ إبراهيم» قائلاً:

عجبت للنيل يرى أن بلبله　　　راض ويسقي ربى مصر ويسقينا
ما غبت عنه وإن فارقت شاطئه　　　وقد نأينا وما كنا مقيمينا

ومن النوادر اللطيفة أن «حافظ إبراهيم» كان رجلاً فطيناً و«أحمد شوقي» كان غنياً وكانا حين يجلسان في مقهى فإن «أحمد شوقي» يدفع الحساب، وفي إحدى المرات أراد «شوقي» أن يداعب «حافظ إبراهيم» وحين جاء "النادل" ليأخذ الحساب تشاغل عنه «أحمد شوقي» لكي يحرج «حافظ إبراهيم» على سبيل المداعبة فالتفت إليه «حافظ إبراهيم» وقال له: ما رأيك بهذا البيت من الشعر:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أصبح بارداً

فضحك شوقي ودفع الحساب، من الصعب في الحقيقة أن يعجب الإنسان بكل ما قاله شاعر من الشعراء، فنحن نأخذ من كل شاعر ما يعجبنا ونترك الباقي، لا نعجب بالكل ولا نترك الكل، إنما ننتقي ما يعجبنا، مثلما تمر النحلة على أزهار متنوعة فتأخذ من كل زهرة رحيقاً لتصنع من الكل شهداً.

■ صاحب القداسة، من بين الكتاب أيّهم له مكانة عندك ومن أقربهم إلى نفسك؟

■■ أكثر الكتاب الذين أعجبت بهم هو «توفيق الحكيم» وهو أفضل الذين كتبوا في أسلوب الحوار، فأنت تمسك آخر كتبه وإذا بالكتاب يمسكك، ولا تنتهي منه حتى تنهي قراءته، ولذلك احتفظت بمجموعة كبيرة جداً من كتب توفيق الحكيم بعضها في إقامتي هنا وبعضها في الدير. وقرأت له العديد من القصص، وأسلوب الحكيم أسلوب روحي، وأتذكر أنه في إحدى المرات دخل معي في حوار بسيط حول مقال أسبوعي كان يكتبه في الأهرام عنوانه مفكرتي، وقد كتب مرة "قرأت في مفكرتي آية في الإنجيل على لسان السيد المسيح تقول ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً جئت لألقي ناراً وأنا أعرف أن المسيح رجل سلام".

ثم قال سألت كثيراً من أصدقائي المسيحيين عن تفسير هذه الآية فلم يجيبوني بما يرضيني، فرأيت أخيراً أن أتجه إلى كبيرهم البابا شنوده لما أعرفه عنه من سعة علمه.. فاضطررت أن أكتب رداً لـ«توفيق الحكيم» حول هذا الموضوع وأرسلت الرد مرفقاً بخطاب شخصي مني وحين قرأه كتب في الأهرام لم أعد محتاجاً إلى ردود أخرى فقد اقتنعت برد البابا، وقد دونت سؤاله وردي عليه في أحد كتبي وعنوانه "سنوات مع أسئلة الناس" الجزء العاشر.

■ سيدنا البابا، ومن يعجبك من الشخصيات الفكرية؟

■■ قرأت لـ«طه حسين» كتابه "قادة الفكر" وكان عمري ست عشرة سنة واقتنعت بما جاء فيه، وقرأت له كتاباً مترجماً عن الفرنسية إلى العربية لكاتب اسمه «جوستاف لوبون» عن الاشتراكية والسياسة، وما زلت أذكر له عبارات جميلة من أمثال "أن الحقوق السياسية تعطى للشعب على مقدار نضجه السياسي فكلما نضج الشعب يُعطى حقوقاً أكثر".

وفي كتاب "قادة الفكر" لـ«طه حسين» ذكر شعراء كقادة فكر وخطباء كقادة فكر ورجال سياسة ورجال دين. كما قرأت للعديد من رجال الفكر والفلسفة، ومن بين الذين أعجبت بفكرهم القديس «أغسطينوس» وخاصة في تأملاته الروحية الكثيرة وفي كتبه الاعترافات ومدينة الله، وفي مكتبتي مجموعة كتب عن قادة الفكر في العالم لأكثر من ستة وخمسين مفكراً، هناك رجل يعجبني يمكن أن تسميه سياسياً ويمكن أن تسميه مفكراً أنه «المهاتما غاندي» وهو من الشخصيات التي أحببتها وقرأت عنها وتحتفظ ذاكرتي بكثير من القصص عن نبله وفكره السياسي الثائر على الظلم ولكن بعيداً تماماً عن العنف. من الصعب أن يحصر الإنسان ذاته داخل فكر معين، وقد مرت علينا أوقات كنا نعجب بفكر أشخاص مثل «تولستوي». ومن المفكرين الذين اشتهروا في الفلسفة الحديثة المفكر العظيم «بيتو بيزاوط» وهو كاتب متميز. وكان «سلامه موسى» في وقت من الأوقات من الكتاب المفكرين الكبار.

■ صاحب القداسة، ما هي الأجناس الأدبية الأخرى غير الشعر التي استهوتكم، وهل كان لكم تجارب فيها؟

■■ **الروايات والقصص، فقد كنت أحبها كثيراً وخاصة القصص القصيرة وأحياناً الروايات، وغالبية قصص «توفيق الحكيم» كانت محببة لي.**

■ قداسة البابا، ما رأيك بالصحافة المصرية؟

■■ **لقد تطورت كثيراً في هذه الأيام وأصبحت ميداناً لكثير من المواد الفكرية والثقافية والسياسية، خذ مثلاً جريدة الأهرام فهي تصدر في أكثر من ثلاثين صفحة، وفي مصر اليوم دور للصحافة تصدر العديد من الصحف والمجلات، تمتلك مطابع حديثة جداً يمكن أن تصدر منها ملايين النسخ ويمكنها أن تقوم بطباعة الكتب مثل: دار الأهرام ـ أخبار اليوم ـ دار الهلال، ويمكن للصحيفة الواحدة أن تستخدم آلاف المحررين والموظفين، وهي غنية بأبواب عديدة في السياسة والأدب والرياضة والأخبار والتحقيقات الصحفية وأبواب حرة للكتاب وأبواب نقدية وأبواب للشكاوى.**

لقد اتسعت الصحافة في مصر اتساعاً كبيراً جداً وتخرج منها كثير من الكتاب المصريين المرموقين، صدقني إذا قلت لك، من الصعب أن تقرأ كل ما ينشر يومياً، فهناك كمية ضخمة من الأخبار والتحقيقات، وقد نالت الصحافة في بلدنا أيضاً حرية كبيرة جداً استغلها البعض استغلالاً خاطئاً، وبوجه عام فإن في الصحافة المصرية العديد من الكتاب الأقوياء الملتزمين وأصحاب المبادئ، وتمتلئ صفحاتها بالتحقيقات الصحفية المثيرة، كما أن الصحافة المصرية تهتم بحاجات الشارع المصري، وهذا رقي فعلي من دون شك، هناك نوعان من الصحفيين: الصحفيون الذين يكتبون المقالات الكبيرة، والصحفيون الذين يسمون كُتاب العواميد، ولكل منهم عمود مختصر مكثف يكتبه، هذه العواميد الصغيرة بالطبع تستهوي الناس أكثر، ذلك أنه لايمكن للجميع أن يقرؤوا

المقالات الطويلة، وبوجه عام فإن الصحافة تعيش نهضة كبيرة جداً لم تكن موجودة سابقاً وقد حصلت على حرية كبيرة في عهد الرئيس «مبارك».

■ ما هي الصحف التي تواظب قداستكم على قراءتها بشكل مستمر؟

■■ أقرأ يومياً الأهرام - الأخبار - الجمهورية - والوفد، وأقرأ بعض الجرائد الدورية، ومن المجلات أقرأ المصور وأكتوبر كما أقرأ الشعب التي تمثل الفكر الإسلامي وجريدة الأحرار التي تمثل المعارضة وغيرها....

■ سيدنا البابا، مَن مِن الكتاب والصحفيين المصريين أعجبوك أيام الشباب؟

■■ «مصطفى أمين» و«علي أمين» و«محمد حسنين هيكل»، وكان محرراً مع «مصطفى أمين» و«علي أمين»، قرأت له مقالات في الأربعينات وأصبح من كبار الكتاب فيما بعد، وكنت أقرأ قديماً لفكري أباظة. ومن الكتاب القدامى المشهورين كنت أقرأ ولكتاب مشهورين مثل «أحمد الصاوي محمد»، وكان له عمود بعنوان ما قل ودل، و«محمد عبد القادر» وكنت أقرأ العمود الخاص بـ«مصطفى أمين» لحين وفاته.

■ هل هناك صحفيون أثروا في مطالعتكم الصحفية؟

■■ أنا أقرأ لكثيرين من الذين يرسمون الكاركاتير مثل صلاح جاهين قديماً ومصطفى حسين حديثاً وأنا أعجب بالروح الفكاهية التي يحملونها وأحب الروح الفكاهية دائماً، من الكتاب الكبار عندنا «إبراهيم نافع» و«مكرم محمد أحمد» و«محسن محمد» و«صلاح الدين حافظ» و«إبراهيم سعدة» و«محمد حسنين هيكل» وخاصة عندما يكتب أبحاثاً و«رجب البنا» وغيرهم من الصحافيين الأصدقاء.

■ تمنيات قداستك لشعب مصر؟

■■ أرجو أن تستكمل مصر مشروعاتها التاريخية وأن تبني نهضتها الاقتصادية، وأتمنى أن تزول البطالة وتتهيأ فرص عمل لكل فرد كما اتطلع إلى تكملة مشروع توشكي ومشروع شبه جزيرة سيناء، وأتمنى من الله الذي أنعم على مصر بكثير من آبار البترول التي لم تكن موجودة من قبل أن تحصل على كفايتها في هذه المادة الأساسية وأن تتمكن من التصدير وأن يكتمل ذلك بمزيد من الاكتشافات من أجل ازدهار مصر اقتصادياً والاستغناء عن المعونات من الخارج التي تحرجها، وأرجو أيضاً أن تنتهي فلول الإرهاب المتبقية لأن الدولة بذلت جهداً كبيراً في القضاء على الإرهاب، غير أنه لاتزال له بقية، فنرجو من الله أن يزول من أرضنا وتصبح مصر بريئة من هذا الوضع الشاذ الذي لم تعرفه في تاريخها، ونرجو أن يتعاون الجميع وأن تسود المحبة والإخاء بين أفراد الشعب الواحد وتعود مصر إلى طبيعتها بلداً رحباً يتسع صدره لكل أبنائه.

■ أمنيات قداستكم للأمة العربية؟

■■ أن تتحد هذه الأمة، لأن الانقسام العربي هو مصدر كل المشاكل المحيطة بنا، ولو اتحدت أمتنا لكان اتحادها قوة جبارة في المنطقة وفي العالم يحسب لها ألف حساب، لأن العدوّ يستغل ما طرأ على الأمة العربية من تفكك وانقسامات، وأما الأمر الثاني الذي أتمناه فهو استغلال الثروة العربية المتاحة فيما يعود بالنفع على الأمة كلها بدلاً من توظيفها في الخارج وخزنها في البنوك الخارجية أو إنفاقها على الحروب الداخلية.. الخ وهذا يعني استغلال الثروة العربية في مشروعات عامة نافعة للأمة كلها، وآمل أيضاً النجاح للسوق العربية لتستغني بلداننا عما تستورده من الخارج إلا في الحدود الضرورية القصوى.

■ ختاماً سيدنا البابا، ماذا تحب أن تقول؟

■■ أحب أن أقول: أشكر لك ما بذلته من جهد كبير وسفر متواصل بين دمشق والقاهرة والإسكندرية في تأليف هذا الكتاب وفيما ستبذله في تنظيمه فيما بعد، وأرجو لكم ولجميع أخوتنا في سورية كل التوفيق، وأيضاً أشكرك على إهدائك لي كتاب ("لقاء النسور" القاهرة - دمشق علاقة متميزة) وهو كتاب جميل وحافل بالمعلومات لاتوجد إلاّ فيه، وربّنا معكم.

مع تحياتي

أعلام الأسماء

فهرست الإعلام

دير درنكة:

هو دير في جبل أسيوط، يعرف الآن باسم دير العذراء بجبل أسيوط.

الكلية الاكليريكيه :

هي الكلية اللاهوتية في الكنيسة القبطية التي تعدّ طلابها ليكونوا قسوساً من رجال الاكليروس (الكهنوت) ومن كلمة اكليروس اشتق اسمها (الاكليريكية).

امحوتب:

هو أحد العلماء في أيام الفراعنة. وقد وضع ثلاثة كتب.

جيمس هنري بريستد:

هو مؤرخ تخصص في تاريخ مصر القديمة. وقد وضع كتاباً بعنوان (مصر من أقدم العصور حتى الفتح الفارسي).

دير السريان:

هو أحد الأديرة القبطية في وادي النطرون بالصحراء الغربية. وسمى دير السريان لأنه كان فيه عدد كبير من الرهبان السريان في القرنين الخامس والسادس قبل أن تنتشر أديرة لهم في بلادهم.

أنطونيوس السرياني:

هو الأسم الرهباني للبابا شنوده الثالث لأنــه ترهـب فـي ديـر السـريان باسـم الراهب انطونيوس.

الانبابيشوى:

هو أحد آباء الرهبنة الكبار في القرن الرابـع الميـلادي. وبنـى علـى أسـمه أحد الاديرة الأربعة في وادي النطرون.

الأنبارويس :

هو أحد قديسي الكنيسة القبطية في القرن الرابع عشر. والمنطقـة التـي دفـن فيها أطلق عليها أسمه وهي حالياً منطقة الانباروس بالعباسية القاهرة. وقد بنيـت فيها الكاتدرائية المرقسية الكبرى، والمقر البابوي للكنيسة القبطية.

مَهْمَشَة:

هي إحدى مناطق القاهرة وتقع شرق السكة الحديدية في وسط القاهرة.

القديس اثناسيوس:

هو البابا العشرون من بـابوات الإسـكندرية. وقـد عـاش فـي القـرن الرابـع الميلادي. وكان من أعظم رجال اللاهوت في العالم المسيحي كله.

مار سويريوس:

هو أحد قديسي الكنيسة السريانية. عاش في القرن السادس، واضطهده الإمـبراطور

جستنيان، فانتقل إلى مصر وعاش فيها سنوات طويلة ينشر الإيمان السليم.

يعقوب البراد عى:

وهو من أعظم بطاركة الكنيسة السريانية. حتى أن أصحاب عقيدة (الطبيعة الواحدة) اطلق عليهم اسم اليعاقبة Gacobites . وقد قام بسيامة حوالي مائة أسقف خوفاً من قتل الأساقفة بواسطة معارضيهم، فيبقى غيرهم أحياء.

الإمبراطور جستنيان :

هو أحد أباطرة الرومان في القرن السادس الميلادي. اشتهر بإصدار مجموعة قوانين تنسب إليه. كما أنه قام باضطهاد الأرثوذكس (من الكنيسة السريانية).

مار فيكسينوس :

هو أحد قديسي منبج المشهورين . وله مؤلفات في الحياة النسكية .

القديس كيرلس:

هو البابا الرابع والعشرون من بابوات الإسكندرية، يلقبونه بكيرلس الأول، أو كيرلس الكبير، أو كيرلس عمود الدين. عاش في القرن الخامس، ورأس مجمع أفسس المسكونى سنة ٤٣١م وهو من قديسي الكنيسة الجامعة الرسولية.

رئيس اساقفة كانتربري:

هو رئيس الكنيسة الإنكليزية، وتدعى الكنيسة الإنجليكانية أو الكنيسة الاسقفية. ولها فروع في كل قارات العالم.

ديوقلديانوس:

هو أحد أباطرة الرومان. حكم في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد. وكان من أشد الحكام عنفاً وقسوة واضطهاداً للمسيحية. وفي عهده استشهد أكبر عدد من القديسين المسيحيين. والكنيسة القبطية اعتبرت عهده بداية لتقويمها الخاص بالشهداء (سنة ٢٨٤ م).

البابا كيرلس السادس:

هو البابا ١١٦ من بابوات الإسكندرية (من سنة ١٩٥٩ م إلى سنة ١٩٧١م).

برية شيهيت:

هي منطقة وادي النطرون في الصحراء الغربية من مصر. وكلمة شيهيت كلمة قبطية تفسيرها (ميزان القلوب). ويوجد فيها أربعة أديرة (البراموس، السريان، انبابيشوي، أبا مقار)

القديس مقاريوس الكبير :

وهو مؤسس الرهبنة في برية شيهيت بوادي النطرون. ترهب سنة ٣٣٠م وكان أباً لكل رهبان البرية.

الانبا امونيوس:

هو أحد آباء الرهبنة الكبار في القرن الرابع، وكان رئيساً للرهبنة في منطقة

القلالى - القريبة من الإسكندرية. ورهبنته مشهورة بحياة الوحدة.

القديس باخوميوس:

هو الذي أسس حياة الشركة والديرية في الرهبنة، ويسمى أب الشركة. وهو أول من وضع قوانين للرهبنة، انتشرت قوانينه في الأديرة خارج مصر. وعنها أخذ القديس باسيليوس ويوحنا كاسيان، ثم الرهبنة البندكتيه.

القديس ببنوده:

هو رئيس أديرة الفيوم في القرن الرابع الميلادي. وقد أرسل له القديس أنطونيوس الكبير رسالته رقم ٢٠.

الأب اسحق:

هو رئيس دير القلمون في القرن السادس الميلادي. ويقع ديره في البرية الشرقية بين الفيوم وبني سويف.

يوحنا كاسيان:

هو الذي نشر القوانين الرهبانية المصرية إلى بلاد الغال (فرنسا). وقد زار رهبان مصر وألف كتابين عنهم .

القديس اوغسطينوس:

هو أحد قديسي الكنيسة، ويمثل حياة التوبة. وقد ارتقى فيها حتى صار أسقفاً لمدينة هبّو Hippo من شمال أفريقيا تبع ايبارشية قرطاجنة، وله مؤلفات كثيرة

جداً من أشهرها كتاب (الاعترافات) وكتاب (مدينة الله) وكثير من كتب العقائد وكتب التأملات.

بلاديوس Palladius :

شهرته الكبيرة هي زيارته لأديرة مصر وكتبه عن أخبار رهبانها. ويعتبر كتاب Histaria Lausiaca أشهر كتابه عن الرهبنة القبطية في القرن الرابع وعن أخبار قديسيها وفضائلهم. وقد ترجم كتابه إلى الإنكليزية باسم Paradise of the yathes وبالعربية باسم بستان الرهبان وكتابه أخذ أسمه من أسم أحد النبلاء المسمى لاوسيوس Lausius.

القديس باسيليوس:

هو أحد آباء القرن الرابع، ومن أعظم اللاهوتيين في ذلك العصر. وكان رئيساً لأسقافة قيصرية كبادوكيه.

القديس ارسانيوس:

كان معلماً لأولاد الملوك (للأميرين هونوريوس واركاديوس من أمراء الرومان) وقد ترهب في برية شيهيت واشتهر بحياة الوحدة والصمت.

الرهبنة البندكتية الكاثوليكية :

هي رهبنة تنتسب لأحد القديسين الكاثوليك المسمى بندكت (ومعناها مبارك). وقد اتبعت قوانين القديس باخوميوس المصري.

دير أبى سيفين للراهبات:

وهو أحد أديرة الراهبات القبطيات في مصر القديمة بالقاهرة وينتسب إلى القديس مرقوريوس المشهور باسم أبى السيفين.

دير القديسة دميانه:

هو دير للراهبات القبطيات يرجع إلى القرن الرابع الميلادي. وينتسب إلى القديسة الشهيرة دميانه. وكان أبوها والياً لمنطقة البرلس والزعفران بمصر وقد استشهد أيضاً. وقد استشهد مع هذه القديسة أربعون عذراء. ويوجد ديرها في منطقة برارى بلقاس (في محافظة الدقهلية).

بيلاطس:

هو الوالي الروماني الذي حكم على السيد المسيح بالصلب إرضاء لليهود وخوفاً منهم.

التلمود:

هو الكتاب الذي يضعه اليهود إلى جوار التوراة في ايمانهم.

يربعام بن نباط:

عاصر رحبعام بن سليمان الحكيم. وفي عهده بدأت الوثنية في صفوف اليهود، لأنه انشق على مملكة سليمان وداود وكوّن لها مملكة مستقلة وثنية عاصمتها السامرة.

آخاب بن زمرى:

أحد ملوك إسرائيل الذي اشتهروا بالوثنية ونشرها وفي عهده كان يوجد ٨٥٠ نبياً كاذباً من أنبياء البعل والسوراى (العبادات الوثنية التي وقع فيها اليهود).

عذرا:

هو عذرا الكاتب أحد زعماء اليهود عند رجوعهم من سبى بابل. وقد نظم أمورهم. وجمع كتب الشريعة.

زر بابل:

هو أحد زعماء اليهود، أعيد في عهده بناء هيكل سليمان. وسمى هيكل زر بابل، وهذا الشخص وُلد في بابل ولذلك سمى زر بابل (أي زرع بابل).

دير الانبابولا:

هو أحد ديرين في البرية الشرقية، ينسب إلى القديس انبا بولا أول السواح anachorites.

الملاك ميخائيل:

هو رئيس جميع الملائكة. وقد ورد اسمه في الكتاب المقدس أكثر من مرة.



زيارة البابا شنوده

إلى سورية ولبنان عام ١٩٩٨



مع السيد الرئيس حافظ الأسد



مع السيد الرئيس حافظ الأسد .



البابا شنوده يرتدي الكوفية الفلسطينية في مخيم اليرموك قرب دمشق.



وزير الاعلام السوري د. محمد سلمان والأستاذ وهيب فاضل وزير شؤون رئاسة الجمهورية والدكتور القس رياض جرجور أمين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط .



صاحب السماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية ورئيس الافتاء الأعلى يستقبل البابا شنوده .



خلال استقباله في مطار دمشق الدولي. وزير الأوقاف السوري الأستاذ محمد زيادة. والأنبا بيشوي سكرتير المجمع القبطي المقدس.



خلال استقباله في مطار دمشق الدولي . وزير الأوقاف السوري والسفير المصري في دمشق الاستاذ محمود علي شكري ومازن صباغ .



السيد محمد زيادة وزير الأوقاف السوري خلال استقباله البابا شنوده في مطار دمشق الدولي.



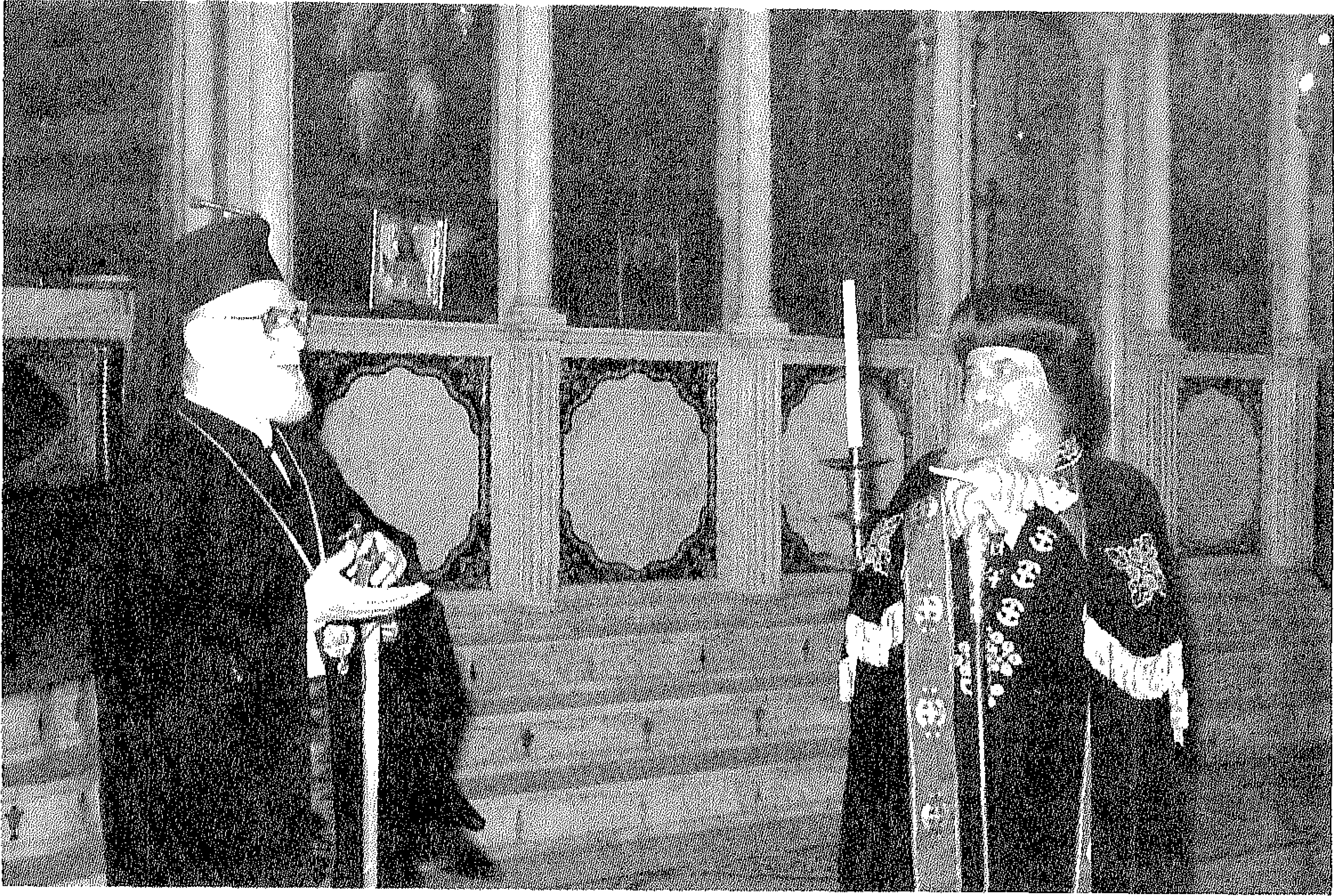
مفتي دمشق خلال استقباله البابا شنوده في مطار دمشق الدولي .



يلقي كلمة في احتفال ترحيبي أقامته له المنظمات والقيادات الفلسطينية في دمشق



مع الجماهير المحتشدة في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطنيين ضواحي دمشق



مع صاحب الغبطة سيادة البطريرك هزيم بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس .



مع صاحب الغبطة سيادة البطريرك زكا بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس .



مع صاحب الغبطة البطريرك حكيم بطريرك الروم الكاثوليك .



يلقي كلمة في كنيسة مار جرجس للسريان الأرثوذكس في دمشق .



مع المطران يوحنا ابراهيم متروبوليت حلب للسريان الأرثوذكس والمطران جورج صليبا مطران جبل لبنان للسريان الأرثوذكس .



مع البطاركة زكا عيواص وآرام كشيشيان والمطران يوحنا ابراهيم والمطران سيبوه.







في الاحتفال الديني الوطني الذي دعا اليه فضيلة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية ورئيس مجلس الافتاءالأعلى في جامع (أبو النور) في حي ركن الدين والذي حضره عدد كبير من بطاركة ومطارنة الطوائف المسيحية والمشايخ الأجلاء وآلالاف من المؤمنين .



في الاحتفال الديني الوطني الذي دعا اليه فضيلة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية ورئيس مجلس الافتاءالأعلى في جامع (أبو النور) في حي ركن الدين والذي حضره عدد كبير من بطاركة ومطارنة الطوائف المسيحية والمشايخ الأجلاء وآلالاف من المؤمنين .





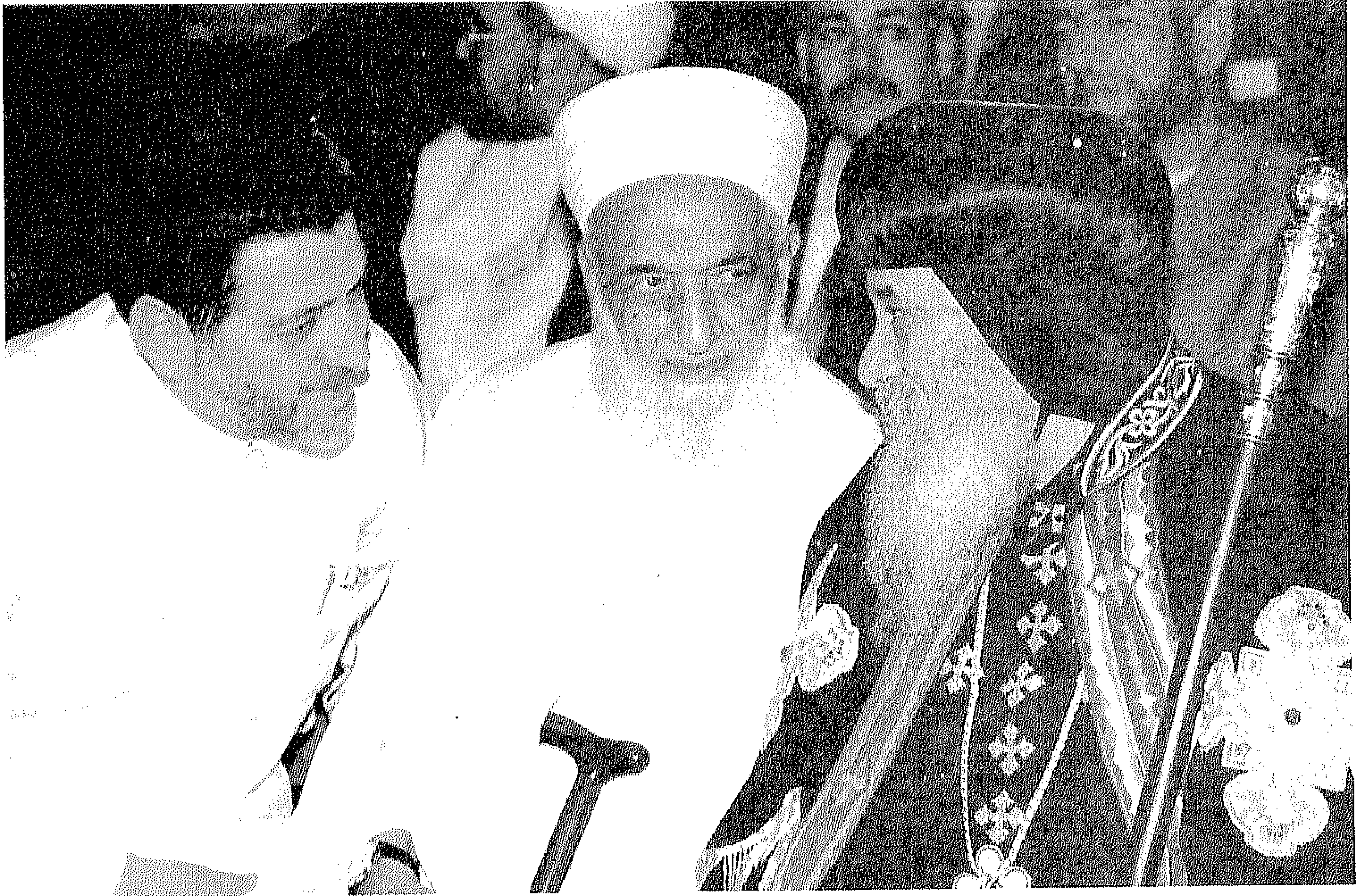
منزل السفير المصري برفقة الاستاذ محمود علي شكري . الشيخ د .محمود أحمد كفتارو . الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية . الأستاذ محمد زيادة وزير الأوقاف السوري .



مع صاحب الفضيلة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية ورئيس المجلس الأعلى للإفتاء .



مع أصحاب السماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية والشيخ الدكتور محمد رشيد قباني مفتي لبنان والشيخ الدكتور محمود أحمد كفتارو .

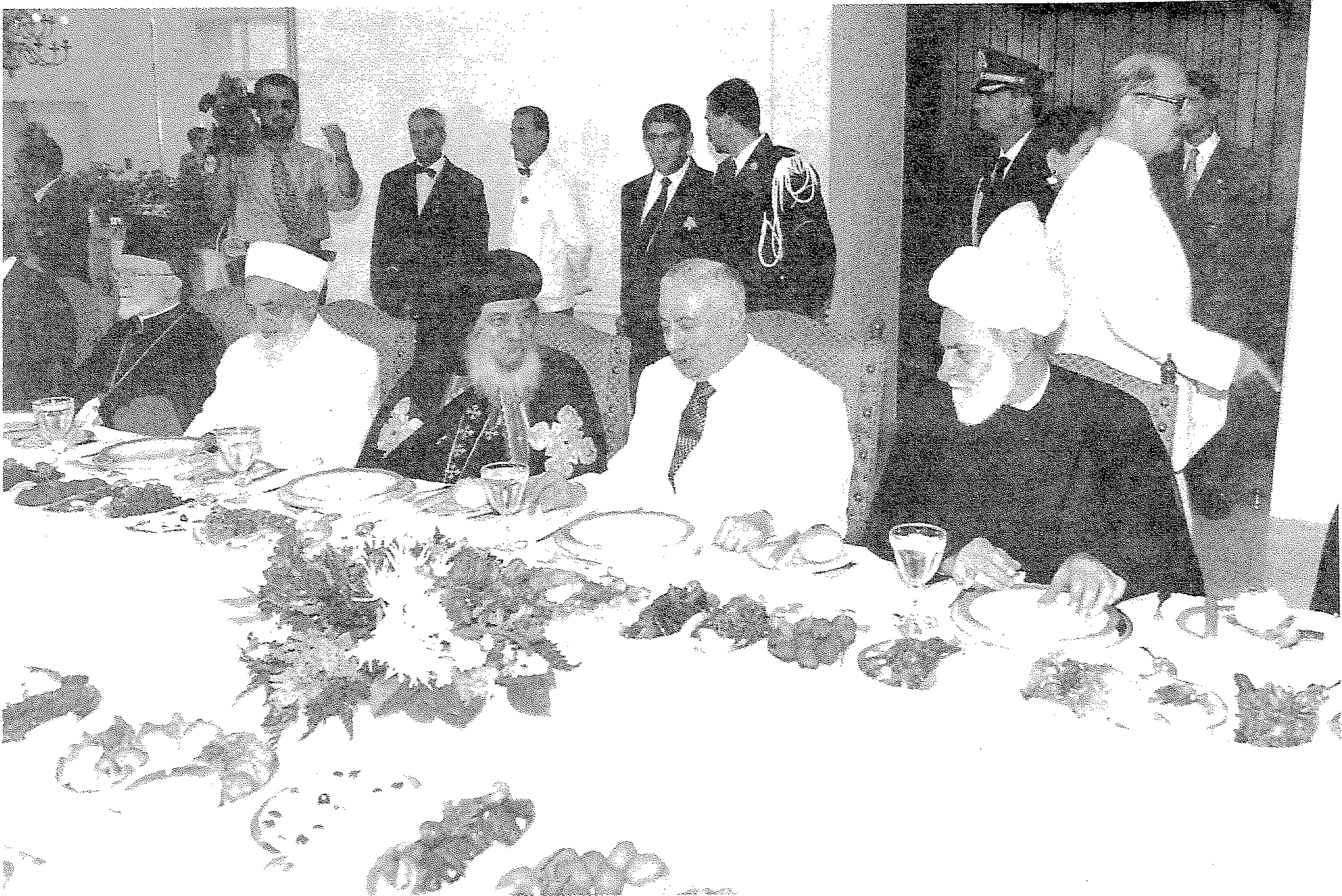


مع أصحاب السماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية والشيخ الدكتور محمود أحمد كفتارو .



احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده .





خلال مأدبة الرئيس اللبناني السابق الياس الهراوي . الشيخ مهدي شمس الدين والشيخ أحمد كفتارو والبطريرك حايك بطريرك السريان الكاثوليك سابقاً



مع فخامة الأستاذ الياس الهراوي رئيس الجمهورية اللبنانية السابق



دولة الاستاذ رفيق الحريري رئيس الوزراء اللبناني السابق





الرئيس المحامي الأستاذ نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني والبطريرك زكا عيواص



أمام دير مار أفرام السرياني في معرة صيدنايا مع فضيلة الشيخ أحمد كفتارو والشيخ محمد رشيد قباني والسفير المصري في دمشق



احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده





احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده



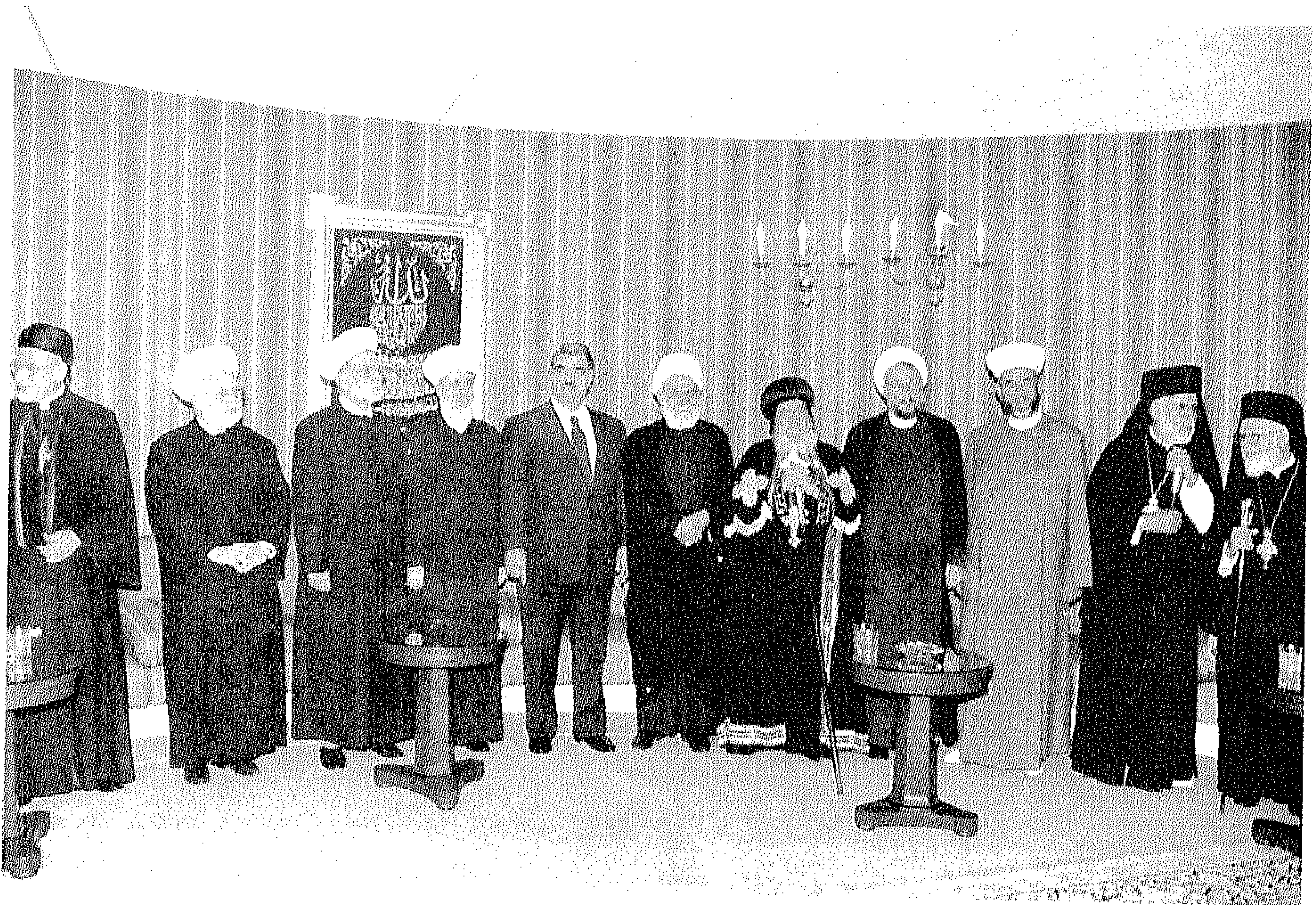


احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده



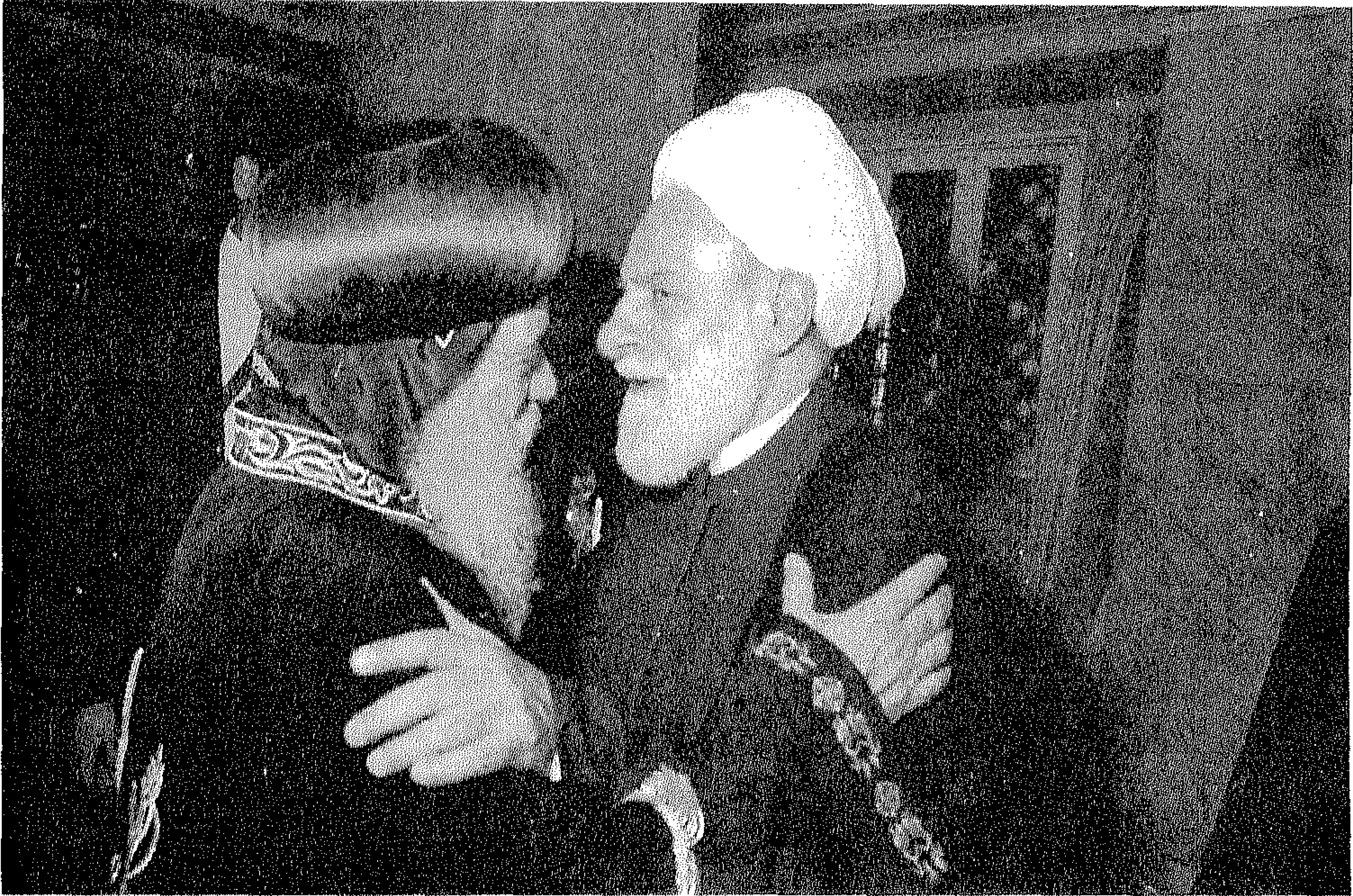


احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده





مع أصحاب القبطة البطريرك زكا عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس والكثوليكوس آرام كشيشيان بطريرك الأرمن الأرثوذكس .



مع صاحب السماحة الإمام محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.



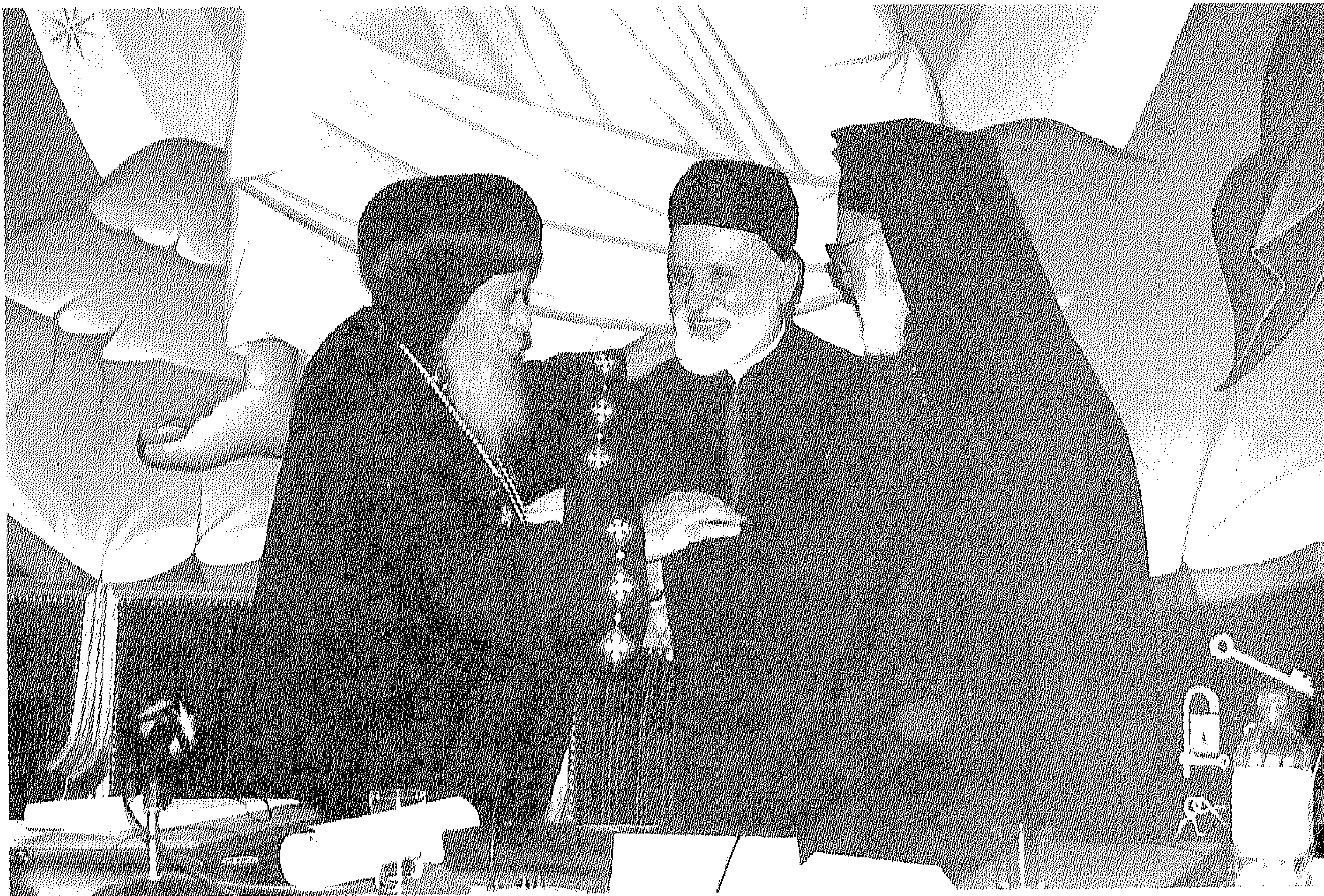
احتفاء القيادات الروحية والسياسية
اللبنانية بالبابا شنوده .



احتفاء القيادات الروحية والسياسية اللبنانية بالبابا شنوده .



اصحاب الغبطة السادة بطاركة الطوائف الكاثوليكية في الشرق .



مع البطريرك الماروني الكاردينال صفير .



مأدبة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد كفتارو.



مع رؤساء الطوائف الإسلامية في لبنان الإمام محمد مهدي شمس الدين والمفتي الشيخ محمد رشيد قباني وشيخ عقل الموحدين الدروز الشيخ بهجت غيث.



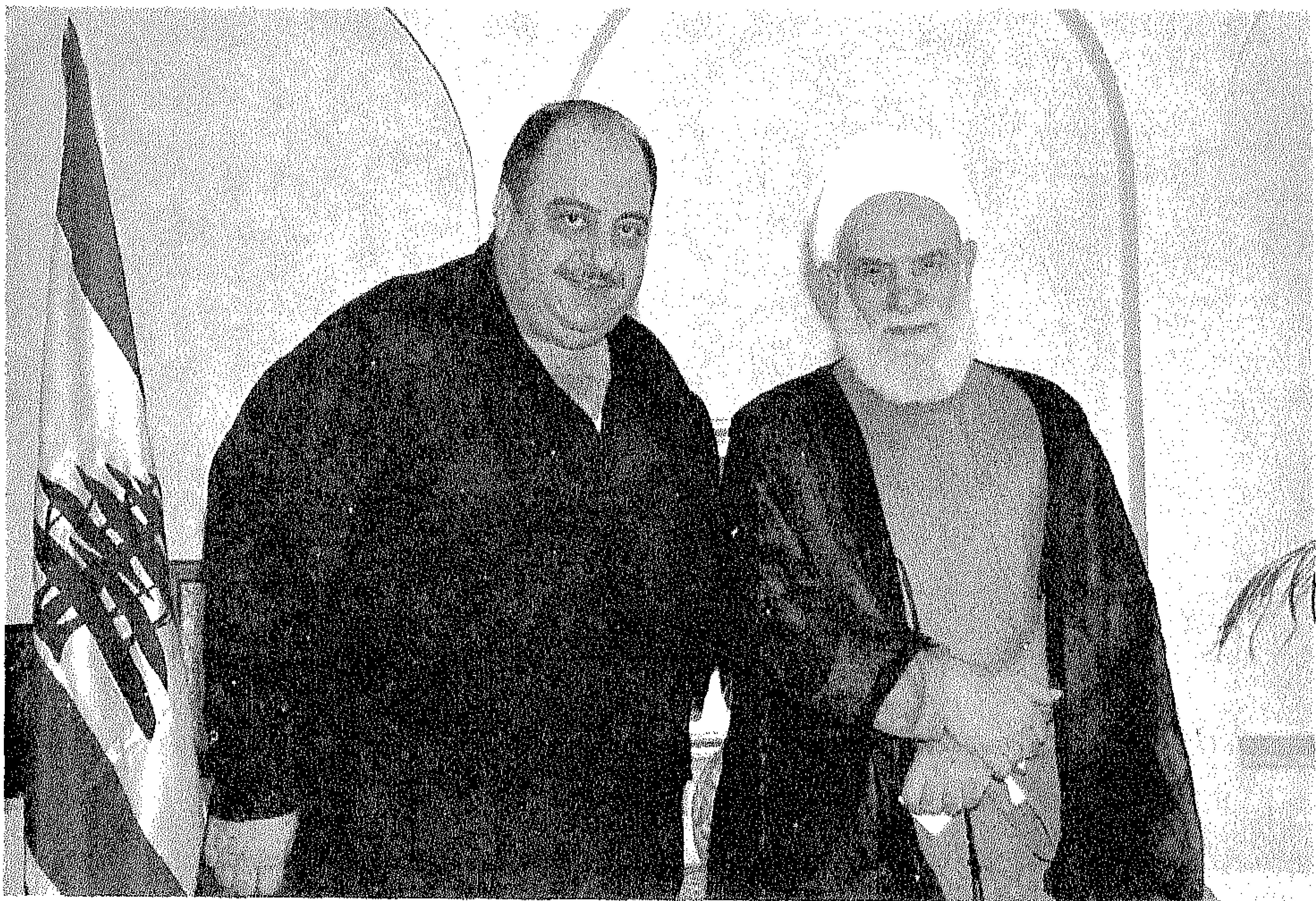
مع رؤساء الطوائف الاسلامية في لبنان الامام محمد مهدي شمس الدين المفتي محمد رشيد قباني و شيخ عقل الموحدين الدروز الشيخ بهجت غيث والسفير المصري في بيروت عادل الخضري .



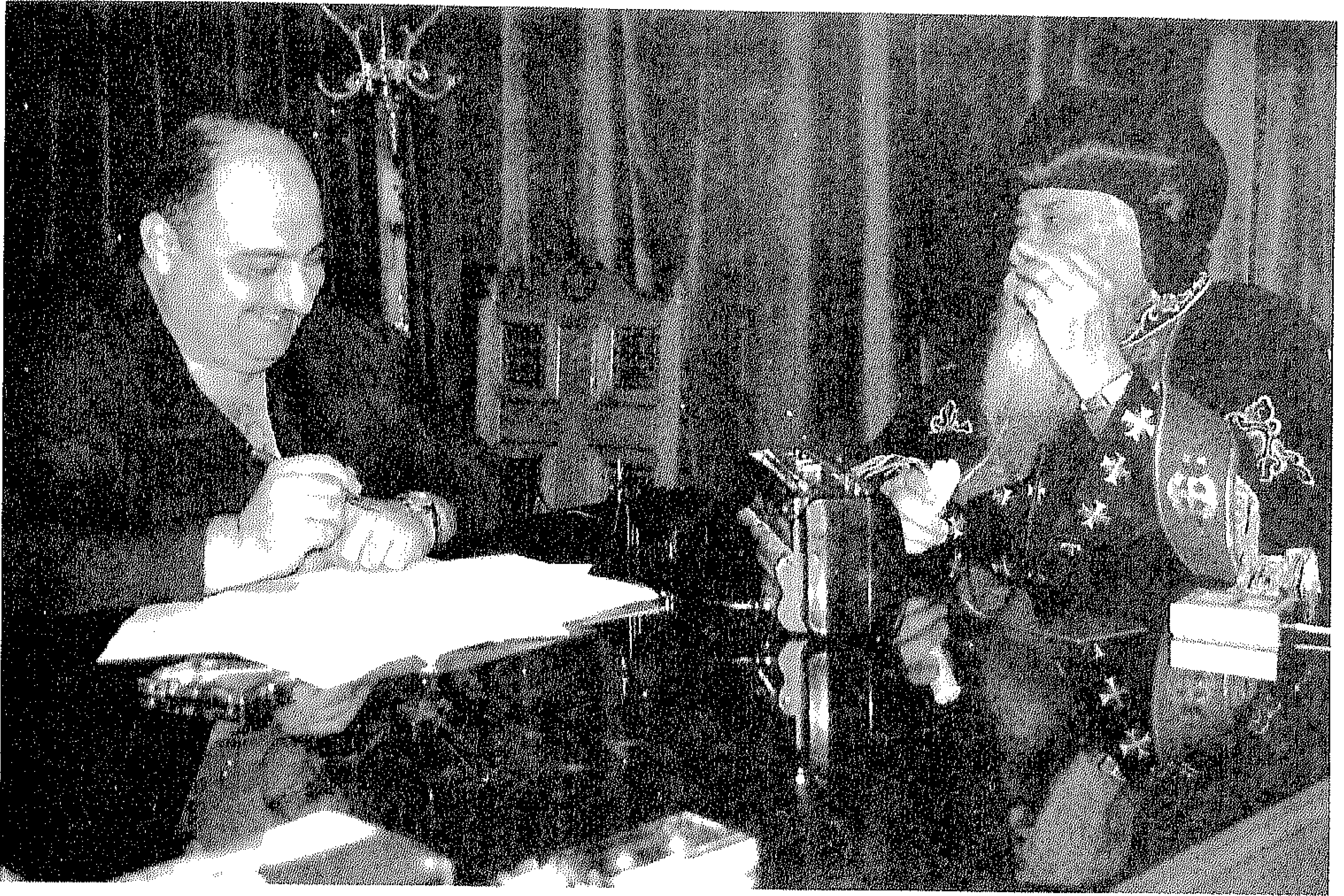
المؤلف مع قائم مقام طائفة الموحدين الدروز في لبنان الشيخ بهجت غيث في مكتبه ببيروت.



المؤلف مع صاحب السماحة الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني مفتي الجمهورية اللبنانية في منزله ببيروت .



المؤلف مع صاحب السماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان .

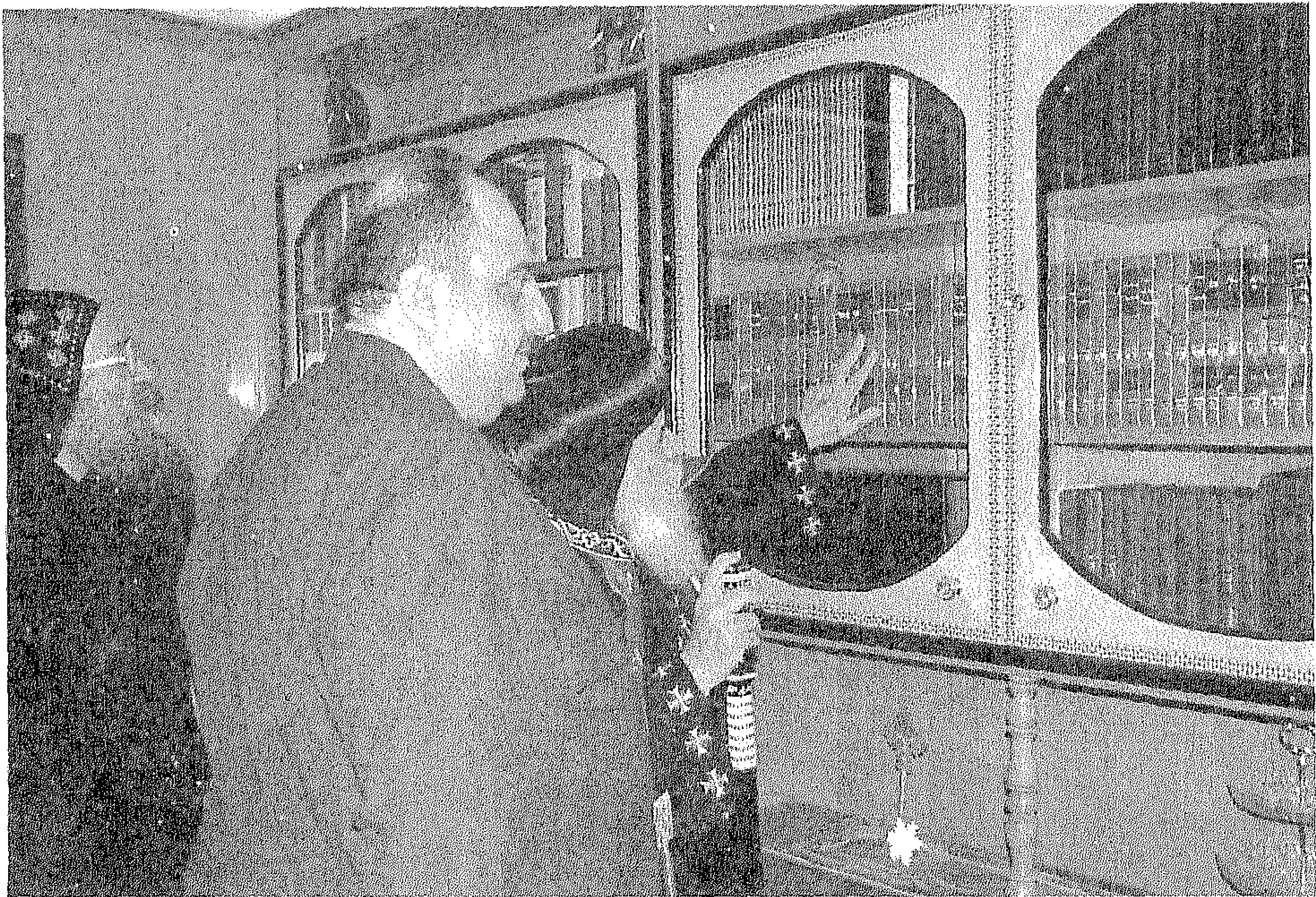


البابا شنوده مع المؤلف .





البابا شنوده مع المؤلف .



زيارة قداسة الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

في مصر والعالم.

إلى سوريا ولبنان

((٢٤ - ٢٨ أيار (مايو)٢٠٠١))

زيارة لبنان

((٢٤-٢٧ أيار (مايو) ٢٠٠١))

وصول قداسته إلى بيروت
واستقباله فيها

وصل بعد الظهر البابا شنوده الثالث في زيارة تستمر ٤أيام للمشاركة في ذكرى مرور ١٧٠٠عام على اعتناق الأرمن المسيحية كدين رسمي بدعوة خاصة من كاثوليكوس كيليكيا للأرمن الأرثوذكس الكاثوليكوس ارام الأول.

ويترأس البابا شنودة الثالث قداسا إلهيا صباح الأحد المقبل في كنيسة مار مرقس للأقباط الأرثوذكس، ويفتتح المكتبة التي تعتبر أكبر مكتبة قبطية في الشرق الأدنى في قاعة الكنيسة ثم يضع حجر الأساس لأول دير قبطي في لبنان يقع في البريارة وتبلغ مساحته ٢٨ألف متر مربع.

وكان في استقباله في صالون الشرف الرئيسي في المطار وفد من بطريركية الأرمن الأرثوذكس ممثلا الكاثوليكوس ارام الأول ضم المطارنة :فارتان دمرجيان كيغام خاتشريان، سيبوه سركيسيان، يبرم طاباكيان،الأرشمندريت شاهام سركيسيان الأرشمندريت ناريك الغميزيان، الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط القس رياض جرجور ووفد من الكنيسة القبطية على رأسه الأب بوليكاريوس الأنبا بيشوي، سفير مصر عادل الخضري وأركان السفارة، ورجال أعمال أقباط وشخصيات ورجال دين.

لقاء صحفي لقداسة البابا شنوده في مطار بيروت بعيد وصوله

في بدايته رحب المطران سيبوه سركسيان بالبابا شنوده وقال: يسعدني ويشرفني أن أرحب بكم في بلدكم الثاني لبنان باسم قداسة الكاثوليكوس آرام الأول واللجنة المركزية لكاثوليكوسية الأرمن الأرثوذكس في لبنان، إنكم تأتون إلى هذا البلد العزيز في هذه المرة لكي تشاركوا الكنيسة الأرمنية الشقيقة باحتفالاتها في ذكرى اعتناق أرمينيا الديانة المسيحية ديناً رسمياً لها بمناسبة مرور ١٧٠٠عاماً على هذه الذكرى الفريدة ومشاركتكم هذه دليل ساطع على العلاقات بين الكنيسة القبطية الشقيقة والأرمنية الأرثوذكسية وعلى محبتكم التي تكنونها تجاه الشعب الأرمني والكنيسة الأرمنية.

❖ سئل البابا شنوده :ماذا تقولون عن وصولكم اليوم إلى لبنان خصوصاً في ذكرى يوم المقاومة والتحرير؟

❖❖ أنا سعيد جداً أن أصل إلى لبنان اليوم لما له من مكانة كبيرة في قلبي فأنا أحب لبنان وشعبه وطبيعته الجميلة وحينما أدخل إلى هذا البلد فأنا أعتبر أنني بين أصدقائي وأقربائي فسياسة لبنان تهمنا في الدرجة الأولى ونحن نتابع أخبار لبنان وندافع عنه في كل الاتجاهات ونود له الاستقلال الكامل والتعاون الوثيق مع كل الدول

العربية والرئيس (المصري حسني مبارك) أيضاً يعتز بأهمية لبنان وسلامة أراضيه وأنا أعتبر أن يوم المقاومة يوم عزيز جداً لأن المقاومة تنبع من الوطنية الصادقة داخل القلب وعدم الرضى بالاحتلال وبالتدخل الأجنبي فنأمل في هذا اليوم أن يكون لبنان أشد مراساً وأقوى شعباً وجيشاً وحكومة ورئاسة.

❖ هناك تهديدات إسرائيلية ضد لبنان وجنوبه وضد سوريا كيف تعلقون على هذه التهديدات وما هي الرسالة التي توجهونها في هذا الإطار إلى العرب ؟

❖❖ إن التهديد هو طبيعة من طبائع إسرائيل ونحن لا يهمنا التهديد ما دامت لنا ثقة بالنفس وبحقوقنا الشرعية التي لا ينال التهديد منها شيئاً بل إن التهديد يسيء إلى سمعة إسرائيل في المجتمع الدولي لأن العلاقات الدولية لا تأتي بالتهديد إنما بالتفاهم وبضمان المصالح المشتركة وبعدم طغيان دولة على أخرى وأنا أهنئ لبنان لمناسبة الانسحاب الإسرائيلي من جنوبه ونرجو أن يكون انسحاباً دائماً وكاملاً وشاملاً لا عودة فيه.

❖ ما هو موقفكم من الأعمال الإجرامية التي يقوم بها رئيس الوزراء الإسرائيلي اريبل شارون في الأراضي الفلسطينية المحتلة خصوصا قتل الأطفال والمدنيين ؟

❖❖ إنها مأساة أن تقف المدافع والصواريخ أمام شعب أعزل لا يستخدم سوى الحجارة وكل هذا يسبب سخطا في كل البلاد العربية التي يجب عليها أن تطالب المجتمع الدولي بالتدخل بطريقة فعالة لإيقاف العنف في الأراضي المقدسة المحتلة.

❖ ستضعون خلال وجودكم في لبنان الحجر الأساس لأول دير قبطي ماذا يمكنكم القول لهذه المناسبة ؟

❖❖ نحن نشكر الحكومة اللبنانية وخصوصا رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري لأنه هو الذي قدم اعتماد الكنيسة القبطية ككنيسة ضمن الكنائس التي يعترف بها

الدستور اللبناني وحدد الطوائف المسيحية لم يكن للأقباط العدد الكافي لاعتبارهم طائفة داخل لبنان، ولكن تم هذا الأمر منذ سنتين تقريبا وكنت تحدثت في الموضوع مع الرئيس رفيق الحريري والرئيس نبيه بري وهما اعترفا بالكنيسة القبطية ككنيسة ضمن الطوائف الموجودة.

❖ هل التعايش بين الطوائف اللبنانية هو الذي شجع الطائفة القبطية على اتخاذ هذه الخطوة بإنشاء الكنيسة القبطية في لبنان ؟

❖❖ كان لنا كنيسة قبطية منذ زمن طويل ولكن لم يكن معترف بها دستوريا أما وجود دير فهذا طبيعة في الأقباط لأنهم أول من أنشأ الأديرة في العالم وأب الرهبنة في العالم كله هو القديس الأنبا انطونيوس وهو رجل قبطي من صعيد مصر وأول من أنشأ الأديرة هو الأنبا بوخوميوس.

● كيف تصف العلاقة بين الطائفة القبطية في مصر وبين سائر الطوائف؟

❖❖ نحن نعيش في جو من المودة والمحبة والعلاقة الطيبة مع الدولة ومع كل الهيئات ويوجد بيني وبين فضيلة شيخ الأزهر علاقة صداقة ومودة وبيني وبين مفتي لبنان علاقة طيبة ومودة وكانت توجد بيني وبين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان الإمام الشيخ المرحوم محمد مهدي شمس الدين صداقة مودة، فعلاقتنا طيبة مع الجميع سواء في مصر أو في لبنان أو في سوريا أيضا.

❖ تقرير لجنة الحريات الدينية الأمريكية لم يتضمن شيئا عن نتائج زيارة اللجنة إلى إسرائيل في الوقت الذي تضمن مغالطات كثيرة عن زيارة اللجنة إلى القاهرة وما هو تعليقكم على هذا التقرير ؟

❖❖ يسأل في هذا الذين كتبوا هذا التقرير.

نشاطات قداسته في بيروت

في ٢٥ أيار ٢٠٠١

قداسته يحضر المؤتمر الدولي عن (مساهمة الكنيسة الأرمنية بالشهادة المسيحية في الشرق الأوسط)

افتتح المؤتمر برئاسة كاثوليكوس الأرمن الأرثوذكس آرام الأول في حضور البطريرك البابا شنوده الثالث،وبطريرك الإسكندرية للأقباط الأرثوذكس والبطريرك ماراغناطيوس زكا الأول عيواص والبطريرك أبونا فيليبوس الأول بطريرك الأريتريين الأرثوذكس والكنيسة الأرتيرية الأرثوذكسية وممثل جمهورية أرمينيا السفير الأرميني في بيروت أرمان نافاسارديان.

وحضر المؤتمر أكثر من ١٥٠ شخصا ممثلي الكنائس من كنسيين وعلمانيين وشارك فيه عدد كبير من لاهوتيين وجامعيين وأكاديميين.

كلمة قداسة البابا شنوده

في المؤتمر

وكانت كلمة للبابا شنوده الثالث ومما جاء فيها (هذه المناسبة السعيدة لمرور ١٧قرناعلى إعلان المسيحية ديانة رسمية لبلادنا أعطتنا فرصة للتأمل في تاريخكم المجيد فتحية منا للشعب الأرمني العريق وللكنيسة الرسولية التي تأسست منذ القرن الأول للميلاد على أيدي اثنين من رسل السيد المسيح الاثني عشر هما تداوس وبرثلماوس. لهذا دعيت كنيسة رسولية (...) نحيي الكنيسة الأرمنية الرسولية كأول كنيسة في العالم أعلنت فيها المسيحية ديانة رسمية للدولة، تحية لهذه الكنيسة ذات الإيمان السليم الشقيقة لنا في الإيمان الأرثوذكسي تحية لكنيسة قاست الاستشهاد والاضطهاد.

تحية للكنيسة الأرمنية التي حفظت هويتها ووطنيتها وامتزجت امتزاجا قويا بشعبها وأصبحت هي المعبرة عن الشعب الأرمني. تحية للكنيسة الأرمنية كواحدة من كنائسنا الشرقية الأرثوذكسية المحافظة والتي حافظت على تقاليدها، ولغتها وألحانها واحترامها لأقوال الآباء القديسين، وبقيت راسخة في إيمانها.

تحية للكنيسة الأرمنية في عملها المسكوني في مجلس الكنائس العالم وفي الشرق الأوسط تحية للوحدة القائمة بين الكنيسة الأرمنية وشقيقتها، الكنيستين السريانية والقبطية وما قام به البطريرك مار زكا، والكاثوليكوس آرام في تكوين هذه الوحدة وفي وضع نظامها ودستورها وفي استمرار العمل فيها باللقب الواحد والفكر الواحد، والسياسة الكنيسة الواحدة في شهادتها للمسيح.

قداسة البابا يحضر حفل عشاء
ليــلاً أقيم على شرف قداسته
في السفارة المصرية ببيروت

وكان البابا شنوده ليلاً ضيف شرف في مأدبة عشاء أقامها السفير المصري في لبنان السيد عادل الخضري في منزله بالحازمية،وحضرها دولــة الرئيس الأستاذ رفيق الحريري رئيس مجلس الوزراء ودولة الأستاذ المحامي إيلي الفرزلي نائب رئيس مجلس النواب وسماحة الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني مفتي لبنان وسماحة الشيخ المفتي عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ونيافة المطران رولان أبو جودة النائب البطريركي للموارنة ونيافة المطران الياس عودة رئيس طائفة الروم الأرثوذكس في بيروت والنائب اميل اميل لحود والمطران سيبوه مطران طهران وإيران للأرمن الأرثوذكس وعدد من الشخصيات اللبنانية.

نشاطات قداسته في لبنان

٢٠٠١/٥/٢٧:

رعاية قداسته لوضع حجر الأساس لمقر دير مار انطونيوس الكبير للأقباط الأرثوذكس في البربارة -جبيل

وكان الأنبا شنوده الثالث احتفل بوضع الحجر الأساس لمقر ودير مار انطونيوس الكبير للأقباط الأرثوذكس الممتد فوق هضبة البربارة -جبيل على مساحة ٢٨ألف متر مربع ويتضمن كنيسة ومقرا بابويا ومطرانية ومدرسة لاهوتية وتعليمية ومطبعة عامة وورشا إنتاجية ومزارع فواكه.

وأزاح الستارة عن لوحة كتب عليها (باسم الثالث الأقدس وبنعمته قام قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا ابراهام مطران الكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى والأحبار و الاجلاء أعضاء الوفد المرافق لقداسة البابا بوضع حجر الأساس لمقر ودير مار انطونيوس الكبير للأقباط الأرثوذكس في البربارة جبيل وذلك يوم الأحد المبارك ١٩بشنس ١٧١٧ الموافق ٢٧أيار ٢٠٠١.

وبعد صلاة حضرها النائب الأبرشي العام لمطرانية جبيل المونسينيور بولس نصر الله والخوري بولس جبور ممثلا المطران جورج خضر، ألقى البابا شنوده كلمة قال فيها:

نحن نرغب أن يكون هذا المكان مقدساً يحيا فيه الناس فترات روحية مع الله وتكون خميرة للحياة كلها. إن صعود الجبل يمثل الصعود في الحياة الروحية، والإنسان يصعد درجة درجة لغاية الوصول إلى قمة الكمال النسبي والرب أعطانا هذا الصعود في كل شيء حتى في الشجرة وفي الجبل وفي أرز لبنان حيث سفر النشيد يقول: (فتى كالأرز طلعته كلبنان) والكتاب يقول: (الصديق كالنخل يزهو وكالأرز في لبنان يعلو) فالصديق دائماً باستمرار يصعد إلى فوق ويرتفع في الدرجات الروحية إلى أن يصل إلى الكمال الذي يمكن الوصول إليه بالنسبة إلى طاقاته ونعمه).

قداسته يعقد مؤتمراً صحفياً
في فندق البريستول في بيروت

ورد الأنبا شنودا في خلال مؤتمر صحافي عقده في (فندق البريستول) على سؤال بشأن العلاقة بين لبنان وسوريا ؟

❖أنا أرى أنه لا يصح أن ينقسم العرب على أنفسهم وبخاصة في هذه الفترة بالذات، فلو بدأ الانقسام بين لبنان وسوريا يكون لمصلحة إسرائيل، لذلك يفترض بنا أن نبحث عما يوحدنا وليس عما يفرقنا، لأن وحدة العرب ضرورية جداً في هذه الفترة في مواجهة إسرائيل، علماً أنه من مصلحة إسرائيل أن يحصل نزاع بين العرب وتصبح كل دولة ضد الدولة الأخرى لتكون المستفيدة من هذا النزاع.

ورداً على سؤال بشأن الدير الذي سيدشنه في لبنان قال:إن الدير هو عبارة عن مكان روحي، فنحن نؤمن بالعامل الروحي في حياة الناس ونؤمن بأن كل شخص يحتاج إلى فترات من الهدوء ومن الخلوة بعيداً عن ضوضاء المدينة وعن اضطرابات الأخبار وضجيج الناس، فالخلوة والهدوء أمران يحتاجهما كل إنسان. وبالنسبة إلى الدير نقصد إيجاد مكان خلوة وهدوء يستريح فيه أي شخص. وعن محادثاته المقبلة مع الرئيس بشار الأسد في دمشق قال:لا أستطيع التنبؤ بمواضيع البحث لكن ما أستطيع قوله هو أنني أحب سوريا وأحب لبنان وأحب الاثنين معاً دون تناقض وأرجو أن يوجد هذا الحب بين الكل ونحن كرجال دين علينا أن نسلك المحبة مع الجميع. وقال (إن علاقة جيدة كانت

تربطه بالرئيس الراحل المغفور له **حافظ الأسد** وأنه يريد أن تستمر هذه العلاقة مع الرئيس **بشار الأسد**) مشيراً إلى أن (زيارته لسوريا ستكون لتهنئة **الرئيس الأسد** بتسلمه مقاليد الحكم في سوريا لأنه لم يتمكن من تهنئته إلا من خلال الفاكس).

وتحدث عن الجنوب فقال: نحن نشكر الله على انسحاب إسرائيل من لبنان ولو أنه يوجد جزء من لبنان لم تنسحب منه بعد ونود أن يكون انسحاب إسرائيل من لبنان انسحاباً دائماً وشاملاً وليس موضوع نزاع في المستقبل وأنا أهنئكم بعيد تحرير لبنان وأرجو أن يتم الانسحاب من باقي الأجزاء اللبنانية ومن الجولان وفلسطين ومن باقي الأراضي المحتلة.

مغادرة قداسته بيروت

في مساء ٢٧ أيار ٢٠٠١

غادر قداسة البابا شنوده بيروت بعد زيارة استمرت أربعة أيام.

وتوجه براً إلى دمشق.

زيارة سورية

((٢٧-٢٨ أيار ٢٠٠١))

وصول قداسته إلى دمشق

واستقباله عند نقطة الحدود السورية اللبنانية

وصل إلى دمشق مساء قداسة الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس في زيارة لسورية تستمر عدة أيام يرافقه فيها الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدس والقس رياض جرجور الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

وكان في استقباله عند نقطة الحدود السورية اللبنانية السيد محمد زيادة وزير الأوقاف والسيد غسان جيرودي معاون الوزير والشيخ بشير عيد الباري مفتي دمشق وعدد من كبار رجال الدين الإسلامي والمسيحي في سورية والسيد محمد أحمد إسماعيل السفير المصري بدمشق.

تصريح قداسته إلى مندوب

الوكالة السورية للأنباء (سانا)

. وأدلى قداسة البابا شنوده الثالث بتصريح أكد فيه على أهمية مكانة سورية ودورها كحصن قوي للأمة العربية معرباً عن أمنياته لسوريا في تحقيق الانتصار واستعادة الجولان المحتل في أقرب وقت.

وأكد الأنبا شنوده ضرورة وحدة الصف العربي في مواجهة العدوان الصهيوني منددأً بما يتعرض له شعبنا العربي الفلسطيني على يد قوات الاحتلال الاسرائيلي من وحشية وهمجية مشيراً إلى أن إسرائيل لا تسعى إلى السلام فالسلام ليس مجرد كلمة إنما هو عمل وفعل لأن الكثيرين يتحدثون عن السلام والقليلون هم الذين يبذلون جهداً لتأييد هذا السلام بطريقة عملية وعلينا ألا ننسى أن إخوتنا في فلسطين المحتلة يعانون كل يوم من سياسة القتل والتدمير الإسرائيلية دون وجود وقفة عربية واحدة لمساندتهم.

تصريح قداسته لمندوب صحيفة
تشرين السورية

وفي تصريح لمندوب 'تشرين' أشاد الأنباء شنوده بشخصية السيد الرئيس بشار الأسد الذي يكمل مسيرة والده الرئيس الراحل حافظ الأسد. وقال: كانت تربطني بالرئيس الراحل علاقات صداقة وطيدة واحترام متبادل وآمل في أن تستمر هذه العلاقة وتتعمق مع السيد الرئيس بشار الأسد.

وقد قدمت اليوم إلى دمشق لتقديم التهنئة إلى سيادته شخصياً، بانتخابه رئيساً للجمهورية العربية السورية التي أحمل لها ولشعبها كل التقدير والمحبة مشيراً إلى أنه أرسل برقية تهنئة يوم اختار الشعب العربي السوري الدكتور بشار الأسد رئيساً.

ودعا البابا شنوده العرب جميعاً إلى الوقوف صفاً واحداً لمواجهة العدوان الإسرائيلي وطالبهم بالانتقال من حالة الكلام إلى حالة الأفعال.

قداسته يدلي بحديث خاص
لصحيفة تشرين السورية

أشاد قداسة الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس بالخصال والمناقب القيادية الحميدة التي يتمتع بها السيد الرئيس **بشار الأسد**، وقال في حديث خاص لـ تشرين: إن السيد الرئيس **بشار الأسد** يمثل نبض الشارع العربي ويقوم بدور مهم وكبير في مسيرة مواجهة التحديات التي تتعرض لها الأمة العربية، ويعمق النهج القومي النضالي الذي أسسه القائد الراحل **حافظ الأسد** الذي كانت تربطني به علاقات صداقة قوية واحترام متبادل ورحيله كان خسارة للعرب جميعا.

وأعرب البابا شنوده عن تقديره الكبير للسيد الرئيس **بشار الأسد** الذي قدم شرحا واسعا، وتحليلا موضوعيا عن آفاق الاتجاه العام في العمل الوطني والقومي خلال استقبال سيادته لقداسة البابا شنوده ظهر أمس.

ووصف البابا شنوده لقاءه بالسيد الرئيس باللقاء الطيب والحار الذي سادته مشاعر صافية ونقية زادت من أهمية اللقاء الذي روى اشتياقنا منذ زمن لزيارة السيد الرئيس **بشار الأسد** وتقديم التهنئة والتعبير أيضا للشعب السوري العظيم عن أطيب المشاعر وعظيم التقدير للدور الذي يقوم به هذا الشعب العظيم الذي نكن له كل المحبة والاحترام.

وردا على سؤال حول ضرورة تعزيز التنسيق السوري – اللبناني في هذه الظروف قال البابا شنوده: من دون شك أن سورية قوة عظيمة يمكن لها أن تسند لبنان في الحاضر والمستقبل، كما سندته ووقفت إلى جانبه في السنوات الماضية وواجب على الدولين القيام ببذل كل الجهود لتعزيز التنسيق بينهما، خاصة في هذه الظروف التي يستمر العدوان والتهديد الإسرائيلي لهما وللعرب جميعا.

مأدبة عشاء

تكريماً لقداسة البابا شنوده

أقام غبطة البطريرك زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس رئيس الكنيسة السريانية في العالم مأدبة عشاء تكريماً لقداسة البابا شنوده في فندق ميريديان دمشق حضرها السيد الدكتور محمد زيادة وزير الأوقاف والسيد الشيخ بشير عيد الباري مفتي دمشق والأنبا بيشوي السكرتير العام للمجمع القبطي المقدس والأنباء ابراهام مطران القدس للأقباط والأب بوليكاريوس مسؤول الطائفة القبطية في لبنان والقس الدكتور رياض جرجور أمين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط، والدكتور جرجس صالح الأمين العام المساعد والمهندس سامر لحام الأمين العام المساعد والأسقف بولس السوقي والسيد مازن صباغ مستشار وزير الإعلام والشيخ الدكتور عبد الرزاق المؤنس والسيدة مهاة فرح الخوري وعدد من رجال الدين الإسلامي والمسيحي وشخصيات إعلامية.

السيد الرئيس بشار الأسد

يلتقي قداسة البابا شنوده

٢٠٠١/٥/٢٨

استقبل السيد الرئيس بشار **الأسد** في قصر الشعب ظهراً قداسة الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر والبطريرك زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس والقس سليم صهيوني رئيس مجمع الطائفة الإنجيلية والمطران سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك للروم الكاثوليك والقس رياض جرجور الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

وقد شكر البابا شنوده السيد الرئيس على الحفاوة وحسن الاستقبال الذي لقيه في سورية وقدم التهنئة إلى السيد الرئيس لتسلمه قيادة البلاد وقال انه لم يتمكن من تهنئة سيادته شخصياً في حينه مشيراً إلى أن علاقة جيدة ووطيدة كانت تربطه بالقائد الخالد **حافظ الأسد** وأنه يريد أن تستمر هذه العلاقة مع السيد الرئيس بشار **الأسد**.

وأشاد البابا شنوده بمواقف السيد الرئيس الوطنية والقومية وبجهوده في تفعيل التضامن العربي في مواجهة التحديات الراهنة.

وبعد أن رحب السيد الرئيس بالبابا شنوده وشكره على تهنئته أشاد بمواقف البابا شنوده الوطنية والقومية ثم تحدث سيادته عن الأوضاع الراهنة في المنطقة وأكد على وجوب الصمود والصبر والنضال من أجل استرداد حقوقنا.

وزير الأوقاف يقيم حفل غداء تكريماً لقداسة البابا شنوده

أقام السيد الدكتور محمد زيادة وزير الأوقاف ظهر يوم الاثنين مأدبة غداء تكريماً لقداسة الأنبا شنوده الثالث. وقد تبادل الوزير وقداسة الأنبا شنوده الثالث خلال المأدبة كلمتين وديتين أشادا من خلالهما بالمواقف القومية والمبدئية الثابتة لسورية بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد. كما أعربا عن الثقة الكبيرة بنضال سورية من أجل تحرير الجولان المحتل والأراضي العربية المحتلة من العدو الغاصب كما دعيا إلى وحدة الصف العربي لمواجهة الغطرسة الإسرائيلية القائمة على القتل والتدمير ضد الشعب العربي الفلسطيني الأعزل.

وحضر المأدبة غبطة البطريرك زكا عيواص والاستاذ غسان جيرودي معاون وزير الأوقاف والشيخ الدكتور صلاح الدين كفتارو ممثلا لسماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية والشيخ عبد الفتاح البزم مفتي دمشق والمطران ايسيدور بطيخة النائب البطريركي للروم الكاثوليك والشيخ عبد الله دك الباب مدير أوقاف دمشق والشيخ الدكتور عبد الرزاق المؤنس مدير إدارة التوجيه والإرشاد بوزارة الأوقاف والقس الدكتور رياض جرجور الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط والدكتور جرجس صالح مساعد الأمين العام والمهندس سامر لحام مساعد الأمين العام والشيخ حسام الدين فرفور والشيخ بشير الرز والشيخ عبد الباسط كيال

والشـيخ عربي قباني والشيخ سـليم العقاد والشـيخ إحسان بعذراني والشيخ عبد الله رابح والقس بطرس زاعور والاستاذ صلاح الدين ريحان مدير مكتب وزير الأوقاف والسيد الدكتور محمد أحمد اسماعيل سفير جمهورية مصر العربية بدمشق والسيد القائم بالأعمال السعودي بدمشق والسيد مازن صباغ مستشار وزير الإعلام والوفد المرافق للبابا شنوده وعدد من الشخصيات وممثلي وسائل الإعلام.

قداسته يعقد مؤتمراً صحافياً قبيل مغادرة دمشق (مساء ٢٠٠١/٥/٢٨)

وأشاد قداسة الأنبا شنوده بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد وقال إنه استمع خلال استقبال السيد الرئيس له أمس إلى المعلومات الواسعة التي يملكها وإلى مشاعره الطيبة. وأضاف قداسته في مؤتمر صحفي عقده في دمشق مساء أن السيد الرئيس بشار الأسد قائد عربي قومي يتكلم عن عقيدة في داخله ويعني ما يقول مشيراً إلى أن سورية تعد مضرب المثل في الوحدة الوطنية والتسامح الديني والتآخي بين المسلمين والمسيحيين. كما أشاد بما حققته سورية من تقدم كبير على جميع الأصعدة مؤكداً أنها تمثل الصمود في وجه جميع التحديات والأخطار التي تواجه الأمة العربية. وأكد قداسته في معرض رده على سؤال حول شرعية المقاومة الوطنية اللبنانية أن المقاومة عمل مشروع باعتباره رد فعل على الاحتلال والعدوان مشيراً إلى أنه لولا الاحتلال لما كانت هناك مقاومة وقال إن حب الوطن والدفاع عن الأرض يجري في دم كل إنسان. وانتقد أسطورة شعب الله المختار مؤكداً أن إسرائيل تقودها الأطماع السياسية ولا يقودها الله كما أنها لم تدخل إلى فلسطين بوعد من الله إنما بوعد من بلفور مؤكداً أن الله لا يقبل باحتلال الأراضي دون وجه حق. ورداً على سؤال حول تحريمه زيارة القدس طالما بقيت محتلة أكد قداسة الأنبا شنوده الثالث أن هذا القرار لا يتغير أبداً وأنه مبدأ ثابت وأصبح قاعدة معروفة لدى الجميع وقال: لا ندخل القدس وهي محتلة ولا نطبع

العلاقات مع إسرائيل لأن كلمة تطبيع تصبح طبيعية وهي ليست طبيعية والأراضي محتلة.

وقال البابا أنه يتشوق لزيارة سورية ورؤية السيد الرئيس بشار الأسد وتقديم التهاني له بمناسبة تسلمه الرئاسة في سورية. ووجه قداسته في ختام مؤتمره الصحفي التحية إلى أبطال الانتفاضة في فلسطين وقال إننا نصلي من أجل إخوتنا في الأراضي المحتلة ونحن نرى الدماء تسيل منهم وقلوبنا معهم في كل حين معبا عن تمنياته في ازدياد الدعم المادي للانتفاضة من جانب كل العرب.

مغادرة قداسته دمشق

مساء ٢٠٠١/٥/٢٨

غادر دمشق مساء الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس والوفد المرافق له بعد زيارة لسورية استمرت يومين. وكان في وداعه في مطار دمشق الدولي السيد محمد زيادة وزير الأوقاف وعدد من كبار رجال الدين المسلمين والمسيحيين والسفير المصري بدمشق وعدد من كبار موظفي وزارة الأوقاف.

التقت صحيفة تشرين مع قداسة البابا شنوده

وكتبت في ٢٠٠١/٦/٣ تحت عنوان:

الأنبا شنوده في حوار صريح وشامل مع تشرين:

((سورية قلعة الصمود

الرئيس بشار الأسد يعكس آمال الشباب

ونبض الشارع العربي

الصهاينة لم يدخلوا فلسطين بوعد من الله

بل بوعد بلفور))

نلتقي هذا اليوم مع شخصية استثنائية بأبعادها كلها، ونحاور رجل دين، وثقافة، وعلم، وإيمان، شكل حالة شغلت الناس، ورسم طريقاً واضحاً وضع عنواناً له هو:

المحبة للجميع، والتفاني من أجل الجميع.

إنه صاحب القداسة الأنبا شنوده الثالث بابا الاسكندرية، وبطريرك الكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس ولأول مرة يتبوأ هذا المنصب الرفيع إنسان انخرط في صفوف الجيش، وكان جندياً من جنوده، يتحمل الحقوق والواجبات كلها الملقاة على عاتقه.

والأنبا شنوده أكبر من أن نعرفه في كلمات، وأسطر وصفحات خاصة وأنه عاش مرحلة المد القومي، ومرحلة الانحسار القومي إذا جاز التعبير... كان محباً للرئيس

جمال عبد الناصر، وكان متناقضاً مع أنور السادات، وهو متناغم مع الرئيس حسني مبارك ومواقفه الوطنية والقومية.

لقداسته مواقف جريئة، وعادلة، وشجاعة لا مجال لذكرها الآن، لكن من الضروري أن نتذكر أن قداسته كان أول من حرم زيارة الأماكن المقدسة في القدس، وهي تحت نير الاحتلال، وقداسة البابا يحمل في قلبه محبة كبيرة لسورية 'شعباً وقائداً' قام مؤخراً بزيارة مهمة إلى ربوعها لتقديم التهنئة للسيد الرئيس **بشار الأسد**، وللشعب السوري العظيم مهنئاً ومباركاً اختيار الشعب.. وخلال هذه الزيارة المهمة التقت 'تشرين' قداسة الأنبا شنوده وأجرت معه الحوار التالي:

❖ هذه هي الزيارة الرسمية الثالثة لقداستكم إلى دمشق، ما هي طبيعة هذه الزيارة وكيف رأيتم سورية الآن؟

❖❖ هذه الزيارة طيبة جداً، حيث استقبلنا سيادة الرئيس **بشار الأسد**، وجرى بيننا حديث مهم حول مختلف القضايا الراهنة، وخرجنا من مكتب سيادته، ونحن في غاية السرور، وكنت مشتاقاً للقاء سيادته، لأتعرف عليه عن قرب وأقدم التهنئة بمناسبة انتخابه رئيساً للجمهورية العربية السورية، وأهنىء الشعب السوري الغالي على اختياره الأمثل، ووجدنا في الرئيس **بشار الأسد** زعيماً سورياً، وزعيماً قومياً عربياً، يتكلم عن عقيدة راسخة في داخله، وهو يعني ما يقول، ونرجو أن تتكلل سياسته بالنصر والنجاح.

أما عن زيارتي السابقة فأنا أحب سورية، وهي دولة عظيمة، والتقيت سيادة الرئيس الراحل **حافظ الأسد** وجرى بيننا محادثات على غاية من الأهمية، وكان 'رحمه الله' قائداً صامداً، ومفكراً بارعاً، ومحاوراً واسع الاطلاع والثقافة.

أما عن رؤيتي لسورية الآن، فهي رؤية لم تتغير وما زالت تمثل قلعة لصمود العرب،

وسيادة الرئيس **بشار الأسد** يكمل مسيرة والده العظيم في بناء سورية وتطويرها وتحديثها.

سورية مضرب المثل

❖ قداسة البابا: يعيش المسلمون والمسيحيون في سورية تحت رايات الوحدة الوطنية الراسخة والمتماسكة، وفي جو فريد من التآخي والمشاركة. حتى أصبحت سورية 'مضرب' المثل كيف وجدتم هذه الحالة من خلال زيارتكم هذه؟

❖❖ إن مقولة 'سورية مضرب المثل للوحدة الوطنية' صحيحة، وهذا الوصف ينطبق عليها تماماً لأنها تعامل المواطنين جميعهم من خلال إنسانيتهم ولا يهمها ما هو الدين الذي ينتمي إليه هذا المواطن أو ذاك وما هي صفة هذا المواطن، فقط يهمها عمل هذا المواطن في سبيل وطنه ومن أجله ومدى فاعلية هذا العمل بغض النظر عن الدين أو المذهب الذي يعتنقه وفي سورية شاهدنا حرية العبادة والمحبة المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين، ورأينا قبل كل شيء أن الشعب بأكمله يحب رئيسه كثيراً، وقرأنا وشاهدنا كيف يزور سيادة الرئيس **بشار الأسد** المواطنين في أماكن عملهم، وكيف يتجول في المدن السورية ويدخل المطاعم والأسواق كأي مواطن، وهي صفة مهمة تضاف إلى صفات شخصيته القيادية المحبوبة وأذكر أنني دخلت مسجد 'أبو النور' وألقيت محاضرة في زيارة سابقة وقوبل كلامي بالترحاب الشديد من آلاف المسلمين الذين كانوا في المسجد.

انتصار للعرب جميعاً

❖ قداسة البابا: عام مضى على تحرير الجنوب اللبناني واندحار العدو الإسرائيلي كيف تنظرون إلى أهمية هذا الانتصار؟

❖❖ حقق لبنان - من خلال مقاومته الوطنية انتصاراً فريداً على جيش الاحتلال

وهذا الانتصار تحقق بفضل صمود الشعب اللبناني، ودعم سورية للمقاومة ومن هنا فالانتصار كان للبنان ولسورية وللعرب.

أيضاً نعرف جميعاً أن سورية قامت بدور كبير، وبذلت جهوداً في مجال إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع لبنان كما أنها ساهمت في بسط الشرعية اللبنانية وإعادة بناء المؤسسات وغير ذلك وبكلام دقيق نجد أن أي تعاون سوري ـ لبناني هو لمصلحة الدولتين، ويضر بإسرائيل وبالمقابل فإن أي خلاف سورية ـ لبناني هو لمصلحة 'إسرائيل' ويضر بمصالح الدولتين.

مبدأنا ثابت

❖ قداسة البابا: هل ما زلتم على موقفكم الذي يحرم زيارة القدس وهي تحت الاحتلال وما هو موقفكم من الاعتداءات الوحشية الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني؟

❖❖ نعم لا نزال على موقفنا، ونحن لا نتغير إطلاقاً بتغير الظروف وعندنا مبدأ واضح وثابت وأصبح قاعدة معلنة أمام بني البشر جميعهم لا ندخل القدس وهي محتلة، ولا نطبع العلاقات مع إسرائيل في ظل الاحتلال، لأن كلمة تطبيع تعني أن الأمور أصبحت طبيعية وهي ليست طبيعية ولن تكون طالما الأرض محتلة.

أما موقف كنيستنا من الاعتداءات الإسرائيلية على إخوتنا فينطلق من أن دوراً قومياً لنا نقوم به بالنسبة للقضايا العربية كلها، وكرجال دين فإن دورنا هو إحقاق الحق أينما كان، ونحن بالطبع ضد احتلال أراضي الغير بالقوة سواء كانت في القدس أو الجولان أو مزارع شبعا، وضد الاعتداءات على الأبرياء وضد الحرب غير المتكافئة ما بين أطفال يستخدمون الحجارة، وقوة تستخدم الطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة، وأنواع الأسلحة كلها وكأنها في

حرب معلنة. ونحن وكنائس العالم جميعها نرفض وندين هذه الاعتداءات ونحن وباستمرار ندعم الانتفاضة أدبياً ومعنوياً ومستعدون لأي دعم آخر.

الوسائل كلها مشروعة للدفاع

❖ قداسة البابا: سمعنا وقرأنا في الفترة الأخيرة آراء مختلفة حول عمليات الاستشهاد ورأينا أن هناك رجال دين حرموا تقريباً هذه الأعمال، وبالمقابل رأينا آخرين وقفوا مع هذه العمليات الاستشهادية كيف ينظر قداستكم إلى هذه المسألة؟

❖❖ أي إنسان ينظر نظرة عادلة للأجواء في الأراضي العربية المحتلة يشعر بالفعل أنها أجواء حرب حقيقية، وإن لم تكن معلنة فعلاً لكنها حرب قائمة، وفي الحرب وتحت ظروف الاحتلال يمكن للإنسان أن يلجأ إلى أي طريقة لحماية أرضه والدفاع عنها سواء قتل من العدو المحتل أو قدم نفسه فداء لوطنه من خلال استشهاده وفي الأمور العسكرية نجد أن أي جندي عسكري عندما يخضع لدورة ما فإنه عندما يتخرج لابد أن يتعهد الدفاع عن وطنه وسلامته وتقديم روحه ودمه في سبيل كرامة الوطن وكبريائه.

❖ قداسة البابا: سمعنا وقرأنا بأنكم كنتم جندياً في يوم ما؟

❖❖ 'يضحك البابا' وهو يعدل جلسته ثم يقول: نعم كنت جندياً ولا أزال جندياً في جيش الأمة والوطن العربي الكبير.

❖ قداسة البابا: إننا في سورية وفي الوطن العربي الكبير نحب أن نناديك من أعماق القلب 'بابا العرب'.

❖❖ هذا الأمر يسرني جيداً وأفتخر بهذا النداء أو هذه التسمية.

الرئيس الأسد يعكس نبض الشارع العربي

❖ قداسة البابا: عندما اشتعلت الانتفاضة قبل ثمانية أشهر تجاوب معها الشارع العربي من المحيط إلى الخليج وقامت تظاهرات عارمة في كل مدينة عربية، وفي قمة القاهرة العام الماضي وجه السيد الرئيس **بشار الأسد** كلمة شكلت برنامج عمل عربي متكامل لمواجهة العدو الإسرائيلي وغيره من التحديات القائمة ثم جاءت قمتا الدوحة وعمان، وكان للسيد الرئيس **بشار الأسد** البرنامج القومي المتكامل ذاته. وأصبح المواطن العربي لا سيما الشباب ينتظرون كلامه في أي مناسبة كيف ترون هذا التناغم بين السيد الرئيس **بشار الأسد** والشارع العربي؟

❖❖ بالفعل نرى أن سيادة الرئيس **بشار الأسد** يعكس نبض الشارع العربي، ويعبر عن طموحات وآمال الشباب العربي، وبعد لقائي بسيادته أقول للجميع أن الأمانة في أيد أمينة، وستبقى سورية في عهد سيادة الرئيس **بشار الأسد** عنوان الصمود مهما هدد العدو وكبر وتجبر، وستبقى سورية ماضية على طريق التقدم والتطور والتحديث.

انتصار تشرين

❖ ماذا تحملون في ذاكرتكم عن حرب تشرين التحريرية التي خاضها الجيشان السوري والمصري وكيف تنظرون إلى العلاقات السورية – المصرية؟

❖❖ كانت حرب تشرين تحولاً نوعياً مهماً في مسار الصراع العربي ـ الإسرائيلي ولأول مرة استطاع العرب من خلال المقاتل المصري وشقيقه السوري أن يتجاوزوا عقدة الخوف والوهم مما كان يسمى 'الجيش الذي لا يقهر' واستطاع الجيشان العربيان تحقيق العبور في الجولان وقناة السويس.

أما العلاقة السورية – المصرية فهي علاقة قوية منذ زمن طويل. والتعاون بينهما كان موجوداً عبر التاريخ، وكثيراً ما وردت كلمة مصر وسورية في التاريخ مع بعضهما البعض كدولتين تمتلكان حضارات عريقة. وتاريخاً حافلاً بالمنجزات وأوابد تعود إلى ستة آلاف عام، وعلى كل حال فإن العلاقة طيبة وقوية والرئيس بشار الأسد مثل والده العظيم هو إنسان عربي نقي ويعمل كل ما في وسعه لتحقيق تضامن عربي فعال ولديه رغبة كبيرة مع الرئيس حسني مبارك لتقوية وتعزيز العلاقات المصرية – السورية، ونحن سعيدون بالتنسيق بين القائدين الكبيرين.

❖ قداسة البابا: ما هي طبيعة زيارتكم إلى لبنان؟

❖❖ أنا ذهبت إلى بيروت لكي أشارك باحتفالات الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية بمناسبة مرور ١٧ قرناً على إعلان المسيحية كديانة للدولة عام ٣٠ للميلاد ولم أحضر لأمر آخر.

دخلوها بوعد من بلفور

❖ هل هناك علاقة ما بين 'إسرائيل اليوم وإسرائيل التي وردت في الكتب المقدسة؟

❖❖ طبعاً الاسم واحد، والكلمة هي هي، لكن لا علاقة 'لإسرائيل' الحالية 'بإسرائيل' القديمة لأن 'إسرائيل' القديمة تمثل فرعاً من أولاد أبونا إبراهيم أبو الأنبياء، وكانت في ذلك الزمن تمثل الدين ضمن جو وثني عالمي، أما الآن فقد انتقل وشاع الإيمان بالله إلى بلاد العالم كلها، فأصبحوا لا يمثلون العنصر الديني، كما كانوا يمثلونه أيام الوثنية وعبادة الأصنام.

أيضاً 'إسرائيل' القديمة كان يوجهها الأنبياء... أما 'إسرائيل' الحالية، فتقودها

الأطماع والمشاريع السياسية العنصرية... يقودها 'شارون'... ولقد قلت في إحدى المناسبات: 'إن إسرائيل لم تدخل فلسطين بوعد من الله، إنما دخلتها بوعد من بلفور'. وانظر كم هو الفارق كبير في الدلالة والمعنى!!؟

وأيضاً فإن ربنا لا يقبل الاعتداءات والمذابح واحتلال الأراضي ولا يقبل إهمال وتجاهل المعاهدات الوطنية والدولية العامة كلها ولا يقبل ضرب قرارات الشرعية الدولية عرض الحائط وهذا يعني أن الوضع القائم في الأراضي العربية المحتلة لا يقبله ربنا.

البابا... وكارتر...

❖ هل لنا أن نسمع من قداستكم شخصياً ماذا جرى بينكم وبين الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر حول مقولة شعب الله المختار...؟

❖❖ حدث هذا الأمر عام ١٩٧٧ في أول زيارة لي إلى الولايات المتحدة وكان رئيسها في ذلك الوقت جيمي كارتر، وأثناء لقائي به سألني: هل أصدرت كتاباً ضد اليهود؟

في الواقع أنا لم أصدر أقوالي المتعلقة بهذه القصة في كتاب، وإنما جاءت في محاضرة لي ألقيتها في نقابة الصحفيين في مصر سنة ١٩٦٥ وصدرت بعد ذلك في كتاب، فأجبت الرئيس الأمريكي بنعم، وقد قلت في ذلك الكتاب: 'إن اليهود ليسوا شعب الله المختار' فمن غير المعقول أن يترك الله آلاف الملايين التي تعبده، ويتخصص في خمسة ملايين شخص... ثم قلت له في نهاية اللقاء عبارة سمعها، فابتسم، وابتسمت، وانتهت المقابلة قلت له :

' لو كانت اسرائيل هي شعب الله المختار ياسيادة الرئيس لانكون أنت وأنا من شعب الله المختار ، لأننا أنت وأنا لسنا يهودا ' .

مأدبة إفطار سنوية

❖ قداسة البابا: كيف تقيمون الوحدة الوطنية في مصر. لاسيما أن اسرائيل تحاول إثارة الفتنة الطائفية؟

❖❖ في مصر كما في سورية توجد وحدة وطنية متماسكة وتربط القيادات الروحية المسيحية والإسلامية علاقات طيبة، وصداقتي على سبيل المثال مع فضيلة شيخ الأزهر قوية ومليئة بالمودة وكذلك مع مفتي الديار المصرية، ومع وزير الأوقاف، وأنا أحضر اجتماعات المجلس الإسلامي الأعلى دائماً، وألقي فيه كلمة كل عام، أيضاً أقيم في كل سنة في الكاتدرائية المرقسية مأدبة إفطار رمضانية أدعو إليها قيادات مصر كلها، وبدأ هذا الأمر منذ عام ١٩٨٦م، وانتشر في الكنائس والمحافظات كلها، وأصبح التآخي في حالة قوية وعظيمة، والرئيس حسني مبارك يرعى هذه الوحدة الوطنية ولا يسمح لأي إنسان كان أن يعتدي عليها.

❖ في شخصيتك نجد رجل الدين والجندي والشاعر والمثقف.. أي من هذه الجوانب يساعدك في اتخاذ قراراتك؟

❖❖ الذي يساعدني أولاً وأخيراً هو ضميري، سواء كان ضمير الشاعر، أو الأديب أو رجل الدين أو السياسي أو العسكري أو أي جانب لكن هو ضمير يأخذ مظاهر متعددة وجوهره واحد.

❖ وماذا عن الشعر، وما هي المواضيع التي تتحكم في قصائدك؟

❖❖ يضحك البابا شنودة قائلاً:

أنت ترجعني إلى طفولتي إلى أكثر من ستين عاماً فأنا أحب الأدب العربي وأحب

الشعر منذ صغري وكنت أنظم الشعر قبل أن أتعرف على قواعده ولكني درست قواعد الشعر وبدأت أكتب قصائد أسميها شعراً منذ سنة ١٩٣٩ أي من ٦٢ عاماً وكنت صغيراً.

أما مواضيع الشعر فكانت مواضيع طفولية بريئة، ثم بدأت تدخل النواحي الوطنية ثم تحولت أخيراً إلى مواضيع 'نسكية' صوفية.

قداسة البابا هل لنا أن نسمع بعضاً من أشعارك؟

نعم وبكل سرور:

تركـــت مفـــاتن الدنيـــا ولـــم أحفـــل بناديـــها
ورحـــت أجـــر ترحـــالي بعيـــداً عـــن ملاهيـــها
خلـــي القلـــب لا أهفـــو لشـــيء مـــن أمانيـــها
نزيـــه الســـمع لا أصغـــي إلـــى ضوضـــاء أهليـــها
أطـــوف هـــا هنـــا وحـــدي ســـعيداً في بواديـــها
وســـاعات مقدســـة خلـــوت بخـــالقي فيـــها

أخذوني بخدعة معينة...!

❖ ثلاثون عاماً مضت على انتخابكم بطريركاً... هل تشتاق إلى اسمك الحقيقي 'نظير جيد' وماذا تقول عن هذه الفترة؟

❖❖ في الحقيقة عندما ترهبنت كان قصدي حياة الوحدة والتأمل والصلاة والبعد عن العالم وهذه هي مبادىء الرهبنة الأصلية، وعلى قدر طاقتي تنقلت من راهب داخل الدير إلى راهب عاش في مغارة تبعد ١٢ كيلو متراً عن أقرب كائن حي، ثم أخذوني بـ'خدعة معينة' ورسموني أسقفاً، وعندها تغير مجرى حياتي، ولكن مع ذلك ومنذ أن رسمت أسقفاً عام ١٩٦٢ إلى يومنا هذا وأنا أقضي نصف الأسبوع في المدينة والنصف الآخر في الدير، إلا إذا كنت على 'سفر' كهذه الأيام ولا أبتعد عن حياة الدير إطلاقاً لأني لا أود أن تبتلعني ضوضاء المدينة وصخبها، وكما قلت في بعض الأبيات:

لـــي طريـــق مفـــرد أحببتـــه عشت فيه طول هذا العمر وحدي

إن كنـــت في مجتمـــع أو خلـــوة أنا وحدي يستوي الأمران عندي

وأنا أحب أن أعيش حياة الرهبنة - رغم - أنني محاط بآلاف من الناس أينما كنت وبخاصة في مناطق خدمتي وأحب الوحدة - وجائز أن يسأل الناس، فالإنسان اجتماعي بطبعه - كيف يعيش بالوحدة وهو اجتماعي بطبعه، فأنا أقول أنه في الوحدة يكون الاجتماع مع الله، ومن هنا يكون الإنسان في حالة اجتماعية أيضاً لأنه لا يكون منفرداً فقط إنما منفرداً مع الله.

الخنوع ليس من شيم العرب

❖ قداسة البابا: كانت تربطك علاقة قوية بالمرحوم العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وكان 'شمس الدين' من أبرز المؤيدين لحركة المقاومة اللبنانية... وللانتفاضة أيضاً فما هو رأيكم بالمقاومة ومشروعيتها؟

❖❖ تربطني مع شيوخ المسلمين كلهم الذين قابلتهم علاقة صداقة وأخوة وتقدير ومودة وبالأخص الشيخ شمس الدين الذي ترك رحيله فراغاً كبيراً، أما المقاومة، في حالة الحرب تعد عملاً مشروعاً وشرعياً، والله تبارك اسمه لا يوافق على حالات الاعتداء والعدوان لكنه يوافق على رد العدوان، على اعتبار أن محبة الوطن والدفاع عنه مسألة تجري في دماء كل إنسان وعندما يسأل الناس عن المقاومة وشرعيتها أقول: لولا الاعتداء والاحتلال لما وجدت المقاومة فهي رد فعل وليست فعلاً له ردود فعل، فهي رد فعل ضد الاحتلال والعدوان وهل يظن الناس في الغرب أو الشرق أن تبقى الأراضي العربية المحتلة ولا يوجَد من يقاوم؟.. في حالة كهذه يصبح الأمر خنوعاً وليس سلاماً وهذا لن يكون عند الشعب العربي.

المطلوب دعم مادي

❖ قداسة البابا: هل من كلمة أخيرة توجهها إلى أبطال الانتفاضة وإلى الصامدين في فلسطين المحتلة والجولان؟

❖❖ أقول لهم إننا نصلي من أجلهم فهم إخوتنا، ونرقب ما يسيل من دمائهم

الطاهرة وقلوبنا معهم في كل لحظة وكنا نود أن نكون أكثر - عملياً - في الارتباط بهم، وفي دعم الانتفاضة ليس بالكلام وإنما بالفعل، لأن الكلام في حالة الحرب لا ينفع شيئاً إلا من الناحية المعنوية، ولكن الدعم المادي الحقيقي هو المطلوب من كل عربي ونسأل الله أن يكون معهم.

وأوجه التحية إلى الشعب العربي السوري العظيم.. وإلى قائده الشاب المليء بالعزيمة، سيادة الرئيس **بشار الأسد** ونسأل الله أن يوفقه ويسدد خطاه.

❖ أجرى الحوار: سمير الشيباني



السيد الرئيس بشار الأسد يستقبل البابا شنوده
قصر الشعب - دمشق



السيد الرئيس بشار الأسد يستقبل البابا شنوده و الوفد المرافق
قصر الشعب - دمشق



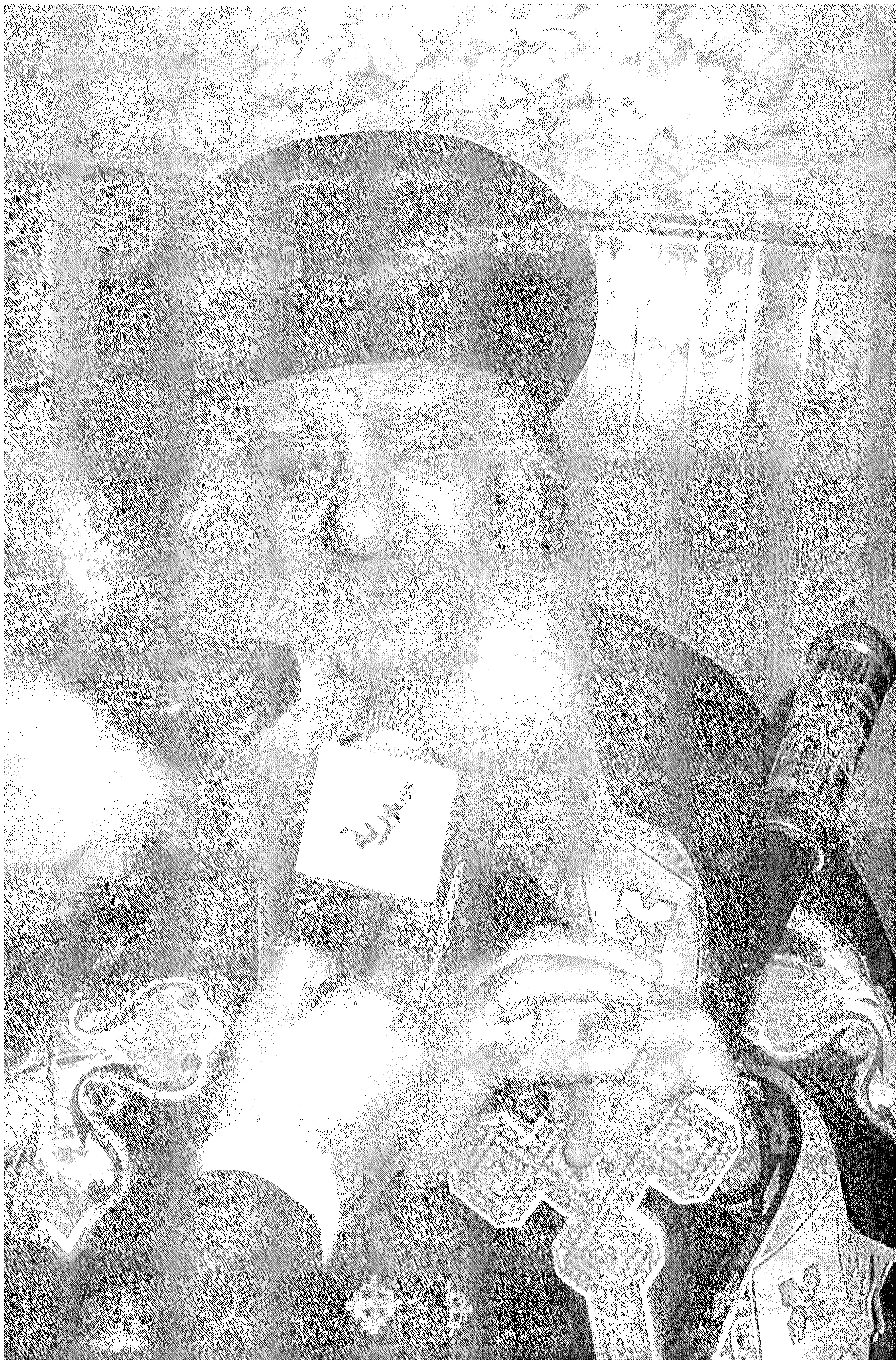
البابا شنوده و السيد الدكتور محمد زيادة وزير الأوقاف السوري



استقبال البابا شنوده في جديدة يابوس الحدود اللبنانية السورية

على اليمين:د.محمد زيادة وزير الأوقاف ، سماحة الشيخ بشير عيد الباري مفتي دمشق،د.غسان جيرودي معاون وزير الأوقاف،سماحة الشيخ عبد الرزاق المؤنس،السيدة مهاة فرح الخوري،السيد مازن صباغ.

على اليسار: سعادة الأستاذ محمد أحمد اسماعيل سفير مصر بدمشق ، صاحب الغبطة البطريرك زكا ، نيافة الأنبا بيشوي ، نيافة الأنبا ابراهام ،حضرة القمص : بوليكاريوس بيشوي مسؤول الأقباط في لبنان .





حفل الغداء الذي أقامه السيد وزير الأوقاف السوري على شرف قداسة البابا شنوده و الوفد المرافق في نادي الشرق بدمشق



الشيخ الدكتور صلاح كفتارو مدير عام مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق يقدم هدية البابا شنوده باسم المفتي العام للجمهورية الشيخ أحمد كفتارو


فخامة الرئيس اللبناني العماد اميل لحود و البابا شنوده



فخامة الرئيس اللبناني العماد لحود و البابا شنوده و غبطة البطريرك زكا و الكاثوليكوس آرام كشيشيان في احتفال الطائفة الأرمنية الأرثوذكسية (لبنان)



لقطة من حفل الغداء الذي أقامه سفير مصر عادل الخضري تكريماً للبابا شنوده و بدا إلى يمينه النائب أميل لحود (نجل رئيس الجمهورية) ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى المفتي الجعفري الممتاز عبد الأمير قبلان، و في المقابل يبدو الرئيس رفيق الحريري متوسطا كلا من : نائب رئيس مجلس النواب ايلي الفرزلي و المفتي الشيخ حسن خالد و المطران رولان أبو جوده النائب البطريركي الماروني العام ، و المطران الأرثوذكسي الياس عودة .

ملاحق

إسرائيل في نظر المسيحية

محاضرة ألقيت في نقابة الصحفيين في القاهرة
عام ١٩٦٥ يونيو (حزيران).

إسرائيل في نظر المسيحية

• محاضرة ألقيت في نقابة الصحفيين في القاهرة عام ١٩٦٥ يونيو (حزيران).

الأنبا شنوده أسقف التعليم في الكنيسة القبطية

إن كلمة إسرائيل لها عدد من الدلالات: فهي تدل على شخص «يعقوب» بن «إسحق» الذي سُمي "إسرائيل" وتدل على شعب إسرائيل القديم السابق للمسيحية. ولها أيضاً معنى رمزي في إشارتها للكنيسة المقدسة.

متى بدأت قصة إسرائيل؟ بدأت بعهد من الله مع «إبراهيم» أبي الآباء، قال له فيه "لك أعطي هذه الأرض ولنسلك من بعدك". فماذا كان ذلك الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم وأولاده؟ ومن هم أولئك اليهود: هل هم شعب الله المختار حقاً؟ هل هم حقاً أبناء لإبراهيم؟ هل هم حقاً دولة لها كيانها؟ هل هم حقاً أصحاب المواعيد الإلهية؟ أم أن الله رفضهم وانتهى أمرهم منذ زمن؟

هذا هو ما سنتحدث عنه.

أولاً:

العهد

١ ـ عهد له شروط

٢ ـ لعنات أن نقضوا العهد

٣ ـ هل حفظوا العهد أم نقضوه؟

شعب عنيد صلب الرقبة.

شعب متذمر.

شعب شرير عابد للأصنام.

نقض بنو إسرائيل عهد الرب.

٤ ـ عقوبات الرب لهم

تسليمهم لأيدي أعدائهم.

تشتيتهم وإبادتهم وافناؤهم.

العهـــد

١- كان العهد الذي أعطي لذلك الشعب له شروط:

ففي سفر الخروج (إصحاح ١٩ : ٦،٥) يقول لهم الرب : "ان سمعتم لصو
وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض.
وأنتم تكونون لي مملكة كهذه وأمة مقدسة".

وقد وافق جميع الشعب على هذه الشروط، وقالوا لـ«موسى» النبي "كل ،
تكلم به الرب نفعل" (خر١٩:٨). وكتب هذا العهد في كتاب.

"وأخذ «موسى» كتاب العهد، وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا : كل ما تك
به الرب نفعل ونسمع له" (خر ٢٤:٧).

"إن سمعتم لصوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة". هذا هو شرط ا
معهم، وهذا هو عهده. يقول الكتاب المقدس " وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك ه
الكلمات. لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل". (خر ٣٤:٢٧

نفس هذا الشرط كرره الرب مرة أخرى في سفر التثنية. فخاطب الش
قائلاً "جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها، لكي تحـ
وتكثروا، وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم" (تث ٨:١)

إذن يجب أن يحفظوا جميع الوصايا، وينفذوا كل أوامر الله، لكي يدخ
ويملكوا الأرض.

ثم يعلق الرب على كل هذا مكملاً:

"وإن نسيت الرب إلهك.. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم، كذلك تبيدون ، لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم" (تث ٨ :٩ ، ٢٠)

إذن، أن سمعتم دخلتم الأرض، وإن لم تسمعوا تبيدوا مثل تلك الشعوب. هذا هو الشرط.

نفس هذا الشرط، قاله الرب لـ«داود» النبي والملك، وهكذا ورد في المزمور "حلف الرب لـ«داود» حقاً ولا يخلف. لأجعلنّ من ثمرة بطنك على كرسيك، ان حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلمهم اياها، فبنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك" (مز ١٣٢ :١٢).

ونفس الشرط ذكره الرب لـ«سليمان» بن «داود» " وأنت إن سلكت أمامي كما سلك «داود» أبوك، بسلامة قلب واستقامة.. فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل" (١مل ٤ : ٩،٥).

إذن هو وعد مشروط، لا بد أن يحفظوا عهد الرب، ويطيعوا وصاياه، وإلا كانوا غير مستحقين للمكافأة التي كافأهم بها.

وما أخطر الكلمات التي قالها الرب لـ«سليمان»، في هذا الصدد:

"أن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها. والبيت الذي قدسته لا سمي أنفيه من أمامي. ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويصفر، ويقولون: لماذا عمل الرب

هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم.." (١ مل ٩: ٦ ـ ٩).

إذن كان عهد الرب بشرط: أن لم يطع إسرائيل عهد الرب، يقطعه الرب عن وجه الأرض، ويجعله مثلاً وهزأة. وحتى البيت المقدس ـ الذي هو الهيكل ـ يحطمه الرب ، وكل من يراه يتعجب.

يبقى بعد هذا أن نسأل سؤالاً هاماً وهو: هل حفظ إسرائيل العهد حتى يستحق الأرض، أم أنه لم يحفظ عهد الله؟ هذا ما سنوضحه بالتفصيل فيما بعد. ويكفي أن نذكر هنا أنه حتى «سليمان» نفسه لم يطع الرب. وفي أواخر أيامه أمالت النساء قلبه فبخر للأصنام. يقول الكتاب أن الرب أقام له خصوماً: «هدد الأدومي، ورزون بن اليداع، ويربعام بن ناباط» (١ مل ١١: ١٤، ٢٣، ٢٦) ثم تقسمت مملكته من بعده. والعهد الذي أعطاه الرب لـ«داود» لم يتم بسبب كسر الوصية.

٢ ـ قائمة من اللعنات أن كسروا عهد الرب:

إن الله قد أعطى عهداً لشعبه. وفي نفس الوقت نرى في الإصحاح ٢٨ من سفر التثنية قائمة كبيرة للبركات واللعنات: البركات إن حفظوا العهد، واللعنات إن خالفوا الوصايا.

إن اللعنات تشمل أشياء كثيرة جداً. ولكني سأقتصر ههنا على ما يتعلق منها بوراثة الأرض.

يقول الوحي في سفر التثنية: "ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك:

يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها (ع٢١).

يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك. في طريق واحدة تخرج عليهم، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقاً في جمع ممالك الأرض. (ع ٢٥).

لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام وليس مخلصاً (ع ٢٩).

تبنى بيتاً ولا تسكن فيه. تغرس كرماً ولا تستغله.. تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص. يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر.. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه. فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام (ع٣٠ - ٣٣).

يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك، إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك.. (ع ٣٦).

وتكون دهشاً ومثلاً وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.... (ع ٣٧).

تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك.. (ع ٤٨).

يجلب الرب عليك أمة من بعيد.. فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلك.. (ع ٤٩:٥١).

يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة، ضربات عظيمة راسخة، وأمراضاً رديئة ثابتة.. (ع ٥٩).

ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها.. وفي تلك الأمم لاتطمئن ولايكون قرار لقدمك.. بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً.. (ع٦٤: ٦٥).

إذن من ضمن العقوبات الهزيمة والتشتت في الأرض..

نعود الآن إلى سؤالنا الخطير:

٣ـ هل حفظوا عهد الرب أم لم يحفظوه؟

المعروف عن شعب إسرائيل، أنه كان طول تاريخه شعباً عنيداً متذمراً صلب الرقبة، تعب منه «موسى» النبي الذي كان أكثر الناس حلماً على وجه الأرض (عد ١٢: ٣).

شعب عنيد صلب الرقبة:

يشهد عنه الرب ـ كما يذكر لنا بولس الرسول ـ (رو١٠: ٢١) أما من جهة إسرائيل فيقول: "طول النهار، بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم".

وفي سفر الخروج، قال عنه «موسى» للرب إنه "شعب صلب الرقبة" (خر٣٤: ٩).

ويتحدث عنه الرب إلى حزقيال النبي فيقول له "لكن بيت إسرائيل لايشاء أن يسمع لك، لأنهم لايشاؤون أن يسمعوا لي. لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب". (حز٣: ٧).

ويقول عنه في سفر أشعياء النبي "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، أولاد مفسدين" (أش١: ٤).

وقال عنه الرب في سفر أرمياء النبي "هكذا أفسد كبرياء يهوذا وكبرياء أورشليم العظيمة. هذا الشعب الشرير الذي يأبى أن يسمع كلامي، الذي يسلك في عناد قلبه" (أر١٣: ٩و١٠).

وقال عنه أيضاً: "أبوا قبول التأديب. صلبوا وجوههم أكثر من الصخر.. وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد" (أر ٥: ٣،٢٣).

شعب متذمر:

هذا الشعب عاش مع «موسى» النبي في منتهى التذمر. لقد قرأت كثيراً في كتب التاريخ، ولكني لاأعرف على الإطلاق شعباً أكثر تذمراً من شعب إسرائيل.

إن الضربات الكثيرة التي حطم بها الرب قوة فرعون، لم تمنع تذمر إسرائيل. فما أن وصلوا إلى البحر الأحمر، حتى تذمروا على «موسى» النبي قائلين "هل لأنه ليست قبور في مصر، أخذتنا لنموت في البرية؟!" (خر ١٤: ١١). فقال لهم «موسى» "قفوا وانظروا خلاص الرب.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون". وضرب البحر بعصاه فشقه نصفين، وخلص إسرائيل.

فهل عرفوا بعد هذا جميل الرب وأبطلوا التذمر؟ كلا، فبعد الضربات العشر في مصر، وبعد شق البحر الأحمر وعبورهم فيه، نراهم أيضاً متذمرين! لماذا؟ لأنهم لم يجدوا ماء حلواً ليشربوه! (خر ١٥: ٢٤).

حول لهم «موسى» - بمعجزة من الرب - الماء المر إلى ماء عذب. فماذا كانت النتيجة؟ تذمروا أيضاً من أجل الطعام!

وقالوا لـ«موسى وهرون» "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع. فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع"!! (خر ١٦: ٣).

فأنزل لهم الرب المن من السماء، خبزاً سماوياً ليأكلوه. ولكنهم مع ذلك لم يبطلوا التذمر فإنهم لخجلهم جميعاً، وجدناهم في يوم من الأيام وإذا هم يبكون

بدموع غزيرة. لماذا "لأنهم يريدون أن يأكلوا لحماً"!! "بكوا وقالوا: من يطعمنا لحماً؟! قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في أرض مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم.." (عد١١: ٤،٥).

فتضايق «موسى» النبي جداً منهم. وهذا الرجل الحليم، الذي كان أكثر حلماً من جميع الناس، صرخ إلى الرب قائلاً "لماذا أسأت إلى عبدك.. حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي؟ ألعلي حبلت بجميع هذا الشعب، أو لعلي ولدته، حتى تقول لي احمله في حضنك؟.. من أين لي لحم حتى أعطي جميع هذا الشعب لأنهم يبكون علي..؟ لاأقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل علي.." (عد١١: ١١ـ ١٤).

وأعطاهم الرب لحماً، وكلمهم على فم «موسى» قائلاً "تأكلون (منه) لايوماً واحداً ولايومين ولاخمسة أيام ولاعشرة أيام ولاعشرين يوماً، بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ويصير لكم كراهة" (عد١١: ١٩و٢٠).

"وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم، قبل أن ينقطع، حمي غضب الرب على الشعب، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة" (عد١١: ٢٣) فمات منهم كثيرون، ودعوا اسم ذلك المكان قبروت هتأوة أي قبور الشهوة..

فهل أبطلوا التذمر بعد هذا؟ كلا، بل استمروا طوال تاريخم في التذمر، حتى أنهم أرادوا مرة أن يرجموا «موسى» وهرون، ويقيموا عليهم رئيساً آخر. وغضب الرب، وقال لـ«موسى» "حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لايصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ إني أضربهم بالوباء وأبيدهم، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم" (عد١٤: ١١،١٢) وعاد الرب فصفح عنهم بشفاعة «موسى» فيهم.

ولكن هل عادوا هم إلى رشدهم، وأبطلوا تذمرهم وشرورهم؟ كلا، فبعد معجزات لاعدد لها، وبعد أن أضاء الرب عليهم ليلاً بعمود النار، وظللهم نهاراً بالسحاب. وبعد أن أنزل لهم المن والسلوى من السماء. بعد هذا غاب «موسى» على الجبل، عندما أخذ لوحي الشريعة من الله. فماذا فعل هذا الشعب؟ أخرجوا الذهب الذي عندهم، وصنعوا تمثالاً. وسجدوا له، وقدموا له الذبائح وقالوا "هذه الهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر" (خر٣٢: ٤،٨)!!

وقال الرب لـ«موسى» "اذهب وانزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر.. فالآن اتركني ليحمى غضبي عليهم، وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً" (خر٣٢: ٧، ١٠). فشفع فيهم «موسى»..

وأريد هنا أن أسأل: أين كان وعد الله، حينما قال "أنا أفنيهم"؟ لو كان وعد الله غير مشروط، فلماذا كان إذن يريد أن يفنيهم؟

شعب شرير عابد للأصنام:

وصل الأمر بشر هذا الشعب، أنهم وقعوا جميعهم في عبادة الأصنام. ليس فقط عندما عبدوا العجل الذهبي في حياة «موسى» النبي، وإنما أيضاً بعد وفاة «موسى» ويشوع. يروي سفر القضاة سلسلة من تواريخ عبادتهم للآلهة الغريبة، وكيف أنهم "عبدوا البعليم، والعشتاروت، وآلهة آرام، وآلهة صيدون، وآلهة موآب، وآلهة بني عمون، وآلهة الفلسطينيين، وتركوا الرب ولم يعبدوه" (قض١٠: ٦). حتى أن الرب قال لهم"أنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى. لذلك لاأعود أخلصكم. امضوا واصرخوا إلى الآلهة التي اخترتموها، لتخلصكم هي في زمان ضيقكم" (قض١٠: ١٣، ١٤).

ومنذ أن تكونت مملكة إسرائيل منشقة عن يهوذا وصارت تعبد الأصنام. خاف يربعام ملك إسرائيل أن يذهب الإسرائيليون إلى أورشليم لكي يسجدوا هناك. فصنع لهم عجلين من ذهب، وقال لهم "هذه هي آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر" (١مل١٢: ٢٨).

وظلوا يعبدون عجلي يربعام حتى سبوا في القرن الثامن قبل الميلاد.

وصل الأمر بهؤلاء الناس في تركهم لله، أن آخاب ملك إسرائيل كان له ٤٥٠ نبياً كاذباً أنبياء للبعل، و٤٠٠ نبي كاذب للسواري. وكانوا يعبدون الأصنام وآلهة المدن الغريبة، ويسيرون في الفسق والفساد.

هؤلاء الإسرائيليون كانوا بلا شك قد نقضوا العهد الذي بينهم وبين الله. وأنكم لتجدون ملخصاً مركزاً لشرورهم في سفر الملوك الثاني (٢مل١٧: ٧ ـ ١٨) حيث يقول الوحي الإلهي:

"وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر. واتقوا آلهة أخرى. وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل.. وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم.. وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري.. وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات.. وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب، وعبدوا الأصنام.. ولم يسمعوا كلام الرب ولم يحفظوا وصاياه. بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم. وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم. وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين، وعملوا سواري.

وسجدوا لجميع جنود السماء. وعبدوا البعل. وعبروا بنيهم وبناتهم في النار. وعرفوا عرافة، وتفاءلوا. وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته. فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه. ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده".

فماذا إذن عن مملكة يهوذا هذه: بعد أن عبدت أختها إسرائيل الأصنام، وسارت في الفساد؟

يقول الكتاب "ويهوذا أيضاً، لم يحفظوا وصايا الرب إلههم، بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها" (٢مل١٧: ١٩). كم كان أبشع حالة مملكة يهوذا التي وبخها الله بقوله "على عدد مدنك، صارت آلهتك يا يهوذا. كلكم عصيتموني، يقول الرب" (أر٢: ٢٨،٢٩).

بل بلغ الأمر أن الله قال مرة على لسان أرميا النبي "طوفوا في شوارع أورشليم، وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنساناً (واحداً)، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فأصفح عنها!!" (أر٥: ١). كان مستعداً أن يصفح عن أورشليم إن وجد فيها شخص واحد يعرف الله ويسير في طريق الحق. ولم يجد هذا الواحد. لذلك صدق الكتاب عندما قال "الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الرب.. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد"(مز٥٣: ١ـ ٣)، (رو٣: ١٠).

نقض بني إسرائيل عهد الرب:

لقد نقض بنو إسرائيل العهد الذي أبرمه الرب معهم. وكان من شروط العهد أن يعبدوه ولايسيروا وراء آلهة أخرى، ولكنهم تركوا الرب وعبدوا آلهة غريبة

وسجدوا لأصنامها. وكان من شروط العهد أن يحفظوا وصاياه، ولكنهم خالفوها وساروا وراء شهوات قلوبهم. لذلك استحقوا غضب الله عليهم، واستحقوا لعنات الشريعة التي أنذرهم بها الرب من قبل.

قال الرب عنهم لأرميا النبي "لم يسمعوا، ولم يميلوا أذنهم، بل سلكوا كل واحد في عناد قلبه الشرير. فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه" (أر ١١: ٨).

واستطرد متحدثاً عن نقضهم لعهده ونتيجة هذا النقض "قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم. لذلك هكذا قال الرب: هاأنذا جالب عليهم شراً لايستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إلي فلا أسمع لهم"(أر ١١: ١٠،١١).

وكان من مظاهر هذا الشر الذي يجلبه عليهم خراب مدينتهم. وفي ذلك يقول الرب "ويعبر أمم كثيرة في هذه المدينة. ويقولون الواحد لصاحبه: لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها"(أر ٢٢: ٨،٩).

وقد صاح إيليا النبي، معلناً هو أيضاً نقض بني إسرائيل لعهد الرب، فقال له "لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف"(١مل١٩: ١٠).

وكان نقض العهد معناه اللعنة، وعدم الاستحقاق لأن يكونوا شعب الله. لذلك يقول لهم الرب "ملعون الإنسان الذي لايسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر من كور الحديد قائلاً: اسمعوا صوتي،

واعملوا به حسب كل ما آمركم به، فتكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً" (أر ١١: ٣،٤).

٤ـ عقوبات الرب لهم:

أنذرهم الأنبياء بالنتيجة المحتومة لنقضهم العهد. فقال أرميا النبي "ها هي أيام تأتي يقول الرب... وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولامزعج. وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس. لأن الأرض تصير خراباً" (أر٧: ٣٢ ـ ٣٤).

"ويختار الموت على الحياة عند كل البقية الباقية من هذه العشيرة الشريرة الباقية في كل الأماكن التي طردتهم إليها، يقول رب الجنود" (أر٨: ٣).

وما أبشع الصورة التي سجلها أرميا النبي لغضب الرب عليهم إذ يقول "ثم قال الرب لي وإن وقف «موسى» وصموئيل أمامي، لاتكون نفسي نحو هذا الشعب. أطرحهم من أمامي فيخرجوا. ويكون إذا قالوا لك إلى أين نخرج؟ أنك تقول لهم، هكذا قال الرب: الذين للموت فإلى الموت، والذين للسيف فإلى السيف، والذين للجوع فإلى الجوع، والذي للسبي فإلى السبي. وأوكل عليهم أربعة أنواع ـ يقول الرب ـ السيف للقتل، والكلاب للسحب، وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك، وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض.." (أر١٥: ١ ـ ٤).

"هاأنذا جالب على هذا الموضع شراً، كل من سمع به تطن أذناه"(أر١٩: ٣).

تسليمهم لأيدي أعدائهم:

إن تسليم هذا الشعب لأيدي أعدائه كلما أخطأ، عقوبة قديمة كثيراً ما عاقبهم الرب بها. وتظهر واضحة في سفر القضاة.

● فلما تركوا الرب بعد موت «موسى» ويشوع، يقول الكتاب "فحمي غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم. ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم. حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر" (قض٢: ٢٠،٢١). وقال الرب: ((من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي، فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنساناً من أمامهم من الأمم)) (قض ٢ : ٢٠، ٢١).

● ويضرب لنا سفر القضاة أمثلة تفصيلية عن هذا الأمر، فيقول "فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، ونسوا الرب إلههم، وعبدوا البعليم والسواري. فحمي غضب الرب على إسرائيل، فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك آرام"(قض٣: ٨،٧). "وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب... فحمي غضب الرب على إسرائيل، وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون، فحطموا ورضضوا بني إسرائيل.." (قض١٠: ٦ ـ ٨).

● وتؤيد المزامير هذا المبدأ ذاته فتقول عن بني إسرائيل "..اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم.. وأسلمهم ليد الأمم، وتسلط عليهم مبغضوهم" (مز١٠٦: ٤١،٣٥).

● ولما أخطأ «سليمان» الملك، أقام عليه الرب خصوماً ضايقوه. وآحاز ملك يهوذا الشرير "دفعه الرب إلهه ليد ملك آرام. فضربوه وسبوا منه سبياً عظيماً" (٢أي٢٨: ٥).

● والأمثلة كثيرة عن دفع هذا الشعب لأيدي أعدائه لاتقع تحت حصر. يكفي منها أنه أسلمهم للسبي، فسبيت مملكة إسرائيل ثم سبيت مملكة يهوذا. وعاشوا في السبي زماناً.

"قال الرب: ادفع صدقيا ملك يهوذا وعبيده والشعب.. ليد «نبوخذراصَّرَ» ملك بابل، وليد أعدائهم، وليد طالبي نفوسهم. فيضربهم بحد السيف. لايترأف عليهم ولايشفق ولايرحم" (أر ٢١: ٧).

وقال عن أورشليم "قد جعلت وجهي على هذه المدينة للشر لا للخير - يقول الرب - ليد ملك بابل تدفع فيحرقها بالنار" (أر ٢١: ١٠).

أين كان عهد الرب وهم في السبي؟ أين كانت وعوده لهم وقوله "لكم أعطي هذه الأرض"، بينما قد غربهم عن أرضهم وسلمها لأعدائهم. واضح جداً أن الله وقد نقض بنو إسرائيل عهده، أصبح غير مكلف من ناحيته بذلك العهد.

بل أن سبيهم وتسليمهم لأعدائهم يتفق مع عهد الرب. لأنه سبق وأنذرهم قائلاً "إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي.. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها" (١مل٩: ٦،٧).

تشتيتهم وإبادتهم، وإفناؤهم:

منذ أيام «موسى»، أنذرهم الرب بهذا التشتيت إن كانوا لايسمعون له فقال "...وأذريكم بين الأمم، وأجرد وراءكم السيف. فتصير أرضكم موحشة، ومدنكم تصير خربة" (لا٢٦: ٣٢).

وكرر هذا على فم إرميا النبي، فقال "وأذريهم بمذراة في أبواب الأرض. أثكل وأبيد شعبي" (أر١٥: ٧). "لتجعل أرضهم خراباً وصفيراً أبدياً. كل مار

فيها يدهش وينغض رأسه. كريح شرقية أبددهم أمام العدو" (أر١٨: ١٦، ١٧).

وقال أيضاً "... هاأنذا أطعم هذا الشعب أفسنتينا، وأسقيهم ماء العلقم. وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم. وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم" (أر٩: ١٥، ١٦). "فأبددهم كقش يعبر مع ريح البرية" (أر١٣: ٢٤).

وتنبأ عنهم صفنيا النبي فقال "نزعاً أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب.. وأمد يدي على يهوذا وعلى كل سكان أورشليم" (صف١: ٢، ٤). "... لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب. بل بنار غيرته تؤكل الأرض كلها" (صف١: ١٨).

وقال عنهم هوشع النبي "يكونون تائهين بين الأمم" (٩: ١٦).

وقال عنهم الوحي الإلهي على فم عاموس النبي (٩: ٨ - ١٠) "هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة، وأبيدها عن وجه الأرض. غير أني لا أبيد بيت «يعقوب» تماماً.. أغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل في الغربال".

وما أصعب قول الرب عنهم على فم إرميا النبي (١٩: ١١) "هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة، كما يكسر وعاء الفخارى، بحيث لايمكن جبره بعد".

أترى بعد هذه الآية يوجد لهم رجاء؟!

نختم هذا الفصل بقول السيد المسيح عنهم "ويقعون بيد السيف، ويسبون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم" (لو٢١: ٢٤).

ثانياً:

شعب الله!!

١ً- ما الحكمة في اختيار شعب معين؟

٢ً- هل هم أولاد إبراهيم؟

٣ً- هل هم يهود أو إسرائيليون حقيقيون؟

٤ً- من هو شعب الله المختار؟

٥ً- الله يرفض إسرائيل.

٦ً- الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم.

بعد كل الشر الذي فعله بنو إسرائيل، وبعد أن سلط الله عليهم الأعداء، وحكم عليهم بالتشتيت والإفناء، هل بعد ذلك كله يمكن أن يقال عنهم أنهم شعب الله؟!

ما معنى "شعب الله المختار"؟

وهل حقاً أن بني إسرائيل هم شعب الله المختار؟ نريد أن نبحث هذا الموضوع..

١ـ ما الحكمة في اختيار شعب معين؟

إن الله هو إله الجميع، إنه للكل، والكل له. هو رب جميع الشعوب. فلماذا يكون له شعب معين خاص به؟ ما الحكمة التي أدت إلى هذا في ذلك الحين؟ وهل ما تزال الأسباب باقية أم أنها انتهت وانتفت منذ زمان؟

أنتم تعلمون جميعاً أن العالم كان قد وقع في الشر وازداد الشر في الأرض جداً، حتى أغرق الله العالم بالطوفان.

العالم كله كان قد وقع في عبادة الأوثان. لم يكن يعرف الرب أحد. فاختار الرب مجموعة من الناس، أقربها إلى معرفته وقتذاك. وعزل تلك المجموعة عن الآخرين. عزلها لكي تحفظ الإيمان والعقيدة والشريعة والنبوءات والرموز. وتنقل هذا كله إلى الجيل الذي يستلمها منها، أي إلى المسيحية. لذلك، عندما أخذ هذا الشعب، وعزله عن الناس، قال له (في سفر الخروج): "احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها، لئلا يصيروا فخاً في وسطك. بل تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريهم" (خر٣٤: ١٢،١٣). وأضاف في سفر التثنية "وتحرقون تماثيلهم بالنار" (٧: ٥). "لاتصاهرهم. بنتك لاتعط لابنه. وبنته لاتأخذ لابنك" (٧: ٣). ووضح السبب في ذلك بقوله "لأنه يرد ابنك من ورائي، فيعبد آلهة أخرى، فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعاً" (٧: ٤).

ولكن هذا الشعب الذي اؤتمن على الإيمان ليحفظه بعيداً عن عبادة الأصنام، وقع هو أيضاً في عبادة الأصنام. واختلط بالأمم الغريبة وعبد آلهتها، وبذلك انتفت الحكمة من وجوده. وإذ سلم للمسيحية ما في عهدته من شريعة ونبوءات ورموز، لم يعد هناك من داع مطلقاً لبقائه كشعب مختار..

ملاحظة أخرى: وهي أن هذا الشعب اختير شعباً لله، على شرط أن ينفذ وصاياه، لأنه بذلك يصير نوراً وسط الشعوب الوثنية. أما إن لم ينفذ الوصايا الإلهية، وصار مثل باقي الشعوب في فسادها وشهواتها، حينئذ تنتفى الحكمة من اختياره.

ويظهر هذا الشرط واضحاً من قول الرب ".. بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً: اسمعوا صوتي، فأكون لكم إلهاً، وأنتم تكونون لي شعباً.. فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم، بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير.. بل صلّبوا رقابهم أساؤوا أكثر من آبائهم" (أر٧: ٢٣ ـ ٢٦).

ترون إذن أنهم لم ينفذوا الشرط الذي به يصيرون شعباً لله. لذلك خاطبهم الله على فم هوشع النبي قائلاً: "لأنكم لستم شعبي، وأنا لاأكون لكم" (هو١: ٩).

٢ ـ هل هم أولاد إبراهيم:

إن اليهود كانوا منذ القديم شعباً تنفخه الكبرياء العنصرية. وكان من أسباب كبريائهم أنهم أولاد «إبراهيم».. يفخرون بهذا حتى وهم في أعماق الخطيئة والفساد، كما لو كانت هذه البنوة وحدها كافية لخلاص أنفسهم في اليوم الأخير!

فماذا قالت المسيحية عن بنوة اليهود لإبراهيم؟

● بدأ يوحنا المعمدان فقال لليهود "يا أولاد الأفاعي، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولاتفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا «إبراهيم» أباً. لأني أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم" (متى٣: ٨،٩). هنا أراهم يوحنا المعمدان أن بنوتهم لإبراهيم بالجسد

لاتفيدهم شيئاً، ما لم يتوبوا ويصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، وإلا فإن الغضب الآتي يلحقهم.

● والبنوة لإبراهيم كانت موضوع نقاش بينهم وبين السيد المسيح كما يروي يوحنا الرسول في إنجيله "قالوا له: أبونا «إبراهيم». قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد «إبراهيم»، لكنتم تعملون أعمال «إبراهيم». ولكنكم الآن تريدون أن تقتلوني. أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يو٨: ٣٩ ـ ٤٤).

هنا ينفي السيد المسيح أنهم أبناء «إبراهيم» ماداموا لايعملون أعمال «إبراهيم»، إذن فهم ليسوا أولاد «إبراهيم». وما داموا يعملون أعمال إبليس "وذاك كان قتالاً منذ البدء" (يو ٨ ـ ١٠). إذن فهم أبناء إبليس. وهنا تضع لنا المسيحية مبدأ هاماً وهو أنه ليس كل المولودين من «إبراهيم» بالجسد، هم أبناء لإبراهيم.

● هذا الأمر يوضحه لنا بولس الرسول في كلمات صريحة، في رسالته إلى أهل رومية قائلاً "لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل «إبراهيم» هم جميعاً أبناء «إبراهيم»" (رو٩: ٦،٧).

ما معنى هذا الكلام؟

معناه أن المسيحية ترى أن هناك نوعين من البنوة لإبراهيم: بنوة جسدية، وبنوة روحية. أما البنوة الجسدية فلا تفيد شيئاً، لأن الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم.. ونحن قوم لانحيا حسب الجسد وإنما حسب الروح.

أما البنوة الروحية فهي بنوة الإيمان. "الذين هم من الإيمان، يتباركون مع «إبراهيم» المؤمن" (غل٣: ٩). وهكذا يقول بولس الرسول في صراحة ووضوح

"اعلموا إذن أن الذين هم من الإيمان، أولئك هم أبناء «إبراهيم»" (غل٣: ٧).

وبهذا يدخل الأمم Gentiles أيضاً في البنوة لإبراهيم "ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضاً لمن هو من إيمان «إبراهيم» الذي هو أب لجميعنا" (رو٤: ١٦).

إذن في الإيمان، الكل أبناء لإبراهيم، لافرق بين يهودي وأممي، ولابين عبراني ويوناني. بل كما قال بولس الرسول "ليس يهودي ولايوناني.. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذن نسل «إبراهيم»، وحسب الموعد ورثة" (غل٣: ٢٨).

إذن في «إبراهيم» يجتمع كل المؤمنين أيا كان أصلهم، ويصدق وعد الله الذي أعطاه لإبراهيم منذ البدء، حين قال له "فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك «إبراهيم». لأني أجعلك أباً "لجمهور من الأمم" (تك١٧: ٥).

"لجمهور من الأمم"، وليس لأمة واحدة. فنفس كلمة "إبراهيم" معناها "أبو جمهور".

٣ ـ هل هم يهود أو إسرائيليون حقيقيون؟

قلنا إنهم ليسوا أولاد «إبراهيم» لسببين أساسيين: لأنه ليس لهم أعمال «إبراهيم»، ولأنهم ليسوا من الإيمان إذ أنهم لم يؤمنوا بالمسيح بل رفضوه.

هم أيضاً ليسوا إسرائيليين. حقاً أنهم "إسرائيل حسب الجسد" (اكو١٠ ١٨) كما سماهم بولس الرسول. ولكنهم ليسوا هكذا بالمعنى الروحي للكلمة. فكما يقول الرسول "ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون" (رو٩: ٦). لأنه

ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً" (رو٩: ٨).

فهل هم يهود؟ ليسوا كذلك بالمعنى الروحي للكلمة، بل إن سفر الرؤيا يطلق عليهم اسماً مرعباً لهم ينفيهم من ملكوت الله.

ففي رسالة الرب إلى ملاك كنيسة سميرنا، أي إلى راعيها، يقول له "أنا عارف أعمالك وضيقتك وفقرك مع أنك غني، وتجديف القائلين أنهم يهود وليسوا يهوداً، بل هم مجمع الشيطان" (رؤ٢: ٩).

ويكرر نفس هذا اللقب في رسالته إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا، فيقول له "هاأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان، من القائلين أنهم يهود وليسوا يهوداً بل يكذبون هاأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أمام رجليك ويعرفون أني أنا أحببتك" (رؤ٣: ٩).

٤ - من هو شعب الله المختار؟

في المسيحية، شعب الله المختار هو جميع المؤمنين به. ليس لله شعب معين. بل "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (يو١: ١٢).

فالسيد المسيح يتكلم عن مجيئه الثاني فيقول في إنجيل متى أنه "يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من أربع الرياح، من أقصى السموات إلى أقصاها" (متى٢٤: ٣١). يقصد بهذا أن مختاريه من كل أمم الأرض، من كل جهة فيها.

وبولس الرسول يتكلم عن المختارين بمعنى المؤمنين المخلصين أياً كان جنسهم. وهذا الأمر واضح في جميع رسائله:

يقول لأهل تسالونيكى "وأما نحن فينبغي أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الأخوة المحبوبون من الرب، إن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق" (٢تس٢: ١٣). ويقول أهل كولوسي ((فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رافات ولطفاً وتواضعاً)) (كو ٣ : ١٢).

ويقول لأهل أفسس "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" (أف١: ٤).

وما أروع قوله لأهل رومية "ما يطلبه إسرائيل، ذلك لم ينله، ولكن المختارون نالوه. وأما الباقون فتقسوا" (رو١١: ٧). وهنا يجعل المختارين غير إسرائيل، كأن إسرائيل ليس من المختارين على الإطلاق.

وبطرس الرسول يقول في رسالته الأولى (ابط٥: ١٣). "تسلم عليكم التي في بابل المختارة ومرقس ابني".

٥ـ الله يرفض إسرائيل :

أن كانت قد مرت فترة من الفترات على اليهود دعوا فيها شعب الله، فهل عاد الله ورفضهم لأجل شرورهم ولأجل نقضهم عهده وكسرهم وصاياه؟ وهل يوجد في الكتاب المقدس دليل على ذلك.

نعم أن الله رفضهم بآيات صريحة في الكتاب المقدس من العهدين القديم والجديد.

في سفر ارميا النبي (٦: ٢٨ ـ ٣٠) يقول عنهم ((كلهم عصاة متمردون ... كلهم مفسدون ... الرب قد رفضهم)). ويقول أيضاً ((الرب قد رفض ورذل جيل

رجزه، لأن بني يهوذا قد عملوا الشر في عيني، يقول الرب)) (أر ٧: ٢٩،٣٠). ويقول الله للنبي، ((لا تعزهم، لأني نزعت سلامي من هذا الشعب، الاحسان والمراحم)) (ار ٥:١٦). كما يقول له أيضاً ((وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً ما هو وحي الرب؟ فقل لهم أي وحي ؟ إني أرفضكم وهو قول الرب)) (أر ٢٣: ٣٣). كما يقول الرب أيضاً ((لذلك هاأنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي، أنتم والمدينة التي أعطيتكم وأباءكم إياها. وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لا ينسى)) (أر ٢٣: ٣٩،٤٠).

وفي سفر هوشع النبي يقول لهم الله ((لأنكم لستم شعبي، وأنا لا أكون لكم)(هو ١ : ٨) . كما يقول عنهم النبي ((أصلهم قد جف، لا يصنعون ثمراً. يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له، فيكونون تائهين بين الأمم)) (هو ٩: ١٦،١٧). ويقول عنهم أيضا ((يذهبون .. ليطلبوا الرب ولا يجدونه. قد تنحى عنهم)) (هو ٥: ٦).

وفي سفر عاموس النبي يقول الرب ((قد أتت النهاية على شعبي إسرائيل. لا أعود أصفح له بعد. فتصير أغاني القصر ولاول في ذلك اليوم)) (عا٨: ٢،٣).

وبولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين (٨: ١٠) يقتبس قول الوحي على لسان أرميا النبي ((.. نقضوا عهدي، فرفضتهم يقول الرب)) (أر ٣١: ٣٢).

ليس عجيباً يا أخوتي أن يسير أناس مع الله حيناً ثم يرفضهم، أو أن يعين الله أشخاصاً، ثم من أجل خطاياهم يعود فيرفضهم:

أنتم تعلمون أن شاول الملك قد عينه الرب، وأرسل صموئيل النبي فمسحه ملكاً. ثم ماذا يقول الكتاب عنه.

يقول إن الرب قد رفض شاول، وأن روح الرب قد فارقه، وبغته روح رديء من قبل الرب.. (١صم ١٦: ١٤،١). تعلمون أيضاً يربعام بن نباط عينه الرب ملكاً، وتنبأ له أخيا الشيلوني بهذا من جهة الرب.ثم عاد الرب فرفض يربعام ، وأفنى كل بيته، ولم يبق فيه أحد. نفس الأمر بالنسبة إلى ياهو الملك، مسحة أحد الأنبياء حسب أمر الرب. وسار حسناً في البدء. ولم يكمل كما ينبغي ورفضه الرب هو وكل بيته .

السيد المسيح نفسه أعلن رفضه لهذا الشعب ، في مثل الكرامين الأردياء الذي شرحه لهم قائلاً إن إنساناً كان له كرم سلمه لكرامين ، ثم أرسل إليهم عبيده ليأخذ ثماره ، فقتلوا بعضاً وجلدوا بعضا. فأرسل لهم عبيداً آخرين ، ففعلوا بهم كذلك . أخيراً أرسل إليهم ابنه لعلهم يهابونه . فقالوا إنه الوارث وقتلوه . وهنا سأل السيد المسيح اليهود ((فمتى جاء صاحب الكرم ، ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له .. يهلكهم هلاكاً رديئاً،ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين .. وقال لهم يسوع ... لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)) (متى ٢١:٣٣-٤٣)

يظهر رفضهم أيضاً من بكاء السيد المسيح على أورشليم، إذ قال لها ((يا أورشليم يا أورشليم ،يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .هوذا بيتكم يترك لكم خراباً)) (لو ١٣ :٣٤، ٣٥) .

ويقول بولس الرسول عن اليهود في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى ((إن اليهود قتلوا الرب يسوع والأنبياء، واضطهدونا . وهم لا يرضون الله ، ويقاومون جميع الناس . ويمنعوننا أن نكلم الأمم لخلاصها، حتى يتمموا خطاياهم

كل حين . فإنّ غضب الله قد حل عليهم إلى النهاية)) (اتس ٢ :١٥،١٦). وقد شبههم الرسول بأغصان قد قطعت من الزيتونة لعدم إيمانهم (رو ١١ : ١٩،٢٠).

٦- الله يرفض شفاعة الأنبياء فيهم :

وقد بلغ غضب الله في رفضه لهذا الشعب أنه رفض شفاعة الأنبياء فيهم.. فقال لأرميا النبي ((وانت ، فلا تصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولاتلح علي ، لأني لا أسمع لك)) (أر ٧ :١٦). وقال له أيضاً ((لاتصل لأجل هذا الشعب للخير ..أنا أفنيهم)) (أر ١٤ :١١).

وقال الله أيضاً ((وإن وقف «موسى» وصموئيل أمامي ،لاتكون نفسي نحو هذا الشعب)) (أر ١٥ :١).

ثالثاً:

قصة الله مع الأمم
(قبوله غير اليهود)

١- حوادث ورموز منذ أيام إبراهيم

٢- هل كان بنو إسرائيل يعرفون كل هذه الدلالات؟

٣- السيد المسيح يوضح ويشرح أفضلية الأمم

٤- آيات صريحة من العهد القديم

٥- آيات صريحة من العهد الجديد

٦- السيد المسيح يحطم كبرياء إسرائيل

١ـ حوادث ورموز منذ أيام إبراهيم :

لقد رفض الله بني إسرائيل اذن، ورفض شفاعة الأنبياء فيهم، وسلمهم لأيدي أعدائهم، وسلمهم للسبي وبددهم بين الشعوب.

وهنا يفتح المجال لمجموعة أخرى هي الأمم.. والمقصود بالأمم ((غير اليهود))، لأن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وكل ما عداهم يدعون أمماً. وفى رسائل بولس كلمة ((اليونانيين)) معناها الأمم أيضا.

ومجال بحثنا في هذا الفصل هو تتبع علاقة الله بالأمم وقبوله لهم، وكيف أنه كان هناك مكان لغير اسرائيل منذ بداءة العهد القديم!

ما أجمل قول المزمور ((للرب الأرض وماؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها)) (مز ٢٤:١). وما أجمل قول الوحي الإلهي ((كل من يدعو باسم الرب يخلص)) (أع٢: ٢١).. فلنتبع أذن قصة الله مع الأمم..

في نفس الوقت الذي دعا الله فيه «إبراهيم» أبا الآباء كان هناك «ملكي صادق»، ملك ساليم كاهن الله العلي، الذي بارك «إبراهيم»، ودفع له «إبراهيم» العشور، وكان أعظم من «إبراهيم» (عب ٧: ١ـ٧).. وكان رمزاً للمسيح له المجد.

وفي عهد «موسى» نفسه صاحب الشريعة، نرى أن «موسى» تزوج امرأة كوشية (عد ١٢). وكانت تلك المرأة الكوشية رمزاً لدخول الأمم في الإيمان، لأنها لم تكن من إسرائيل. ولما تقوّل هارون ومريم على «موسى»، دافع عنه الرب في زواجه بالمرأة الكوشية.

وفي دخول أرض الموعد، انضمت راحاب الخاطئة التي من أهل أريحا، إلى الإيمان هي وبيتها. وكانت رمزاً لدخول الأمم في جماعة الرب .

ثم نرى أيضاً أن راعوث الموابية، التي صارت جدة لـ«داود» النبي، دخلت هي أيضاً في الإيمان وفي جماعة الرب. وقالت لحماتها ((شعبك شعبي وإلهك إلهي)).

والعجيب أن هاتين المرأتين راحاب الأممية غير اليهودية، وراعوث الأممية غير اليهودية، صارتا جدتين ليسوع المسيح له المجد، وذكرتا في سلسلة الأنساب. فكان المسيح قد أتى من نسل اشترك فيه الأمم أيضاً مع إسرائيل، ولم يكن إسرائيل فيه هو الشعب المختار المنفرد بهذا الأمر.

و«سليمان الحكيم» أتته ملكة سبأ أو ملكة التيمن من أقاصي الأرض. وكانت امرأة أممية هي الأخرى. ودخلت في الإيمان مؤمنة بإله «سليمان»، وكانت رمزاً لدخول الأمم.

ونرى في سفر نشيد الإنشاد أن المحبوبة تقول فيه ((أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم)) (نش ١: ٥).. ولقد كانت هذه المحبوبة ترمز في سفر النشيد إلى كنيسة الأمم. وتقول عن نفسها ((أنا سوداء))، إي أنا أممية غريبة لا أصل لي في جماعة الرب ولا شريعته. بالنسبة إليكم أعتبر سوداء ولكنني جميلة لأن الرب أحبني، ورأى في من الجمال ما لم يره في اليهود، في بنات أورشليم.

أرملة صرفة صيدا أيضاً التي جاء إليها ايليا النبي أثناء المجاعة، وبارك بيتها، وأقام ابنها من الموت، كانت هي كذلك رمزاً لقبول الأمم.

لعل ما يشبه هذا أيضاً نعمان السرياني، ((رئيس جيش ملك أرام))

(٢مل٥ : ١٥،١)، الذي آمن بالرب بعد أن شفاه اليشع النبي من برصه، وصار هو أيضاً من جماعة الرب. إن في قصة نعمان السرياني ملاحظة دقيقة لا تخفى عليكم، وهي ما في المقارنة بينه وبين جيحزي تلميذ اليشع النبي، من معان ورموز رائعة. رفض اليشع النبي أن يأخذ مالاً من نعمان السرياني . فجرى وراءه جيحزي في الخفاء، وأخذ منه ما أخذه كذباً باسم النبي، فلعنه النبي فحل به البرص الذي كان في جسم نعمان. وهنا نرى صورة عجيبة: رجلاً أممياً غريباً يشفى جسداً وروحاً، ويدخل في الإيمان ورجلاً آخر يهودياً وتلميذاً لنبي تصيبه اللعنة والبرص، ويبعد عن إيمانه. ولعل ذلك رمز للمستقبل الذي كان ينتظر اليهود والأمم.

وبدخول نعمان السرياني في الإيمان، بدأ الإيمان يزحف قليلاً إلى آرام. ونجد سفر الملوك الثاني (٢مل٨: ٧-١٣) يحكي لنا عن قصة بنهدد ملك آرام، الذي مرض مرضاً لم يعرف إن كان سيموت به أم يشفى. فأرسل ابنه حزائيل إلى اليشع النبي وقال له ((اذهب لاستقبال رجل الله، واسأل الرب به قائلاً هل أشفى من مرضي هذا)).. آرام بلد أممي، وبنهدد ملك أممي، يرسل ابنه إلى اليشع النبي مؤمناً أنه رجل الله، يريد أن يسأل الرب به.. فذهب حزائيل إلى اليشع وقال له ((ابنك بنهدد ملك آرام قد أرسلني إليك))، معتبراً ملك أرام ابناً روحياً لنبي الله. هنا نجد الإيمان قد دخل إلى آرام..

وماذا بعد؟ .. نسمع الله يقول لنبيه أمراً عجيباً ((اذهب وامسح ياهو ملكاً على إسرائيل، وامسح حزائيل ملكاً على آرام)).

ما هذا؟.. كيف أن ملك آرام الاممي يمسحه نبي الله ملكاً؟ أمر عجيب، يدل على أن الإيمان كان قد دخل - ولو وقتياً - إلى آرام ...!

نرى أيضاً في قصة «يونان» النبي أمراً عجيباً: «يونان» النبي يعصى كلام الله عندما أرسله الله إلى أهل نينوى. ويركب سفينة تعصف بها أمواج البحر، وكل ركابها أمميون وثنيون. ويصرخ كل واحد منهم إلى الرب، بينما كان «يونان» النبي المخالف قد نام في السفينة نوماً ثقيلاً!.. حتى أن ربان السفينة قال له ((مالك نائماً، قم اصرخ إلى إلهك)). هنا نجد رجلاً أممياً، يبكت يهودياً من رجال الله ويدعوه للصلاة!.. أترى كان ذلك رمزاً؟ .. على أن أهل السفينة انتهى أمرهم، إنهم آمنوا بالله، وذبحوا ذبائح ونذروا نذوراً. وكانوا من الأمميين الذين دخلوا في الإيمان وصاروا شعباً لله..

ثم ذهب «يونان» النبي إلى مدينة نينوى فتابت وآمنت بالله، وكان فيها أكثر من مائة وعشرين ألفاً من الناس، كلهم صاروا شعباً لله في عهد اليهود.

حتى في السبي، عندما ألقي دانيال النبي في جب الأسود، وأرسل الله ملاكه فسد أفواه الأسود ولم تؤذ دانيال بشيء: ماذا حدث؟ .. حدث أن داريوس ملك الفرس أمر بعبادة إله دانيال في كل مملكته الاممية وقال ((لأنه هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه لا ينتهي، هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات والأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود)) (دا٦: ٢٥ - ٢٧).

أذن، لا شك أن الإيمان كان قد دخل كل الأمم، حتى في العهد القديم. وقبل الله كل أولئك.. وهذا ينفي فكرة الشعب الواحد المختار. فلو كان الله لا يريد إلا شعباً واحداً له، إذن لرفض أهل نينوى، ورفض راحاب وراعوث وكل الذين تحدثنا عنهم .. ولكن ((الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون)).

٢- فهل كان بنو إسرائيل يعرفون كل هذه الدلالات والرموز؟

يجيب الله على هذا السؤال فيقول ((أسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم: ربيت بنين وأنشأتهم، أما هم فعصوا علي. الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم)) (أش ١: ٢،٣) ويقول أيضاً في سفر «أرميا» النبي ((شعبي أحمق.. هم بنون جاهلون، وهم غير فاهمين. هم حكماء في عمل الشر، وعمل الصالح ما يفهمون)) (أر ٤ : ٢٢).

لم يفهموا هذه النبوءات، ولا هذه الرموز. لماذا؟ لأن كبرياءهم العنصرية كانت تقول لهم إنهم هم الشعب الوحيد المختار من الله، ولا يوجد غيرهم!

لذلك أتى المسيح يوضح ويشرح، وهو يقول لهم ((تضلون إذ لا تعرفون الكتب)).

٣- السيد المسيح يوضح ويشرح أفضلية الأمم:

لما رآهم منتفخين من كبريائهم العنصرية، أعاد إلى ذاكرتهم قصص العهد القديم مفضلاً الأمم عليهم. فقال ((الحق أقول لكم إن أرامل كثيرات في إسرائيل في أيام إيليا النبي، حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر، لما كان جوع عظيم في الأرض كلها. ولم يرسل إيليا إلى واحدة منهن إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيداء)).

((وبرص كثيرون كانوا في إسرائيل في زمان اليشع النبي،و لم يطهر واحد منهم إلا نعمان السرياني)) (لو ٤: ٢٥- ٢٧).

وقد فهم اليهود ما يقصده السيد المسيح من ذكر هاتين الواقعتين، وكيف أنه يفضل الأمم عليهم. فماذا كانت النتيجة؟ يقول الكتاب ((فامتلأ غضباً جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا. فقاموا وأخرجوه خارج المدينة، وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل أما هو فجاز في وسطهم ومضى)) (لو ٤ : ٢٨ - ٣٠) .

وعاد السيد المسيح يضرب على نفس الوتيرة، فقال لهم ((رجال نينوى سيقومون في (يوم) الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة «يونان». وهو ذا أعظم من «يونان» ههنا)).

((ملكة التيمن ستقوم في (يوم) الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة «سليمان» وهو ذا أعظم من «سليمان» ههنا)) (متى ١٢ : ٤١،٤٢).

ألسنا نرى هنا أن السيد المسيح لا يشرح فقط كيف أن أهل الأمم مقبولون عند الله، وإنما كانوا في هذه الأمثلة أفضل من اليهود ...؟

٤. أيات صريحة من العهد القديم :

أننا جميعاً نتمسك جداً بموضوع قبول جميع الأمم في الإيمان، وأن اليهود لم يعودوا على الإطلاق شعباً مختاراً لله. لأنه لوكان اليهود إلى الآن شعب الله المختار، ما كنا جميعاً من المؤمنين.. فكلنا من الأمم، ولسنا يهوداً.. فلو كان الله لا يقبل غير اليهود، لما وجد واحد منا مقبولاً عند الله.

ما أكثر الآيات الدالة على ترحيب الله بالأمم، وبالتالي نفي فكرة الشعب المختار، ليس في العهد الجديد فقط وإنما في القديم أيضاً.

كان هذا الأمر واضحاً منذ دعوة «إبراهيم»، إذ قال الرب له ((أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم..))

((وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً))

ونفس الوعد أعطى لـ«يعقوب» ((أمة وجماعة أمم تكون منك))

(تك ٣٥ : ١١).

وما أكثر الدلالات على هذا الأمر في سفر المزامير، إذ يقول النبي ((يعرف في الأرض طريقك، وفي كل الأمم خلاصك)) (مز ٦٧ :٢). ((سبحوا الرب يا كل الأمم، باركوه يا جميع الشعوب)) (مز١١٧ :١). فتخشى الأمم اسم الرب)) (مز١٠٢ :١٥)). ((ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له)) (مز ٧٢:١١).

ويقول أشعياء النبي ((فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء أشراقك)) (أش٦٠ :٣) ويقول أيضاً ((ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم)) (أش٢:٢).

ويقول دانيال النبي عن الرب ((تتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه أبدي لن يزول، وملكوته لا ينقرض)) (زك١١:٢).

ويقول الوحي الإلهي على فم زكريا النبي ((.. فتتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً فأسكن في وسطك)) (زك ٢: ١١)

ويتنبأ يوئيل النبي عن حلول الروح القدس على كل من اليهود والأمم،

فيقول الرب على فمه ((أسكب روحي على كل البشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤى)) (يوئيل٢: ٢٨).

٥ـ آيات صريحة في العهد الجديد :

إن الديانة المسيحية ديانة جامعة للكل، لا تمييز فيها لشعب معين أو جنس أو عنصر أو لغة، كما يقول بولس الرسول ((ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبداً أو حراً، ليس ذكراً أو أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع)) (غل٣ :٢٨) كما يقول أيضاً ((ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بل المسيح الكل بالكل)) (كو٣ :١١) ((لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني. لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به)) (رو١٠ :١٢).

وقد بدأ قبول الأمم عملياً في المسيحية بإيمان كرنيليوس قائد المائة على يد «بطرس» الرسول الذي شرح الأمر قائلاً للمؤمنين من اليهود ((أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه. وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول على إنسان ما أنه دنس أو نجس .. إن الله لا يقبل الوجوه.. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده.. هذا هو رب الكل)) (اغ ١٠: ٢٨، ٣٤،٣٥).

و«بولس» الرسول ذهب أولاً مبشراً في مجامع اليهود ((وإذا كانوا يقاومون ويجدفون، نفض ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم. أنا بريء. من الآن أذهب إلى الأمم)) ((١٨ : ٦)). ويقول هذا الرسول ((أم الله لليهود فقط . أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً)) (رو٣: ٢٩).

وأول مجمع مقدس في المسيحية، كان في أورشليم اجتمع فيه الآباء الرسل، لأجل قبول الأمم في الإيمان (أع ١٥).

والسيد المسيح قد جعل الكرازة بالإنجيل لجميع الأمم. فقال ((اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها)) (مر ١٥:١٦). كما قال لتلاميذه ((وتكونون لي شهوداً في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض)) (أع ١ : ٨) وعندما طهر الهيكل قال ((بيتي بيت الصلاة يدعي لجميع الأمم)) (مر ١١ : ١٧).

السيد المسيح يحطم كبرياء إسرائيل:

كان السيد المسيح يعلم كبرياء اليهود، وأراد أن يحطم تلك الكبرياء بما يناسبها. من مظاهر كبريائهم أنهم كانوا لا يقبلون الخطاة، وهم خطاة!! كانوا لا يقبلون الأمم لأنهم غرباء، ولا الكنعانيين لأنهم شعب ملعون، ولا السامريين ولا العشارين لأنهم خطاة .. فرفع المسيح من شأن كل هؤلاء ليخفض شأن اليهود، ويريهم أن من يرونهم خطاة هم أفضل منهم.

انتهز فرصة سؤال وجهه إليه أحد الناموسيين وهو من اليهود الحرفيين المتعصبين، فأجابه بأن قص عليه مثل السامري الصالح. قال إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا. فوقع بين لصوص، فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت. فمر عليه كاهن ولم يساعده وجاز مقابله، ومر عليه لاوي فلم يساعده أيضاً وجاز مقابله. ثم مر عليه رجل سامري غريب، فتحنن وضمد جراحه، ونقله إلى فندق واعتنى به، وقال لصاحب الفندق ((أعتن به، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك)). وعندئذ أراهم المسيح أن قريب هذا الإنسان هو الذي فعل معه الخير. وأظهر لهم أن السامري كان أفضل من أفضل طبقات اليهود، وأفضل من الكاهن ومن اللاوي (لو ١٠: ٣٠ ـ ٣٧).

وبالنسبة إلى الكنعانيين مدح المسيح أمامهم المرأة الكنعانية وقال لهم ((عظيم هو إيمانكم)) (متى ١٥ :٢٨)

أما عن علاقتهم بالأمميين، فوبخهم بما فعله قائد المائة الأممي الذي جاء إلى السيد يطلب شفاء غلامه. فلما قال له ((أنا آتي فأشفيه))، أجاب القائد وقال ((يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي. لأني أنا أيضاً إنسان.. لي جندي تحت يدي. أقول لهذا أذهب فيذهب، ولآخر أيت فيأتي .. فلما سمع يسوع تعجب. قال للذين يتبعون . الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا) (متى ٨ :٥ ـ ١٠). وكأنه يقول لهم كفاكم كبرياء واعتزازاً بعنصريتكم. هل تظنون أنفسكم أفضل من الأمم؟ إني لم أجد في إسرائيل كله إيماناً بمقدار إيمان هذا القائد الأممي! وأكمل السيد توبيخه لهم بقوله: ((أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع «إبراهيم» و«إسحاق» و«يعقوب» في ملكوت السموات. وأما بنو الملكوت (أي اليهود) فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان)) (متى٨: ١١،١٢).

ولما رأى احتقارهم للعشارين، قص عليهم مثل الفريسي والعشار. والفريسي هو رجل يهودي متمسك متكبر. والعشار في نظره هو رجل سارق ظالم. قال لهم السيد المسيح أن اثنين دخلا إلى الهيكل ليصليا: إحداهما فريسي والأخر عشار. أما الفريسي فوقف في كبرياء وقال ((أشكرك يا رب أني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطئين الزناة. أصوم يومين في الأسبوع وأعشر جميع أموالي..)). أما العشار فوقف في انسحاق قلب، لا يجرؤ أن يرفع عينه إلى السماء. وقرع صدره قائلاً ((ارحمني يا رب فإني خاطئ))، فخرج هذا العشار مبرراً دون ذاك.

أراهم أن ذلك الفريسي المتكبر المفتخر بنفسه الذي يعتبر أنه أفضل من غيره، لا يمكن لمثل هذا أن تصل صلاته إلى الله. بينما قبلت صلاة العشار الخاطئ المنكسر القلب المتواضع أمام الرب. كل هذا ليريهم أنه ليس بالعنصرية يخلص إنسان، لأنه يهودي! وإنما يخلص بالإيمان السليم والأعمال الصالحة. وبغير ذلك فيهوديته لا تنفعه شيئاً..

إن السيد المسيح لما رآهم متكبرين أخزاهم بحياته، إذ جاء إلى العالم فقيراً متواضعاً آخذاً شكل العبد..

ولما رآهم مفتخرين بمدينتهم العظيمة أورشليم وبهيكل «سليمان»، تنبأ عن خراب أورشليم، كما تنبأ عن خراب الهيكل (لو ٢١).

ولما رآهم مفتخرين بأنهم أصحاب الشريعة والناموس، وبخهم على أنهم أفسدوا الشريعة بتفسيرات وتقليدات آبائهم. وقال لهم ((أنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس. فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون))(متى٢٣).

رابعاً

فكرة المملكة

١- الله يملك بنفسه.

٢- ممالك خاطئة انتهت بالفشل.

٣- السيد المسيح يرفض الملك الأرضي.

٤- لا نعترف لليهود بمملكة.

فكرة المملكة

أريد أن أقول لكم كلمة بسيطة عن فكرة المملكة، هل يوجد شيء اسمه مملكة اليهود؟ ما رأي المسيحية في تلك المملكة.

حقاً، قد تكونت ممالك لليهود في العهد القديم. ولكن ماذا كانت صفات المملكة وشخصيتها وقتذاك؟

١- الله يملك بنفسه:

كان الله في بادئ الأمر يحكم الشعب بنفسه. إما مباشرة وإما عن طريق أنبيائه. كان يرشدهم في طريق الخير، يدبر أمورهم ويوجه تحركاتهم. وعندما دعاهم إليه، قال لهم ((وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة)) (خر ١٩: ٦).

هذه المملكة لا يقبل فيها الله معونات من سائر الأمم الأخرى، ولا محالفات عسكرية أو اقتصادية. وكانت مملكة مقدسة تنفذ وصاياه، يحكمها عن طريق أنبيائه، لذلك كان الله الحاكم هو نفسه نبي الله، بما يتلقاه من أوامر من الله مباشرة.

كان «موسى» يحكم هذا الشعب، هو الحاكم وهو النبي، وهكذا كان يشوع حاكماً ونبياً. وهكذا كان القضاة حكاماً ونواباً بالله على الأرض.. وسار الأمر على هذا الوضع زمناً. ثم حدث انقلاب، فماذا كان ذلك الانقلاب؟

٢ـ ممالك خاطئة انتهت بالفشل؟:

ثم أتى الشعب يطلبون من صموئيل النبي أن يقيم لهم ملكاً مثل سائر الشعوب. وكانت رغبة فيها انفصال عن حكم الله المباشر، وتقليد للأمم الأخرى، ومظهرية من المجد الباطل. فاستاء صموئيل، وأخبر الله بالأمر، فأجابه الرب ((أنهم لم يرفضوك أنت، بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم)) ! وشرح لهم النبي مساوئ الفكرة، ((فأبى الشعب أن يسمع لصوت صموئيل. وقالوا: لا، بل يكون علينا ملك، ويخرج أمامنا، ويحارب حروبنا)) (صم٨ : ٥-٢٢).

إذن بدأت فكرة المملكة كفكرة خاطئة، كتمرد على حكم الله ورفض له. وكانت مجرد تقليد للأمم.

على أن الله نفذ لهم فكرتهم، وأقام لهم ملكاً. وكحل متوسط، احتفظ الله بإجرائين احتياطيين لحفظ المملكة من الانحراف. أولهما أن يقام الملوك باختيار من الله، وثانيهما أن يحكموا طبقاً لشريعته ووصاياه. وهكذا يكون تحت إشرافه.

هذان الأمران يوضحهما سفر التثنية إذ يقول فيه الرب لإسرائيل:

((متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك، وامتلكتها وسكنت فيها، فإن قلت أجعل علي ملكاً كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب إلهك)) (تث ١٧: ١٤، ١٥).

((وعندما يجلس على كرسي مملكته، يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين. فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه)) (تث١٧ : ١٨).

هذه الأوامر نفذت أولاً ثم تجاهلها الملوك والناس. فالملكان الأولان (شارون وداود) مسحهما صموئيل بأمر الرب. ثم صار الملك بالوراثة في مملكة يهوذا من نسل «داود» حسب وعد الله. أما في مملكة إسرائيل، فباستثناء يربعام وياهو، نجد أن القاعدة الأولى قد كسرت، وصار الملوك يقامون بغير اختيار الله، وبغير مسح الأنبياء لهم.

وقد غضب الله لكسر هذه القاعدة. فقال في سفر هوشع النبي ((قد كره إسرائيل الصلاح، فيتبعه العدو. هم أقاموا ملوكاً وليس مني، أقاموا رؤساء ولم أعرف. صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناماً لكي ينقرضوا)) (هو ٨: ٣،٤)

وعلى نطاق أوسع كسرت القاعدة الثانية، فتجاهل الملوك الشريعة، وساروا في الفساد حتى عبدوا الأصنام وجروا الشعب معهم.. وبلغ نسيانهم للشريعة أن يوشيا الملك عندما عثر على سفر الشريعة وقرأه، مزق ثيابه خوفاً وحزناً (٢أي ٣٤: ١٩).

وبهذا الوضع، وبفساد الملوك، حدث ازدواج وانقسام في قيادة الشعب.لم يعد الحاكم هو النبي كأيام «موسى» ويشوع والقضاة. وإنما صارت هناك قيادتان: الأنبياء والملوك، ممثلو الله وممثلوا الشعب الخاطئ. وأدى هذا الانقسام إلى صراع طويل. فالأنبياء ـ ممثلو الله ـ يوبخون الملوك على فسادهم وعلى عبادتهم للأصنام. والملوك بدورهم يسجنون الأنبياء ويقتلونهم. لذلك قال السيد المسيح موبخاً أورشليم فيما بعد ((يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها))..

أول ملك أقيم لليهود (هو شاول) رفض من الله.

الملك الثاني «داود» سار مع الرب، وكان صالحاً ونبياً على الرغم من أخطائه. وبعد «داود» أتى «سليمان»، وأغرته النساء في أواخر أيامه ليخر للأصنام، ودخل في علامة استفهام كبيرة. فما زال المسيحيون حتى الآن يتساءلون هل خلص «سليمان» أم لم يخلص؟ ولا يستطيع أحد أن يجيب أجابة صحيحة مؤكدة. وبعده انقسمت المملكة إلى اثنتين: مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.

أما مملكة إسرائيل فعبدت الأصنام منذ يومها الأول حتى السبي. بينما تمسكت مملكة يهوذا قليلاً بالرب، ثم انجرفت هي الأخرى إلى عبادة الأصنام، فأسلمها الرب كذلك إلى السبي.

ونظر الرب فإذا تجربة الملك هذه قد فشلت. وبقي أن يعود الله مرة أخرى ويحكم الشعب بنفسه.

وهنا ظهر السيد المسيح

٣ـ السيد المسيح يرفض الملك الأرضي

أراد السيد المسيح أن يملّك على قلوب الناس وأفكارهم ، وأن يملك على مشاعرهم وحواسهم . وهكذا يقيم مملكة روحية على الأرض، كما نادى في الناس وقال ((ملكوت الله داخلكم)). دعي اسمه يسوع (أي مخلص) لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

أما اليهود فأرادوا مخلصاً من نوع شمشون الجبار، أرادوه أن ينقذهم من نير الرومان ويقيم لهم ملكاً عالمياً بالقوة والسلطان، ويعيد لهم دولة «داود» و«سليمان».

ولكن المسيح تمسك بالمملكة الروحية ورفض الملك الأرضي.

لما أشبع الخمسة الآلاف من خمس خبزات وسمكتين، أعجب الناس جداً بهذه المعجزة، وأرادوا أن يقيموه ملكاً، ولكنه رفض، يقول الكتاب ((ولما رأى يسوع أنهم مزمعون أن يأتوا ليخطفوه ويجعلوه ملكاً، انصرف إلى الجبل وحده)) (يو ٦: ١٥).

وفي أحد الشعانين، دخل أورشليم، فاستقبلوه كملك بسعوف النخل وبالهتاف ((مبارك الآتي باسم الرب، مباركة مملكة «داود» أبينا الآتي باسم الرب، مباركة مملكة «داود» باسم الرب. سلام في السماء، ومجد في الأعالى)) (لو ١٩: ٣٨). ((ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها)) (متى ٢١: ١١) أما السيد المسيح فرفض هذا الملك. وفي هيبة روحية دخل إلى الهيكل وطهره، ووبخهم على فسادهم. ثم ترك أورشليم وذهب إلى بيت عنيا. فتضايق اليهود من هذا التصرف الذي خيب آمالهم فيه..

حتى تلاميذه، كانوا هم أيضاً يتخيلونه ملكاً، وتنافسوا فيما بينهم من يجلس عن يمينه وعن يساره أما يسوع فكلمهم روحياً ((من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين)) (متى ٢٠ :٢٥ـ ٢٨)

وعندما سأله بيلاطس ((هل أنت ملك اليهود؟)) أجابه ((مملكتي ليست من هذا العالم .. ليست مملكتي من هنا)) (يو ١٨: ٣٦).

أين أذن مملكتك أيها الرب يسوع؟ قال لهم ((ملكوت الله داخلكم)). ((يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي)).

قال المسيح هذا الكلام، لأن الشعب كان قد سار في طريق الضلال وبعد عن الرب. حتى جميع عباداتهم كانت شكلية رفضها الرب. كانوا بعيدين عن الحياة الروحية السليمة .. شعب له المظهر الخارجي الذي يفتخر به!! يقدم المحروقات، يقدم الذبائح ، يرفع البخور، ويظن أنه بهذا يعبد الرب!! يقيم الأعياد، يحتفظ برؤوس الشهور وبالمواسم جميعاً، ويدخل إلى الهيكل، وهذا كل شيء!! أما الله فلم يكن له وجود في قلب هذا الشعب..

لذلك وبخهم الرب في العهد القديم كله على هذه العبادة الشكلية التي لا يملك فيها على قلوبهم: قال لهم في سفر ارميا النبي ((محرقاتكم غير مقبولة، وذبائحكم لا تلذ لي)) (أر٦: ٢٠) وقال لهم في سفر أشعياء ((.. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي .. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي، صارت علي ثقلاً، مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم. وإن أكثرتم الصلاة لا اسمع أيديكم ملآنة دماً)) (أش ١ : ١١ ـ ١٥). كما قال الرب لهذا الشعب على فم عاموس النبي ((أبعد عني ضجة أغانيك، ونغمة ربابك لا أسمع)) (عا٥: ٢٣).

وجدهم السيد المسيح ((كالقبور المبيضة من الخارج ومن الداخل عظام نتن)) (متى ٢٣: ٢٧)فقال لهم ((يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلاً: يقترب إلى هذا الشعب بفمه، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً)) (متى ١٥: ٧-٨) كانت الشكليات الطقسية قد غطت على روح العبادة في ذلك الشعب. فجاء المسيح ليقيم مملكته الروحية.

على أن فكرة المملكة الروحية لم ترقهم. فتضايقوا من رفضه للملك. وتضايقوا من قوله ((أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله))، وهم الذين أرادوا

أن ينجيهم من قيصر! لذلك تألبوا عليه، وصاحوا ((أصلبه أصلبه)). وفضل المسيح أن يكون حاملاً للصليب ومالكاً للقلوب .. وهو يريد من هذا أن يكون القلب ملكاً لله، ولا خوف على المملكة بعد ذلك، ستسير أمورها حسناً.

٤ـ لا نعترف بمملكة اليهود:

نحن لا نعترف لليهود كأصحاب ديانة قائمة.. فمن الناحية الدينية كانت اليهودية ممهدة للمسيحية، فلما أتت المسيحية لم يعد لليهود وجود كديانة قائمة بذاتها.

أما من جهة المملكة، فلا يمكن ـ في ضوء الكتاب المقدس ـ أن نعترف لهم بمملكة.. فالله رفض فكرة المملكة منذ البدء، كما رفض السيد المسيح أن يقيم لهم مملكة على الأرض. وعندما تنازل الله إلى فكرتهم وأقام لهم ملوكاً، كانت للمملكة شخصية مقدسة لا تنطبق على يهود اليوم. فالملك كان الله يختاره بنفسه، ويأمر بمسحه ملكاً طة نبي أو رئيس كهنة . وكان الملك يتلقى أوامره من الله ويستشيره في كل خطوة. وكان محرماً على ممالك اليهود أن تبرم محالفات عسكرية أو اقتصادية مع دول أخرى وإلا اعتبر ذلك اعتماداً على ذراع بشري يقتضي العقوبة من الله.

وليس شيء من هذا ينطبق حالياً..

خامساً :

في بعض المعاني الـرمزية

الخلاص

كلمة أرض الموعد

أورشليم - صهيون

الذبائح - الكهنوت - الهيكل - الختان

بعض المعاني الرمزية

بقى أن أقول لكم شيئاً أخيراً . وهو أن الديانة المسيحية ديانة روحية فيها الكثير من الرمز. وأن أموراً كثيرة كانت موجودة في اليهودية ،وظيفتها أنها ترمز لأمور مستقبلية في المسيحية .فلما تحقق المرموز إليه ،بطل عمل الرمز بمعناها الرمزى.. وهناك أشياء لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفي.

وسنتناول الآن بعض الموضوعات في مفاهيمها اليهودية والمسيحية..

الخلاص :

وكان الخلاص في العهد القديم معناه تخليص الناس من أعدائهم ، كالخلاص الذي يقدمه الله لهم في الحروب ....

أما الخلاص في العهد الجديد ، فهو خلاص النفس من الخطيئة ومن الشيطان ومن سيطرة المادة والعالم .خلاصها بالايمان ،في أن تكون مقبولة لدى الله .

فعندما يقول بولس الرسول في رسالته إلى رومية (١١ :٢٦) ((سيخلص إسرائيل)) إنما يعنى أن إسرائيل سيرجع إلى الإيمان فيخلص . وليس للخلاص هنا معنى غير هذا .ونحن ننتظر أن يخلص هؤلاء الناس ، أي أن يقبلوا إلى الله ويؤمنوا بالإيمان السليم .

ونحن نعلم أن اليهود لا يمكن أن يقتربوا إلى الله إلا إذا تحطموا . فطول تاريخهم الطويل كانوا –إذا عاشوا في سعة من العيش وفي راحة من أعدائهم –

يفتخرون ويتكبرون ، وينسون الرب إلههم .ولم يقتربوا إلى الله إلا في الأوقات التي ضربوا فيها ضربات شديدة من أعدائهم !

لذلك أنا اؤمن إيماناً أكيداً من كل قلبي ، أن هؤلاء الناس لا يمكن أن يدخلوا في الإيمان إلا إذا انهزموا هزيمة ساحقة مرعبة في الحرب . وكشخص مسيحي أؤمن بأسفار الكتاب المقدس وبالحكمة المأخوذة من تاريخ اليهود ، لست أرى وسيلة لخلاصهم إلا انهزامهم ، صدق المزمور عندما قال ((أملأ وجوههم خزياً، فيطلبون اسمك يا رب)) (مز ٨٣ :١٦).

ليس مانع أذن من أن يقيم لهم الرب سيف تأديب يسلمهم لأعدائهم، كما سلمهم للأعداء من قبل.

فإذا كان الله يريد أن يرسل «محمد أنور السادات» سيف تأديب لهذا الشعب، فإن هذا يكون خيرا روحياً لهم.

نحن كمسيحيين نحب جميع الناس، ونحب أعداءنا أيضاً. لكننا نحبهم محبة روحية، ونطلب أن تخلص نفوسهم في اليوم الأخير. فإن كنا نحب اليهود حقاً، ونحب أن تخلص نفوسهم في اليوم الأخر، ونحب أن يصلوا إلى الإيمان، فنحن نصلي أن ينهزموا في الحروب لكي يخلصوا. أن كلمة يسوع معناها مخلص، وسمي يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

كلمة أرض الموعد:

هذه أيضاً تشير في معناها الرمزي إلى الموضع الذي يعدنا به الرب في اليوم الأخير. ولذلك يقول «داود» في المزمور ((وأنا أؤمن أن أعاين خيرات الرب في أرض الأحياء)) (مز٢٧: ١٣). ويقصد بأرض الأحياء ما قاله يوحنا

الرسول في سفر الرؤيا ((ثم رأيتَ سماء جديدة وأرضاً جديدة ..)) (رؤ ٢١: ١).

أورشليم ـ صهيون :

أورشليم هي (مدينة الملك العظيم). ويمكن أن ترمز إلِي الكنيسة كما يمكن أن ترمز إلى النفس البشرية. ونحن نعتبر أن كل واحد مَن المؤمنين هو هيكل لله وروح الله ساكن فيه، كمال قال الكتاب.

لذلك إذا وجدت في صلوتنا أو في تراتيلنا هذه العبارات، أنما تعني المعنى الرمزي وليس غير، لها في قاموسنا الروحي معنى، ولها في لغة أولئك الناس معنى أخر.

الذبائح ـ الكهنوت ـ الهيكل ـ الختان :

كذلك كل ما يقدمه اليهود من ذبائح، كان رمزاً لذبيحة المسيح عن العالم. فلما أتي المسيح انتفت تلك الذبائح، ولم يصبح هناك وجود لذبائحهم .

كانت الذبائح ترمز للمسيح. ما معنى الذبيحة؟ معناها أن الإنسان الذي يخطئ إلى الله يستحق الموت لأن ((أجرة الخطيئة هي الموت)). فعندما كان يذبح ذبيحة ويراها تموت، كان يرى الموت عاقبة الخطيئة أمامه. ثم كان يرى أيضاً كائناً طاهراً يموت عنه هو، ونفساً تؤخذ عوضاً عن نفس. فكان بهذا يأخذ فكرة عن الفداء وتضحية نفس طاهرة عن نفس خاطئة.

أما هم ففقدوا كل هذه المعاني الروحية . وأصبحوا يرون الأمر مجرد ذبائح حيوانية تقدم، فحرمهم الرب من هذه الذبائح بتحطيم هيكلهم، حتى يفهموا المعنى الروحي، ولم يفهموه.

وكذلك الكهنوت الهاروني كان رمزاً للكهنوت المسيحي، والهيكل كان رمزاً للكنيسة، والختان كان رمزاً للمعمودية.

أما الآن فماذا أقول أيضاً عن اليهود؟ لقد خرب الهيكل وتهدم كله وتمت فيه نبوءة المسيح، فلم يبق فيه حجر على حجر إلا ونقض. وضاع الكهنوت منهم، ولم يبق فيهم كهنة. ولا يوجد لهم مذبح للذبائح، ولا نار مقدسة. ولم يصبح بإمكانهم أن ينفذوا الشريعة التي ائتمنوا عليها. فأي شئ بقي لهم إذن من الناحية الدينية؟!

كيف يخلصون إذن؟ وكيف ينفذون ناموس «موسى» بدون تقديم ذبائح؟!

القرآن والمسيحية

نص مقال الأنبا شنوده في مجلة الهلال المصرية ـ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٠.

القرآن والمسيحية

• نص مقال الأنبا شنوده في مجلة الهلال المصرية - ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٠.

للأنبا شنوده (أسقف التعليم)

فكرة القرآن عموماً عن المسيحية:

تعرض القرآن للمسيحية. شرح كيف أنها ديانة سماوية، ديانة إلهية، أرسلها الله هدى للناس ورحمة، على يد المسيح بن مريم. والمؤمنون بالمسيحية سجل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهم، وأنهم غير المشركين وغير الذين كفروا.. وقال أيضاً: إنهم أقرب الناس مودة إلى المسلمين، وإنهم متواضعون لا يستكبرون.

وشخص المسيح في القرآن مركز كبير. إنه كلمة الله، وروح منه. ولد بطريقة عجيبة لم يولد بها إنسان من قبل ولا من بعد، بدون أب جسدي، ومن أم عذراء طهور ولم يمسها بشر. ومات ورفع إلى السماء بطريقة عجيبة حار فيها المفسرون والعلماء على الأرض يهدي الناس، ويقوم بمعجزات لم يعملها أحد مثله. وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم بالإنجيل. والإنجيل له مكانة عظيمة في القرآن الذي كان مصداقاً له وداعياً الناس إلى الإيمان به. ولم يذكر القرآن إطلاقاً أنه نسخ التوراة أو الإنجيل، بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والإنجيل.

وللعذراء مريم أم المسيح مركز ممتاز في القرآن، في بتوليتها وطهرها ونسكها وعبادتها وتشريف الله لها واصطفائها على نساء العالمين. وقد تحدث

القرآن أيضاً عن الحواريين تلاميذ المسيح. وتحدث عن بعض العقائد المسيحية.. وهنا يظهر الخلاف بينه وبين المسيحية.

شيء من ذلك حقيقي، وشيء آخر لا يمكن أن نسميه خلافاً وإنما محاربة لبعض البدع الدينية التي كانت سائدة وقتذاك، والتي تحاربها المسيحية أيضاً، والتي لم تكن في يوم من الأيام من عقائد المسيحية كما يخطيء البعض في الفهم والتفسير، وما أكثر الملل التي تقوم في كل جيل، يحارب أخطاءها أولياء الله الصالحون وسنعرض لكل هذا بالتفصيل.

نظرة القرآن إلى النصارى:

يدعوهم القرآن «أهل الكتاب» أو «الذين أوتوا الكتاب من قبلهم» أو «الذين آتيناهم الكتاب» أو «النصارى». ويصفهم القرآن بالإيمان وعبادة الله، وعمل الخير. ويقول في ذلك {من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات، وأولئك من الصالحين}. (سورة آل عمران: ١١٣، ١١٤).

ويقول أيضاً، {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته. أولئك يؤمنون به} (سورة البقرة ١٢١).

{ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله} (سورة النساء ١٣١).

{الذين آتيناهم الكتاب من قبله، وهم به يؤمنون} (سورة القصص ٥٢).

هم إذاً من المؤمنين، يعبدون الله ويسجدون لله وهم يتلون آيات الكتاب طوال الليل. ويؤمنون بالله وبالكتاب واليوم الآخر، وهم من الصالحين ولذلك أمر القرآن

بمجادلتهم بالتي هي أحسن. وفي ذلك يقول {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون} (سورة العنكبوت ٤٦). ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل أكثر من هذا: وضع القرآن النصارى في مركز الإفتاء في الدين فقال: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك} (سورة يونس ٩٤). وقال أيضاً: {وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (سورة الأنبياء ٧). ووصف القرآن النصارى بأنهم ذوو رأفة ورحمة: وقال في ذلك {وقفّينا بعيسى بن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة} (سورة الحديد ٢٧). واعتبرهم القرآن أقرب الناس مودة للمسلمين، وسجل ذلك في سورة المائدة حيث يقول {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون} (سورة المائدة ٨٢). ونلاحظ في هذه الآية القرآنية تمييز النصارى عن الذين أشركوا. لأنها هنا تذكر ثلاث طوائف واجهها المسلمون، وهي اليهود والذين أشركوا في ناحية، والنصارى في ناحية أخرى. فلو كان النصارى من المشركين، لما صح هذا الفصل والتمييز. إن التمييز والفصل بين النصارى والمشركين أمر واضح جداً في القرآن.. ولا يقتصر على النص السابق، وإنما سنرد هنا أمثلة أخرى. منها قوله: {إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئين، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة} (سورة الحج ١٧). نفس هذا التمييز نجده في الآية ١٨٦ من سورة آل عمران، ونجده واضحاً (في قوانين التزويج المشترك). وفي قوانين الجزية.

ولا يتسع المجال في هذه العجالة لبحث مثل هذا الموضوع الواسع. على أنني سأعود إلى التكلم فيه في نهاية هذا المقال، أما الآن فيكفي في نظرة القرآن إلى إيمان النصارى أن نورد قوله {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (سورة البقرة ٦٢)، وقوله تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (سورة المائدة ٦٩).

نظرة القرآن إلى الإنجيل:

يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوي منزل من الله تجب قراءته على المسيحي والمسلم وكل من آمن بالله. فيقول {نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه. وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس} (سورة آل عمران ٣،٤).

ويقول أيضاً: {وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه} (سورة المائدة ٤٦ ـ ٤٨).

وكون القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، فهذا يعني صحة الإنجيل والتوراة وسلامتهما من التحريف. وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقاً لكتاب محرف. كذلك لو كان التوراة والإنجيل قد لحقهما

التحريف، ما كان يأمر قائلاً {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}. بل ما كان يصدر أيضاً الأمر {يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم} (سورة المائدة ٦٨).

وما أكثر الآيات القرآنية التي تسجل أن القرآن نزل مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، يطول بنا الوقت إن حاولنا أن نحصيها.. وما أكثر الآيات القرآنية التي تدعو إلى الإيمان بالإنجيل والتوراة، نذكر منها غير ما سبق: {يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً}. (سورة النساء ١٣٦).

ونلاحظ في هذا النص أنه قال (وكتبه) ولم يقلْ كتابه. فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التي أرسلها هدى ونوراً وموعظة للمتقين.. وقد ورد في سورة البقرة عن أهمية هذا الإيمان {والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} (البقرة ٤، ٥) {قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون} (البقرة ١٣٦) وقوله تعالى: {قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم} (آل عمران ٨٤). {لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم} (سورة المائدة ٦٨).

أقتصر الآن على هذا القدر القليل وقبل أن أترك هذه النقطة أقول إن كل ما

سبق ينفي بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التي ظنها البعض وهي أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل!! من المحال أن يكون ناسخاً لهما في الوقت الذي يدعو إلى الإيمان بهما ويحذر من إهمال ذلك.

ملاحظة أخيرة أنبه القراء.. وهي أن القرآن.. في كل سورة وآية عندما يذكر الإنجيل، إنما يعني الإنجيل الذي بشر به المسيح. ولم يرد في القرآن حرف واحد عن ذلك المؤلف المزيف الذي أسماه كاتبه (إنجيل برنابا). إن اسم برنابا هذا غير موجود على الإطلاق في القرآن. كما أن كثيراً من تعاليمه ومعلوماته متنافية ومناقضة لتعاليم القرآن.

فكرة القرآن عن المسيح:

يسميه القرآن (عيسى) وهذا الاسم يقرب من الكلمة اليونانية (ايسوس) Iycouc أما المسيح في العبرية فهو يسوع ومعناه مخلص. على أن القرآن ذكر اسم المسيح أكثر من عشر مرات. انظر: (آل عمران ٤٥ والنساء ١٥٧، ١٧١، ١٧٢. والمائدة ١٦ (مرتين)، ٧٥ والتوبة ٣٠، ٣١) سنحاول أن نورد بعض الأمثلة خلال حديثنا.

واسم المسيح هذا كان موضع دراسة لكبار المفسرين في الإسلام، وقيل في ذلك إنه مسيحا (لأنه مسح من الأوزار والآثام). وأورد الإمام الفخر الرازي حديثاً شريفاً قال فيه راويه (سمعت رسول الله يقول: ما من مولود من آدم إلا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من نخسه إياه، إلا مريم وابنها). كل هذا وما سيأتي، يدل على المركز الرفيع الذي تمتع به المسيح في القرآن وفي كتب المفسرين، وهو مركز تميز به عن سائر البشر ومن ذلك...

١- أنه دعى كلمة الله وروح منه:

وقد تكرر هذا اللقب، فورد في سورة آل عمران ٤٥: {إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين}. وورد في سورة النساء ١٧١: {إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}. وقد أثارت عبارة «كلمة الله» تعليقات لاهوتية كثيرة لا داعي للخوض فيها الآن، لأن تسمية المسيح بكلمة الله يطابق الآية الأولى من الإنجيل ليوحنا الرسول. وكذلك لأن عبارة (الكلمة) وأصلها في اليونانية (اللوجوس)، لها في الفلسفة وفي علوم اللاهوت معان معينة غير معناها في القاموس. وبنفس الوضع عبارة (روح منه) التي حار في معناها كبار الأئمة والمفسرين. وأياً كانت النتيجة فإن هذين اللقبين يدلان على مركز رفيع للمسيح في القرآن لم يتمتع به غيره.

٢- ولادة المسيح المعجزة من عذراء:

لم يقتصر الأمر على كنه المسيح وطبيعته من حيث هو (كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم) وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر، وإنما الطريقة التي ولد بها شرحها القرآن في سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة. زادها غرابة أنه {يكلم الناس في المهد} (آل عمران ٤٦) الأمر الذي لم يحدث لأحد من بعد.. اترك هذا العجب لتأمل القارىء.

٣- معجزات المسيح العجيبة:

وأخص منها مما ورد في القرآن، غير إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، معجزتين فوق طاقة البشر جميعاً، لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء وهما

القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب. وفي ذلك يقول القرآن على لسان المسيح {إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.. وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين} (سورة آل عمران ٤٩).

وهنا يقف العقل، لكي تتأمل الروح.. لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد، والتي هي من عمل الله ذاته: الحق ومعرفة الغيب!! ومن الأمور الأخرى التي يذكرها القرآن في رفعة المسيح وعلوه وهي:

٤ـ موته ورفعه إلى السماء:

وقد ورد في ذلك {إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك. ورافعك إليَّ ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة} (سورة آل عمران ٥٥). والمسيحية تؤمن بموت المسيح وصعوده إلى السماء. ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح ومتى حدث ذلك، وبقي الأمر عجيباً.

٥ـ صفات المسيح الأخرى:

من الصفات التي ذكرها القرآن عن المسيح أنه {وجيهاً في الدنيا والآخرة} وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علواً عجيباً. وبأنه في الآخرة تكون له شفاعة في الناس.

مركز العذراء مريم في القرآن:

يشرح القرآن في سورة آل عمران أن مريم نذرت للرب وهي في بطن أمها {فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً} وأنها تربت في الهيكل تحت رعاية زكريا. وأنها كانت تطعم طعاماً من السماء {كلما دخل عليها زكريا

المحراب وجد عندها رزقاً. قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله} وعلة مركز العذراء مريم يظهر في قول القرآن عنها {وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين} (آل عمران ٤٢). وهكذا ارتفعت مريم في نظر الإسلام فوق نساء العالمين. كانت عذراء عابدة تسجد وتركع مع الراكعين. وكانت تحيا في وحدة وتأمل {إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً}. (سورة مريم ١٦، ١٧) و{إني نذرت للرحمن صوماً}. ويمكن الرجوع إلى سورة مريم وسورة آل عمران وغيرهما لمن يريد التوسع في معرفة فضائل العذراء مريم وعلو مكانتها، كما يشرح ذلك القرآن.

* * *

المسيحية وإسرائيل

محاضرة الأنبا شنوده في نقابة الصحفيين
بالقاهرة يوم ٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١.

المسيحية وإسرائيل

• محاضرة الأنبا شنوده في نقابة الصحفيين بالقاهرة يوم ٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١.

كلمة تحية:

باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين. أود في مستهل كلمتي اليوم أن أتقدم بشكري لنقابة الصحفيين وأن أتقدم بتحيتي لكل صحفي في مصر وفي الشرق كله، ذاكراً المحبة العميقة التي قابلتني بها الصحافة.. في الواقع إن المشاعر القلبية عندما تجد نفسها حبيسة في سجن من الألفاظ والحروف.. تسلم ذاتها للقلب لكي يتكلم، وكثيراً ما فكرت أن أصمت في بعض المواقف فيكون الصمت أكثر بلاغة من الكلام.

أشكر زميليّ وصديقيّ الصحفيين الكبيرين النقيب الحالي الأستاذ «على حمدي الجمال» والنقيب الأسبق الأستاذ «حافظ محمود»، وأشكر زميلي سكرتير النقابة الأستاذ «صلاح جلال».

وأود أن تعبر الكنيسة عملياً عن محبتها للصحافة من كل ناحية.

أستطيع أن أقول أن كل مكتباتنا القبطية في البطريركية والكلية الاكليريكية ومعهد الدراسات القبطية، هي تحت تصرفكم جميعاً وترحب بكم، وأرجو أن تكون مطبعة البطريركية أيضاً خادمة للصحافة في كل ناحية..

أرجو أيضاً أن تتمكن البطريركية أن تساهم في صندوق معاش الصحفيين

ولا أستطيع أن أتكلم عن الأرقام لأن مبدئي الروحي يمنعني من ذلك..

أشكر التحية العميقة التي حياني بها صديقي الأستاذ «حافظ محمود»، إنني أقف عاجزاً أمام بلاغته وأمام محبته.

أرجو أن يفهم ردي على ذلك بمستوى أعلى من الألفاظ.

وأشكر الزيارة الكريمة التي زارني فيها الأستاذ «علي حمدي الجمال» ومعه ممثلون من الصحافة.. في الواقع إن الأستاذ «علي حمدي الجمال» أظهر مشاعر نبيلة كثيرة في شخصيته الهادئة الوديعة، كما أظهر الأستاذ «حافظ محمود» مشاعره النبيلة في كلماته العميقة وفي إحساساته الصادقة.

أود أن انتقل الآن إلى الكلام عن موضوع الليلة..

أشكر الله الذي جمعنا كلنا من أجل محبة مصر التي لا أبالغ إذا قلت إنني أشعر أن بيني وبين كل حبة رمل فيها علاقة محبة وصداقة...

أنا أنظر إلى أرض مصر كأرض مقدسة ورد اسمها كثيراً في الكتاب المقدس... هذه الأرض التي شرفها بالزيارة عدد وافر من الأنبياء... في مقدمتهم أبو الأنبياء «إبراهيم» وأيضاً «يوسف الصديق»... وأيضاً «أرميا النبي»، وقدسها أخيراً السيد المسيح له المجد، حينما أتاها طفلاً هارباً من اليهود تحمله على كتفها كلية الطهر العذراء «مريم»....

موقف اليهود من سيناء:

وإذ أرى أن اليهود على الحدود في شبه جزيرة سيناء أود أن أتكلم عن هذه النقطة الأولى: موقف اليهود من سيناء.

شبه جزيرة سيناء ليست من أرض الموعد، لم تكن أرضاً وعد الله بها الآباء... إنما كل دارس للكتاب المقدس يفهم أنها كانت أرض المتاهة أو أرض العقوبة أو أرض الإفناء. كان يمكن لله عز وجل حينما أخرج اليهود من أرض مصر، أن ينقلهم إلى فلسطين في أيام قليلة في طريق مباشر، ولكنه أتاههم في هذا القفر، أتاههم في أرض سيناء أربعين سنة من الزمان، بقصد أن يفني إفناء هذه المجموعة المتمردة التي تذمرت عليه والتي حاولت أن ترجم «موسى» النبي وتختار رئيساً بدلاً منه.. أراد أن يفني هؤلاء الذين خرجوا من أرض مصر في مدى أربعين سنة، وكانت أرض الإفناء هي شبه جزيرة سيناء، وفيها مات كل الذين جاؤوا من أرض مصر، ولم يدخل منهم إلى فلسطين إلا «يشوع ابن نون» و«كالب بن يفنه» فقط.

هي إذن أرض متاهة أتاههم الله فيها، وأنّا لنسأل ما لزوم أن يمر هؤلاء في برية شور وفي ماره وفي ايليم وفي ريفيديم، وفي برية سين وفي جبل حوريب وجبل سعير وقادشن برنيع.. مالزوم هذه اللّفة الطويلة، إلا أن الله قد أتاههم في هذه الأرض، لكي يفنوا فيها.

اليهود يعبدون العجل الذهبي:

أرض سيناء بالنسبة لليهود، هي أرض تحمل الكثير من الذكريات المريرة المخجلة المؤلمة أيضاً. فهي أرض شهدت الكثير من تذمر اليهود على الله، وهي أرض شهدت كيف عبد هؤلاء العجل الذهبي... وهي أرض قد شهدت كيف غضب منهم «موسى» النبي وكسر لوحي الشريعة في غضبه.. وهي أرض شهدت عقوبة من الله في منطقة سميت (قبروت هتأوه) أي قبور الشهوة

حيث اشتهى اليهود هناك أن يأكلوا لحماً وبكوا طالبين هذا اللحم، فأعطاهم الرب لحماً وضربهم ضربة شديدة أهلكت الآلاف في ذلك اليوم. وهي ارض ابتلعت قورح وداثان وابيرام كعقوبة من الله لهم...

هي أرض فيها ذكريات مؤلمة كثيرة لا يشرفهم بحال أن يسترجعوها في ذاكرتهم..

لم تكن إذن أرض بركة لليهود.. ولم تكن أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، بل كانت قفراً متعباً لم يجدوا فيه الماء أحياناً... كانت أرض متاهة، وبقاؤهم فيها كان ضد وصية الله لهم حينما قال لهم في آخر الـ ٤٠ سنة (كفاكم قعوداً في هذا الجبل) وأخرجهم منها إلى أرض فلسطين.

إذن حينما يبقون في هذا المكان إنما تكون شهوة ليست موافقة لوصية الله بل تكون ضد الوصية التي قالت "كفاكم قعوداً في هذا الجبل".

اليهود في الواقع مروا على ثلاث مناطق:

مصر، وشبه جزيرة سيناء، وفلسطين.

مصر بالنسبة إليهم كانت أرض عبودية.. ذلوا فهيا بسبب خطاياهم..

وسيناء بالنسبة إليهم كانت أرض متاهة وأرض عبور وأرض إفناء وأرض عقوبة.

أما فلسطين بالنسبة إليهم فكانت مسكنا مؤقتاً كمعزل ديني. أحب أن نفهم هذه الفكرة معاً... فكرة المعزل الديني.

حكمة المعزل الديني:

في الوقت الذي جمع فيه اللـه اليهود فـي أرض فلسطين، كـان العـالم كلـه، يموج بالوثنية.

كانت الوثنية تكتسح العالم كلـه.. وكـان النـاس جميعاً يعبـدون الأصنـام.. الفئـة القليلة الوحيدة التي كـانت تعبـد اللـه هـي هـذه الفئـة أولاد «إبراهيـم» ونحـن لا ننكـر إطلاقاً أن منهم خرج الأنبياء.. كانت مجموعـة مؤمنـة فـي ذلـك الحيـن أراد اللـه أن يجمـع هـذه الفئـة المؤمنـة أو الفئـة الوحيـدة المؤمنـة فـي أرض تكـون بالنسـبة إليهـم الغريبة. حرم عليهم التزواج مع غير اليهود.. أبقاهم في معزل ديني.. ليس من أجل أن يعطيهم أرضاً وإنما من أجل أن يحتفظـوا بالإيمـان فـي هـذه الأرض، ويحتفظـوا بالعقيدة وبالرموز وبالكتاب المقدس، حتى ينقلوه إلى جيل آخر يتسلمه منهم.

وبصعوبة كبيرة استطاعوا أن يحتفظوا بالإيمان عندهم بعد فـترات مريـرة مرت عليهم عبدوا فيها الأصنام هم أيضاً، وتركوا اللـه فـي أوقـات كثـيرة وكـان الله يقودهم في كل وقت ويحاول أن يحتفظ بالإيمان الـذي فيهـم وليـس الاحتفـاظ بهم شخصياً... ثم عندما جـاءت المسـيحية تسـلمت مـاعند اليهـود مـن وديعـة.. الكتب المقدسة، العقائد، الرموز، الطقوس الدينية، الإيمان ذاته.

وبعد ذلك انتهى دور اليهود... انتهى دور اليهود كمجموعة تحمل الإيمان وأصبح الإيمان في وقتنا الحاضر، الإيمان بوجود اللـه.. اصبـح الإيمـان بوجـود الله في كل ركن من أركان الأرض.. ولم يعد مـن المعقـول ولا مـن الممكـن أن نجمع المؤمنين بالله من أرجاء العالم كلـه ومـن كـل القـارات، لكـي نضعهـم فـي أرض معينة، فكرة المعزل الديني استوفت وقتها وانتهت.. فكرة المعـزل الدينـي

استوفت وقتها وانتهت لأنه كان من الممكن أن نعزل مجموعة قليلة بعيداً عن الغالبية الوثنية، لكننا لا نستطيع أن نعزل العالم كله بعيداً عن قلة من اليهود.. فانتهت فكرة المعزل الديني الذي بسببه وضع الله هؤلاء الناس في الأرض... ولم تعد هناك حكمة من وجود أرض يقبع فيها اليهود أو غير اليهود.

وهكذا أيضاً مع هذه الفكرة انتهت فكرة الشعب المختار من الله، كان قد اختار اليهود في القديم ليحملوا الإيمان ليس بسبب كونهم يهوداً، وإنما بسبب أنهم كانوا المجموعة الوحيدة التي تعرف الله ماعدا قلة متفرقة في جهات أخرى.

أما الآن فأصبح الشعب المختار هو كل من يؤمن بالله.. في رسائل بولس الرسول في الكتاب المقدس عموماً نرى أن كلمة المختارين معناها المؤمنون، فالمختارون هم المؤمنون لأنه من غير المعقول أن يرفض الله كل من يؤمن به ويقول لكل المؤمنين في الأرض لا أعرفكم.. أنا لا أعرف إلا اليهود... هذا كلام غير منطقي..

انتهاء فكرة شعب الله المختار:

الله ليس عنده محاباة... المسألة ليست مسألة عنصرية.. ليست انحيازاً لشعب معين، سبحان الله جل اسمه عن الانحياز... الله هو إله الكل، الكل خليقته.. ورعيته وصنعة يديه ..... وهو إله لجميع الشعوب على الأرض، ولذلك يقول المزمور" للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها".. لكن الله عندما اختار هذه المجموعة من الناس في وقت معين، اختارها لأنها كانت في ذلك الوقت هي المجموعة التي تعرفه في وسط وثني غالب، أما وقد انتشر الإيمان فكل المؤمنين رعية الله وهم شعبه وهم مختاروه.

ولذلك يقول الكتاب "يكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" ومن هنا انتهت فكرة شعب الله المختار، وفكرة أرض معينة يجلس فيها مثل هذا الشعب.

هذه الأرض يكوّن فيها اليهود دولة جديدة، فما فكرة هذه الدولة.. ما فكرة وجود مملكة يهودية في العالم..

مملكة يحكمها الله بنفسه:

قلت لحضراتكم أولا أن الله عزل مجموعة في أرض معينة... هذه المجموعة من الناس أراد الله أن يقودها بنفسه فتكون له، ولذلك فإن المرحلة الأولى من مراحل المملكة اليهودية كان فيها الله هو الملك واليهود هم الشعب.. كانوا تحت حكم الله نفسه.. كان يحكمهم الله.. كان الله هو المشرع.. هو الذي يضع القوانين.. هو الذي يضع الوصايا.. هو الذي يضع النظم.. كان الله هو الذي يرشدهم في الحروب.. لايستطيعون أن يحاربوا إلا بإذنه الخاص وإلا بتوجيهه، هو الذي يأمر بالحرب أو ينهى عنها، وهو الذي يحدد الزمان والمكان والأشخاص والقادة. كانت المرحلة الأولى ثيوقراطية مطلقة، فيها الله هو الملك، هو الحاكم عن طريق أنبيائه وعن طريق كهنته. حتى أنه توجد آية تقول " الحرب للرب". "والله يستطيع أن يغلب بالكثير وبالقليل".

فكرة لا وجود لها حالياً:

وفي هذا أيضاً قال لهم «موسى» النبي" الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون"، كان الله هو الذي يحكم.. الله هو الذي يقاتل.. الله هو الذي يرشد، لم تكن المملكة مجموعة قائمة بذاتها.. وإنما مجموعة دينية تحت قيادة الله المباشرة... وهذا أمر غير موجود حالياً.. فكرة المملكة الأولى فكرة غير موجودة في

زماننا. فكرة أن الله بنفسه يحكم مجموعة من الناس ويكون ملكها ملكاً مباشراً فكرة غير موجودة.

وفي هذه المملكة الإلهية كانت محرمة عليهم المحالفات العسكرية، لا أستطيع أن أحصي جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس عن هذا الموضوع... لكن المعروف أن المحالفات العسكرية والمعونات التي كانت تأتي من بلاد أخرى، كانت في نظر الكتاب في ذلك الحين تعتبر اعتماداً على ذراع بشري وتعتبر لجوءاً إلى قوة أخرى غير قوة الله.

كان هذا هو الوضع في تلك المملكة الصغيرة التي يقودها الله بنفسه ويوجهها في كل خطوة من خطواتها، كمعزل ديني بعيداً عن عبادة الأصنام حتى لا تطغى عليهم... حرم عليهم المحالفات العسكرية مع البلاد الوثنية فتكتسحهم أيضاً ويبقى العالم وليس فيه أحد يؤمن بالله حرّم عليهم مخالطة الشعوب الوثنية فلا تنتقل إليهم الوثنية في هذه الأرض فيما لو اختلطوا بالشعوب الأخرى.. ولا يبقى بعد ذلك مؤمن واحد. فأخذهم ووضعهم في أرض وحرم عليهم عن طريق أنبيائه وعن طريق كهنته وكانت هذه الفئة تحاول إرضاء الله بكافة الطرق.. ولها عباداتها المستمرة، ولها ذبائحها الدائمة، ولها محرقاتها الدائمة... تعيش كدولة كهنوتية، دينية، الهية، مقدسة وهو، وضع لا يوجد له مثيل، ولايمكن أن يوجد له مثيل في عصرنا الحاضر.

هذه الفكرة الأصلية للمملكة لا وجود لها حالياً ولايمكن أن يرجعها اليهود، لأننا لو سألنا اليهود حالياً:

هل أنتم تحاربون بإرشاد من الله؟

هل هناك نبي يقودكم في هذه الحرب؟

هل أتاكم أمر الهي برؤية معينة أو عن طريق أحد الأنبياء؟

لأجابوا بالنفي، فكرة المملكة الأولى انتهت، تلك التي كانت كل خطوة فيها بإرشاد الله وكانت تصور شعباً لا يعيش بهواه.

يهربون من سيطرة الله

أنتقل إلى مرحلة ثانية...

هذه المرحلة الثانية تدرج فيها اليهود هروباً من سيطرة الله.. هروباً من حكم الله المباشر. وشعروا بأنهم يريدون أن يفلتوا من يد الله.. ويريدون أيضاً أن يكون لهم مظهر المملكة العالمية في كافة صورها..

فأرادوا لهم ملوكاً يحكمونهم غير الله..

وأول ملك عرفه اليهود هو الملك «شاول».. كان ضد رغبة الله.. وقال الله لهم في ذلك الحين موجهاً الكلام إلى «صموئيل» النبي "إنهم لم يرفضوك أنت.. وإنما رفضوني أنا".. واعتبر ذلك رفضاً له أن يكون لهم ملك غير ملك الله عليهم.

ومع ذلك كانت هذه المرحلة مرحلة متوسطة يوجد فيها ملك، ولكن هذا الملك تحت إرشاد الله.. تحت توجيه النبي.. فكان النبي يعتبر الممثل الشخصي لله.. والملك مجرد منفذ لأوامر النبي ومجرد منفذ لأوامر الله، وإذا خالف يرفض من قبل الله مثل «شاول».

بهذا الوضع كان «شاول» الملك يتلقى أوامره من «صموئيل».. وكان «داود» الملك يتلقى أوامره من «ناثان» النبي.. وكان «يهو شافاط» الملك يتلقى

أوامره من ميخا النبي.. وحتى في عصور المرحلة الثالثة الخاطئة كان ملك خاطئ هو اخاب يتلقى أوامره أحياناً من إيليا النبي.

ونرى ملكاً مثل «يواش» يقابل «اليشع» النبي فيقول له:

"يا أبي يا أبي يا مركبة إسرائيل وفرسانها" كان النبي هو كل شيء في تلك المملكة... وكان الملك مجرد منفذ لإرادة الله عن طريق أوامر النبي.. هذا الوضع أيضاً في الكتاب المقدس غير منفذ حالياً.. ولا يمكن أن يوجد لليهود.

استقلال اليهود عن الله:

أنا لا أريد أن أبحث هذا الموضوع من النواحي السياسية، إنما أريد أن أبحثه في الكتاب المقدس، وأرى ما مدى انطباقه على الأوضاع الحالية. الوضع الحالي لا يسنده شيء من الكتاب المقدس، لا في المرحلة الأولى التي كان الله يحكم فيها مباشرة عن طريق أنبيائه، ولا في المرحلة الثانية التي كان يحكم فيها الملوك تحت إرشاد وتحت توجيهات الأنبياء.

في تلك المرحلة كان الملك أيضاً يعين من قبل الله، والله يعين السبط الذي يؤخذ منه الملك وكان سبط يهوذا، ولعل من كلمة يهوذا أخذت كلمة اليهود. وكان الله يعين الشخص بالذات، وكان الله يرسل أحد أنبيائه لكي يمسح هذا الملك ويصب على رأسه الدهن المقدس، إشارة لمسحه بالزيت. وكان الملك ينال نعمة من الروح القدس برسامته، وكان الملك لذلك يسمى "مسيح الرب".. لأنه مسح من الرب ملكاً بالدهن المقدس.

وكان الملك في يوم رسامته يعطى نسخة من الشريعة الإلهية لكي يحكم طبقاً لشريعة الله وليس حسب سياسته الخاصة.

على الرغم من وجود ملوك فقد كانوا تحت إرشاد الله وتحت إشرافه. كان الشعب ما يزال خاضعاً لله، لم يستقل بعد عنه ثم أتت المرحلة الأخيرة، المرحلة الثالثة التي تطور فيها اليهود شيئاً فشيئاً حتى استقلوا عن الله، وأعلنوا استقلالهم الكامل عن الله، وعن حكمه، وعن تدخله، وعن دينه، وعن عبادته، وصار لليهود في تلك المرحلة ملوك منفصلون عن الله لا يعيّنهم الله، ولا يكونون تحت إشرافه ولا تحت إشراف أنبيائه ولذلك قال الرب في سفر «هوشع» النبي.

"قد كره إسرائيل الصلاة فيتبعه العدو.. هم أقاموا ملوكاً وليس مني أقاموا رؤساء ولم أعرف".

هذه المرحلة الخطيرة اعتبرها الله انفصالاً عنه وتمرداً عليه، في هذه المرحلة كان ملوك إسرائيل يقتلون الأنبياء وكانوا يضطهدون الأنبياء ويسجنونهم... ولذلك فيما بعد وبخ السيد المسيح أورشليم وقال:

"يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً"..

هذه المرحلة الخطيرة عاش فيها اليهود بعيداً عن مشيئة الله، بعيداً عن توجيهه، يسلكون حسب هواهم في الحكم.. وضاع القصد الإلهي من المملكة، فرفض الله المملكة، ورفض اليهود، ورفض عبادتهم وقال لهم في ذلك الحين:"حينما تبسطون أيديكم أستر وجهي عنكم، وأن أكثرتم الصلاة لا أ سمع.. أيديكم ملآنة دماً."

بل إن الله في هذه المرحلة في رفضه لهؤلاء الناس قال من ضمن كلامه

لارمياء النبي: "لا تصل من أجل هذا الشعب ولا ترفع من أجلهم صلاة ولا طلبة لأني لا أسمع لك".

فكرة المملكة انتهت.. كان الوضع الأساسي الذي أراده الله في رعاية هذا الشعب كمجموعة تحمل الدين منعزلة عن الوثنية، كانت الفكرة أن تكون هذه المجموعة تحت إشراف الله مباشرة وتحت حكمه المباشر، أما وقد انفصلت فقد رفض الله المملكة.

تسليم اليهود لأعدائهم:

منذ ذلك الحين بدأ الله يسلمهم لأعدائهم.. سمح الله بالسبي: فسبي اليهود إلى آشور. وسبوا أيضاً إلى بابل، دخلوا كأسرى حرب في هذه البلاد، وتبددوا.. سمح أن تخرب أورشليم وأن يهدم سورها وسمح بأن يجلس هؤلاء الناس أسرى يبكون على انهار بابل، ووقف المرتل حزيناً باكياً يقول في المزمور.

"على أنهار بابل قد جلسنا فبكينا حينما تذكرنا صهيون".

وسمح الله أيضاً بأن يهدم الهيكل وكما قال السيد المسيح: " لا يترك حجر على حجر فيه إلا وينقض".

ماذا عن عودة اليهود؟

وسمح الله أيضاً بأن تخرب أورشليم.. وسمح الله أيضاً أن يتشتت هؤلاء الناس في أرجاء الأرض كلها حوالي الـ ١٩ قرناً من الزمان. وسط وابل من الإنذارات وقوة عبارات الرفض المريرة. وظلوا مشتتين. هنا يقف أمامنا سؤال هام نقوله بصراحة..

ماذا عن رجوع اليهود إلى أرضهم؟ هل يمكن أن يرجعوا؟ وماذا عن وضعهم الحالي فعلاً وقد رجع بعض منهم إلى فلسطين؟ من الناحية الدينية أو من الناحية الروحية.

من المفروض إذا رجع اليهود إلى فلسطين أن يرجعوا بمشيئة الله نفسه وبإرشاد منه لغرض الهي أو لحكمة إلهية معينة ولا يكون الرجوع عملاً بشرياً تدفعه إرادة بشرية إنسانية غير إرادة الله...

وهنا نسأل أين مشيئة الله؟؟ وأين الهدف من الرجوع ؟؟ وأين الإعلان الإلهي بذلك؟؟ وأين القائد الإلهي الذي يقود الرجوع؟ أم هو مجرد عمل بشري؟ إذا كان عملاً بشرياً بمشيئة بشرية فهنا لا نتكلم عن الدين وإنما يدخل الأمر في حدود سياسات بشرية ولا علاقة للدين به.

أما الدين فيقول أن اليهود انتهى أمرهم كشعب يحفظ وديعة ويسلمها للمسيحية. وانتهت رسالتهم ولم يعد ممكناً أن يرجع الناس المؤمنون في الأرض كلها إلى أرض معينة.

كما أن الرجوع لا يصح أن يتم بذراع بشري اعتماداً على دولة معينة، وإلا سيقول اليهود في أنفسهم أن أمريكا مثلاً قد أرجعتهم وليس الله هو الذي أرجعهم.

من الناحية الدينية إذا رجعوا مفروض أن يرجعوا بيد إلهية واضحة وهذا الأمر ليس موجوداً في المعركة الحاضرة.

أيضاً لا توجد حكمة من هذا الرجوع.. ما هي الحكمة أن يعيد الله الناس إلى هذه الأرض؟ ماهي الحكمة؟ في القديم قلنا أن الحكمة أن يعزلهم دينياً عن

العالم الوثني والآن أين الحكمة. أين الهدف الإلهي؟ الله لا يتصرف إلا بهدف إلهي حكيم وهنا لا يوجد هدف الهي.. ولا توجد حكمة أيضاً في الرجوع، وخصوصاً أن الله الرحوم الحنون الطيب، لا يقبل أن يظلم أناس ويطردون من أراضيهم ويتشردون في كل مكان لكي يرجع مجموعة لا تؤمن به ولا تؤمن بإنجيله المقدس.

آيات الإنجيل ورجوع اليهود:

يبقى سؤال بعد هذا أريد أن أجيب هنا عنه أيضاً بصراحة كاملة.. هل هناك آيات في الكتاب المقدس تتكلم عن رجوع اليهود إلى أراضيهم؟

أريد في إجابة هذا السؤال أن أكون صريحاً أيضاً، لا أستطيع أن أخدعكم وأقول لا توجد آيات، وإلا يستطيع أي مسيحي في بلاد الغرب، أي مسيحي في أوروبا أو أمريكا، أن يكتب هذه الآيات بنصها وحرفها ويعلنها في الجرائد وفي الكتب. ولا أريد أن أقول لكم ما يدعي به بعض الجهال دفاعاً عن موقفنا من اليهود فيقولون أن الكتاب المقدس قد حرّف أو زوّر، وهكذا يثيرون عليهم العالم المسيحي كله.

ليس من الحكمة ولا من الدفاع عن قضيتنا الوطنية أن نثير حولنا عداوة من هذا النوع.. وإنما الواقع هو الآتي:

حدث في القرن الثامن قبل الميلاد أن سبي اليهود إلى أرض آشور، وحدث في القرن السادس قبل الميلاد أن سبي اليهود إلى بابل، وعندما وقعوا في السبي وأخذوا من أراضيهم كأسرى حرب إلى تلك البلاد، إلى آشور وبابل وعدهم الله في ذلك الحين أنهم سيرجعون إلى أرضهم مرة أخرى.

وذكرت تلك الآيات في حينها عن رجوعهم إلى أراضيهم بقصد أن يرجعوا من أرض السبي في بابل إلى أورشليم، وتم ذلك الأمر فعلاً في القرن الخامس قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل على يد نحميا الكاهن،وعلى يد عزرا الكاتب، وفعلاً أعادوا بناء سور أورشليم، وأعادوا بناء الهيكل على يد زربابل، وأصبح اسمه هيكل زربابل وليس هيكل «سليمان».. وتحققت تلك النبوءات التي تتكلم عن رجوع اليهود إلى أراضيهم في القرن الخامس قبل الميلاد، وأصبحت آيات الكتاب المقدس تتكلم عن الماضي السحيق، عن قرون خمسة قبل ميلاد السيد المسيح ولا علاقة لهذه الآيات إطلاقا بوضعنا الحاضر وبأيامنا الحاضرة.

والذي يرجع إلى الكتاب المقدس، والذي يقرأ سفر نحميا، والذي يقرأ سفر عزرا، يعرف أن اليهود رجعوا إلى أراضيهم في عهد «قورش» الفارسي، ويعرف تفاصيل هذا الرجوع ويعرف الإجراءات التي اتخذها «نحميا»، في إعادة بناء أورشليم، ويعرف أيضاً الإجراءات التي اتخذها «عزرا» في لم الصفوف وفي إرجاع الكهنوت إلى وضعه الأصلي.

أمور تمت وانتهت ونبوءات قديمة تحققت وانتهت ولا علاقة لها إطلاقاً بالوضع الحالي.. تبقى الآيات كما هي، ويبقى الرد واضحاً وصريحاً ويبقى الإثبات موجوداً في سفري «نحميا» و«عزرا» ويبقى الرد واضحاً أيضاً في الآثار المقدسة في تلك الأماكن ولا لزوم أن نخفي تلك الآيات، لأننا لا نخاف من ادعاءات العدو..

أحسن طريقة للرد على اليهود وللرد على الغربيين الذين يؤيدونهم، أن نقابل الوضع الحاضر بشجاعة، ونقابل كل آية في الكتاب المقدس ونعطيها للحكماء من المفسرين يفسرونها بالطريقة السليمة التي ترد على تلك الادعاءات.

إذن أرجع للسؤال مرة أخرى..

هل هناك آيات في الكتاب المقدس تتكلم عن رجوع اليهود؟

وأجيب بالآتي: لا توجد آيات في الكتاب المقدس تتحدث عن رجوع اليهود حالياً.. ولكن توجد آيات في الكتاب المقدس تتحدث عن رجوع اليهود من سبي بابل منذ خمسمائة سنة قبل مجيء السيد المسيح وقد تحققت تلك الآيات وانتهى موضوعها.

فكرة هيكل سليمان:

فكرة الهيكل.. هل من الممكن بناء هيكل «سليمان»؟ لا بد أن تعرفوا أن الهيكل مكان لتقديم الذبائح والمحرقات وللعبادات القديمة، وكانت في كل يوم في الطقس اليهودي تقدم محرقة في الصباح ومحرقة في المساء، والمحرقة عبارة عن ذبيحة تذبح وتتقد فيها النار وتظل النار تتقد فيها لا تطفأ تغذى باستمرار.. فكانت النار موجودة باستمرار لا تنتهي، وكانت هذه الذبائح جميعها رمزاً لذبيحة السيد المسيح. وهذه المحرقات العامة هي غير المحروقات والذبائح الأخرى التي يقدمها الناس شخصياً عن خطاياهم، بمعنى أنه يوجد في التوراة أنه إذا أخطأ إنسان يأتي بذبيحة ويقدمها في الهيكل أو في خيمة الاجتماع سابقاً عن خطاياهم، فهل يمكن حالياً أن نرى هيكلاً ملطخاً بالدماء ليل نهار في كل يوم تذبح فيه مئات الذبائح وتحرق بالنار وتظل النار تتقد فيها ليلاً نهاراً؟

هل يمكن أن يتم هذا حالياً؟... وهل يمكن أن يقبله العقل في القرن العشرين؟...

كان ذلك في العهد القديم كناحية رمزية يريهم بها الله أنه بدون سفك دم

لاتحدث مغفرة، ولكن حالياً كيف يمكن أن يتم هذا الموضوع. وإن كانت كل تلك الذبائح ترمز إلى المسيح في مفهوم كل مسيحي على الأرض.. وإن كـان اليهـود لا يؤمنون بالمسيح إطلاقاً.. فما معنى تلك الذبائح؟..

تبرئة اليهود من دم المسيح:

أتذكر بتلك المناسـبة أن سـألني أحدهـم مـا رأيكـم فـي تبرئـة اليهود مـن دم المسيح؟ فقلت له أن الذين يبرئون اليهود من دم المسـيح إنمـا يعطونهـم شـيئاً لا يتجاسرون إطلاقاً أن يطلبوه، لايستطيع اليهود إطلاقاً أن يطلبـوا تـبرئتهم مـن دم المسيح، لأنهم لا يعتقدون أن المسـيح قـد جـاء، فكيـف يطلبـون تـبرئتهم مـن دم شخص لا يؤمنون بمجيئه؟

كان يجب على الكنيسة قبل أن تبحث مثل هذا الأمر أن تقول الآتي، فليتقـدم إلينا اليهود طالبين أن نبرئهم من دم المسيح فيتقدمون طالبين هذا الطلـب.. وإن قالوا برئونا من دم المسيح.. نقول لهم أي مسيح تقصدون؟ من هو؟ ومتى جاء؟ وكيف؟ ومن ولدتـه؟ هل جـاء بكتـاب مقدس أم لـم يجـئ؟ وندخـل فـي أمـور لا يستطيعون أن يردوا عليها...

اليهود ينتظرون حالياً مسيحاً جديداً لكي يكون قائداً حربياً من نوع شمشـون الجبار أو من نوع جدعون أو باراق أو يفتـاح، ولكـن أن حدثنـاهم عـن المسـيح الوديع المتواضـع الهادئ الـذي قـال عنـه الكتـاب المقـدس "قصبـة مرضوضـة لا يقصف وفتيلة مدخنة لايطفىء" فإنهم سينكرون هذه الصـورة الوديعة، ويتمسـكون بالمسيح الحربي العنيف الذي يقود جيوشهم في القتال.

نرجع إلى فكرة الهيكـل.. إن كـان مـن غـير الممكـن حاليـاً أن تقـدم مئـات

الذبائح كل يوم ومئات المحرقات.... فما معنى فكرة الهيكل؟

ثم أيضاً من الذي يقدم الذبائح؟ المفروض أن الكهنوت هو الذي يقوم بهذا الأمر، والكهنوت في الشرعة اليهودية ينبغي أن يكون من نسل «هارون» من سبط «لاوي»، وفي العصور القديمة كان اليهود يدققون تدقيقاً كبيراً جداً في الأنساب ويعرفون كل شخص بشجرة نسبه، من أين جاء وإلى أي سبط ينتمي وعندما سبوا إلى بابل وبدؤوا يتزاوجون مع الشعوب الغريبة، حدث أن «عزرا» النبي بكى أمام الله وناح ونتف شعر رأسه ومزق ثيابه لأن الدم المقدس قد تلوث بالغرباء..

والآن أين نجد هذا الدم الهاروني النقي الخالص الذي لم يختلط بغيره من الشعوب؟

أورشليم خربت في ٧٠ ميلادية ونحن الآن سنة ١٩٧١ ميلادية. إذن كان ممكناً أن السنة الماضية تعتبر تذكار ١٩ قرناً على خراب أورشليم ـ نقصد بالخراب خراب الأوضاع الخاطئة التي كانت فيها.. لأننا لا نفرح بالخراب.. خراب الأوضاع الخاطئة لبناء أوضاع سليمة.. وفي مدى ١٩ قرناً من الزمان هل استطاع اليهود أن يحتفظوا بأنسابهم؟ وهل يستطيعون حالياً أن يعطونا قائمة بسبط «لاوي» وبنسل «هارون»؟ أنا أشك في هذا الأمر.. من يستطيع عملياً أن يثبت هذا الوضع؟

اليهود قد تفرقوا في أرجاء الأرض كلها في أفريقيا، وفي آسيا، وفي أوروبا، وفي أمريكا، واختلطوا بشعوب الأرض وأصبحت فيهم دماء غير الدماء الأولى، من أين يمكن أن نأتي بنسل «هارون» لكي تكون مجموعة جديدة من الكهنة تستطيع أن تقدم ذبائح في الهيكل.

النار المقدسة

نقطة ثالثة في التوراة.. كانت المحرقات تحرق بنار مقدسة نزلت أولاً من السماء والتهمت المحرقات الأولى. وكانوا يحتفظون بهذه النار المقدسة. يشعلون المحرقات كل يوم فتظل النار دائمة الاشتعال ليل نهار.

والكتاب المقدس يذكر كيف أن ابن هارون عوقب عقاباً شديداً من الله وأهلكه الله لأنه قدم ناراً غريبة على المذبح، فمن أين يستطيع اليهود أن يأتوا بالنار المقدسة أيضاً؟

أنا أسأل سؤالاً ولا يمكن أن أجد له جواباً.. المعروف في مغفرة الخطايا بالنسبة لليهود أن يقدموا عنها ذبائح وفي مدى ١٩٠٠ سنة مضت لم تكن تقدم ذبائح فكيف غفرت خطايا ١٩ قرناً من الزمان ؟ ويبقى السؤال بلا جواب.

والسؤال الآخر- إذا أمكن تقديم ذبائح حالياً هل يترك الماضي بلا ذبائح أم يأخذ الله منهم القديم والجديد؟ لست أدري..

لكن فكرة الهيكل انتفت. كانت الذبائح الحيوانية رمزاً لذبيحة السيد المسيح. وكان العالم في ذلك الزمان القديم يعيش بالطريقة الحسية أكثر من الطريقة الروحية.. فأراد الله في ذلك الحين أن يظهر لهم بشاعة الخطيئة وكيف أن الخطيئة تؤدي إلى الموت. وتؤدي إلى الدم، وتؤدي إلى هذا المنظر العجيب البشع الذي يبدو به المذبح في الهيكل.. بدماء تلطخه في كل مكان لكي يعرفوا عن الطريق الحسي مدى بشاعة الخطيئة، ولكي يعرفوا أيضاً أن أجرة الخطيئة هي موت، فينبغي أن تموت نفس عن نفس.

والمسيحيون في العالم أجمع يؤمنون أن المسيح قد مات عنهم ولم يعودوا في حاجة إلى ذبائح حيوانية...

فهل المسيحيون في الغرب ما يزالون يفكرون في الذبائح الحيوانية كوسيلة للخلاص؟ أو كوسيلة تضاف إلى دم المسيح؟ هل يفكر مسيحيو الغرب الذين يساندون اليهود في هذا الموضوع؟

فكرة الهيكل انتهت.. الله انتهى من فكرة الذبائح الحيوانية وقدم طريقاً آخر للغفران، لم يعد هناك مجال ديني لبناء الهيكل. أما إن كانت هناك فكرة بشرية في أذهان أناس معينين أن يبنوا هيكلاً فلا نقول إنها مشيئة الله، إنما نقول إن هذه رغبة بشرية، ويبقى أن نسأل هل هذه الرغبة البشرية ستسندها إرادة إلهية؟

قطعاً لا..

لأن إرادة الله من جهة الذبائح الحيوانية قد انتهت، وإلا لماذا سمح الله أن يهدم هذا الهيكل؟ ولماذا سمح أن لا يترك حجر على حجر فيه إلا وينقض؟ ولماذا سمح أن يستمر هذا الهيكل مهدماً ١٩ قرناً من الزمان؟ إلا أن فكرة الذبائح الحيوانية قد انتهت، ولذلك نحن نعلم جميعاً أنه عندما كان السيد المسيح على الصليب انشق حجاب الهيكل رمزاً إلى انتهاء فكرة الهيكل.

لماذا يعيدون الفصح؟

أما عن مواسم اليهود.. فهناك شيء غريب نعرفه.. لقد كان اليهود باستمرار.. في عيد الفصح يعيّدون لخروجهم من أرض مصر فإن احتفلوا مرة أخرى بأعيادهم هل سيعيّدون لخروجهم من أرض مصر أم لدخولهم في أرض مصر؟

وإن كانت أرض مصر في الفهم اليهودي الذي يشرحه الكتاب المقدس بالنسبة إليهم ترمز إلى أرض العبودية، فما أجدر بهم أن يبعدوا عن أرض العبودية.

واجبنا الآن:

حالياً - يا أخوتي الأحباء - ونحن في الظروف الدقيقة التي تجتازها بلادنا علينا واجبان أساسيان..

الواجب الأول: هو الاهتمام بجنودنا الذين يحاربون عنا في المعركة - الاهتمام بهم من الناحية الروحية قبل كل شيء.

من الناحية العسكرية لاشك أن قادتنا في الدولة يهتمون اهتماماً كبيراً بهذا الأمر لهؤلاء الجنود - وقد استطاعت بلادنا أن ترتقي ارتقاء كبيراً وتغيرت الحالة تغيراً كاملاً عجيباً من نكسة ٦٧ حتى الآن ولكن كرجل دين أريد أن أتكلم عن الناحية الروحية بالذات:

أنا أعتقد اعتقاداً كبيراً أن الجندي الذي له علاقة عميقة بالله، الذي يمتلئ قلبه بمحبته، هذا الجندي يستطيع بسهولة أن يبذل دمه عن الآخرين.

هذا الجندي النقي التائب الروحي الذي له علاقة بالله لا يخاف على أبديته وعلى مصيره الأبدي من أجل صلته بالله ... هذا هو الجندي الذي لا يخاف الموت أولاً.. وثانياً لا تشتهي نفسه شيئاً في العالم يربطه بالأرض ويخيفه من القتال. لذلك علينا أن نهتم بالحياة الروحية للجنود.

من ناحيتي أرجو في خلال هذا الأسبوع أن أتمكن من إرسال حوالي عشرة

آلاف نسخة من الإنجيل لجنودنا في القتال سواء عن طريقي الخاص، أو بالتعاون مع جمعية التوراة ودار الكتاب المقدس ـ لكن لا بد أن تصل إليهم كلمة الله.

وأرجو أيضاً أن نتمكن من إرسال وعاظ أو رجال دين للجبهة يشعرون الجنود أن الكنيسة تشاركهم في حياتهم وأنهم ليسوا متروكين وحدهم وأن هناك قلوباً تحس بحالتهم وتهتم بصلتهم بالله.

أرجو أن يتمكن هؤلاء أيضاً من أن يكونوا لهم آباء اعتراف لأنه من الناحية النفسية.. الجندي الذي يثقل ضميره بشيء يخاف الموت وهو مثقل الضمير.. هذا أمر نفسي واضح تدركونه جميعاً.

لذلك ينبغي أن نهتم بالجنود من كل ناحية سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين.. برسل إليهم رجال دين وترسل إليهم كتب مقدسة وترسل إليهم عظات ويشعرون أنهم في حياة روحية قوية لا يخافون معها الموت ولا يضطربون من منظر الموت.

النقطة الثانية: هي من جهة المدنيين نحتاج كثيراً إلى إيمان الجميع بقضيتنا، وهذا يستلزم حركة توعية واسعة النطاق.. ونحتاج أيضاً إلى صلابة الجبهة الداخلية في وحدة قوية لا يقوى عليها الانفصال والارتباك.

وفي نظري أنه إذا وجد أشخاص يؤثرون على هذه الوحدة ـ بتصرفات صبيانية بعيدة عن العمق فهؤلاء أكثر خيانة للوطن من الأعداء الخارجيين. ولاشك أن دولتنا تأخذ بكل عنف وبكل حزم الأشخاص الذين يهددون الوحدة الداخلية، ونحن إذ نقرر بكل تقدير وبكل تبجيل، الخطوات القوية التي اتخذها

الرئيس أنور السادات في تنظيم بلادنا من الناحية الداخلية والتي كانت خطوات موفقة، وكانت دفعة كبيرة في طريق الحرية، نرجو من الكل أن يتعاونوا معاً في تثبيت هذه الخطوات الإيجابية التي اتخذها سيادة الرئيس.

ونرجو جميعاً أن ندرك أبعاد الموقف وأعماقه كذلك. ونعمل في سبيل سلامة بلادنا وفي سبيل إقرار السلام في العالم أجمع.

ولا يفوتني في هذه المحاضرة وبهذه المناسبة أن نصلى جميعاً إلى الله أن ينشر السلام أيضاً بين الهند والباكستان.

وأخيراً أشكركم جميعاً.. أشكركم على حضوركم وعلى حسن إنصاتكم، وأشكر كل أجهزة الإعلام على تعبها الكثير في هذه الليلة، وأشكر أسرة الصحافة.. وأرجو لكم جميعاً بركة من الرب ونعمة خاصة.

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

مؤلفات قداسة البابا شنوده الثالث

شخصيات: أدم وحواء/ قابيل وهابيل، موسى وفرعون، مارمرقس، يونان، الأنبا أنطونيوس، القمص ميخائيل إبراهيم، يعقوب ويوسف، أيوب.

حياة التوبة: حياة التوبة والنقاوة، اليقظة الروحية، الرجوع إلى الله، مخافة الله، السهر الروحي.

كتب روحية: انطلاق الروح، حياة الإيمان، حياة الرجاء، معالم الطريق الروحي، الله وكفى، الوجود مع الله، الهدوء، مقالات روحية (بالجمهورية)، الدموع، العظة على الجبل، خبرات روحية (ج١)، خبرات روحية(ج٢)، الروح القدس وعمله فينا، الوسائط الروحية، الإنسان الروحي، المحبة قمة الفضائل، حياة الفضيلة والبر، من هو الإنسان، ثمر الروح، النعمة، الله والإنسان.

صلوات: أبانا الذى، صلات الشكر والمزمور الخمسين، مزامير باكر، مزامير الغروب، يستجيب لك الرب، يا رب لماذا؟، لا تبكتنى بغضبك، سبحوا الله.

لاهوت وعقائد: الزوجة الواحدة، الخلاص، بدعة الخلاص في لحظة، المطهر، الكهنوت، لاهوت المسيح، اللاهوت المقارن، طبيعة المسيح، الميرون.والغاليلاون، قانون الإيمان.

كتب منفعة: ٤ كتب.

حروب روحية: حروب الشياطين، حروب الروحية، الغضب، الإدانة.

الخدمة: التلمذة، الغيرة المقدسة، كيف نعامل الأطفال، مفاهيم، آيات للحفظ (أبجدية)، مسابقات في الكتاب (ج١)، الخدمة الروحية(ج١)، الخدمة الروحية(ج٢)، الخدمة الروحية(ج٣)، مسابقات في الكتاب (ج٢)

من الميلاد إلى القيامة: كيف نبدأ عاماً جديداً، تأملات في الميلاد، من روح الميلاد، روحانية الصوم، التجربة على الجبل، تسبحة البصخة، أسبوع الآلام، خميس العهد، الجمعة الكبيرة، كلمات المسيح علي الصليب، مجموعة الآلام، تأملات في القيامة، لماذا القيامن.

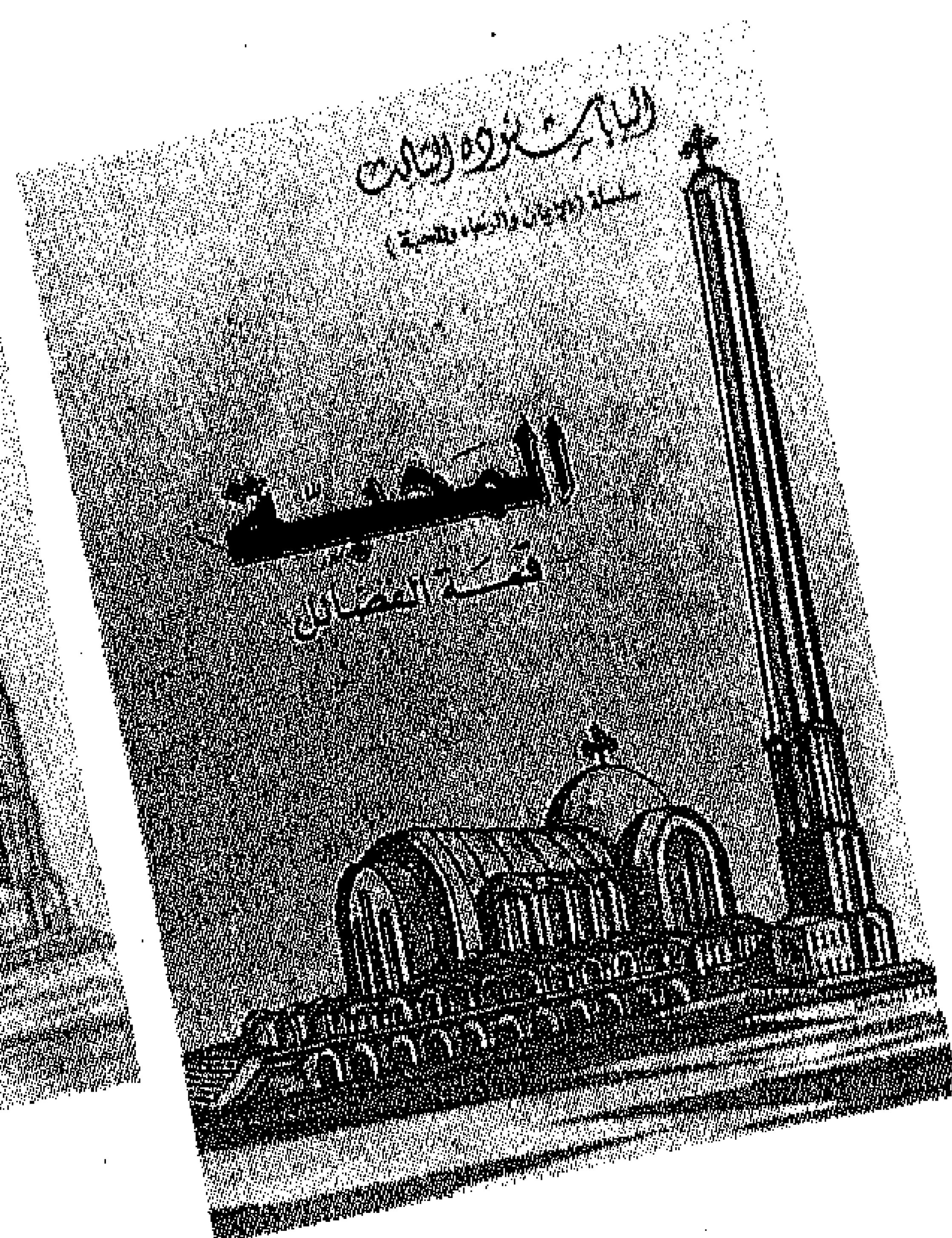
الوصايا العشرة: الوصايا العشرة، أكرم أباك، لا تقتل، الأربعة الأخيرة.

النبذات: التجلى، العذراء، الأباء السواح، عيد الغطاس والقديس يوحنا المعمدان، عيد البشارة، عيد السعود، بطرس وبولس، عيد الصليب، أسئلة في الميلاد.

صور أغلفة بعض مؤلفات

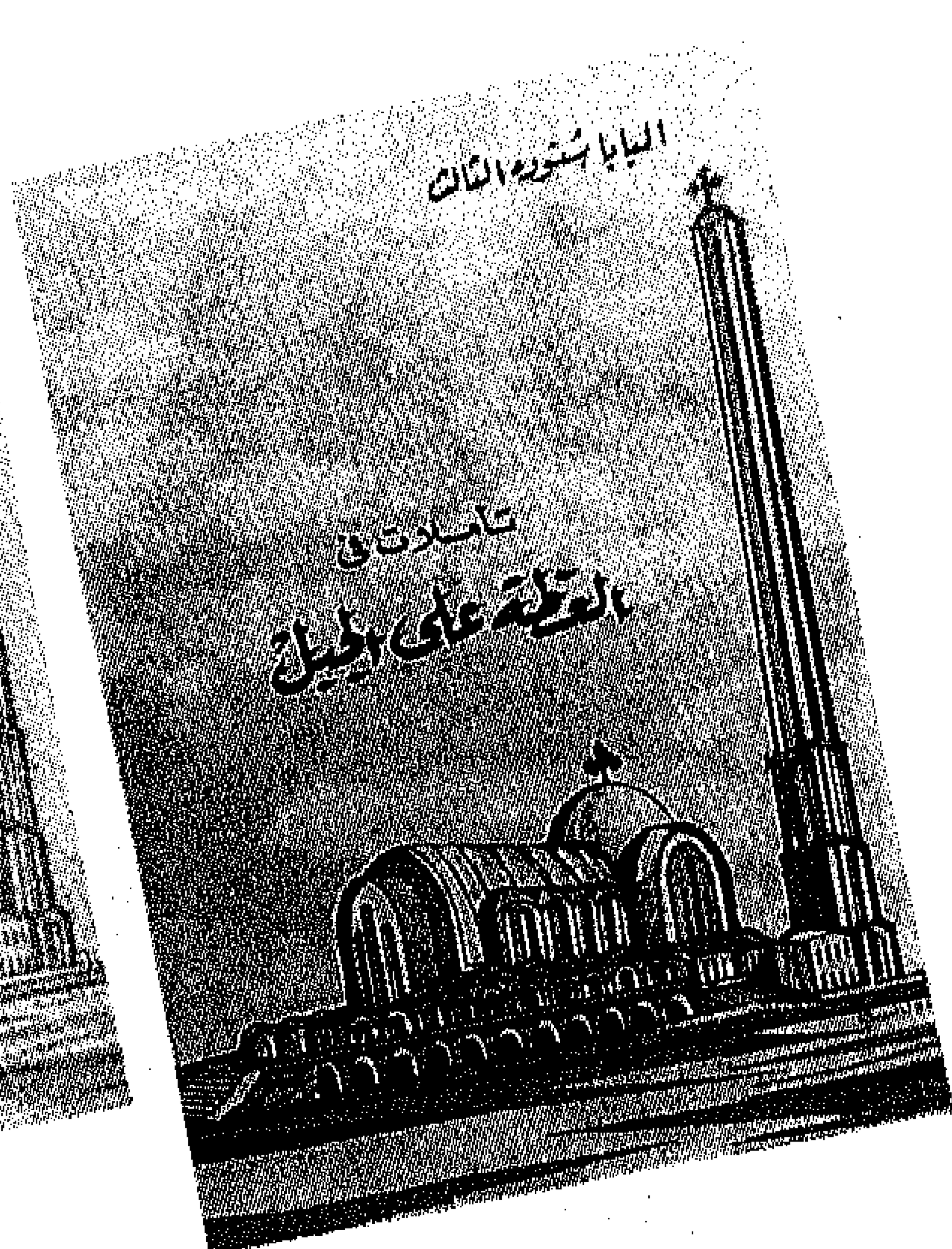
البابا شنوده

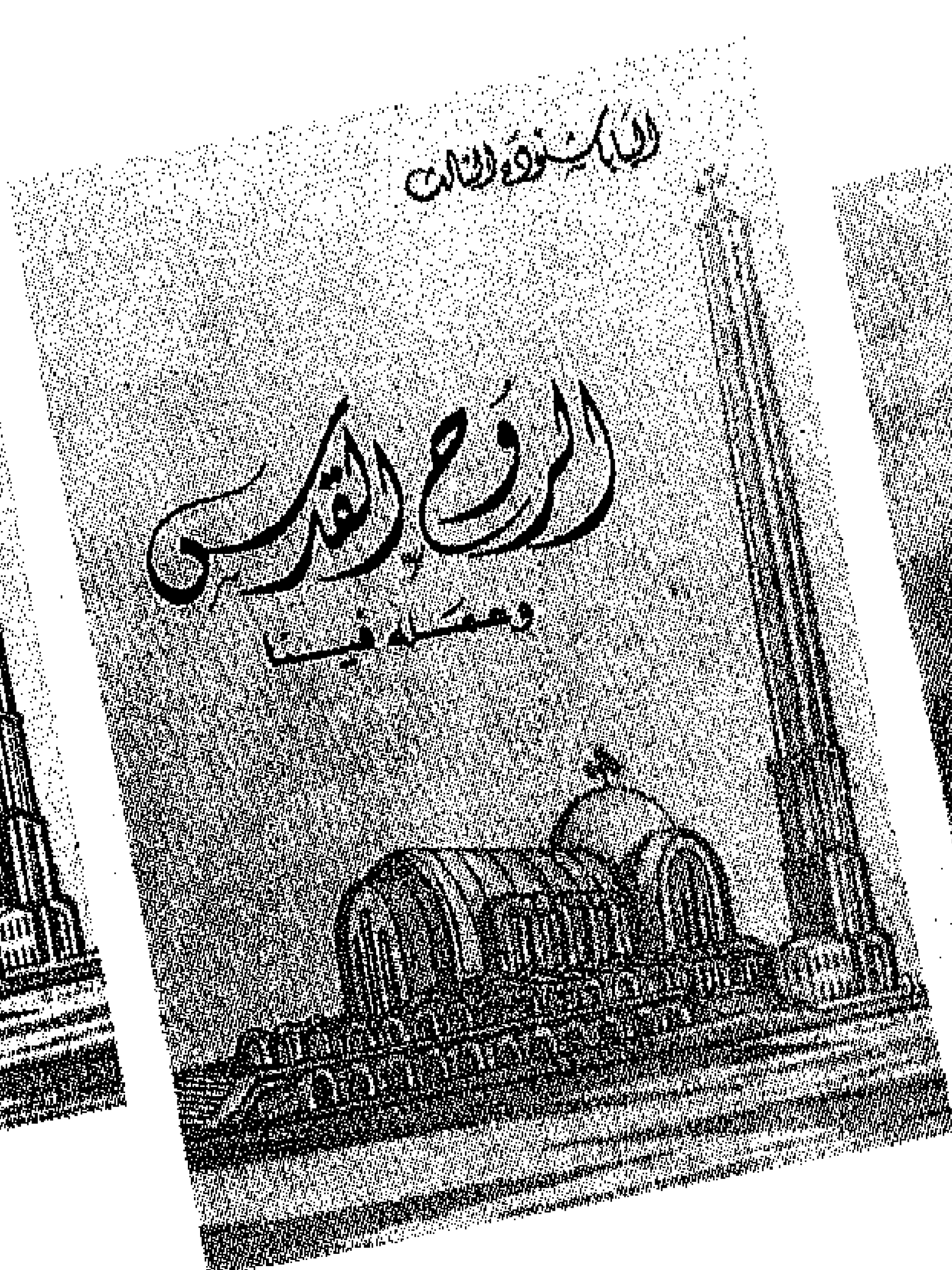
من مؤلفات البابا شنوده





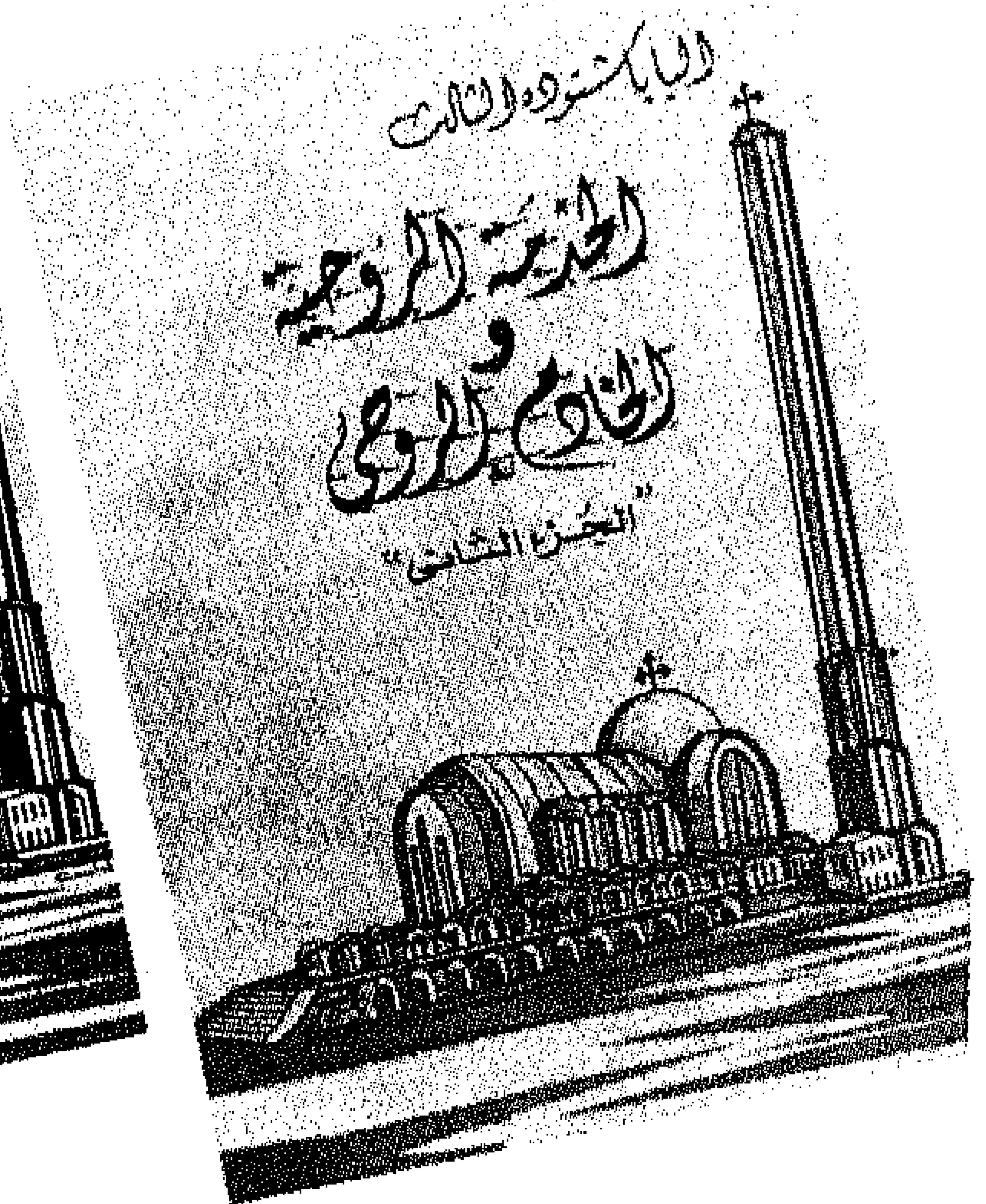






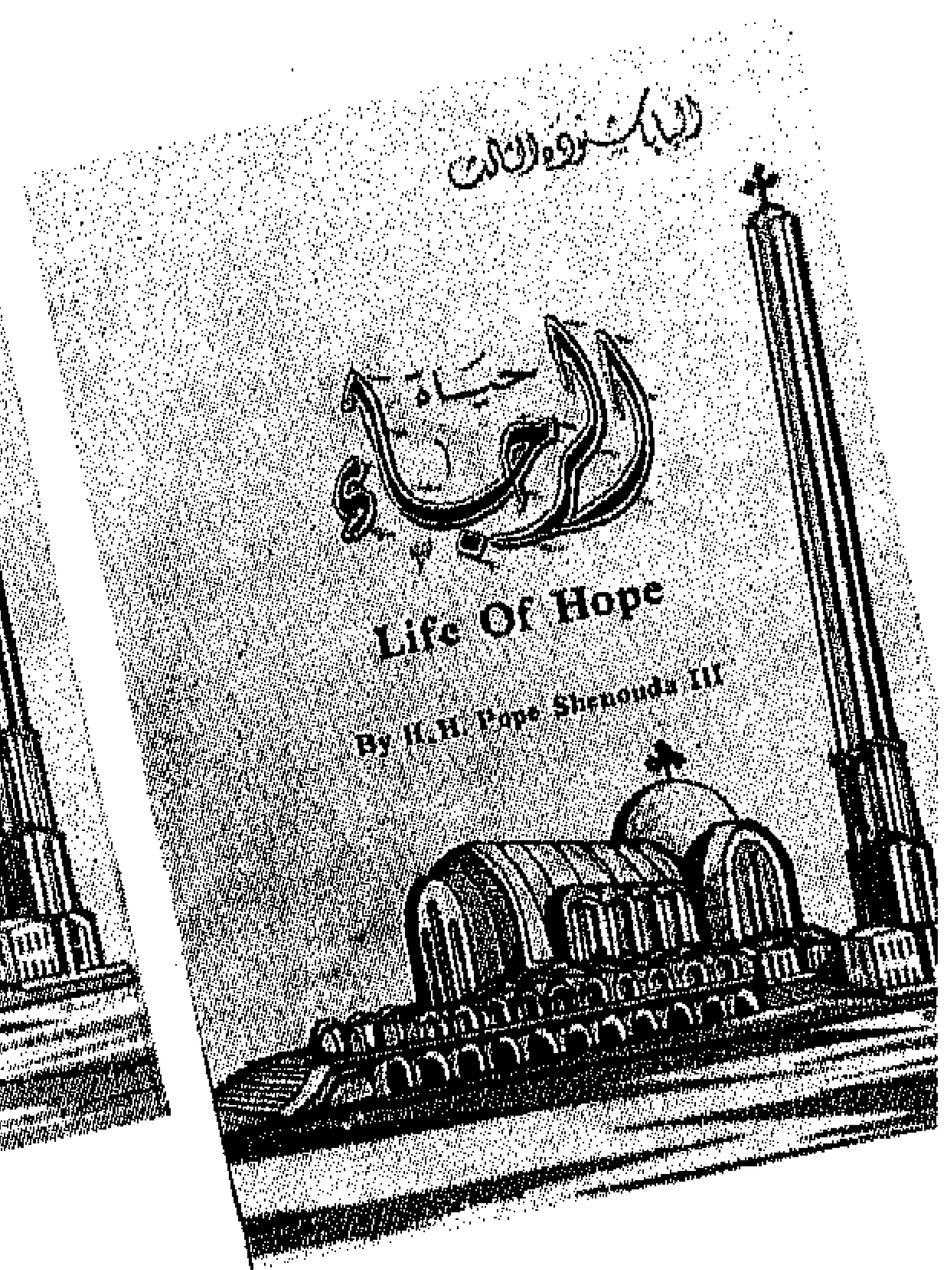


من مؤلفات البابا شنوده

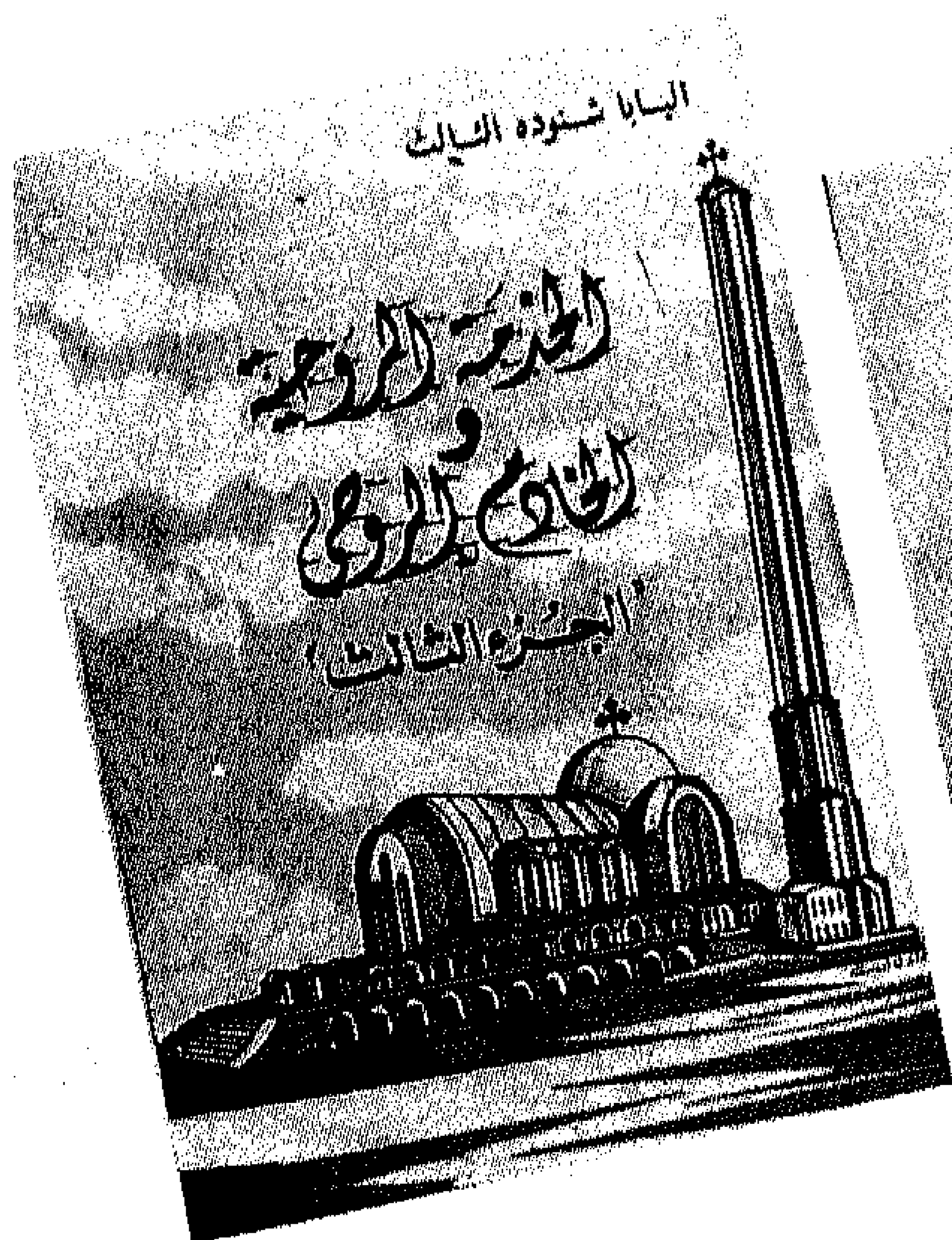




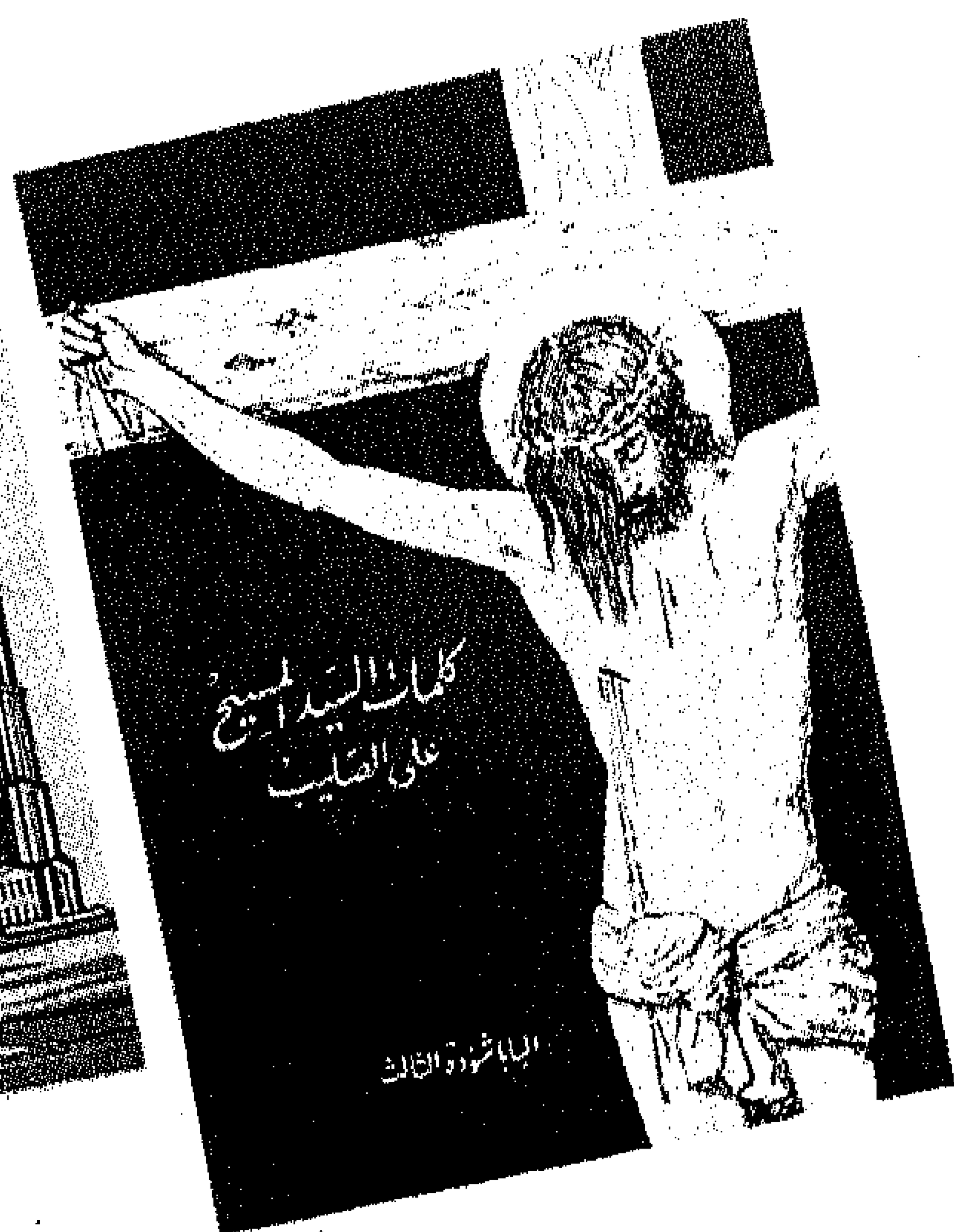




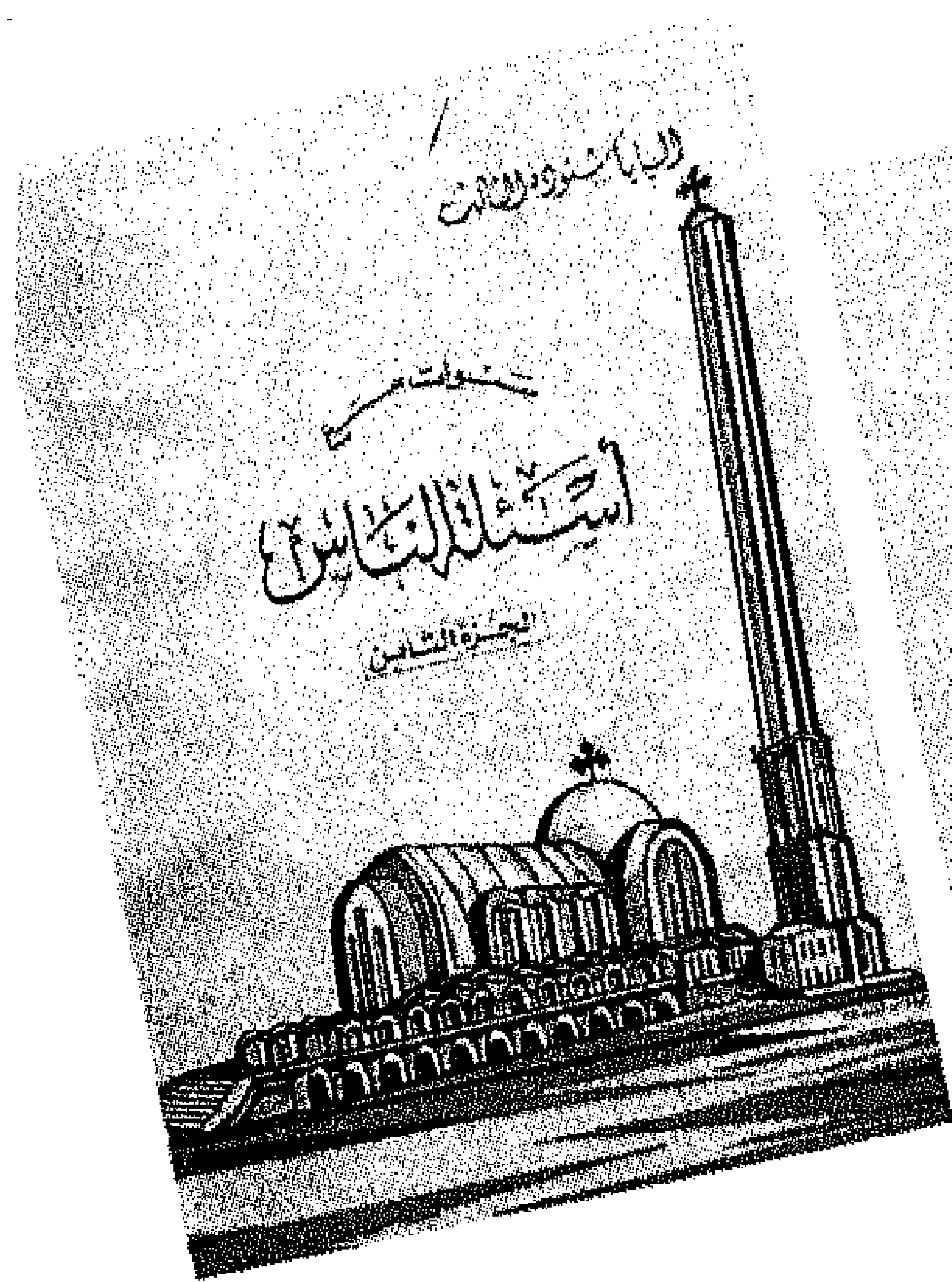


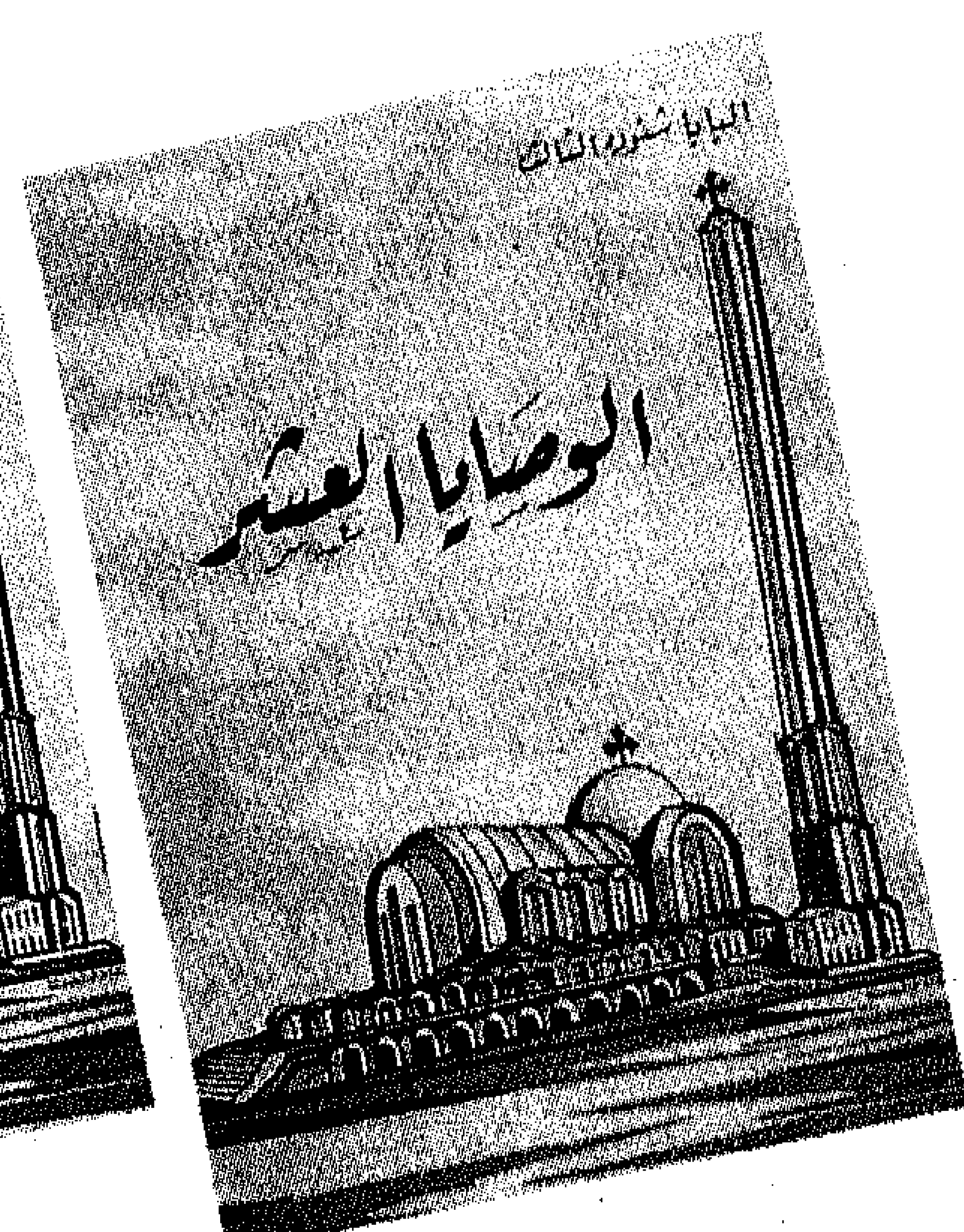


من مؤلفات البابا شنوده



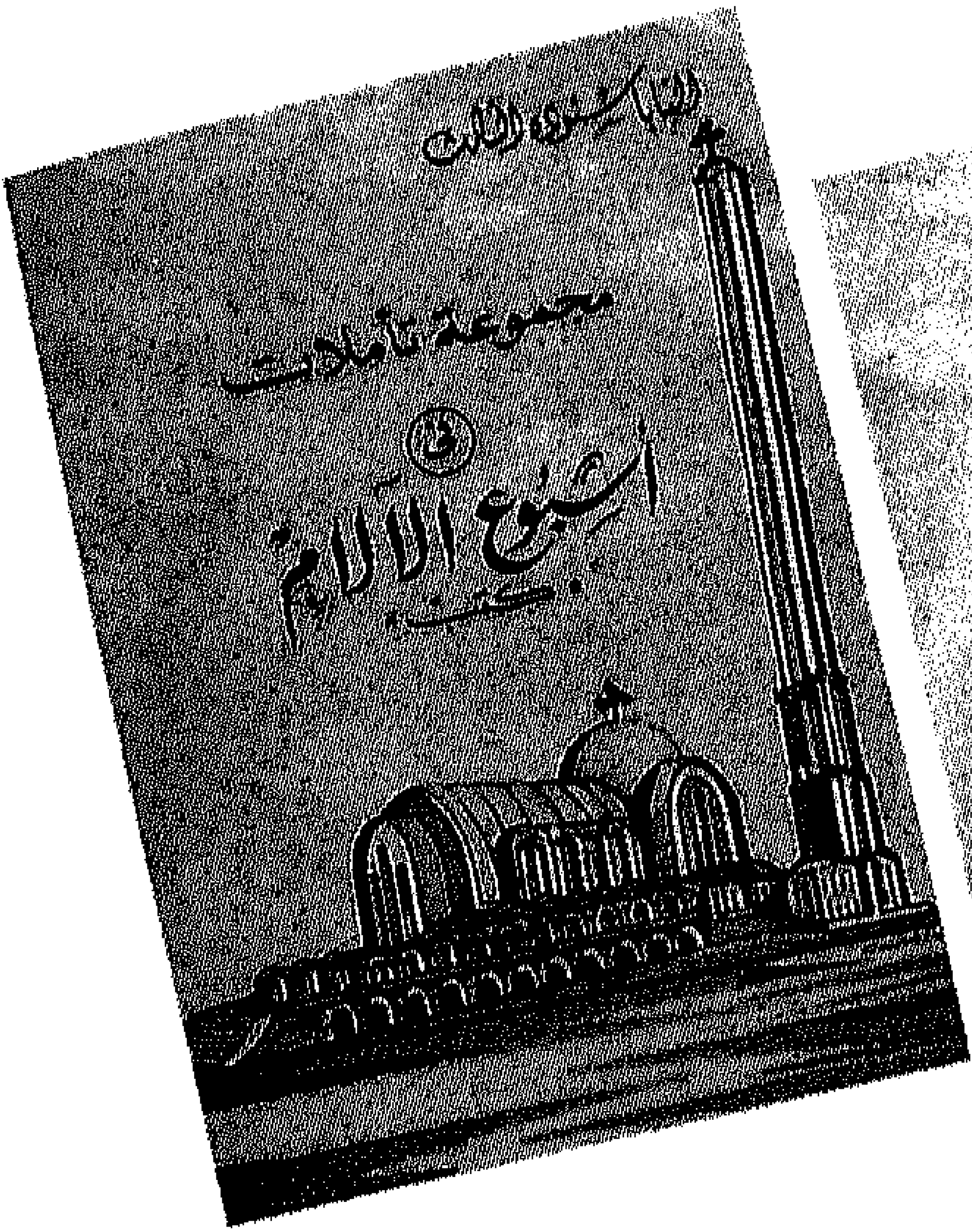






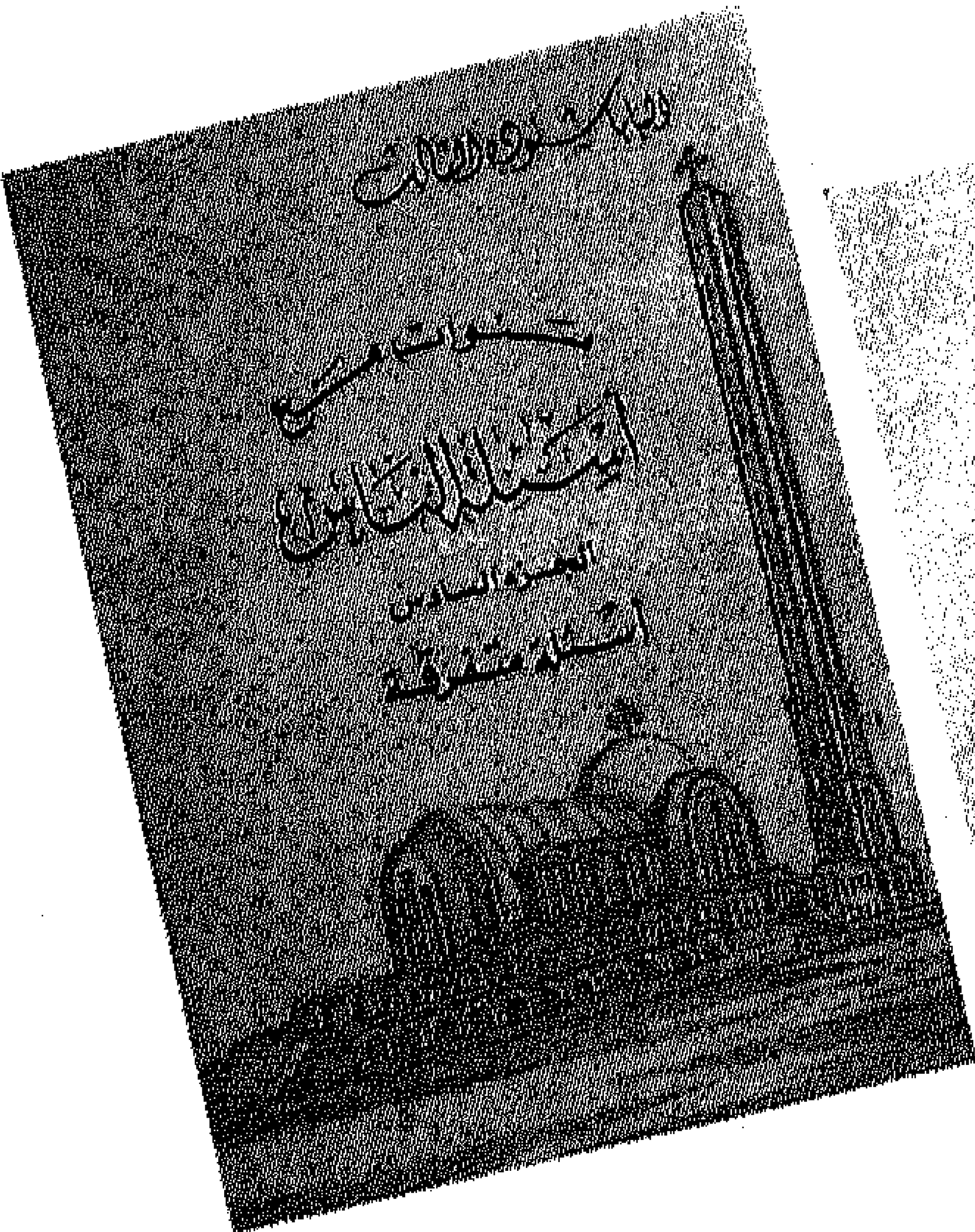


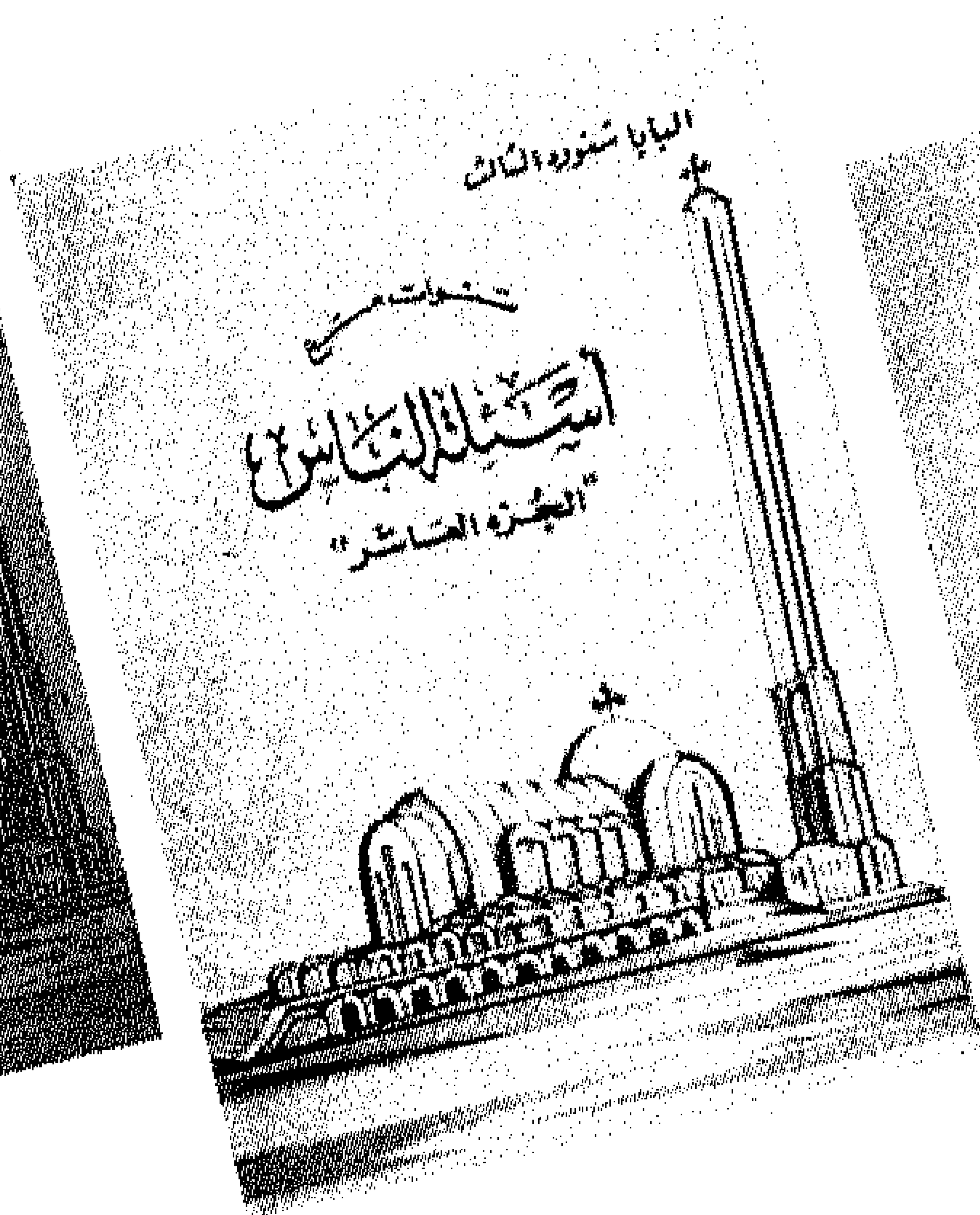


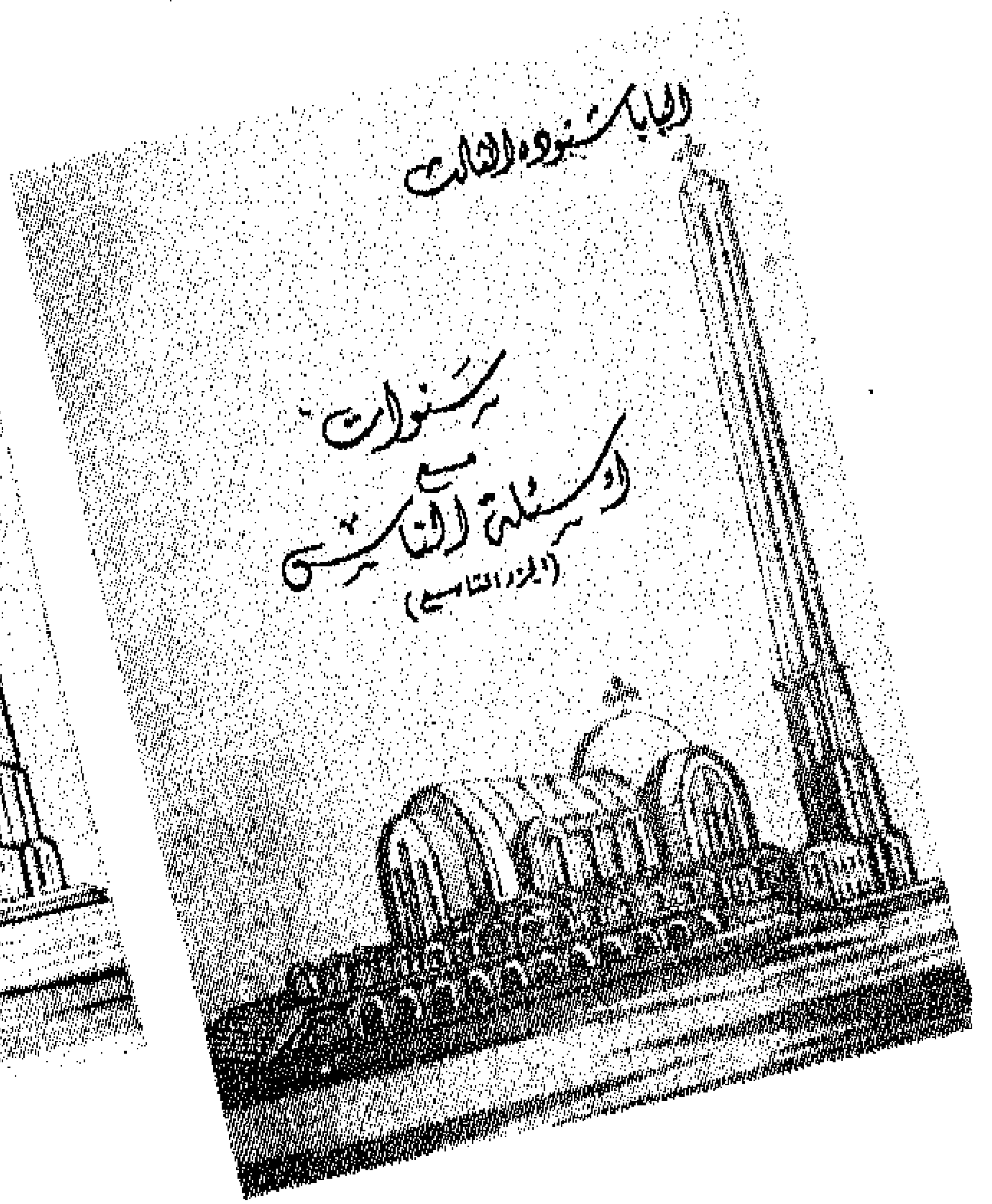

البابا شنوده الثالث
مجموعة تأملات في
أسبوع الآلام


البابا شنوده الثالث
الوصايا العشر
الوصايا الأربع الأفقية

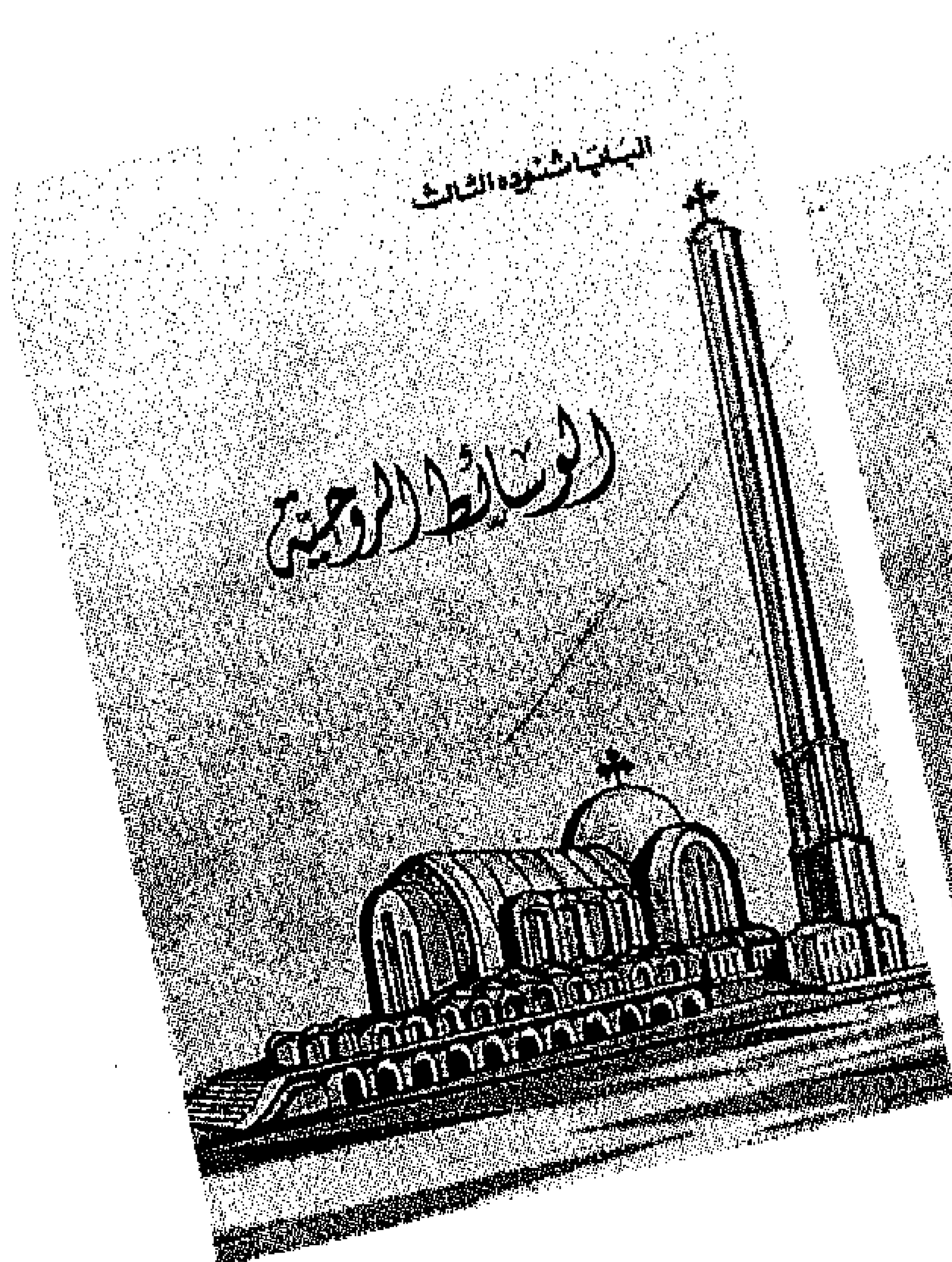

البابا شنوده الثالث
الوصايا العشر
لا تقتل


البابا شنوده الثالث
سنوات مع
أسئلة الناس
الجزء السادس
أسئلة متفرقة

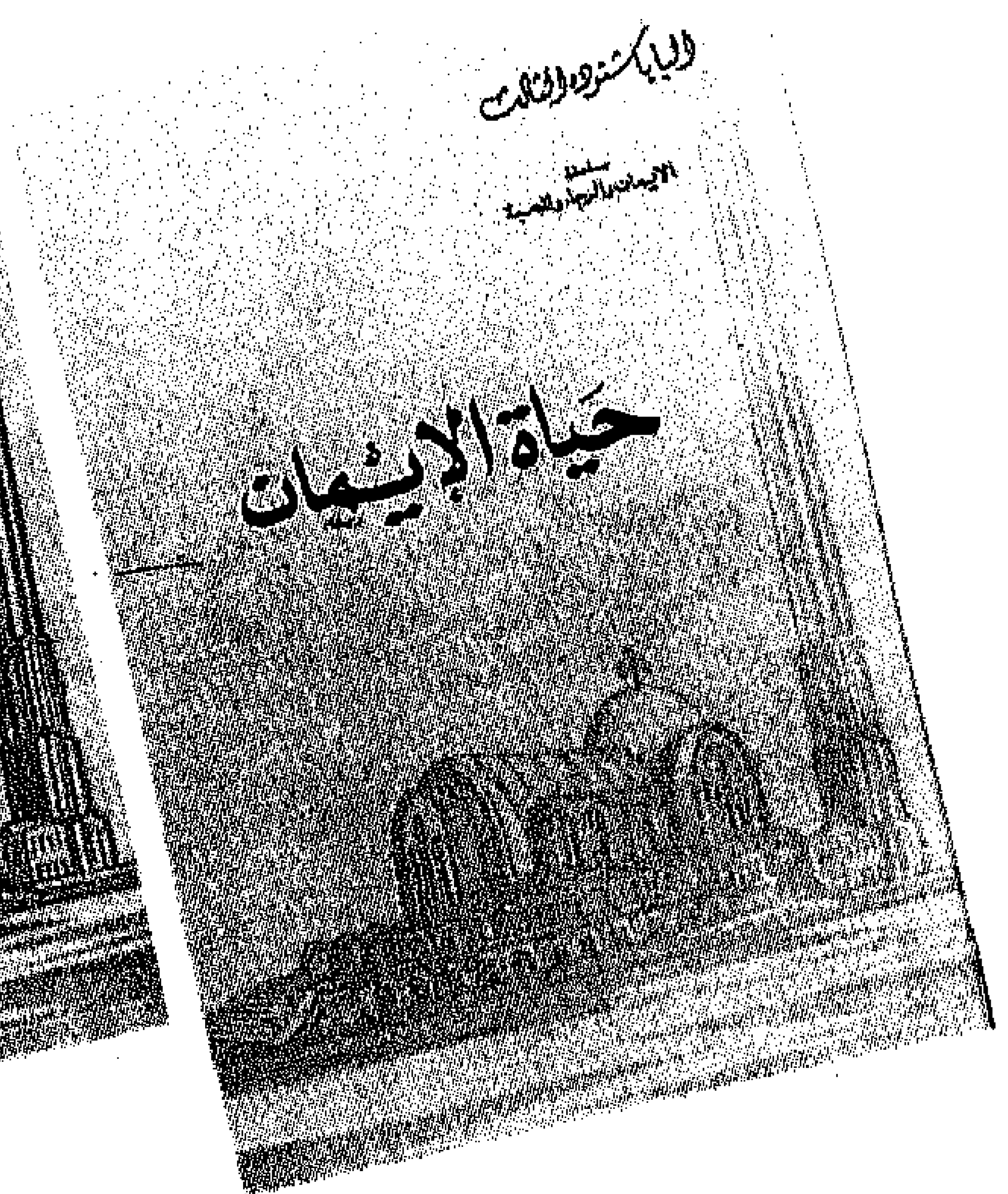

البابا شنوده الثالث
سنوات مع
أسئلة الناس
"الجزء العاشر"

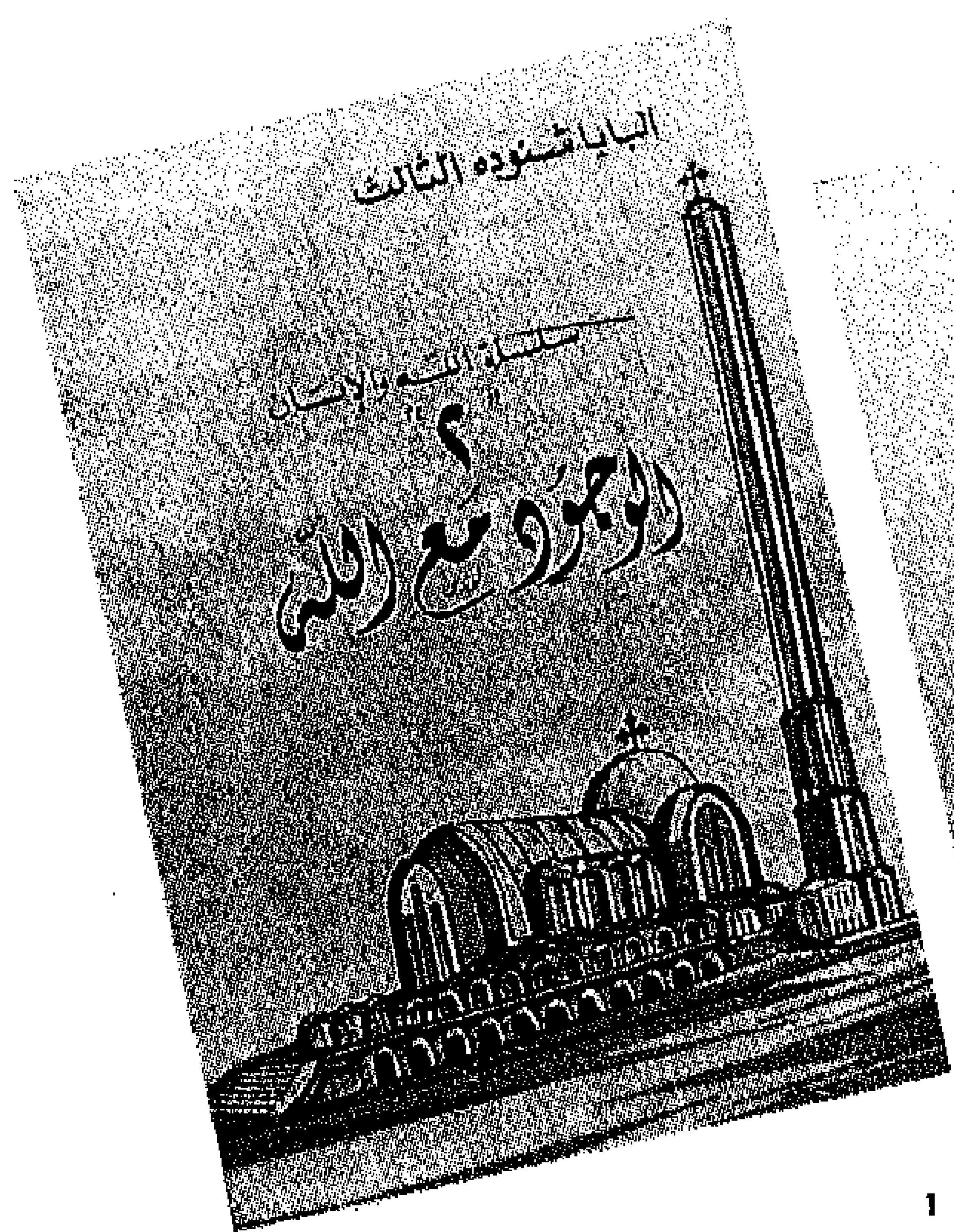

البابا شنوده الثالث
سنوات مع
أسئلة الناس
(الجزء التاسع)

من مؤلفات البابا شنوده

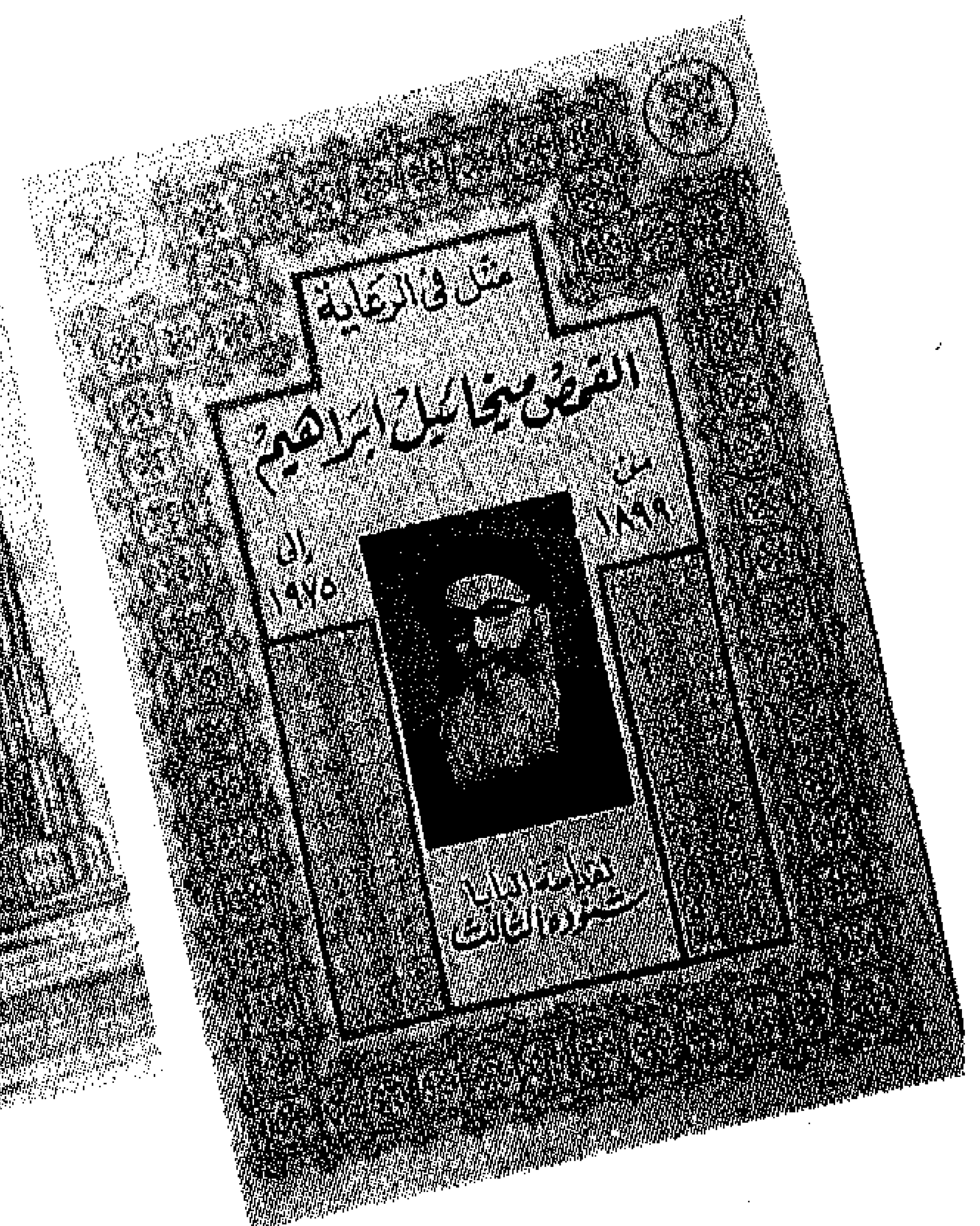


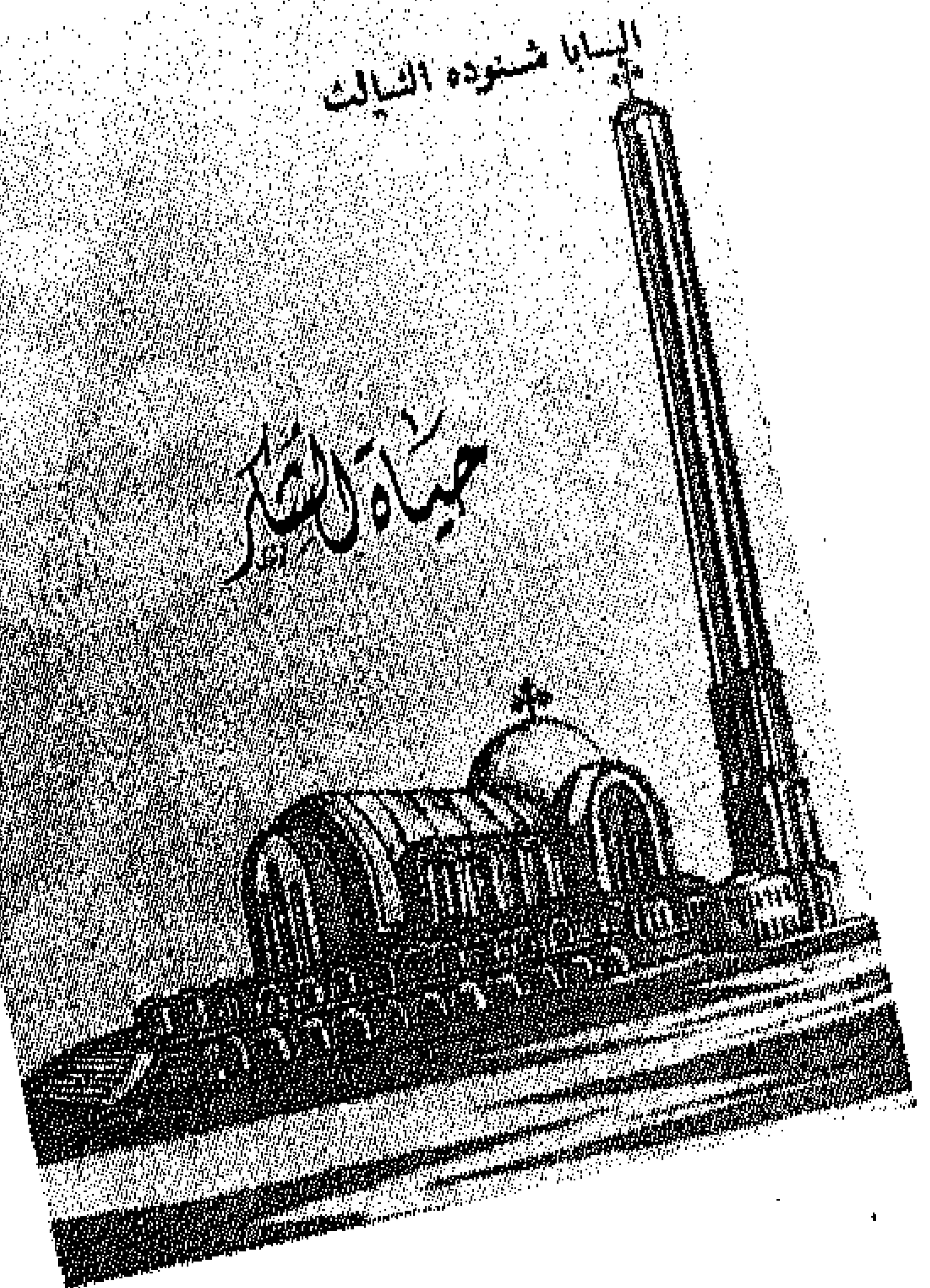




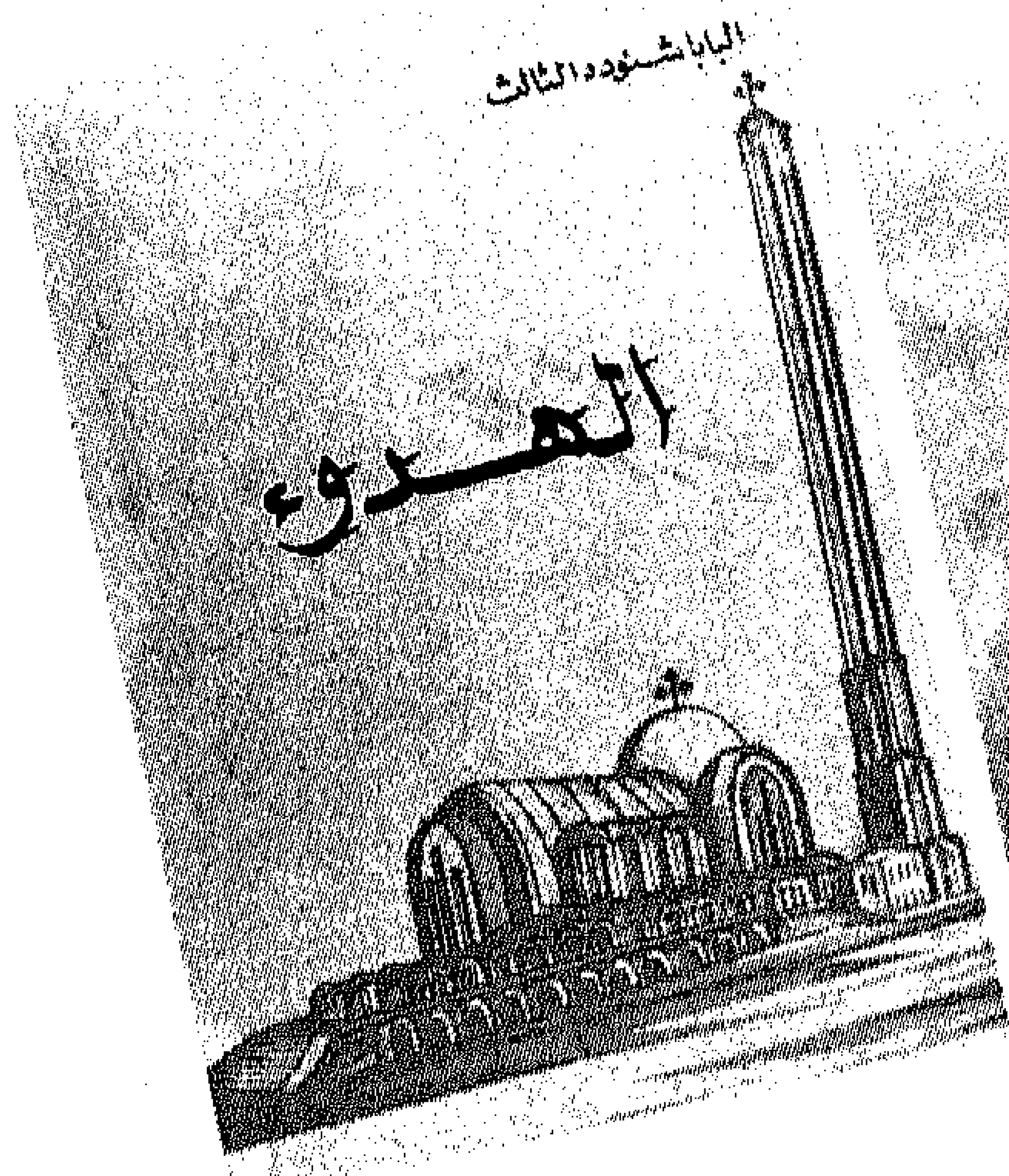






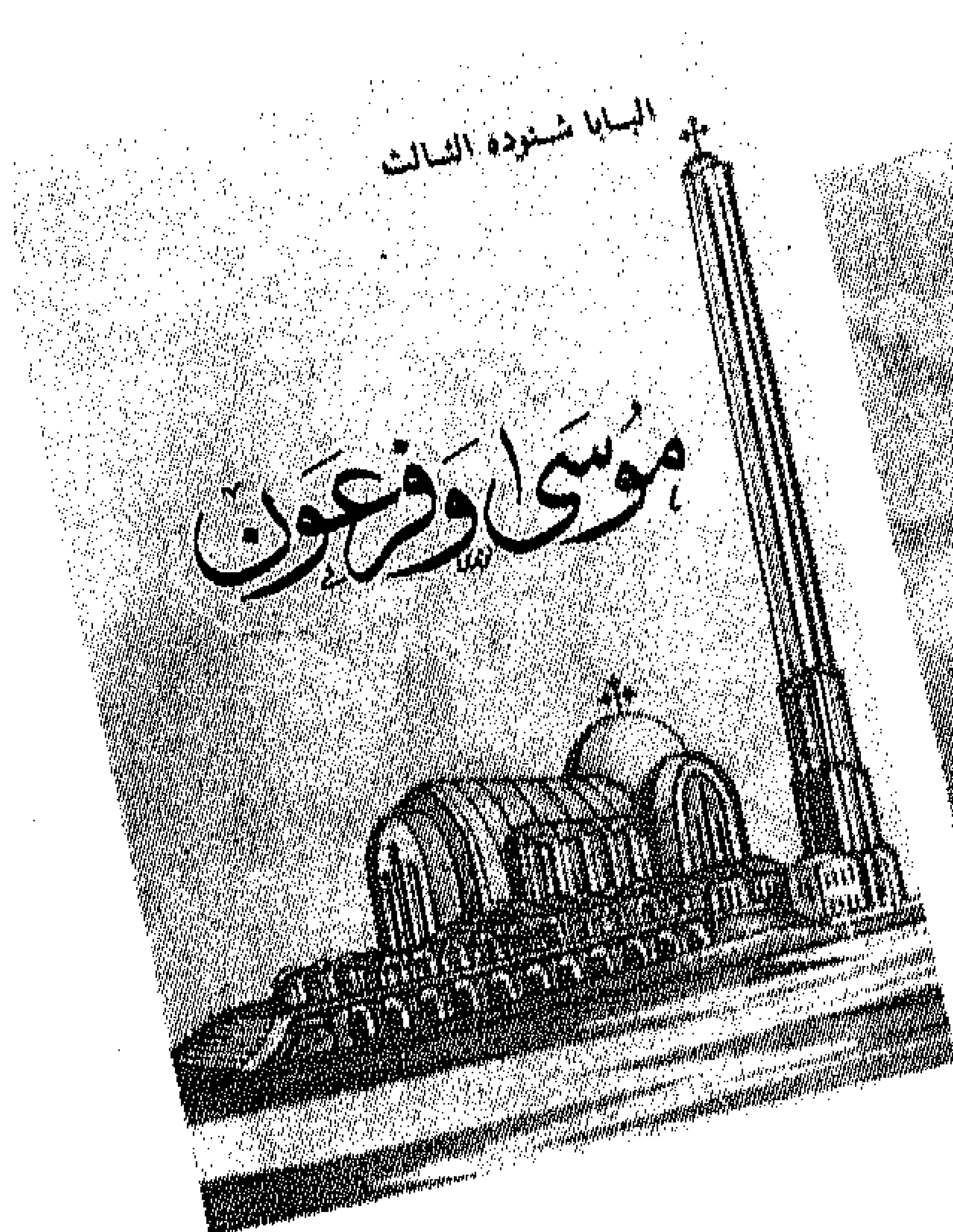

البابا شنوده الثالث
حياة الشكر


البابا شنوده الثالث
سلسلة الله والإنسان
(١)
الله... وكفى


البابا شنوده الثالث
الهدوء


البابا شنوده الثالث
الرجوع إلى الله


البابا شنوده الثالث
مخافة الله


البابا شنوده الثالث
موسى وفرعون


البابا شنوده الثالث
تأملات في
صلاة الشكر والمزمور الخمسين

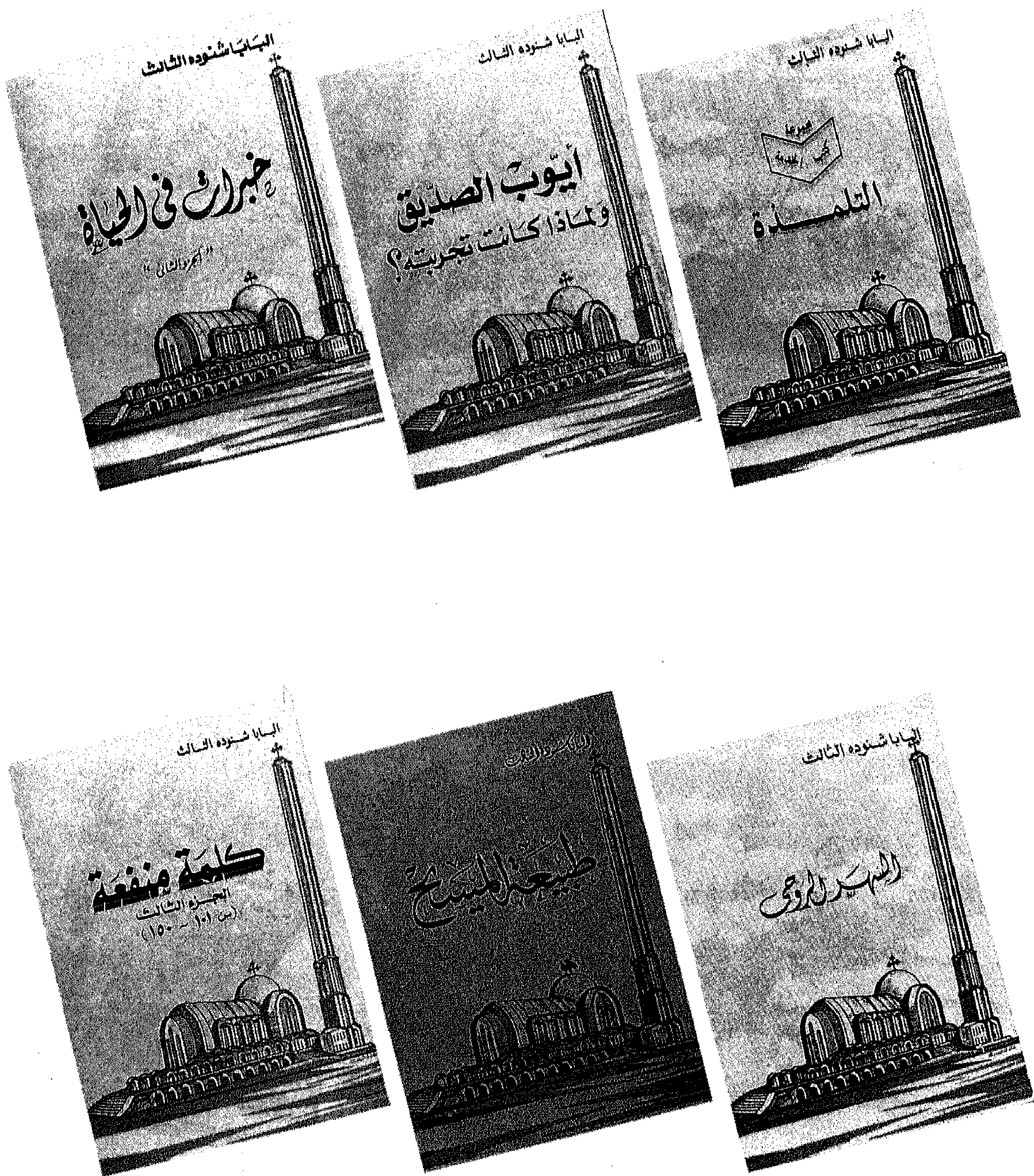

البابا شنوده الثالث
اليقظة الروحية


البابا شنوده الثالث
[٢]
الغيرة المقدسة

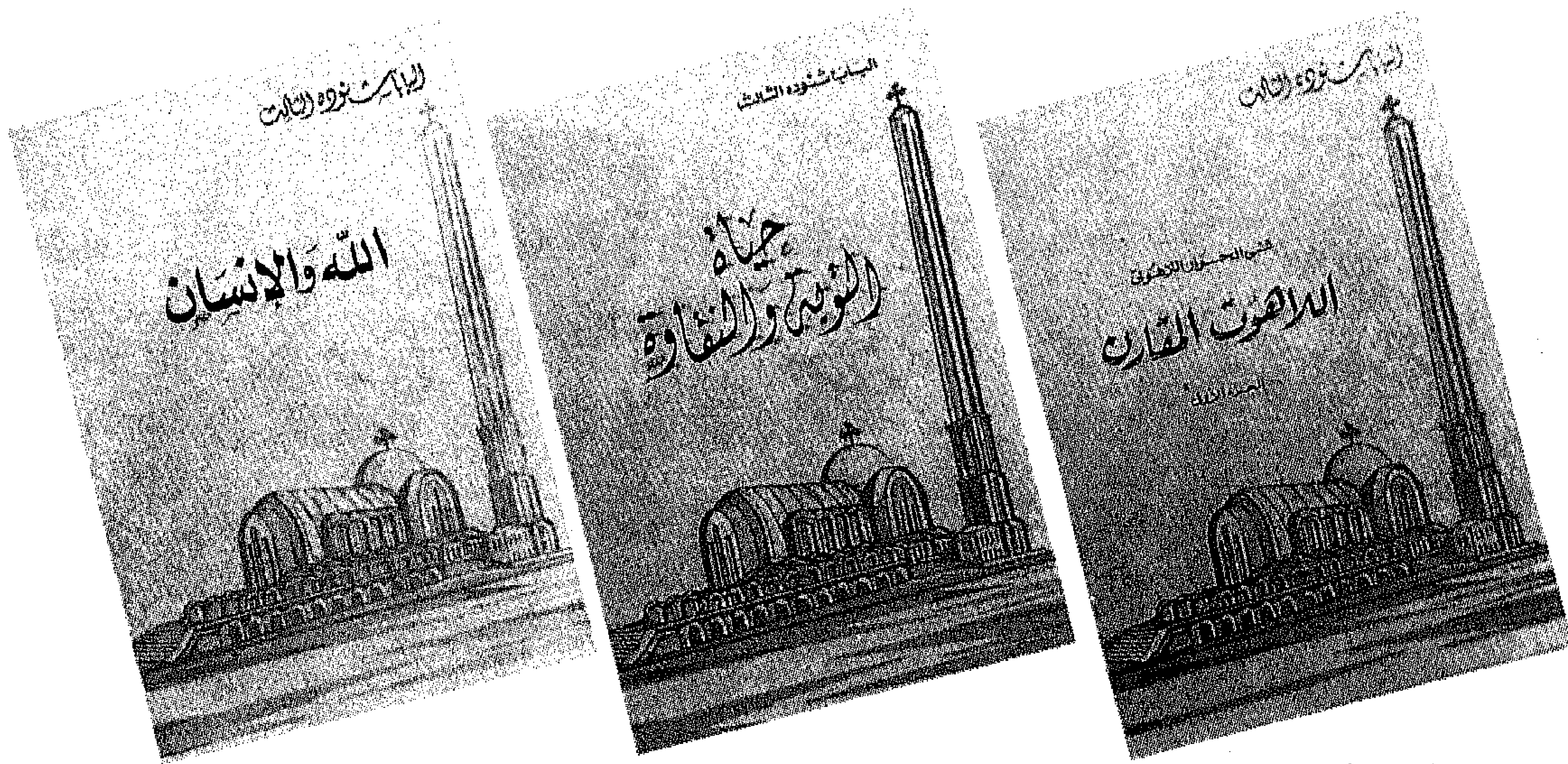

قداسة البابا شنوده الثالث
١٠٠ كلمة منفعة
الجزء الثاني (من ٥١ إلى ١٠٠)

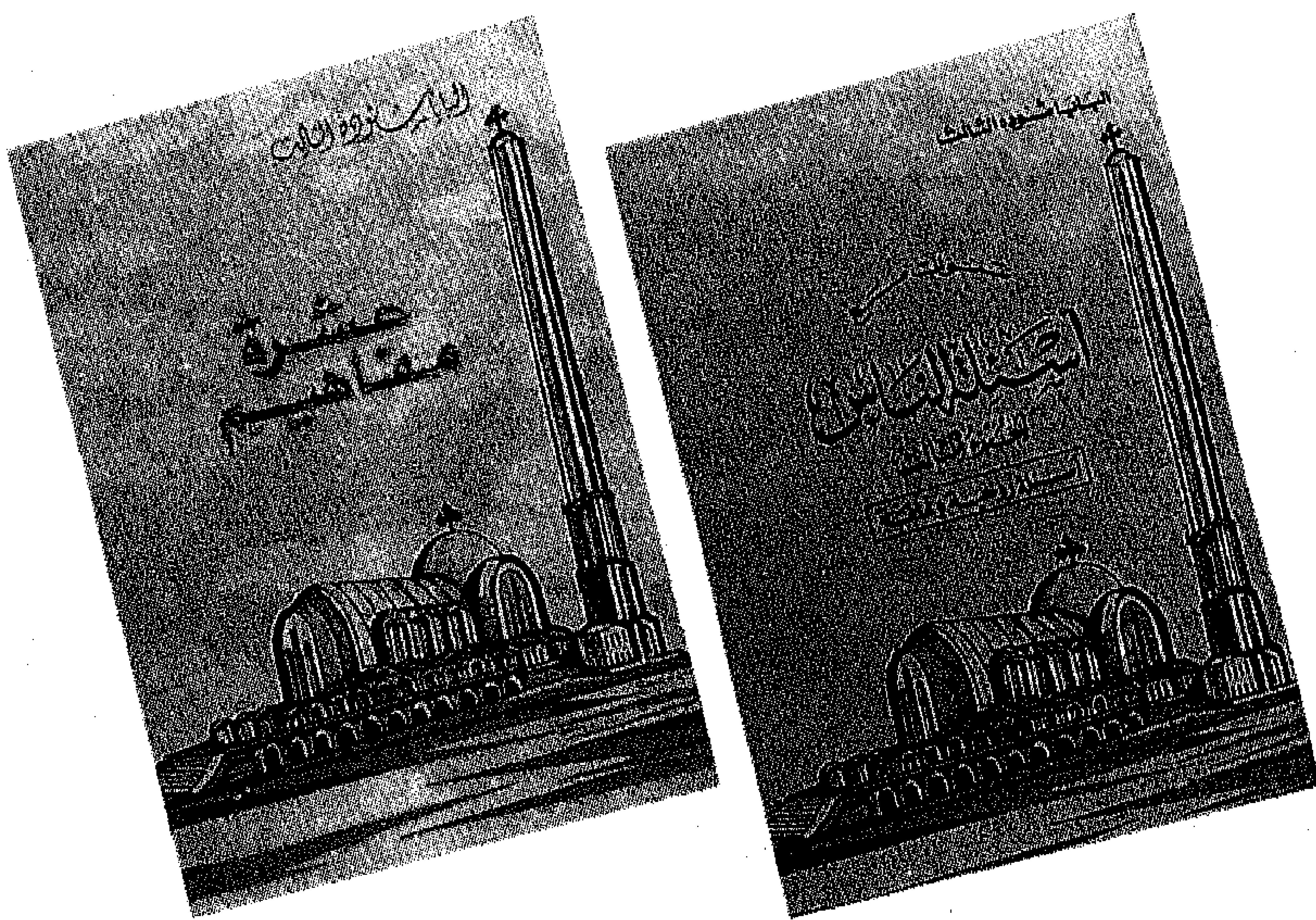

البابا شنوده الثالث
التجربة على الجبل


تأملات
في مزامير الأجبية
الكتاب الأول
في
صلاة الغروب

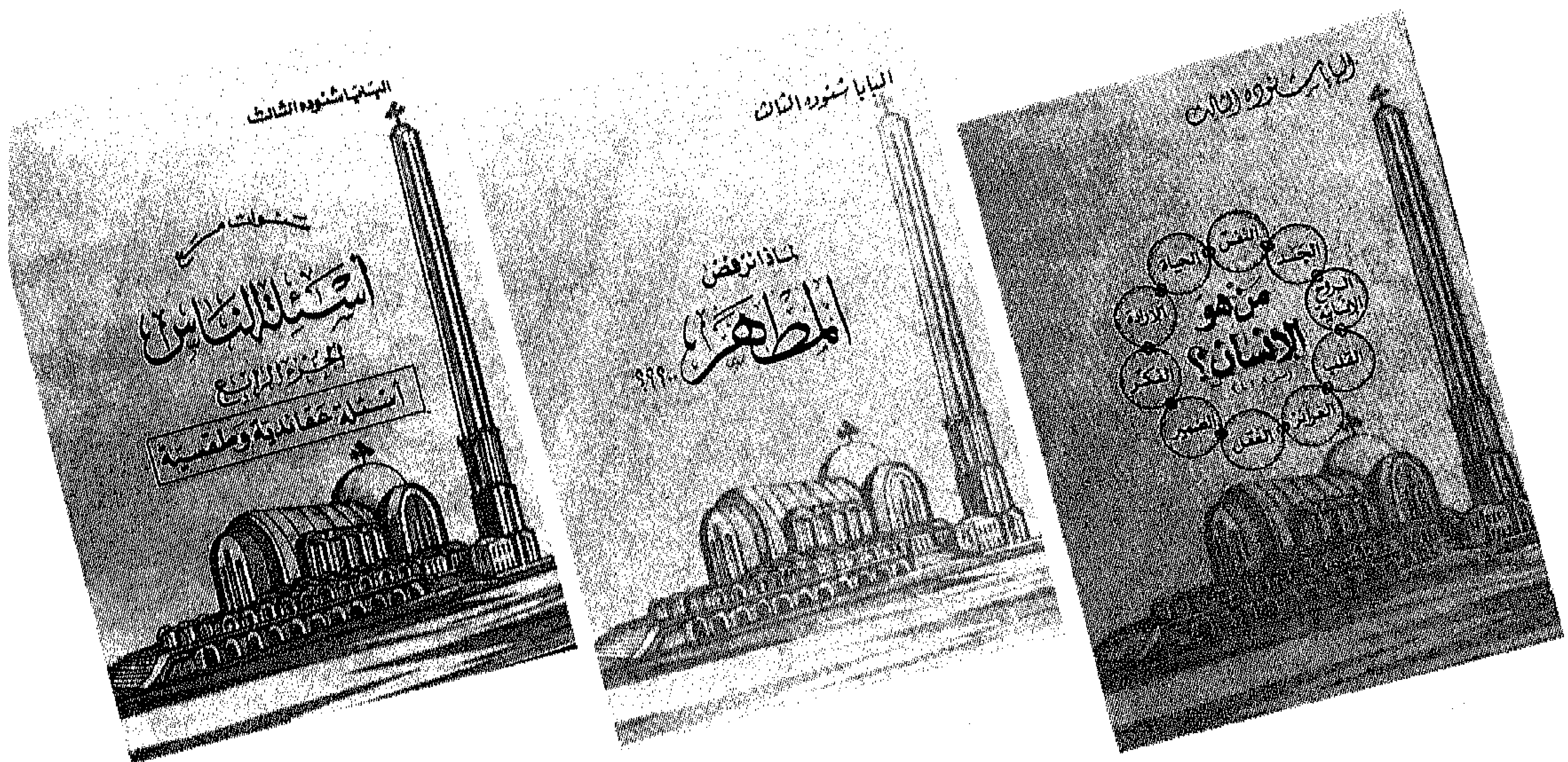

البابا شنوده الثالث
خبرات فى الحياة
"الجزء الثانى"
البابا شنوده الثالث
أيوب الصديق ولماذا كانت تجربته؟
البابا شنوده الثالث
التلمذة
البابا شنوده الثالث
كلمة منفعة
الجزء الثالث
(من ١٠١ - ١٥٠)
البابا شنوده الثالث
طبيعة المسيح
البابا شنوده الثالث
السهر الروحى

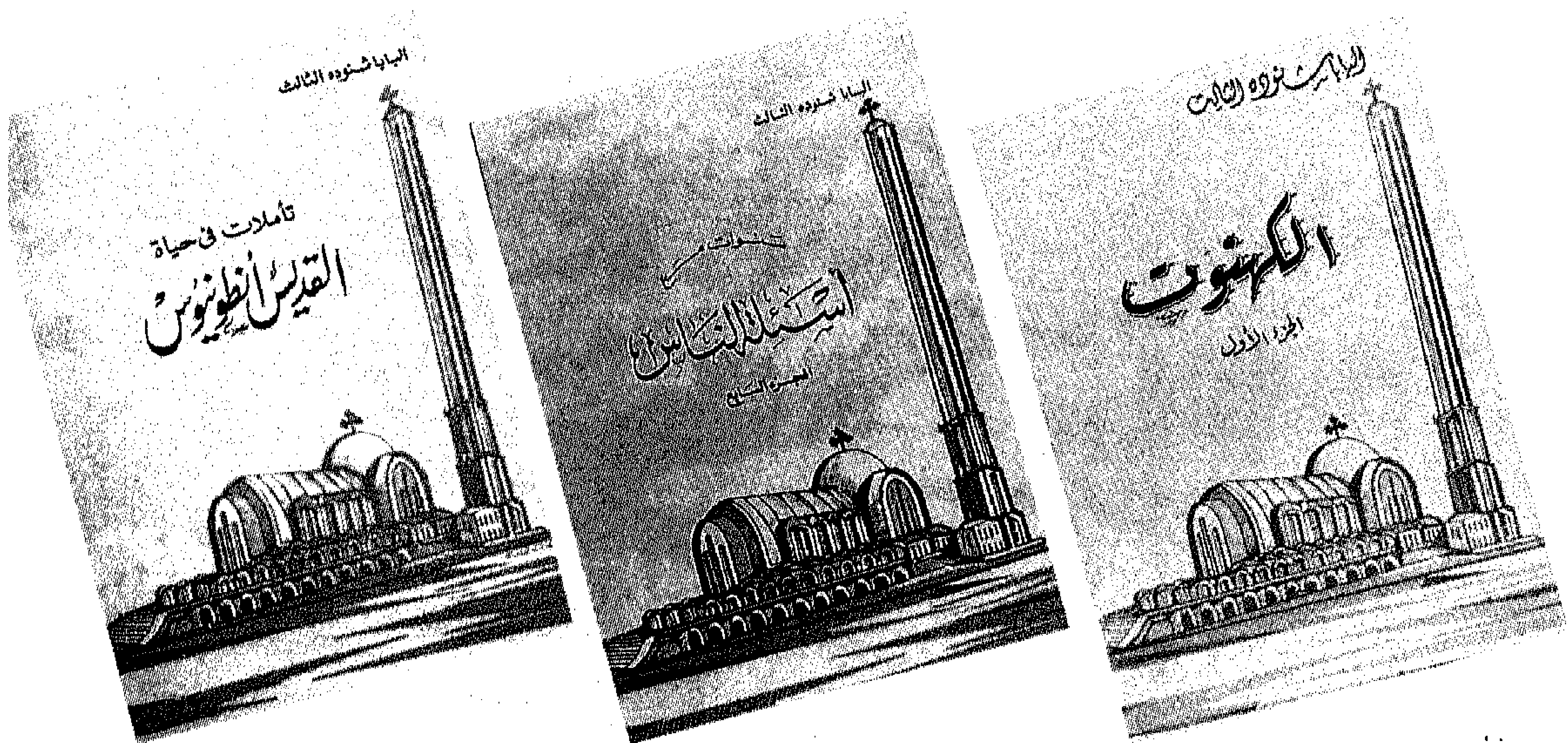
من مؤلفات البابا شنوده



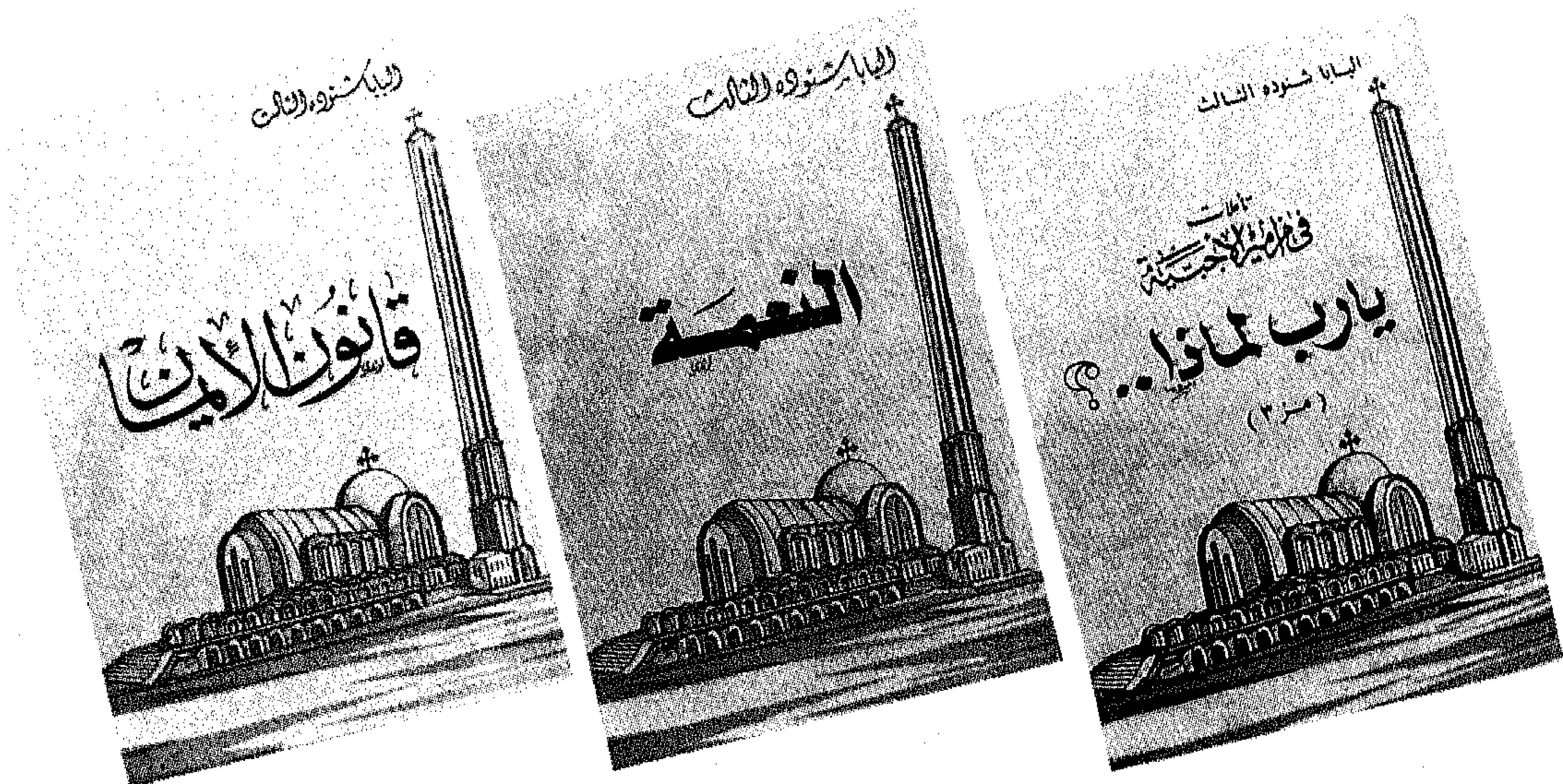


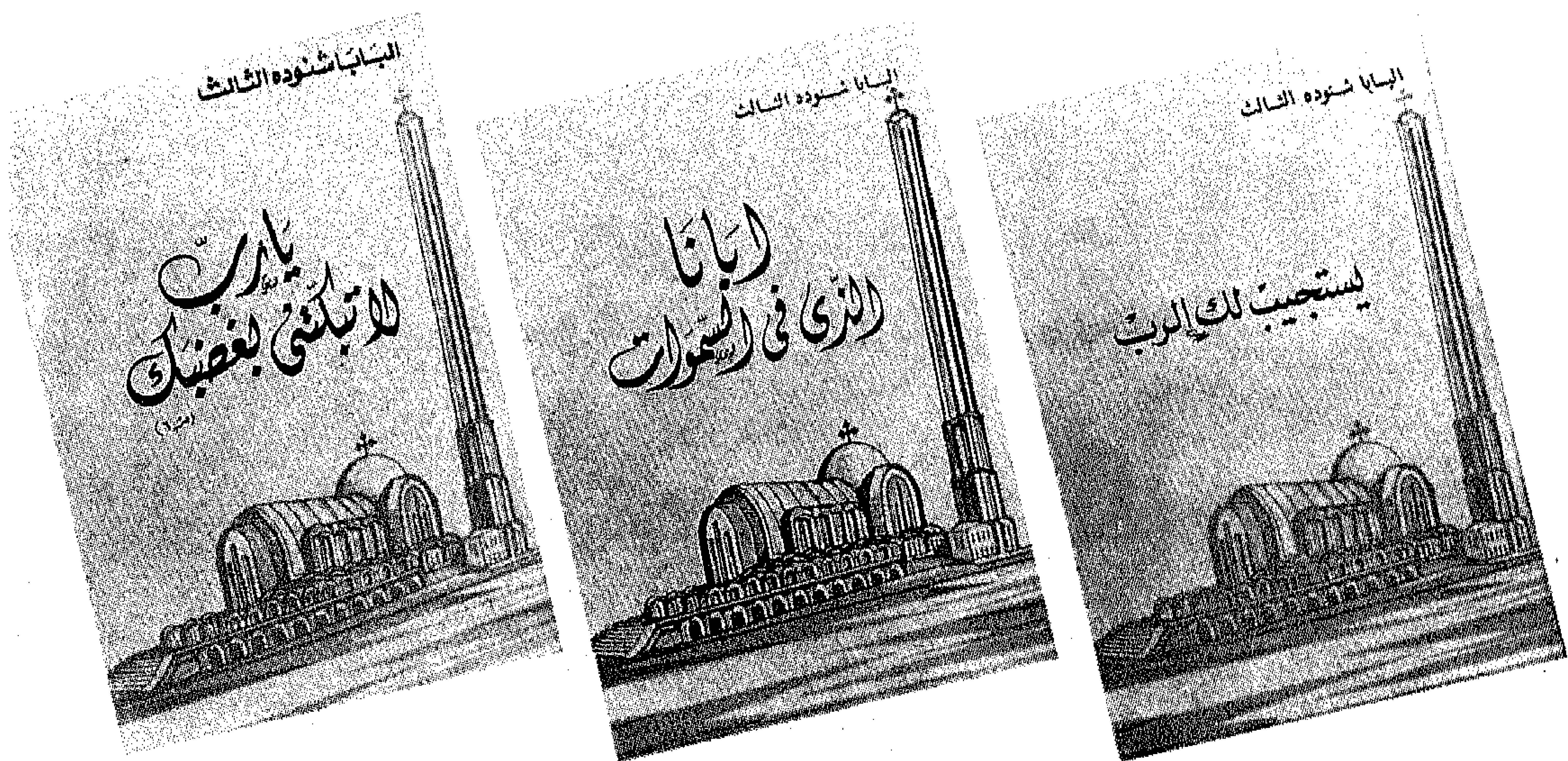
من مؤلفات البابا شنوده



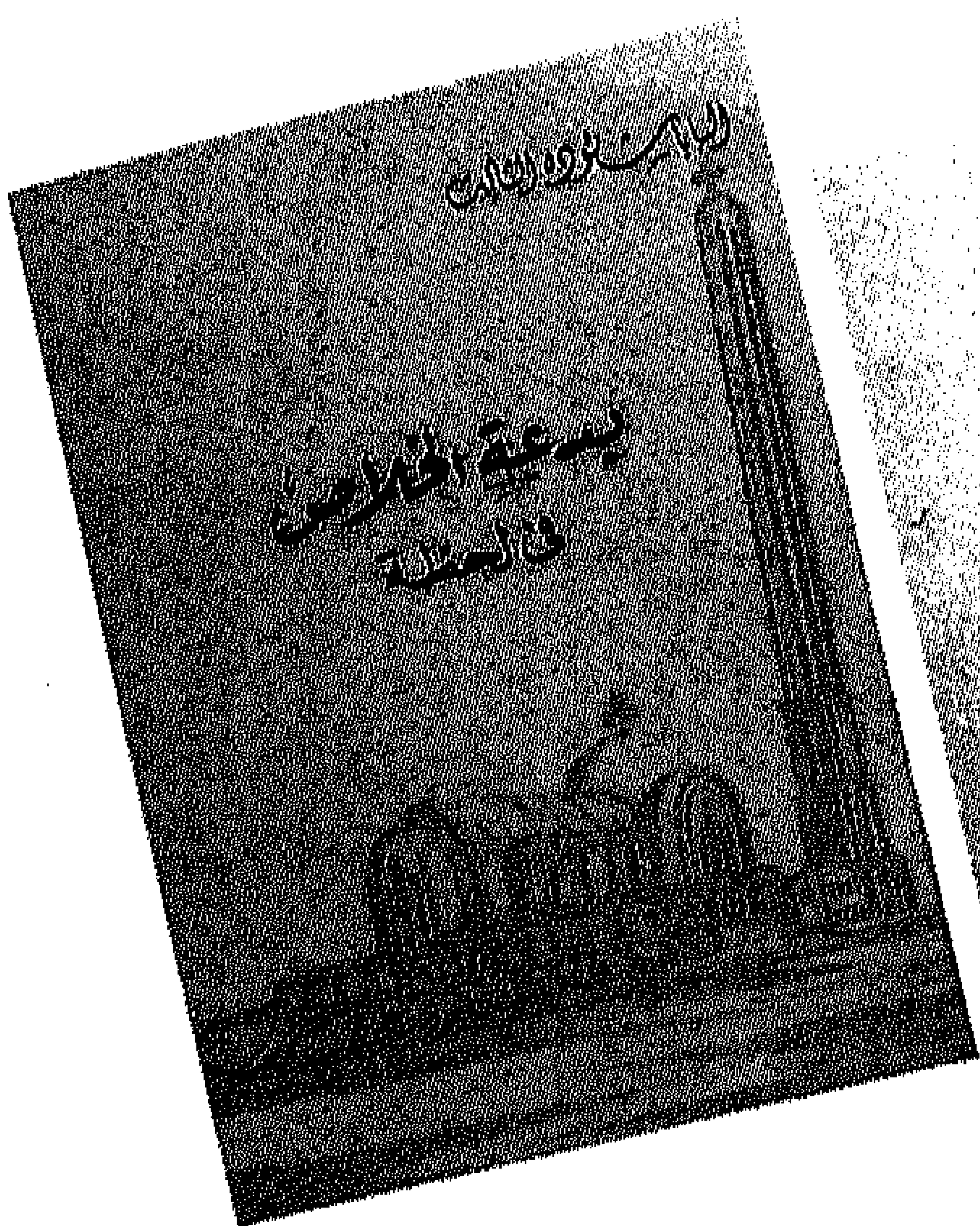


من مؤلفات البابا شنوده



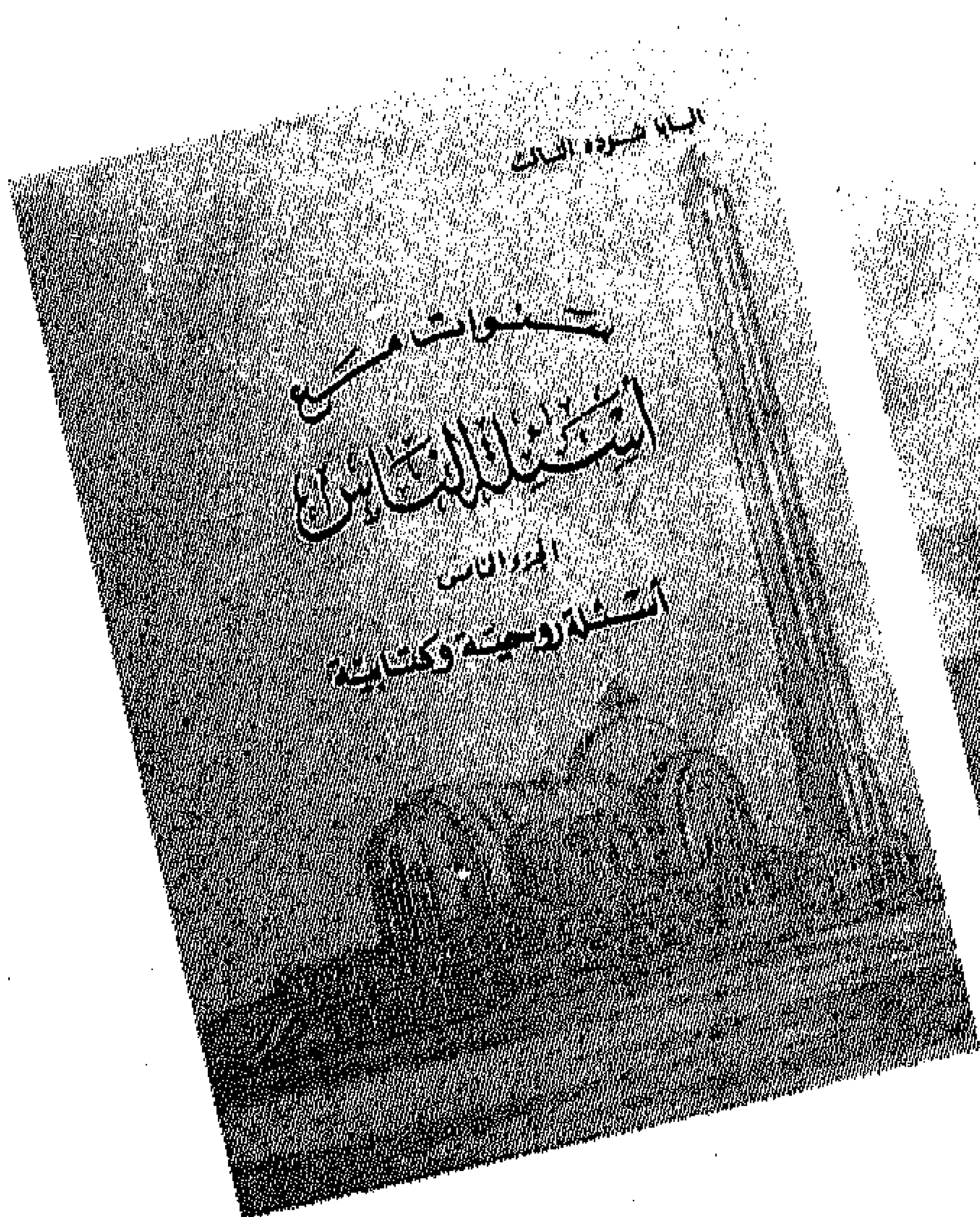


من مؤلفات البابا شنوده













من مؤلفات البابا شنوده

البابا شنوده الثالث
الدموع في الحياة الروحية

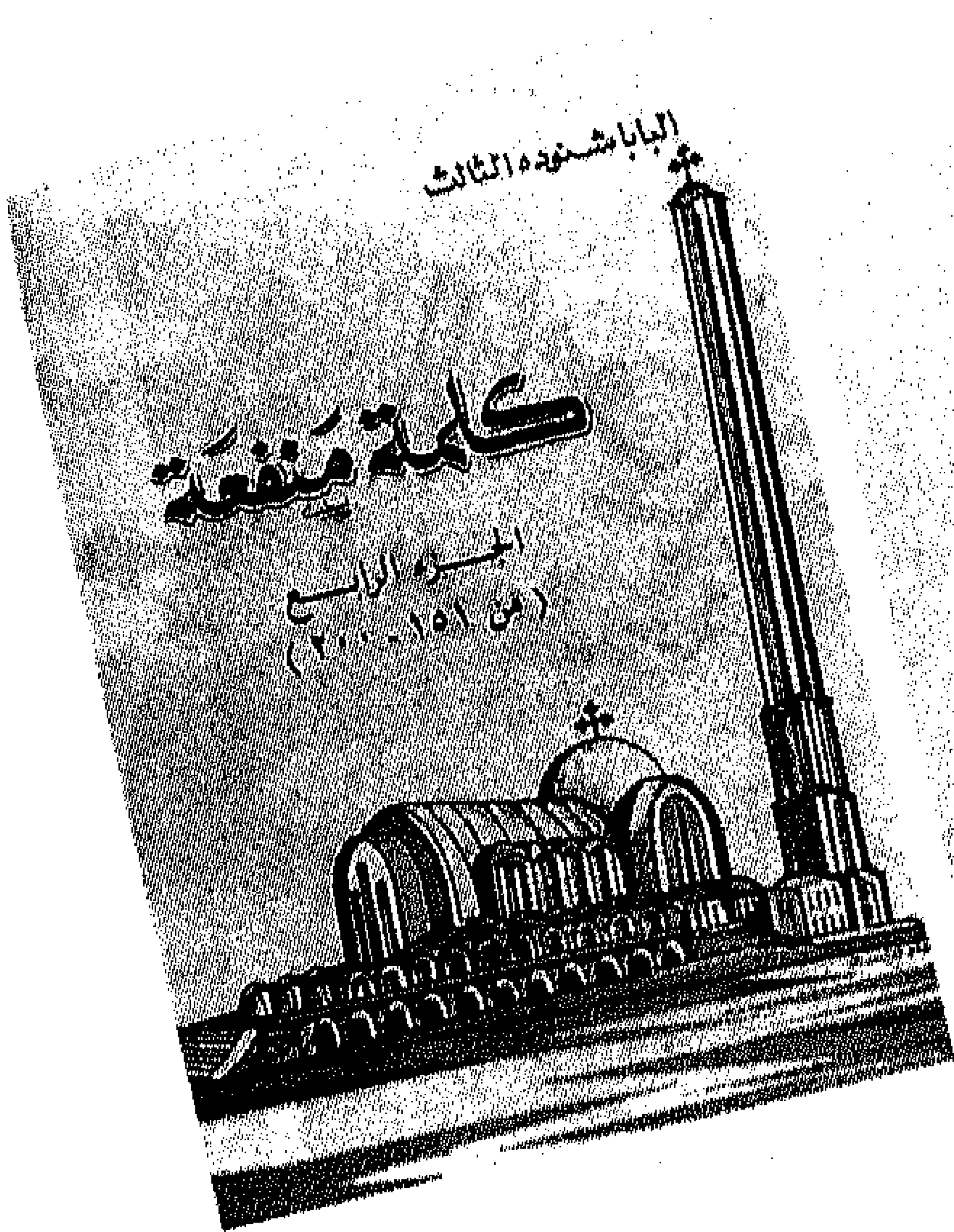
البابا شنوده الثالث
آيات للحفظ (الجزء الأول) آيات الجدية

البابا شنوده الثالث
مسابقات في الكتاب المقدس

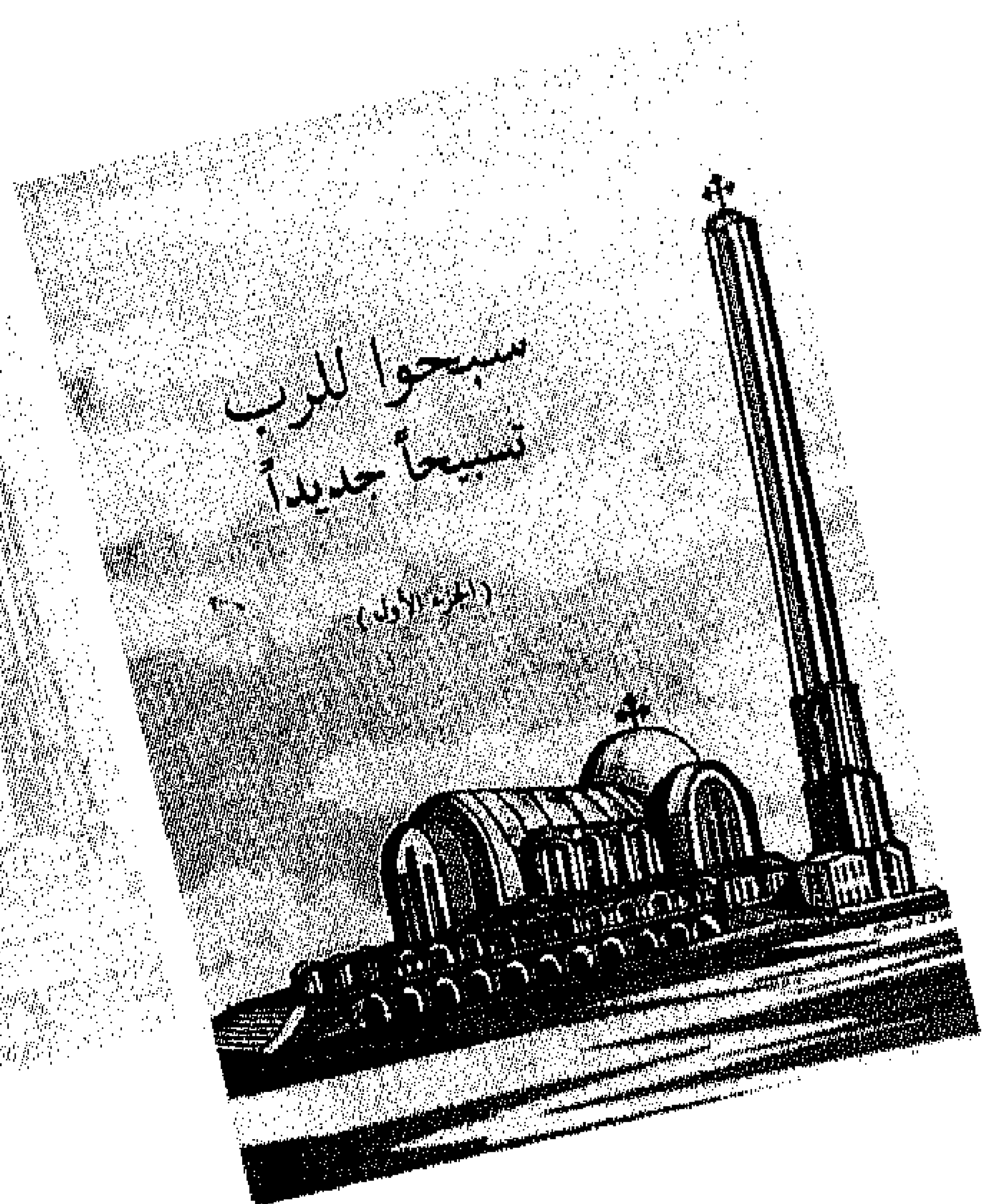
البابا شنوده الثالث
كلمة منفعة
الجزء الأول
(١-٥٠)

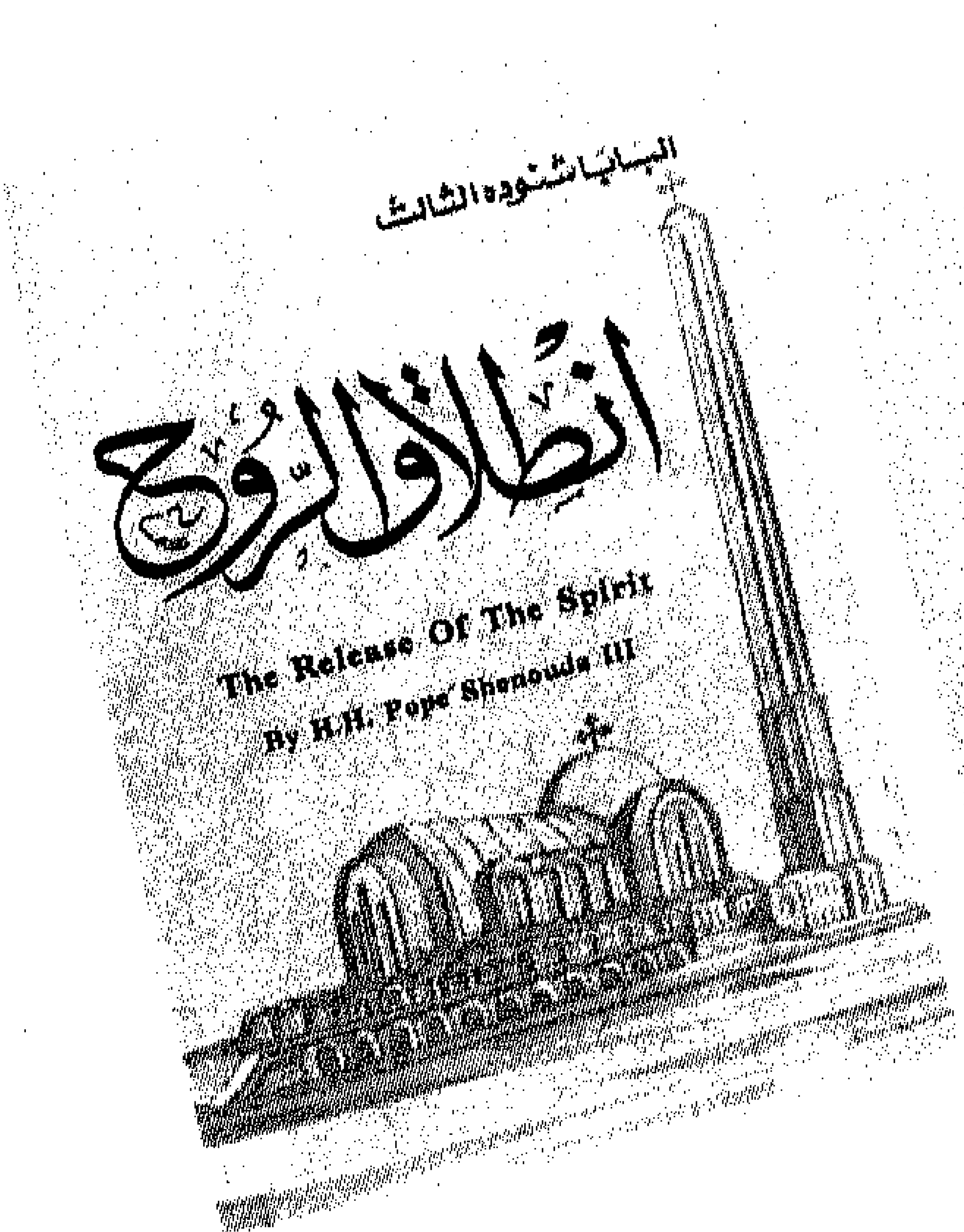
البابا شنوده الثالث
السهر الروحي

البابا شنوده الثالث
مجموعة كتب الخدمة (٢)
كيف نعامل الأطفال؟

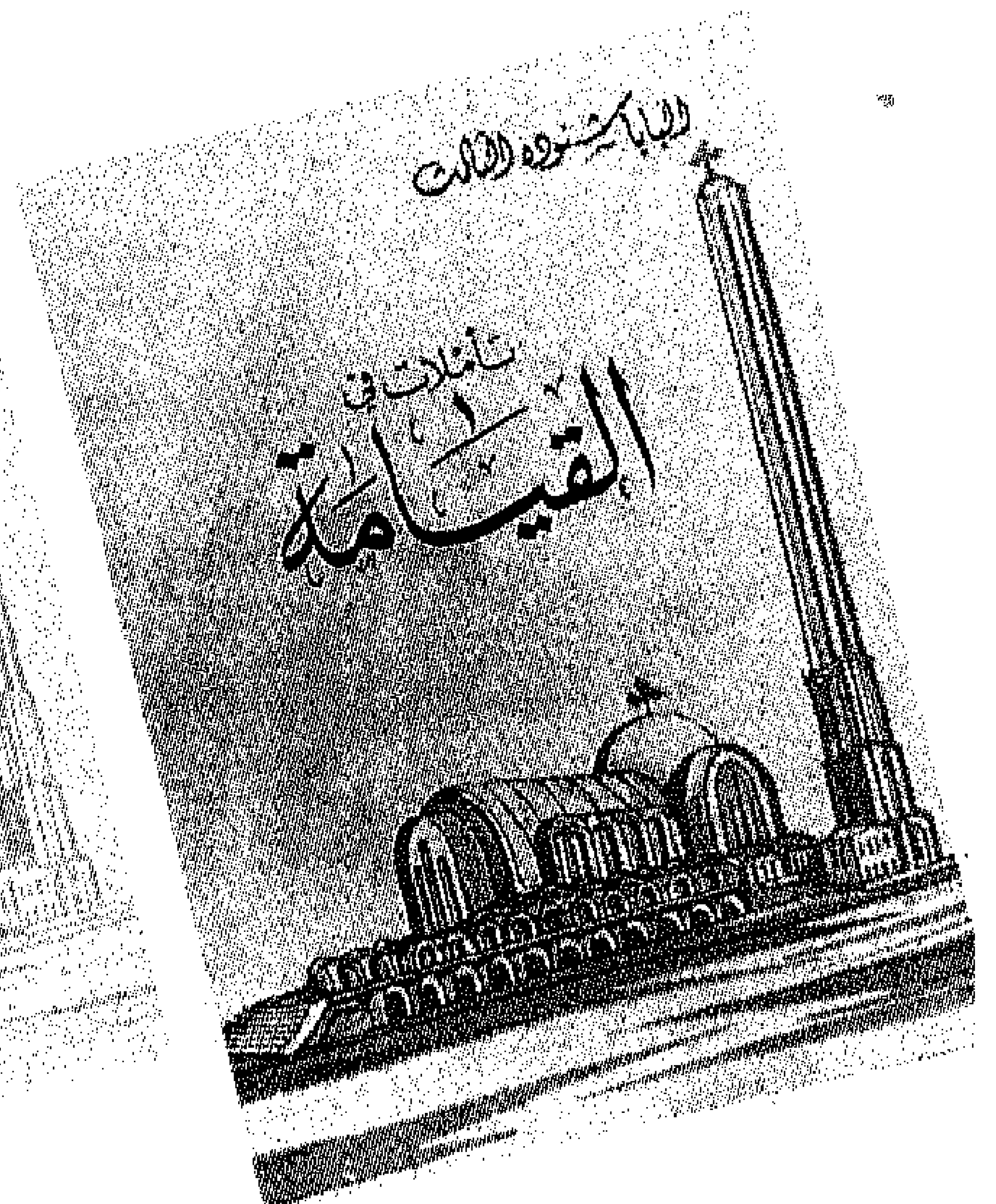

البابا شنوده الثالث
كلمة منفعة
الجزء الرابع


البابا شنوده الثالث
الخدمة الروحية و الخادم الروحي

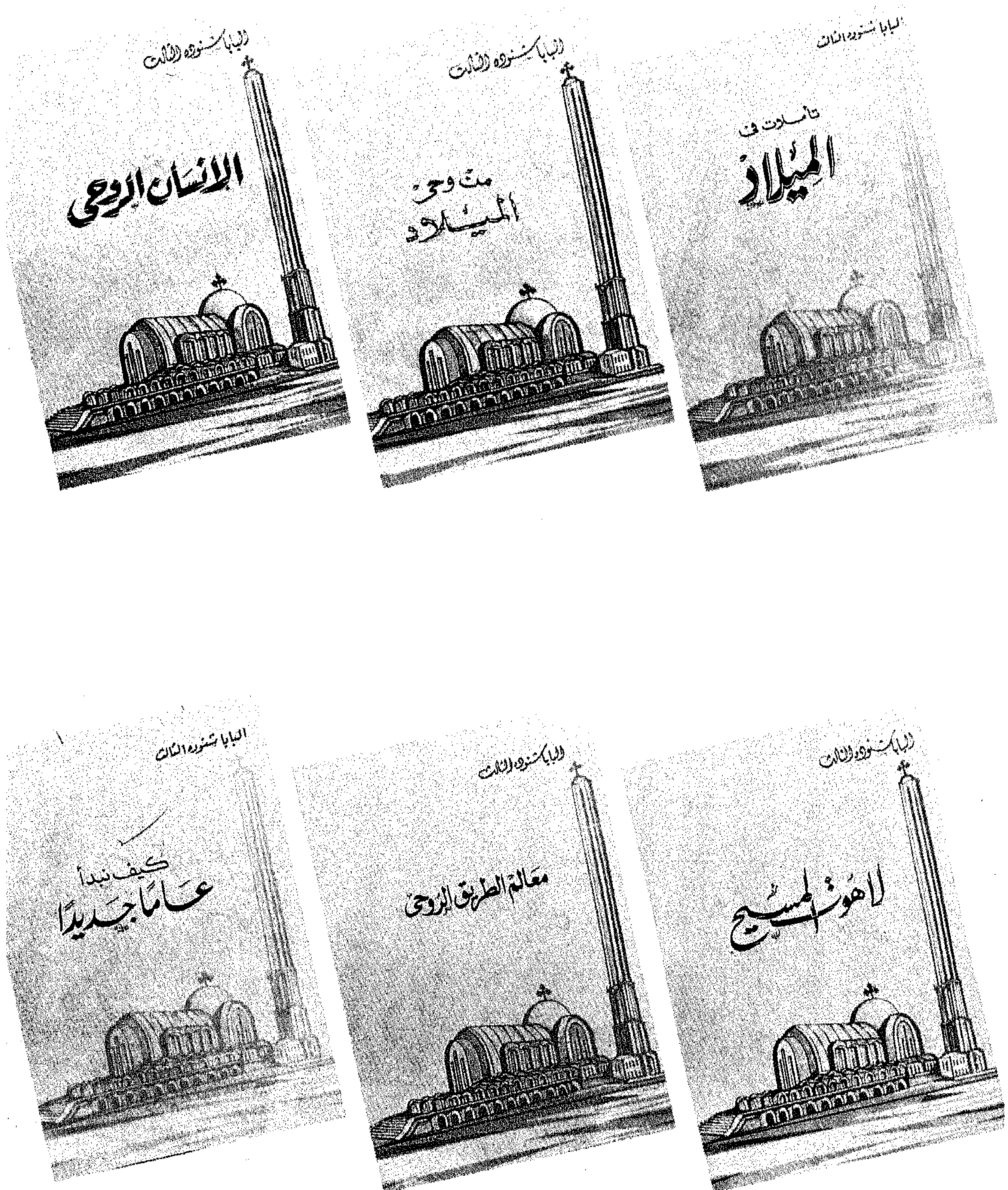

سبحوا للرب
تسبيحاً جديداً
(الجزء الأول)

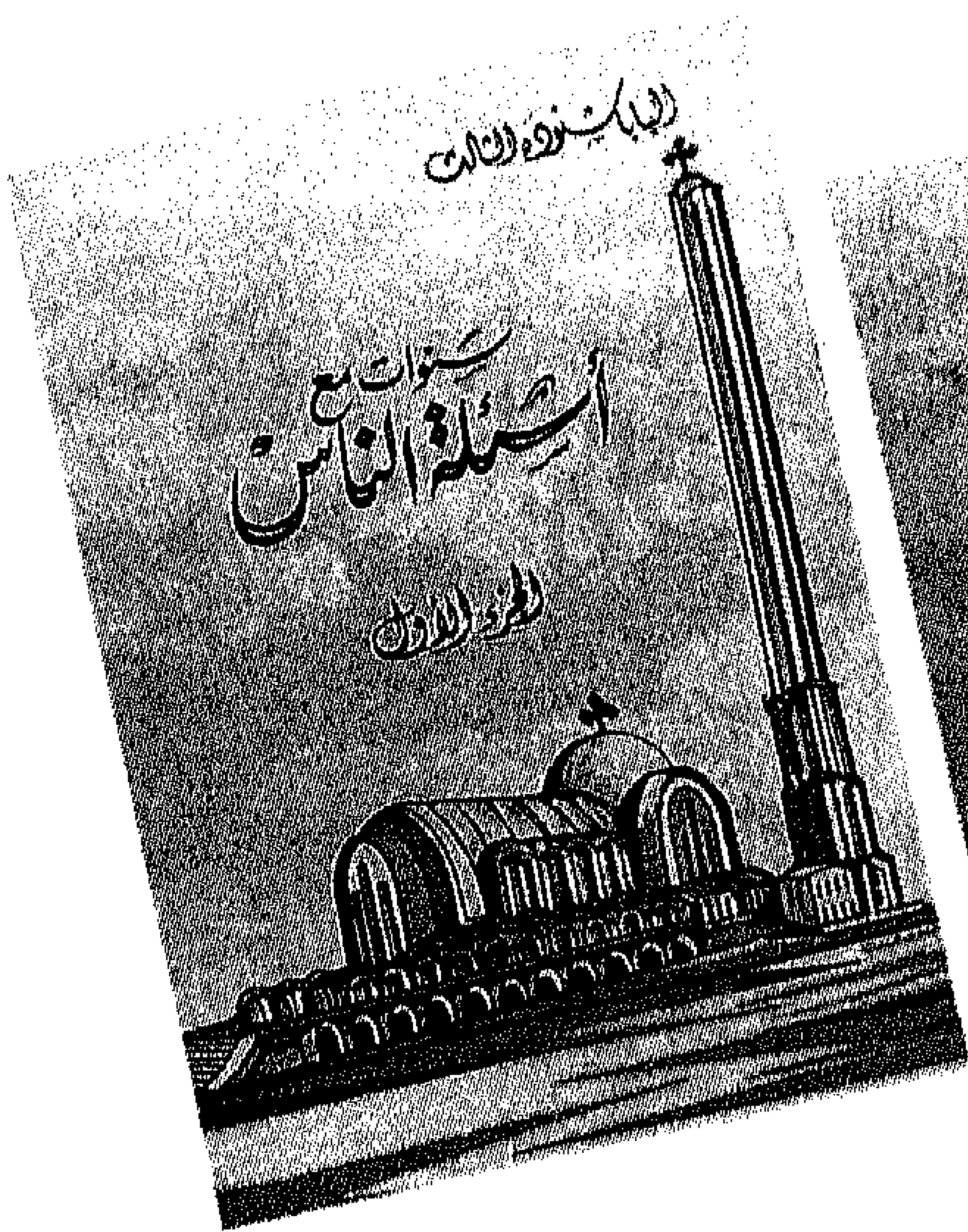

البابا شنوده الثالث
انطلاق الروح
The Release Of The Spirit
By H.H. Pope Shenouda III

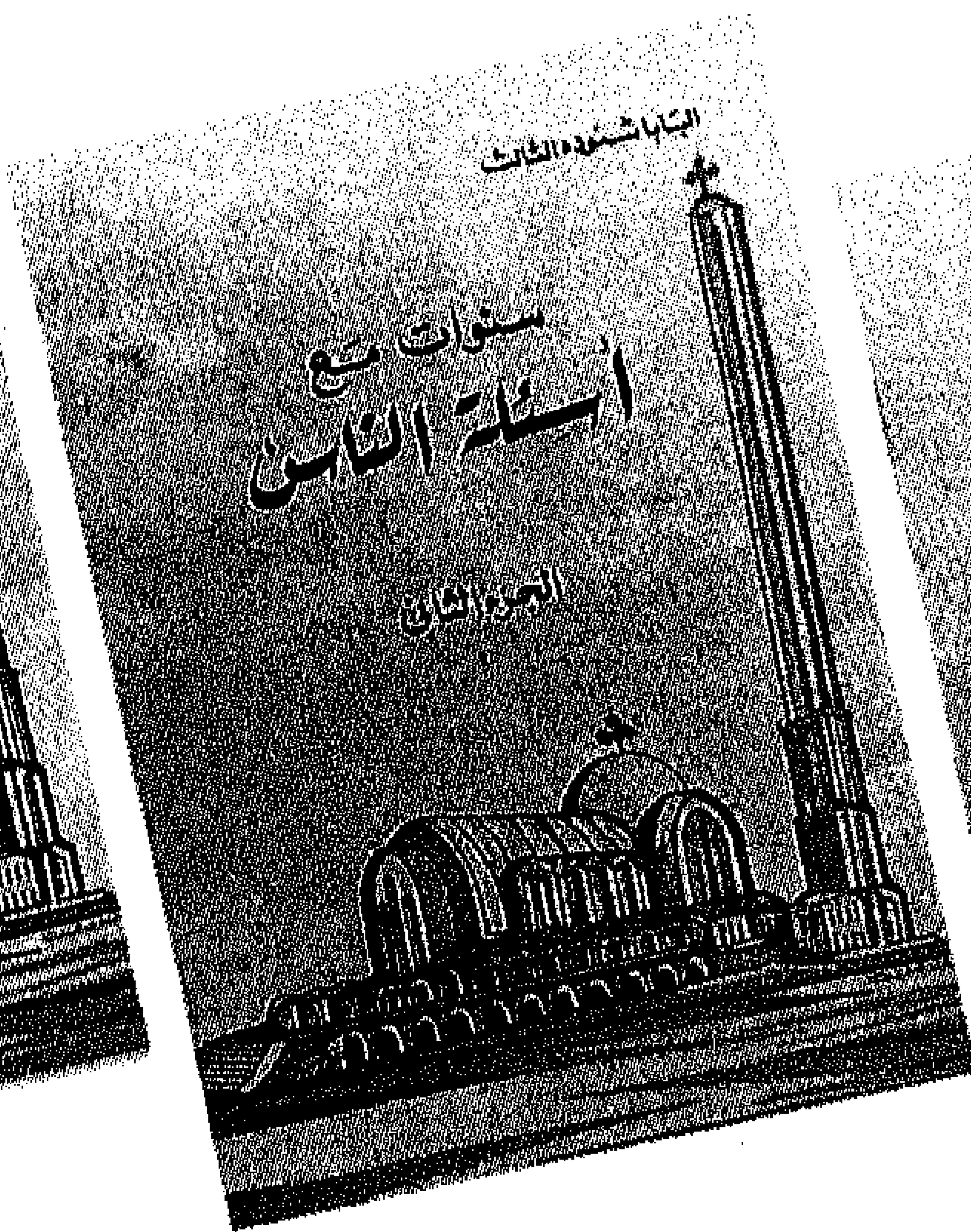

البابا شنوده الثالث
لماذا القيامة؟


البابا شنوده الثالث
تأملات في
القيامة

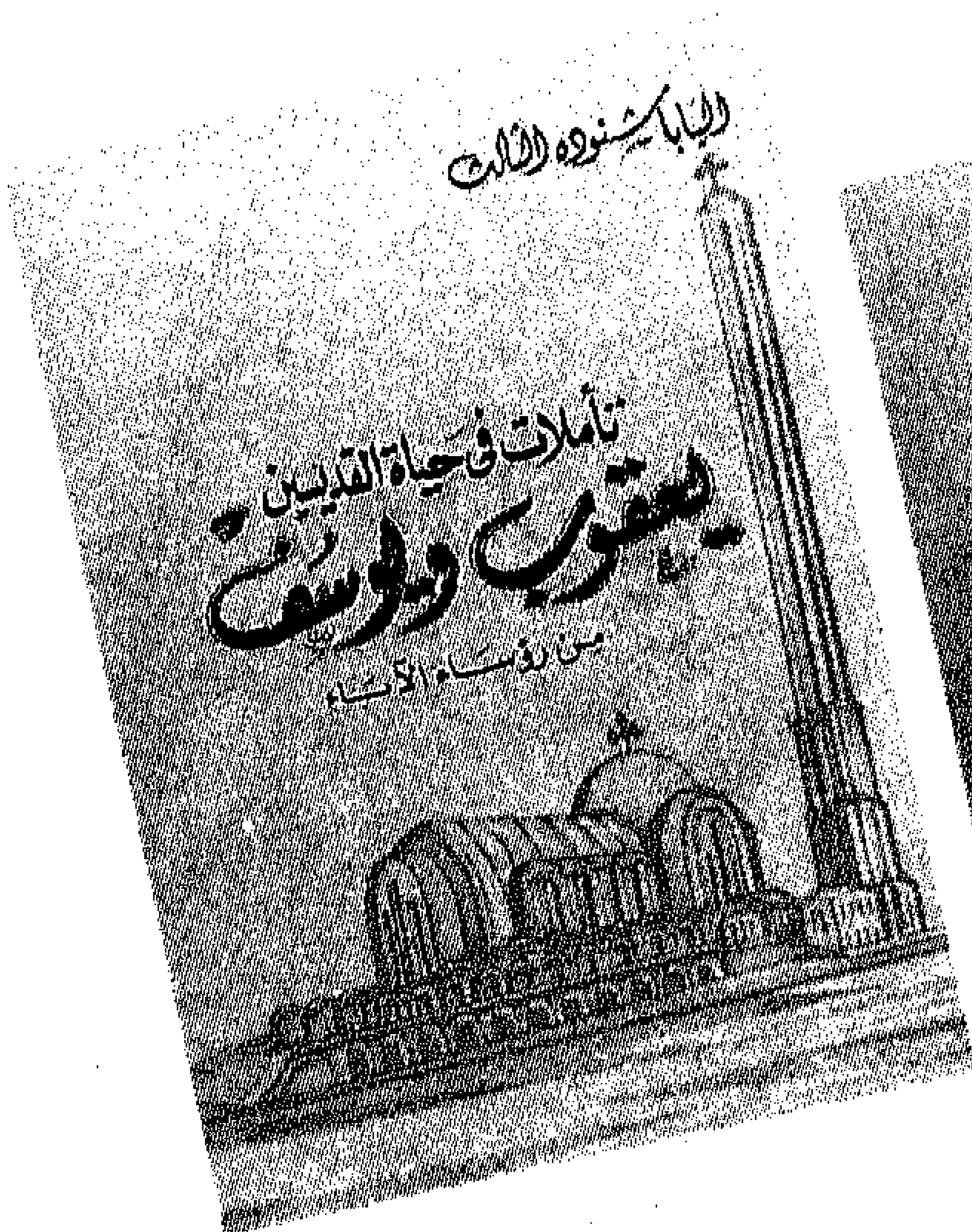
من مؤلفات البابا شنوده

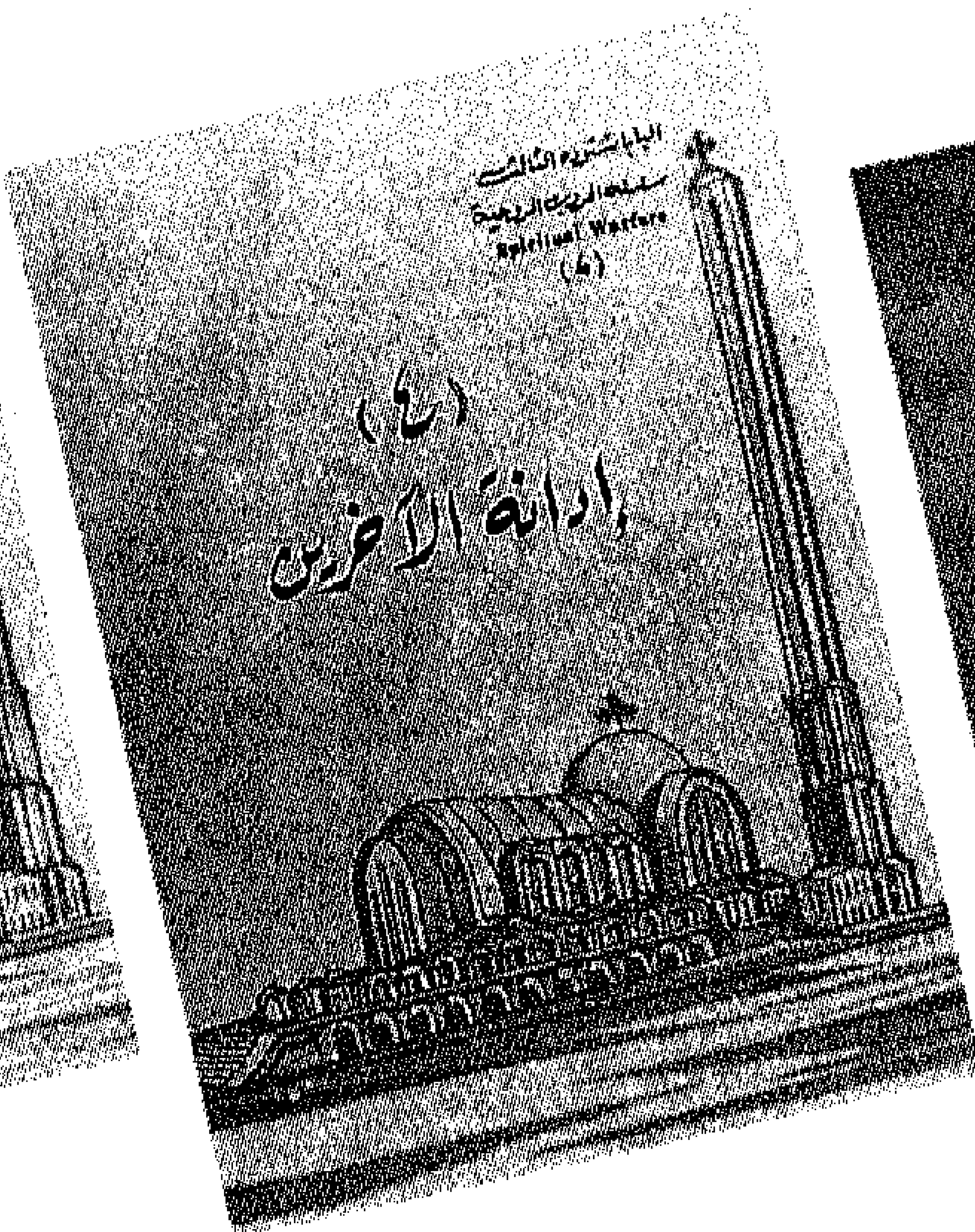


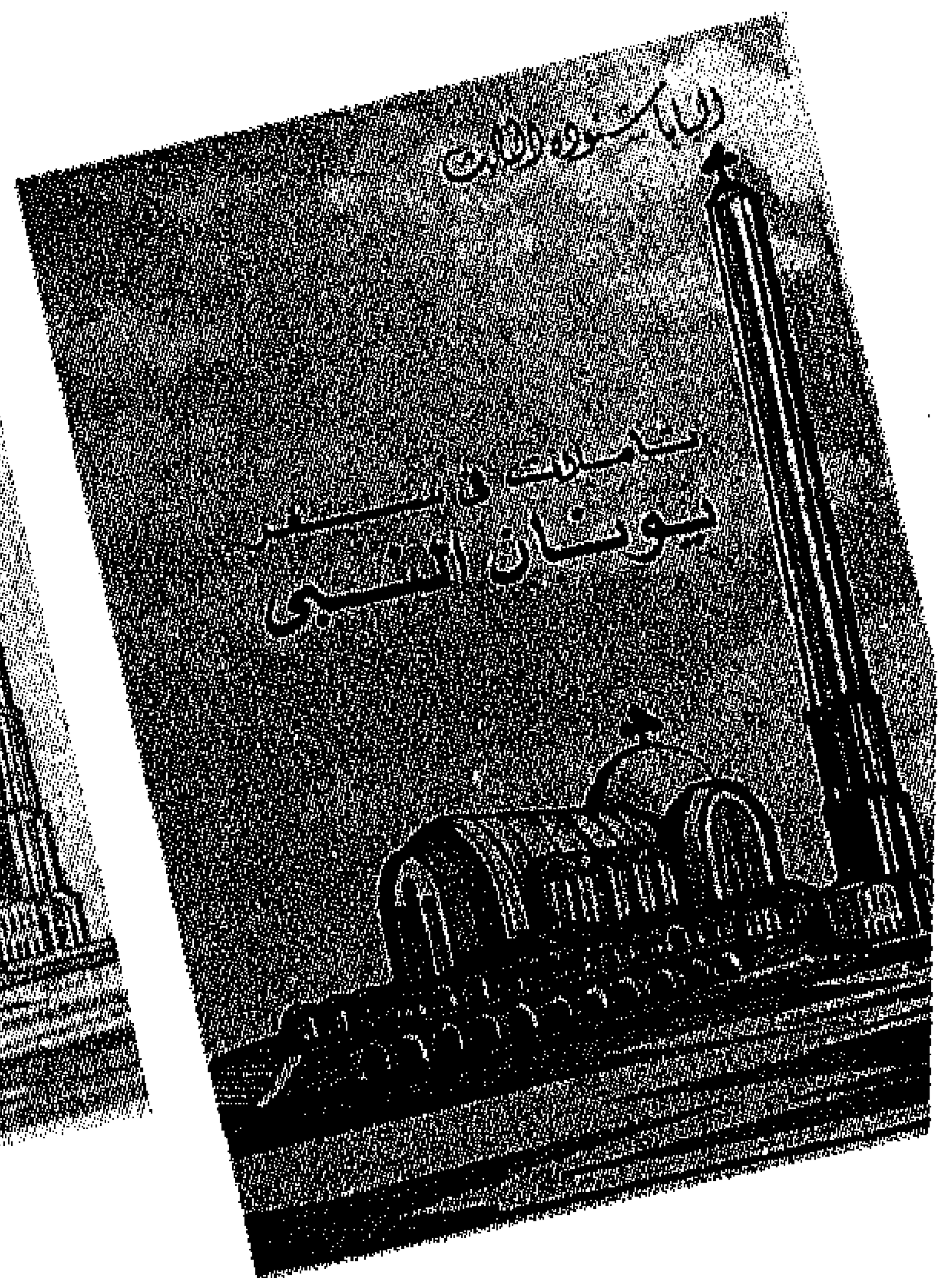

البابا شنوده الثالث
سنوات مع
أسئلة الناس
الجزء الأول


البابا شنوده الثالث
سنوات مع
أسئلة الناس
الجزء الثاني


البابا شنوده الثالث
روحانية الصوم


البابا شنوده الثالث
تأملات في حياة القديسين
يعقوب ويوسف
من رؤساء الآباء


البابا شنوده الثالث
سلسلة الحروب الروحية
Spiritual Warfare
(٤)
(٤)
إدانة الآخرين


البابا شنوده الثالث
تأملات في سفر
يونان النبي

مراجع الكتاب

المراجع

١ـ أبو سيف يوسف ـ الأقباط والقومية العربية (دراسة استطلاعية) ـ إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ، لبنان.

٢ـ مجموعة من الباحثين ـ العلاقات الإسلامية المسيحية ، قراءات مرجعية في التاريخ والحضارة والمستقبل مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ـ بيروت، لبنان .

٣ـ مجلة الاجتهاد ـ الأعداد ٢٩، ٣٠، ٣١ ، بيروت، لبنان.

٤ـ رجب البنا ـ الأقباط في مصر والمهجر ـ دار المعارف ـ القاهرة، مصر.

٥ـ د. غالي شكري ـ الأقباط في وطن متغير ـ دار الشروق ـ القاهرة، بيروت.

٦ـ طارق البشري ـ المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ـ دار الشروق ـ بيروت، لبنان.

٧ـ د. مصطفى الفقي ـ الأقباط في السياسة المصرية ـ مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية ـ دار الشروق ـ القاهرة، بيروت.

٨ـ د. رشدي سعيد ـ الكنيسة القبطية ـ مجلة الهلال عدد ١٠٥ حزيران ١٩٩٨ ـ القاهرة، مصر.

٩ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الأهرام ـ تقرير الحالة الدينية في مصر ـ القاهرة، مصر.

١٠ـ سمير عبده ـ السريان قديماً وحديثاً ـ المعهد الملكي للدراسات الدينية ـ عمان، الأردن.

١١ـ نينا بيغو ليفسكايا ـ ترجمة د. خلف الجراد ـ ثقافة السريان في القرون الوسطى ـ دار الحصاد ـ دمشق، سوريا.

١٢ـ اليكسي جورافسكي ـ ترجمة د.خلف الجراد ـ الإسلام والمسيحية ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت.

١٣ـ رياض نجيب الريس ـ المسيحيون والعروبة ـ رياض نجيب الريس للتأليف والنشر ـ لندن، بيروت.

١٤ـ الحسن بن طلال ـ المسيحية في العالم العربي ـ المعهد الملكي للدراسات الدينية ـ عمان، الأردن.

١٥ـ حسين العودات، العرب النصارى ـ عرض تاريخي ـ دار الأهالي ـ دمشق، سوريا.

١٦ـ د. سلوى بالحاج صالح العايب ـ المسيحية العربية وتطوراتها ـ دار الطليعة ـ بيروت، لبنان.

١٧ـ محمد أنور السادات والبابا ـ أسرار الصدام بين النظام والكنيسة ـ دار إيه أم للنشر والتوزيع ـ القاهرة، مصر.

١٨ـ محمود فوزي ـ البابا شنوده ... من الرهبنة إلى كرسي البابوية ـ دار النشر هاتييه ـ القاهرة، مصر.

١٩- محمود فوزي - البابا شنوده وتاريخ الكنيسة القبطية ــ دار النشر هاتييه ــ القاهرة، مصر.

٢٠- محمود فوزي - البابا شنوده ... حوار محظور النشر - دار النشر هاتييه ــ القاهرة، مصر.

٢١- محمود فوزي - البابا شنوده وأقباط المهجر ــ دار النشر هاتييه ــ القاهرة، مصر.

٢٢- محمود فوزي - البابا كيرلس والبابا شنوده ــ دار النشر هاتييه ــ القاهرة، مصر.

٢٣- حربي جرجس - البابا شنوده الثالث بابا المسكونة ــ مطبعة المصريين ــ القاهرة، مصر.

٢٤- الأنبا يوحنا والقس أنطونيوس ميخائيل ــ ذكريات في حياة قداسة البابا شنوده الثالث - شركة النعام للطباعة والتوريدات - القاهرة، مصر.

٢٥- القمص أشعياء ميخائيل - الشماس أنطون فهمي جورج - البابا المعلم ــ دار يوسف كمال للطباعة - القاهرة، مصر.

٢٦- القمص ميخائيل جرجس صليب ــ السجل التاريخي لقداسة البابا شنوده الثالث ــ الكتاب الثاني ــ الجزء الأول (الرعاية) ــ دار الطباعة القومية بالفجالة - القاهرة، مصر.

٢٧- أمير نصر - هذه الطالعة من البرية، البابا شنوده الثالث والنهضة الرهبانية المعاصرة - دار الجيل بالفجالة - القاهرة، مصر.

صحف:

١- صحيفة الأهرام المصرية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٢- صحيفة أخبار اليوم المصرية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٣- صحيفة النهار اللبنانية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٤- صحيفة السفير اللبنانية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٥- صحيفة تشرين السورية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٦- صحيفة الثورة السورية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٧- صحيفة البعث السورية ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨

٨- صحف عربية متنوعة

الفهرس

© دار الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري

- رابعة العدوية - مدينة نصر

ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩

فاكس: ٨١٧٧٦٥(٩٦١)

